الأعمال الشعرية الكاملة

محمد مهدي الجواهري



شاعر الرفض والإباء

الجزء الأول

دراسة وتقديم

عصام عبد الفتاح



مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : الأعمال الشعرية الكاملة

(محمد مهدي الجواهري) الجزء الأول

دراسة وتقديم : عصام عبد الفتاح

رقــم الإيداع : ٢٠١٠/١٥٧٠٢

الطبعة الأولى ٢٠١١



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

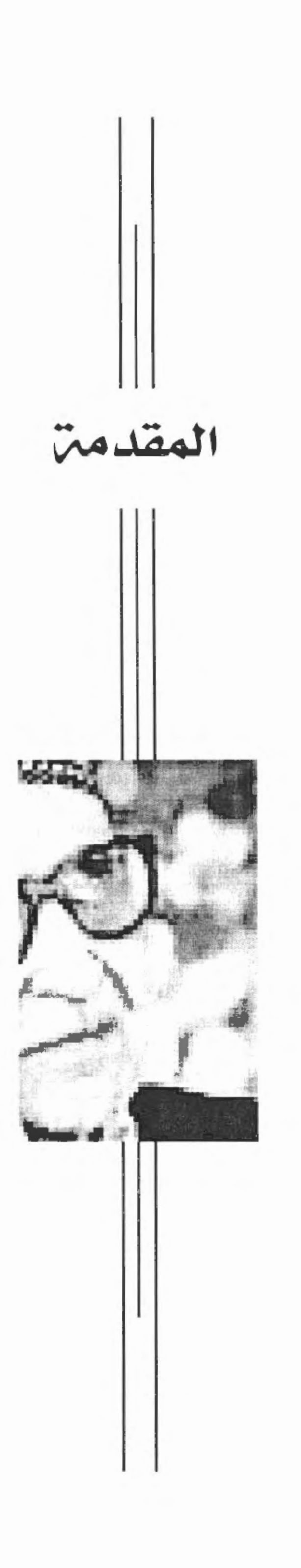
Tokoboko_5@yahoo.com

أنا يا شعر وإياك سواءٌ في العذاب
أنا مما بكَ أبكيكَ وتَبكيني لِما بي

الجواهري....



المقدمة



المقدمة

العراق أرض الفتن.. والدماء..

الخصومة.. والانقلابات..

فهناك في الكوفة قُتِلَ الإمام عليٌ كرم اللهُ وجهه.. وفي كربلائها سقط ابنه الإمام الحسين شهيداً.. ومنها خرج الحجاج بن يوسف الثقفي[1].. وما أدراك من هو الحجاج.. أشهر سفاحي التاريخ.. وما بين سيفه.. ودمويته.. ولسانه.. وبلاغته.. كتبت سطور أكثر صفحات تاريخنا الإسلامي دموية.. وكذلك العراق.. فبين ملكيته.. وجمهوريته.. عاش أهله بين الرمضاء.. والنار.. فما تهدأ فتنةٌ.. حتى تقوم أخرى.. واحتكم الجميع قديماً لنصول السيوف.. وحديثاً لطلقات الرصاص.

والعراقيون مهما تعددت أطيافهم.. وتباينت انتماءاتهم.. هم شعبٌ يميل إلى الحرية.. ويأبون الضيم.. وتعاف نفوسهم القهر.. فيثورون.. وفي كل ثورة تسيل الدماء.. وُتقطع الرؤوس.

(١) اسمه بالكامل أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن الحكم الثقفي وهو سياسي أموي وقائد عسكري.. من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل في التاريخ الإسلامي والعربي..عُرف بـ (المبير) أي المبيد.. وكان خطيباً بليغاً.. لعب دوراً كبيراً في تثبيت أركان الدولة الأموية.. وسير لذلك الفتوح.. وخطط المدن.. و بنى مدينة واسط.. واختلط في المخيلة الشعبية بروايات مبالغ فيها تدل على ميراث الرعب الهائل الذي خلفه.. ولد في منازل ثقيف بمدينة الطائف.. في عام المجاعة ٤١هـ.. وكان اسمه كليب ثم أبدله بالحجاج.. وأمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي الصحابي الشهيد.. نشأ في الطائف.. وتعلم القرآن والحديث والفصاحة.. ثم عمل في مطلع شبابه معلم صبيان مع أبيه.. يعلم الفتية القرآن والحديث.. ويفقههم في الدين.. لكنه لم يكن راضياً بعمله هذا.. على الرغم من تأثيره الكبير عليه.. فقد اشتهر بتعظيمه للقرآن.

ووسط كل هذا.. عاش.. ومات شاعرنا الجواهري شيخ شعراء القرن العشرين.. وشاعر العربية الأكبر.. فالجواهري من الشعراء الذين آمنوا برسالة الشعر.. وأمانة الشاعر في التعبير عن أهل وطنه.. واتخذ من الكلمة مصباحاً يبدد به ما استطاع من ظلام.. ومظالم أهله ووطنه.. وتحولت أشعاره.. وكلماته.. ومواقفه إلى سيفٍ في وجه الجور.. والظلم.. والظالمين.

والشعر في تاريخنا العربي تحول على يد كثيرين ممن امتلكوا ناصيته إلى مجرد أداة للوصف الحسي.. خاصةً فيما يتعلق بمفاتن المرأة وذلك في أكثر أغراضه شيوعاً وهو غرض الغزل.. لكنه مع شعراء آخرين مثل الجواهري تحول إلى سيفٍ يقطع رقاب الظالمين من الحكام.. وسدنتهم.. وسوطٍ يلهب به حماس أبناء الوطن.. ليحرك جمود.. واستسلام الخانعين.. الساكتين من الرعية.

التزم الجواهري دائماً بقضية وطنه المكبل بأغلال الاستبداد.. الساكت على نهب خيراته.. وثرواته.

وآمن أن الشعب مصدر القوة.. ومنبع الحصانة لكل شاعر.

وأدرك أن جبروت الحكام يستمد بقاءه من جبن الشعوب.. ونهبهم لخيرات أوطانهم.. فشنف الشاعر آذان كل العرب بالكلمات القاسية.. وزلزل القلوب الواجفة بالمعاني القارصة.. وحرك النفوس الغافلة بحبٍ.. وإخلاص أملاً في حرية غائبة.. وعدالة ضائعة.

والذي يعرف الجواهري.. ويعرف ما جبلت عليه نفسه من تعطش للحرية.. والعدالة.. وما لاقاه من معاناة.. وألم المنفى.. والغربة.. وتعنت الحكام ضده.. يعرف لماذا كان شعره نفثاتٍ من روحه الناقمة على الظلم.. والظالمين.. وشذراتٍ من لهيب نفسه.. تعكس كالمرآة الصادقة ما في داخل هذا الشاعر من إباءٍ.. وعزةٍ..

وكرامةٍ.. وشرفٍ.. وكبرياء .

وهكذا عاش الجواهري عمره المديد الذى قارب على قرنٍ كامل.. ثم طويت صفحة حياته المادية.. ورحل عن دنيانا نظيف اليد.. صادق الوعد.. سليم النية..مخلصاً لعقيدته في الحياة..لكنه أبداً ما طُوِيت ـ ولا أظنها ستطوى ـ صفحة حياته الشعرية..من ديوان فطاحل الشعراء العرب.. نعم برحيله أُسدِلَ الستار على واحد من أهم عمالقة الشعر.. لكن كنانة الشعر العربي ما زالت ولادة.. ومليئة بالسهام.. تنتظر قوس الآوان.. ويد الرامي.

وقبل أن نبحر بين شطآن عالم الجواهري الشعري الزاخر بمئات القصائد التى كتبها عبر عمره المديد الذى قارب على المائة عام.. نتعرف أولاً على نبذة مختصرة عن حياة شاعرنا.

عصام عبد الفتاح

elbtrawy@yahoo.com

الجواهري

شاعر العزة.. والإباء

بورتريه خاص جداً..





هناك في العراق.. أرض الخصب والنماء.. أرض الرافدين.. أو أرض السواد كما أسماه أسلافنا[1].. وبالتحديد عام ١٨٩٩ وُلِدَ شاعرنا «محمد مهدي الجواهري»[2] لأسرة عريقة تميزت بكونها بيت علم ودين.. أسرة نبغ فيها شعراء.. وأئمة.. وعلماء.. واستقرت الأسرة في مدينة النجف الأشرف العراقية.

اشتهرت العائلة باسم «آل الجواهر» نسبةً إلى الجد الأكبر للأسرة.. وهو المرحوم الشيخ محمد حسن المعروف بـ «صاحب الجواهر» نسبةً لكتابه الشهير الذي ألّفه الجد في الفقه.. والمعروف باسم «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام».. ومن هذا الاسم جاء لقب الجواهر.

ومن الجد ورث الأب الاشتغال بالدعوة الإسلامية.. وكان أحد علماء النجف المعروفين.. وأراد الأب لابنه أن يكون مثله عالماً دينياً.. لذا كفل له في سنٍ مبكرة مشايخ النجف النابهين.. والمُدرّسين الكبار ليساعدوه في حفظ القرآن.. وإتقان علوم اللغة.. والنحو.. والصرف.. والبلاغة.. والفقه.. والدين.. وألبسه وهو طفل في سن العاشرة عباءة العلماء.. وعمامتهم.. والقراءة.. وخطط له والده أن يحفظ في كل يوم خطبة من نهج البلاغة.. وقصيدة من ديوان أبى الطيب المتنبي.

شاعرٌ من يومه..

وأدرك الجواهري الصغير في نفسه القدرة على كتابة الشعر.. وتهيأت له صغيراً ملكات فطرية مكنته من ذلك.. فجادت قريحته بالشعر منذ عهد الصبا.. وفي عام ١٩٢٧ صدر الجزء الأول من ديوانه.لذا نظم الجواهري الشعر في سن مبكرة..

(١) أرض السواد دلالة على كثرة النخيل التي تظلل الأرض والأفق فحيثما امتد بصر الإنسان رأى سوادا وما ذاك إلا فأل خير وبشارة .. ويُمن.

(٢) هناك رواية أخرى تقول أن مولد محمد مهدي الجواهري كان عام ١٩٠٠

وأظهر ميلاً منذ الطفولة إلى الأدب.. فأخذ يقرأ في كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ.. ومقدمة ابن خلدون.. ومختلف دواوين الشعر.. واشترك في ثورة العشرين[1] عام ١٩٢٠ ضد السلطات البريطانية.

شاعر متمكن..

يتحكم الجواهري في لغته الشعرية تحكم الواثق من نفسه.. والقادر على توصيل أفكاره سليمة.. وواضحة.. المالك لملكاته الشعرية.. المتمكن من أدواته التعبيرية وحسن اختيار اللفظ الموحي بالمعنى المقصود.. فلا تعاني لغته الشعرية من الملل.. أو الفتور.. وكأنه امتلك ناصية اللغة.. فأسلست له القياد.. وتشبعت روحه بفلسفة الحداثة.. وتعمقت ثقافته بالوعي التام بمعاني الحرية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية.. وزادته قناعته اليسارية ثباتاً في الموقف.. وحرناً على الفكرة.. كل هذه العوامل أشعرت الشاعر بحريته التي زهت بها نفسه فلم يجد ما يدعوه إلى التخلي عن الشعر العمودي.. واللجوء إلى شعر التفعيلة استزادة من الحرية في القول والأصالة في المعنى.

شاعرٌ ساخر..

هناك ميزة في شعره واضحة للعيان مسفرة للقارئ وهي روح السخرية.. وكأنها

(١) هي ثورة قامت ضد الاحتلال البريطاني للعراق وسياسة تهنيد العراق تمهيدا لضمه لبريطانيا كسلسلة من الانتفاضات التي حدثت في الوطن العربي جراء عدم إيفاء الحلفاء بالوعود المقطوعة للعرب بنيل الاستقلال كدولة عربية واحدة من اهيمنة العثمانية. اتخذت الثورة بادئ الأمر شكل العصيان المدني ثم المواجهات المسلحة التي أدت إلى عقد مؤتمر القاهرة الذي حضره وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل لمناقشة موضوع الانتفاضات العربية كثورة ١٩١٩ في مصر وثورة العشرين في العراق وثورة سورية وانتفاضة اليمنيين والفلسطينيين.. وتقرر منح هذه الدول استقلال ذاتي محدود تنفيذاً لمقررات اتفاقية سايكس - بيكو بتجزئة الولايات العثمانية ومنحها استقلال شكلي وربطت تلك الدول بمعاهدات تسهل من خلالها هيمنة بريطانيا وفرنسا عليها.

البلسم الذي يبلسم جراحه.. والشهقة التي يجد فيها الراحة والعزاء.. وهو يستخدمها في شعره كطريقةٍ من طرق التعبير عن تبلد الجماهير.. وسبيلاً يستنهض به العزائم ويستثير به الهمم.

ديوانه الأول..

تحت عنوان «خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح» أعد شاعرنا مجموعته الشعرية الأولى منذ عام (١٩٢٤).. حتى صدرت في شكل ديوان عام (١٩٢٨) وكان يحمل عنوان «بين الشعور والعاطفة».. وفي سنة ١٩٣٥ أصدر الجزء الثاني من ديوانه.. وفي سنة ١٩٥٣ أصدر الجزء الثالث من ديوانه.

محطات هامة في حياة شاعرنا..

اشتغل فترة قصيرة في بلاط الملك فيصل الأول عندما تُوج ملكاً على العراق.. وكان لا يزال يرتدي العمامة.

ثم ترك العمامة كما ترك الاشتغال في البلاط الفيصلي.. واستقال سنة ١٩٣٠.. وراح يعمل بالصحافة بعد أن غادر النجف إلى بغداد.. فأصدر مجموعة من الصحف منها جريدة (الفرات) ثم ألغت الحكومة امتيازها وحاول أن يعيد إصدارها ولكن بدون جدوى.. فبقي بدون عمل إلى أن عُيِّنَ معلماً في أواخر سنة ١٩٣١ في مدرسة المأمونية.. ثم نقل إلى ديوان الوزارة رئيساً لديوان التحرير.. وفي أواخر عام ١٩٣٦ أصدر جريدة (الانقلاب) إثر الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي[١] .. الذى أنهى الملكية في العراق.

(١) بكر صدقي (١٨٨٦ - ١٩٣٧) عسكري وسياسي عراقي قام بانقلاب عسكري ضد وزارة الهاشمي وُلِدَ في قرية عسكر القريبة من مدينة كركوك لأبوين كرديين.. درس في المدرسة الحربية في الآستانة=

في المعتقل..

طمح شاعرنا إلى الحرية والديمقراطية والمساواة وأمل في الثورة خيراً.. وهو ما لم يجده منها.. ولم يستطع السكوت فجهر برأيه.. وصدع بأفكاره.. التي تعارضت مع فلسفة الحكم والنظام القائم.. وبدأ يرفض التوجهات السياسية للانقلاب.. ومن أجمل ما كتب يجسد توجهه ضد هؤلاء الظلمة.. والمستبدين قصيدته تلك التي جاء فيها..

ما تشاؤون فاصنعوا فرصة لا تضيع

فرصة أن تحكموا وتحطوا وترفعوا

وتدلوا على الرقاب وتعطوا وتمنعوا

لكم الرافدان والزاب ضرع فأضرعوا

ماتشاؤون فاصنعوا الجماهير هطع

ما الذي يستطيعه مستضامون جوع؟

إنها صيحة صريحة.. وقوية.. لا موارية فيها.. ولاتعمية لغتها مشبعة بالتحدي والرفض.. لغتها شديدة الإيحاء بمعاني الجور والظلم والنهب خيرات البلد من جهة الحكام.. والخنوع والاستسلام من جهة المحكومين.. فحُكِمَ عليه بالسجن ثلاثة أشهر وبإيقاف الجريدة عن الصدور شهراً.

=باسطنبول وتخرج منها ضابطاً في الجيش العثماني . وشارك في الحرب العالمية الأولى في آخر سنينها.. وبعد نهاية الحرب واندثار (الدولة العثمانية) نضم إلى الجيش العراقي الذي أسسه المحتلون في ٦ يناير ١٩٢٠ برتبة ملازم أول.. رغم كونه من أبوين كرديين فقد كانت له ميول قومية عربية.. ولذلك فقد تلقفه أنصار القومية العربية من طبقة الحكام العراقيين.. تدرج في رتبته العسكرية حتى وصل إلى رتبة فريق ركن في عهد الملك غازي واشتهر بالصرامة والتنفيذ الحرفي للأوامر العسكرية عندما قاد الجيش العراقي ضد انتفاضة الأثوريين أو الأشوريين كما يسمون حالياً.

سقوط حكومة الانقلاب..

بعد سقوط حكومة الانقلاب.. غير اسم الجريدة إلى (الرأي العام).. ولم يتح لها هي الأخرى مواصلة الصدور.. فعُطِلت الجريدة أكثر من مرة بسبب ما كان يكتب فيها من مقالات ناقدة للسياسات المتعاقبة.

حركة مارس..

لما قامت حركة مارس١٩٤١ أيّدها وبعد فشلها غادر العراق مع من غادر إلى إيران.. وقام برحلة إلى فرنسا وبولونيا.. وتركت هذه الرحلة في نفسه أعمق الأثر وهو يقارن بين ماينعم به الأوربيون من عدل ومساواة وتقدم وحرية وعصر صناعي بما يقاسيه الشعب العراقي من جور وطبقية ورجعية وعصر حجري.. ثم عاد إلى العراق في العام نفسه ليستأنف إصدار جريدته (الرأي العام).. وفي سنة ١٩٤٧ دخل المجلس النيابي نائباً عن كربلاء.

رئيساً لاتحاد الكتاب العراقيين..

انتُخِبَ الجواهري رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين.. ونقيباً للصحفيين بالعراق.

لبنان منفاه الاختياري..

ولكنه كان كدأبه ناقماً على الجور أبياً.. يكره الهوان.. متعطشاً إلى الحرية.. والعدل.. طامحاً إلى وثبة حضارية.. وعلمية تعطي بلاده مكانتها المستحقة في ركاب الحضارة.. فلاقى من كل الأنظمة الجهامة.. والتضييق على حريته جزاءً على جهره بمعارضته.. واعتراضاً على مخالفته لفلسفة الحكم.. في هذه الفترة واجه شاعرنا مضايقات مختلفة فغادر العراق عام ١٩٦١ إلى لبنان ومن هناك استقر في براج[١]

(١) عاصمة تشيكوسلوفاكيا

سبع سنوات.. وصدر له فيها في عام ١٩٦٥ ديوان جديد سمّاه « بريد الغربة».

عودته إلى العراق..

عاد إلى العراق في عام ١٩٦٨ وخصصت له حكومة الثورة راتباً شهرياً قدره ١٥٠ ديناراً في الشهر.. وفي عام ١٩٧٣ رأس الوفد العراقي فى مؤتمر الأدباء التاسع الذي عقد في تونس .

خارج الوطن ثانية..

تجول شاعرنا بين عدة دول عربية منها .. مصر.. المغرب.. والأردن.. ولكنه استقر به المقام أخيراً في دمشق التي أمضى فيها بقية حياته.. وهناك في سوريا وجد الاستقرار والتكريم.. ونزل في ضيافة الرئيس الراحل حافظ الأسد[1].. الذى

(١) اسمه بالكامل حافظ سليمان الأسد .. رئيس الجمهورية العربية السورية بين أعوام ١٩٧٠ – ٢٠٠٠ ولد في٦ أكتوبر ١٩٣٠ بمدينة القرداحة بمحافظة اللاذقية لأسرة من الطائفة العلوية كانت تعمل في فلاحة الأرض.. أتم تعليمه الأساسي في مدرسة قريته التي أنشأها الفرنسيون عندما أدخلوا التعليم إلى القرى النائية.. وكان أول من نال تعليماً رسمياً في عائلته.. ثم انتقل إلى مدينة اللاذقية حيث أتم تعليمه الثانوي .. التحق بحزب البعث عام ١٩٤٦ عندما شكل رسمياً أول فرع له في اللاذقية.. كما اهتم بالتنظيمات الطلابية حيث كان رئيس فرع الاتحاد الوطني للطلبة في محافظة اللاذقية.. ثم رئيساً لاتحاد اطلبة في سوريا.. لم يتمكن من تحقيق حلمه بالالتحاق بكلية الطب في الجامعة اليسوعية ببيروت بسبب فقر أسرته ماديّ.. لذا التحق بالأكاديمية العسكرية في حِمص عام ١٩٥٢ ومن ثم التحق بالكلية الجوية ليتخرج منها برتبة ملازم طيار عام ١٩٥٥ وبعد سقوط حكم أديب الشيشكلي واغتيال العقيد عدنان المالكي انحسم الصراع الدائر بين الحزب السوري القومي الاجتماعي.. وحزب البعث العربي الاشتر كي لصالح البعثيين مما سمح بزيادة نشاطهم وحصولهم على امتيازات استفاد منها هو حيث اختير للذهاب إلى مصر للتدرب على قيادة الطائرات النفاثة ومن ثم أرسل إلى الاتحاد لسوفييتي ليتلقى تدريباً إضافياً على الطيران الليلي بطائرات ميج١٥ وميج ١٧ والتي كان قد تزود بها سلاح الجو السوري.. انتقل لدى قيام الوحدة بين سوريا ومصر مع سرب القتال الليلي التابع لسلاح الجو السوري للخدمة في القاهرة .. وكان حينها برتبة نقيب=

كرمه.. وأحسن وفادته.. ومنحه أعلى وسام في البلاد.. ومن قصائده الرائعة قصيدته التي امتدح فيها الرئس حافظ الأسد وقال فيها..

سلاماً أيها الأسد

سلمت وتسلم البلد

كما كتب شاعرنا عن دمشق واحدة من أجمل قصائده وهى القصيدة التى حملت اسم (دمشق جبهة المجد).. ويعتبرها النقاد إحدى دُرره الشعرية.

شاعر العرب الأكبر..

هذا هو اللقب الذي أطلقه على الجواهري جموع قراء الشعر في الوطن العربى.. رغم أن الساحة العربية كانت في زمن توهجه.. مليئة بالشعراء الكبار في عصره.. إلا أنه حصل على هذا اللقب بإجماع مطلق.. واستحقه عن جدارة في وقت مبكر من حياته الشعرية.

السمات المميزة لأشعار الجواهري..

إن أهم ميزات شعر الجواهري كونه استمراراً لتراث الشعر العربي العظيم.. ولعلنا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا أنه لم يظهر بعد المتنبي شاعر مثل الجواهري.. وهذه قناعة العرب جميعاً.. قارئين ونقاداً.. وباحثين.. في الوقت ذاته واكب الحركة الوطنية العربية.. وعبر في شعره عنها.. وقدم لها قصائد ستظل خالدة.. بالرغم من

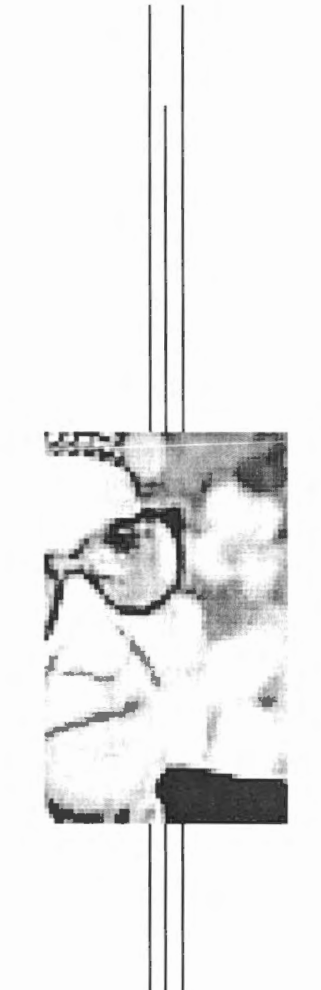
=(حسب بعض المصادر رائد).. لم يتقبل مع عدد من رفاقه قرار قيادة حزب البعث بحل الحزب عام ١٩٥٨ استجابة لشروط عبد الناصر لتحقيق الوحدة.. فقاموا بتشكيل تنظيم سري عام ١٩٦٠ عرف باللجنة العسكرية (هي التي حكمت سوريا فيما بعد) وكان لها دور بارز في الانقلابات التي حدثت في مطلع الستينات.

قصائده المطولة التي وصلت إلى أكثر من ١٠٠ بيت.. والتجديد في شعر الجواهري كان يلتزم فيه تماماً بالوزن.. والقافية.. مع جمال اللغة.. وجزالة الأسلوب.. والموسيقى.

وفاته..

توفي الجواهري في أحد مستشفيات دمشق عام ١٩٩٧ عن عمر ناهز الثامنة والتسعين.


ديوان
الجواهري





العزم وأبناؤه

هو العزم لا ما تدعي السُمْرُ والقُضْبُ ... وذو الجدَّ حتى كل ما دونه لِعْبُ
ومن أخلفته في المعالي قضية ... تكفل في إنتاجها الصارم العضب
ومن يتطب مصعبات مسالك ... فأيسر شيء عنده المركب الصعب
ومن لم يجد إلا ذعاف مذلة ... وروداً فموت العز مورده عذب
وهل يظمأ اللاوى من الذل جانباً ... وبيض الظبا رقراقها علل سكب
إذا رمت دفع الشك بالعلم فاختبر ... بعينيك ماذا تفعل الأسد الغلب
أما والهضاب الراسيات ولم أقل ... عظيماً فكل دون موقفه الهضب
لئن أسلمتهم عزة النفس للردى ... فما عودتهم أن يلم بهم عتب
أحباي لو لم تمسك القلب أضلعي ... لطار أسى من برج ذكراكم القلب
قضيتم وفي صدر الليالي وليجة ... وما غيركم يستلها فلها هبوا
سقاك الحيا أرض العراق ولارقت ... جفون غواديه وناحت بكِ السحب
تضمنت لا ضمنت شراً لظالم ... كواكب ليل الخطب إن حلك الخطب
بكيت وحيداً في رباك ولم أرد ... مخافة واشٍ أن يساعدني الركب
فيا شرق حتى الحشر تربك فوقه ... دليل لمن يدر ما فعل الغرب

***

رثاء شيخ الشريعة

أين ما لهذا الدين ناحت منابره ... وقل خفية أين استقلت عساكره

ولم شرق النـاعي بمنعـاه علـه ... رأى شـامتًا يخشـى وعينـا تحـاذره

فخافت فلا تفصح بها طرق الهدى ... جهارا وقل قد أسلم الغاب خادره

وشكواك فاكتمها وقل متجلداً ... زمـان مضـت أولاه هـذي أواخـره

وهل ينفع المفجوع حبس دموعه ... وبـاطن مـا يخفيـه يبديـه ظـاهره

وقالوا بنو الآمال تشكو من الظما ... فقلت نعم..بحر الندى جف زاخره

لفقدك أبكي باطن الأرض ظهرها ... فعـادت سـواءً دوره ومقـابره

إذا كان ورد الموت من عمر ماجدٍ ... فما عن سوى الأمجاد تهوى مصادره

أبا حسن في الصدر مني سريرة ... سـأكتمها حتـى تبـاح سرائـره

أعدوك للأمر الجليل وأضمرت ... خلاف الذي قد أضمروه مقادره

ولم تدرك الثأر المنيم من العدى ... فجفنـك لم أغضى وهـوم سـاهره؟

سلام على النعش الخفيف فقد ثوت ... ثقـال المعـالي عنـده وأواصره

أناعيه خفض فالشريعة تعتزي ... إلى شيخها فانظر لما أنت ذاكره

لفقدك حال الدين عما عهدته ... فمسـلمه في ذمـة الشرع كـافره

فلا بلغ الناعي على دين أحمد ... منـاه ولا حاقـت يميـه بـواتره

فلو شاء ذاك القبر بين كم به ... أمـاني نفـوس قد طوتها ضمـائره

فيـا لاسـقت إلا يـداه ضريحه ... ففيـه مسح الغيـث حل ومـاطره

****

ثورة العراق

إن كـان طـال الأمـدُ ... فبعـد ذا اليـوم غـدُ

مـا آن أن تجلـو القـذى ... عنهـا العُيـون الرَّمـد

أسيافُكم مرهفة   وعزمُكم متقد

هبوا كفتكم عبرة   أخبار من قد رقدوا

هبوا فعن عرينه   كيف ينام الأسد

وثورة بل جمرة   ليعرب لا تخمد

أججها إباؤهم   والحر لا يستعبد

لا تنثني عن بلد   حتى يشب البلد

خفوا إلى الداعي   وفي الحرب جبالاً ركدوا

واستبشروا بعزمهم   فهللوا وغردوا

وأقسموا إلى العدى   أن لا يلين المقود

يأبى لكم أن تقهروا   عزمكم والمحتد

إن كان أعيا مورد   غير الأذى لا تردوا

أو كان لا يجديكم   قربى لهم فابتعدوا

كم جلب الذل على   المرء حسام مغمد

زيدوا لقاحاً حربكم   لعل عزاً تلد

إياكم والذل إن   جرحه لا يضمد

وللفرات نهضة   مشهودة لا تجحد

هاجوا بها لا لعب   فيها أتوا أودد

غطارف من الظبا   صرح لهم ممرد

وفتية على المنى   أو المنايا احتشدوا

ناديهم الحرب   وصهوة الجياد المقعد

لــو أوردوا عــلى ظــمأً ... بذلــة مــا وردوا
مــن كــل مشــتد الحصــاة ... رأيــه مستحصــد
ناشــد بــذاك عوجــة ... ومثلهــا يستنشــد
هــل اشــتفت مــن العــدى ... أم بعــد فيهــا كمــد؟
وهــل درت أبناؤهــا ... أن الثنــا مخلــد
هــم عمروهــا خطــة ... يصــلى بهــا وتحمــد
خالــدة مــا ضرهــم ... أنهــم مــا خلــدوا
وللقطــار وقعــة ... منهــا تفــز الكبــد
مــا تركــوا حتــى الحديــد ... سلســلوا وقيــدوا
مــر وقــد تحاشــدت ... عديــده والعــدد
كــأنها لســانه ... خطيــب جمــع مزبــد
كأنــه آلى عــلى ... أن لا يطــول المــدد
تكــاد مــن هيبتــه ... صــم الجبــال تســجد
تحتشــه النــار كــما ... بــالروح سارالجســد
لم يلــف إلا موعــداً ... فمــبرق ومرعــد
حتــى إذا مــا أجــل ... دنــا وحــان الموعــد
لم ينجــه مــن الــردى ... حديــده الموطــد
هيهــات يغنــي عــن ... قضــاء زبــر مصــفد
مــن بعــد مــا قــد أبــرم ... الأمــر قــدير أوحــد
هنــاك لــو قــد وجــدوا ... ســم خيــاط نفــدوا
واســتنجدوا وأيــن مــن ... حــين النفــوس المنجــد

ملحمـــة تشـــكر مصـــليها … الوحـــــــــوش الشرد
ودعـــــوة مشـــــهودة … تـــدعو ليـــوم يشــــهد
قـــام بهـــا مقلـــد … بعزمــــــه مجتهــــــد
« محمـــــد » ومعجـــز … مثلـــك يـــا « محمـــد »
ألقحتهــــا شـــعواء لا … يطـــاع فيهـــا الســـيد
يـــرون أقصى مطمــــع … في الحـــرب أن يستشــــهدوا
كـــأنها ليســـت لهـــم … نفوســـــهم والولــــد
حتـــى إذا مـــا ويلســـن … ضـــاقت بهـــا منـــه اليـــد
ولم يجـــد لينـــاً بهـــم … وهــــل يلـــين الجلمــــد
ومـــا رأى ذنبـــاً ســـوى … أن حقوقـــــا تنشــــد
وأنهـــــم أولى بـــــها … قـــد زرعـــوا أن يحصـــدوا
ســــواعد مفتولــــة … بعزمهـــــا تعتضـــــد
وهمـــــة شـــماء لا … ينـــال منهـــا الفرقـــد
مـــال إلى الحـــق ولم … يكـــن لحـــق يرشـــد
وقـــال : هـــذا عاصـــف … هـــب وبحـــر مزبـــد
وجـــذوة تلهـــم مـــن … أطرافهـــا مـــا تجـــد
ولســـت أقـــوى حمـــل مـــا … تنـــوء عنـــه الكتـــد
يـــاثورة العـــرب انهضي … لا تخلقـــي ماجـــددوا
لاعـــاش شـــعب أهلـــه … لســـانهم مقيـــد
ســـيان عنـــدي مقـــول … أو مرهـــف مجـــرد.

أفـــدي رجـــالاً أخلصـــوا ... لشـــــعبهم واجتهـــــدوا
كـــــم خطبـــــة نفاثـــــة ... فيهـــــا تحـــــل العقـــــد
ومقـــــول قصر عـــــن ... تـــــأثيره المهنـــــد
هـــــذا لســـــاني شـــــاهد ... عـــــدل متـــــى تستشـــــهدوا
أن لا تـــــزال أضـــــلعي ... تطـــــوى عـــــلى مـــــا تجـــــد
عهـــــداً أكيـــــداً فثقـــــوا ... أني عـــــلى مـــــا أعهـــــد
صـــــبراً ومـــــا طـــــاب لكـــــم ... مرعـــــاكم والمـــــورد
صـــــبراً ومـــــا عودتمـــــوا ... مـــــن قبـــــل أن تضـــــطهدوا
إن رفعـــــت رواقهـــــا ... الحـــــرب فـــــأنتم عمـــــد
وأنـــــتم إذا الـــــوغى ... أعـــــوزه مـــــن يوقـــــد
نـــــيران حـــــرب يصـــــطلي ... الأدنـــــى بهـــــا والأبعـــــد
مـــــواطني شـــــقت وأبنـــــاء ... الســـــقوط ســـــعدوا
يـــــا إخـــــوتي كـــــل الـــــذي ... أملتمـــــوه بـــــدد
نصـــــيبكم مـــــن كـــــل مـــــا ... شـــــيدتموه النكـــــد
تركـــــوا.. تـــــأرمنوا.. ... تنكلـــــزوا.. تهنـــــدوا
أولا فـــــان عرضـــــكم ... ومـــــالكم مهـــــدد
قـــــد أكلـــــت نتـــــاج ... أقـــــوامي أنـــــاس جـــــدد
أخـــــو الشـــــعور في العـــــراق ... ضـــــائع مضـــــطهد
يحـــــت مـــــن فـــــؤاده ... مـــــا لا يحـــــت المـــــبرد

***

الثورة العراقية

لعل الذي ولى من الدهر راجع ... فلا عيش إن لم تبق إلا المطامع
غرور يمنينا الحياة وصفوها ... سراب وجنات الأماني بلاقع
نسر بزهو من حياة كذوبة ... كما افتر عن ثغر المحب مخادع
هو الدهر قارعه يصاحبك صفوه ... فما صاحب الأيام إلا المقارع
إلى م التواني في الحياة وقد قضى ... على المتواني الموت هذا التنازع
ألم تر أن الدهر صنفان أهله ... أخو بطنه مما يعد وجائع
إذا أنت لم تاكل أكلت وذلة ... عليك بأن تنسى وغيرك شائع
تحدث أوضاع العراق بنهضة ... ترددها أسواقه والشوارع
وصرخة أغيار لانهاض شعبهم ... وإنعاشه تستك منها المسامع
لنا فيك يانشء العراق رغائب ... أيسعف فيها دهرنا أم يمانع
ستأتيك يا طفل العراق قصائدي ... وتعرف فحواهن إذ أنت يافع
ستعرف ما معنى الشعوروكم جنت ... لنا موجعات القلب هذي المقاطع
بني الوطن المستلفت العين حسنه ... أباطحه فينانة والمتالع
يروي ثراه «الرافدان» وتزدهي ... حقول على جنبيهما ومزارع
تغذيه أنفاس النسيم عليلة ... تذيع شذاهن الجبال الفوارع
أأسلمتوه وهو عقد مضنة ... يناضل عن أمثاله ويدافع
وقد خبروني أن في الشرق وحدة ... كنائسه تدعو فتبكي الجوامع
وقد خبروني أن للعرب نهضة ... بشائر قد لاحت لها وطلائع
وقد خبروني أن مصر بعزمها ... تناضل عن حق لها وتدافع

وقـد خـبروني أن في الهنـد جـذوة تهـاب إذا لم يمنـع الشر مـانع

هبـوا أن هـذا الشرق كـان وديعـة فلابـد يومـاً أن تـرد الودائـع

ويـوم نضـت فيـه الخمـول غطـارف يصان الحمى فيهم وتحمى المطالع

تشـوقهم للعـز نهضـة ثـائر حنـين ظـماء أسـلمتها المشـارع

هـم افترشـوا خـد الـذليل وأوطئـت لأقـدامهم تلـك الخـدود الضـوارع

لقـد عظمـوا قـدراً وبطشـاً وإنـما عـلى قـدر أهليهـا تكـون الوقـائع

ومـا ضرهـم نبـو السـيوف وعنـدهم عـزائم مـن قبـل السـيوف قواطـع

إذا اسـتكرهوا طعـم المـمات فأبطـأوا أتـيح لهـم ذكـر الخلـود فسـارعوا

وفي الكوفـة الحمـراء جاشـت مراجـل مـن المـوت لم تهـدأ وهاجـت زعـازع

أديـرت كـؤوس مـن دمـاء بريئـة عليهـا مـن الـدمع المـذال فواقـع

هـم أنكـأوا قرحـاً فأعيـت أسـاته وهـم أوسـعوا خرقـا فـأعوز راقـع

بكـل مشـب للـوغى يهتـدى بـه كـما لاح نجـم في الدجنـة سـاطع

وممـا دهـاني والقلـوب ذواهـل هنـاك وطـير المـوت جـاث وواقـع

وقـد سـدت الأفـق العجاجـة والتقـت جحافـل يحـدوها الـردى وقطـائع

وقـد بـح صـوت الحـق فيهـا فلـم يكـن ليسـمع.. إلا مـا تقـول المـدافع

كمـن مشـى بـين الكـمات وحولـه نجـوم بليـل مـن عجـاج طوالـع

يعلمهـم فـوز الأمـاني ولم تكـن لتجهلـه لكـن ليـزداد طـامع

ومـا كـان حـب الثـورة اقتـاد جمعهـم إلى المـوت لـولا أن تخيـب الـذرائع

هم استسلموا للموت والموت جارف وهم عرضوا للسيف والسيف قاطع

بـاخرة فيهـا الحديـد معاقـل تقيهـا وأشـباح المنايـا مـدارع

وإن أنـس لا أنـس «الفـرات» وموقفـاً بـه مثلـت ظلـم النفـوس الفظـائع

غــداة تجـلى المــوت في غــير زيــه   ولــيس كــراء في التهيــب ســامع

تســير وألحــاظ الــبروق شــواخص   إليهــا وأمــواج البحــار توابــع

تراهــا بيــوم الســلم في الحســن جنــة   بهــا زخرفــت للنــاظرين البــدائع

عــلى أنهــا والغــدر مــلء ضــلوعها   على النار منها قد طوين الأضالع

مدرعــة الأطــراف تحمــي حصــونها   كــماة بطيــات الحديــد دوارع

ألا لا تشــل كــف رمتهــا بثاقــب   حشــته المنايــا فهــو بــالموت نــاقع

مــن الــلآء لا يعــرفن للــروح قيمــة   ســواء لــديها شــيب ورضــائع

فواتــك كــم م [illegible] من قــدر معجــب   كــما ميــل الخــد المصــعر صــافع

أتتهــا فلــم تمنــع رداهــا حصــونها   ولــيس مــن المــوت المحــتم دافــع

هنالــك لــو شــاهدتها حــين نكســت   كــما خــر يهــوي للعبــادة راكــع

هــوت فهــوى ح [illegible] وظلــم تمازجــا   بهــا وانطــوى مــرأى مــروع ورائــع

فــإن ذهبــت طــي الريــاح جهودنــا   فعرضــك يــا أبنــاء يعــرب ناصــع

ثبــت وحســب المــرء فخــراً ثباتــه   كــما ثبتــت في الــراحتين «الأصــابع»

ومحــي لليــل الــتم يحمــي بطرفــه   ثغــوراً أضــاعتها العيــون الهواجــع

تكــاد إذا مــا طــالع الشــهب هيبــة   تخــر لمــرآه النجــوم الطوالــع

مــدبر رأي كلــف الــدهر همــه   فنــاء بــما أعيــا بــه وهــو ظــالع

مهيــب إذا رام الــبلاد بلفظــة   تــدانت لــه أطــرافهن الشواســع

« ينــام بإحــدى مقلتيــه ويتقــي   بأخرى الأعادي فهو يقظان هاجع »

يحــف بــه كــل ابــن هــم إذا رنــا   إلى الحــي ردت مقلتيــه المــدامع

يــرى أينــما جــال اللحــاظ مهاجمــا   يصــول ومــا في الحــي عنــه مــدافع

تثــور بــه للمــوت نفــسُ أبيــة ... وتــأبى ســوى عــاداتهن الطبــائع
يطارحــه وقــع الســيوف إذا مشــى ... كما طارح المشتاق في الأيك ساجع
وقــد راعنــي حــول الفــرات منــازل ... تخلــين عــن ألافهــا.. ومرابــع
دوائــر مــن بعــد الأنــيس توحشــت ... وكــل مقــام بعــد أهليــه ضــائع
جــرى ثــائراً مــاء الفــرات فــما ونــى ... عــن العــزم يومــاً موجــه المتــدافع
حــرام علــيكم ورده مــا تزاحمــت ... على سفحه تلك الوحوش الكوارع
هــم وجــدوا حــول الفــرات أمانيــاً ... لطافــاً أضــلتها نفــوس نــوازع
ولــو قــد أمدتــه الســيوف بحــدها ... لغــص بمــوار مــن الــدم كــارع
ومهــر المنــى ســوق مــن المــوت حــرة ... بهــا يــرخص الــنفس العزيــزة بــائع
فــلا توحــدوه إنــه يســتمدكم ... بأنفاســـه تيـــاره المتتـــالع
عــلى أي عــذر تحملــون وقــد نهــت ... قــوانينكم ن فعلكــم والشرائــع
عــلى رغــم روح الطهرعيســى أذلــتم ... بــراء ذمــاء هونتهــا الفظــائع
فيــا وطنــي إن لم يحــن رد فائــت ... عليـك فـإن الـدهر مـاض وراجـع
وأحلامنــا منهــا صــحيح وكــاذب ... وأيامنــا مــنهن معــط ومــانع
كــما فــرق الشــمل المجمــع حــادث ... فقــد يجمــع الشــمل المفــرق جــامع
ومــا طــال عصر الظلــم إلا لحكمــة ... تنبــئ أن لابــد تــدنو المصــارع

***

الليل والشاعر

وليـل بـه نـم السـنا عـن سـدوفه ... فنمـت بـما تطـوى عليـه الأضـالع
تلامـع في عـرض الأثـير نجومـه ... كـأن الـدجى صـدر وهـن مطـامع

رعيت به الآمال والنسر طائر ... إلى أن تبدى الفجر والنسر واقع
خليلان مذهولان من هيبة الدجى ... تطالعني من أفقها وأطالع
سجية مطوي الضلوع على الأسى ... متى يرم السلوى تعقه المدامع
صريع أمان لم يقرِّبه جاذب ... لما يرتجي إلا وأقصاه دافع
عمى لعيون الهاجعين وأسلموا ... لحر الأسى جنباً قلته المضاجع
أفي العدل صدر لم تضق عنه أضلع ... تضيق به الست الجهات الشواسع

***

الشاعر المقبور

دعا الموت فاستحلت لديه سرائره ... أخو مورد ضاقت عليه مصادره
عراه سكوت فاستر أبت عداته ... وما هو إلا شاعر كل خاطره
وحيدًا يحامي عن مبادئ جمة ... أما في البريا منصف فيوازره
تفرد بالشكوى فأسعده البُكا ... لقد ذل من فيض المدامع ناصره
يهم يبث النجوم سراً فينثني ... كأن رقيباً في الدراري يحاذره
وتنطقه الشكوى فيخرسه الأسى ... فيسكت لاحيه إذا جد عاذره
يروم محالاً أن يرى عيش ماجد ... أوائله محمودة وأواخره
فؤادي وإن ضاق الفضا عنه فسحة ... فلابد أن تحويه يوماً مقابره
فؤادي وكم فيه انطوت لي سريرة ... عظيماً أرى يبلى وتبلى سرائره
سيحمل همي عند منزل وحدتي ... وتصبح آمالي طوتها ضمائره
فيا طير لا تسجع ويا ريح سكني ... هبوبا على جسمي ليسكن ثائره
ويا منزل الأجداث رحمة مشفق ... عليه ففيك اليوم قرت نواظره

ويا بدر من سامرته وجدك انقضى فمن لك بعد اليوم خل تسامره؟

عساك إذا ضاقت بصدرك فرجة تطالعه في رسمه فتذاكره

ويا خلة الباكي عليه تصنعاً ألم تك قبل اليوم ممن يغايره؟

تحمل ما ينأى فشاطره الردى فما ضر لو كانت الرزايا تشاطره

ويا غاصبا قلبي لترقيق حره سراحاً فقد دارت عليه دوائره

دعا بك يستشفي فأغضيت فانطوى وما فيه إلا الهجر داء يخامره

أمن بعد ما وسدته بت جازعاً إذا مات مهجوراً فلا رق هاجره

فيا ظلمة الآمال عني تقشعي فقد تتجلى عن فؤادي دياجره

***

شكوى وآمال

أعاتب فيك الدهر لو كان يسمع وأشكو الليالي.. لو لشكواي سمع

أكل زماني فيك هم ولوعة وكل نصيبي منك قلب مروع

ولي زفرة لا يوسع القلب ردها وكيف وتيار الأسى يتدفع

أغرك مني في الرزايا تجلدي ولم تدر ما يخفي الفؤاد الملوع

خليلي قد شف السها فرط سهدها فهل للسها مثلي فؤاد وأضلع

كأني وقد رمت المواساة في الورى أخو ظمأ مناه بالورد بلقع

كأن ولاة الأمر في الأرض حرّمت سياستهم أن يجمع الحر مجمع

كأن الدراري حملت ما أبثه إلى الليل من شكوى الأسى فهي ضلع

كأن بلاد الحر سجن لمجرم وما جرمه إلا العلى والترفع

ستحملني عن مسكن الذل عزمة بواطأتها السبع السواتر تخشع

تجنبنى مـن كنـت فى الخطب ضلّة بإســـعافه دون البريـــة أطمـــع
أرى لـك في هـذا التـورع مقصـداً وإلا فـــما ضـــب الفـــلا والتـــورع
تلفعــت بـالتقوى وثوبـك غـيره فللـــه ذيـــاك الضـــلال الملفـــع
لعــل زمانــاً ضـيعتني صروفــه يــرق فيرعـــى فيـــه قـــدر مضـــيع
وخـلاً أسـاء الظـن بي إن بـدت لـه حقيقــة مــا أخفــي عــن الشر يقلــع
إليـك زمـاني خـذ حيـاة سـئمتها هــي الســم في ذوب الحشاشــة ينقــع
وإني وإن كنـــت القليـــل حماقــة فــلي مبــدأ عنــه أحــامي وأدفــع
ولو أنني أعجلـت خيفـت بـوادري ولكـــن صـــبر الحـــر للحـــر أنفـــع

***

صحو بعد سكر

أأن عنَّ في جنح الدجى بارق الحمى طويــت عــلى الشــوق الفـؤاد المتـيما
وباتــت تعانيهــا ضـلوعك جـذوة تضيء إذا مــا طــارق الوجـد أظلـما
جهدت فلم تملك مع الحب مهجة بهـــا لم يصـــح الشـــوق إلا لتســـقما
تـود وفيـه الحـزم لـو كنـت بالحشـا ضـــنينا ويـــأبى الحـــب إلا تكرمـــا
سلوت الهوى فليردد النوم سـالب فجفنـــي لم يخلـــق لكـــيلا يهوّمـــا
فـما أنــا مــن ريـم الحمـى بمكانـة تهــون مــن قـــدري لديــه ليكرمــا
ولا أنـا ممـن يقتفـي الجهـل كاشـفاً فـــؤادي مرمـــى للغـــواني مرجمـــا
ومـــالي وسلســـال بخـــد مرقـــرق نصـــيبي منـــه لوعـــة تـــورث الظـــما
قلى لـك يـا ظبـي الصريـم وللهـوى فـــذاكَ زمـــان كـــان ثـــم تصرمـــا
بمثل الذي راشـت لحاظـك للحشـا رمـــاني زمـــاني لا عفـــا الله عـــنكما

وما فيك يا عرش الشباب مزية ... على الشيب إلا السير فبك على عمى

سلمت وقد أسلمتني بيد الأسى ... كأني إلى الموت اتخذتك سلما

خليلي هل كان السُها قبل واجدا ... خفوق الحشا أم من فؤادي تعلما

وهل بحمام الأيك ما بي من الأسى ... شكا فتغني.. واستراب فجمجما

أظنك ما رنمت إلا تجلداً ... وإن قال أقوام سلا فترنما

وما ذاك من ظلم الطبيعة أن ترى ... شجياً ولكن كي ترى الحزن مثلما

ولم تبكك الأزهار وجداً وإنما ... نثرت عليهن الجمان المنظما

فنح ينح القلب المعنى فإنما ... أقام علينا الليل بالحزن مأتما

وبح لي بأسرار الغرام فرحمة ... بأهل الهوى غني مغن ونغما

ولا تحذر الشهب الدراري فلم يدع ... لها برح الشهبين قلبا لتعلما

ومنك تعلمت القريض منمناً ... فحق بأن أهديك شكري منمنما

فلا تبتئس إن آلمتك حوادث ... فإن قصارى الحر أن يتألما

أفي كل يوم للحواسد جولة ... أرى مقدماً فيها الذي كان محجما

كأن لم أسر من مقولي في كتيبة ... ولا حملت كفي اليراع المصمما

ولا كان لي البدر المعلى مسامراً ... وإن كنت أعلى منه قدراً وأكرما

***

منى شاعر

حمامة أيك الروض ما لي ومالك ... ذعرت فهل ظلم البرية هالك

نفرت وقد حق النفور لأنني ... مجسم أحزان وقفت حيالك

ولولا جناح طار عن موقع الأسى ... لكان قريباً من منالي منالك

أعنـدك علـم أنني مـن معـاشر ... أبـوهم جنى واختـار أدنى المسالك
رمـاهم إلى شر المهالك آدم ... فهـم أبريـاء حُمِّلـوا وزر هالـك
هلمـي .. هلمـي .. أن هاتيك نسبة ... تقـرب مـا بيني وبين الملائـك
ألسنا وإن كنا شتاتاً يضمنا ... أسـانا وإن لم تمس حـالي كحالـك
ألفت الرياض الزهر يبسم ثغرها ... ومـا ألفتي غير الوجوه الحوالك
هرجت فنظمت الـدموع قلائـداً ... فليـت مثـالي كـان لي مـن مثالـك
بعيشـك كـم عنى مثيلـك طـائر ... وكـم نـائح مـثلي ثـوى في ظلالـك
تقولين: خلق ليس يدري سوى العنا ... عجيب فمن أنبأك أني كذلك
رأيتـك قبلت الغـدير لأنـه ... عـلى صفحتيه لاح مـرأى خيالـك
وداعبت فيه البدر فانصاع مذعراً ... يمـوج ارتجافا خشية مـن جلالـك
فقلت مطـارا أمة الشرق هكـذا ... تملكت الأطيـار أعـلى الممالـك
تبـاكوا وقـالوا : الشرق مـال دعامه ... وهـل دعـم قامـت بغير التهالـك !
وقـالوا : هـي الدنيا عـراك رويدكم ... فإنـا ضعاف مالنـا والتهالـك
نصحنا ولا يجدي وكـم قبل رددت ... بمثـل مقـالي صحفهم ومقالـك
سـألتك مـا معنى وجـود مكـون ... إذا لم تكـن عقبـاه غير المهالـك
وهـل هـذه الـدنيا سبيل لعـابر ... أم الأرض مهـواة الغـواة الهوالـك
وإني أراني بين نـوم ويقظـة ... أسـيان حـالي في هنـا أو هنالـك
أجيبي فـلي صـوت يقطعـه الأسى ... فقـد لـذ للقلـب المعنى سـؤالك
فـردت وأوردت مثـل زنـد لقـادح ... خـواطر يسمو وقعها عـن مداركي
وقـالت : نعـم في ذلـك السر حكمـة ... فقلـت : ومـا شـككت في غير ذلـك

وبتنا كما شاءت إخوة جنسنا خليلين أصفى من عقيل ومالك

درسنا كتاب العاطفات وما اعتنت بنو نوعنا ألا يدرس التفارك

إلى أن بدا وجه الطبيعة سافراً يضاحك من ثغر الأقاح المضاحك

وقد شردت فكري هنالك ضجة لأطيارها تدعو بنبذ التفاكك

إذا ما السما كانت دخاناً كما ادعوا فليس سوى أنفاس أهل الحسائك

هناك شكرت الطير رأفة مشفق على جنسه شأن الحزين المشارك

منى خالجت نفسي وأحبب بها منى تريني حياتي فوق الشهب النيازك

فقلت إلى اللقيا سلام مودع هنالك عيش الخالدين هنالك

***

في الليل

وليل دجوجي الحواشي سعرته بنار الأسى بين الجوانح فاستعر

نثرت به الآمال وهي هواجس بعقد الثريا لو غدا مثلها انتثر

وردد لي همس الطبيعة نغمة من الشعر ما كانت سوى خاطر خطر

أعرت الدراري فكرة تبعث الأسى إلى القلب شأن الناظرين ذوي الفكر

شكوت إلى البدر الهوى شأن من مضى قُبيلي فلن أسكت ولا نطق القمر

بثثت إليه أنة توهن الصفا فلما تغاضى صحَّ لي أنه حجر

***

مبادلة العواطف

يا أخا البلبل رفقاً هجت لي وجداً وذكرا

لمت في أمري ولو أستطيع ... ما أخفيت أمرا
أنت لو تعلم ما ... يلهب نفسي قلت :عذرا
كان لي سر ولكن ... بك قد أصبح جهرا
قد طويت الحزن أزماناً ... فخذه اليوم نشراً
أنا ما غردت لو أنيَّ ... رضيت العيش أسرا
أنا ما لجلجت في أغنيتي ... لو كنت حرا
أنا أخشى النفع إن ... جاهرت فيه كان ضرا
غالط الوجد وسل القلب ... وادع الحزن شعرا
فأنا ذاك الفتى ... يطلب بعد « الخمر أمرا»
وسيبدو لك ما تهواه ... من أمري .. فصبرا

***

يا شعب

زعموا التطرف في هواك جهالة ... أكذا يكون الجاهل المتطرف
هذا فؤادي للخطوب دريئة ... وأنا المعرض فيكم فاستهدفوا
أما هواك فذاك ملء جوانحي ... تحنو على ذكراك فيه وتكلف
يا شعر نم على الشعور فكم وكم ... نمت على زمر العواطف أحرف

***

بين القلب والاستقلال

وهواجس في الليل رامت حملها ... شهب فعثن بشملها المجموع

مـا أنصـفت فيـه الطبيعـة حبّهـا
لمـا دعـا للشـوق غـير سـميع

أبـت الجـوانح أن تقـر فمـن يطـق
ملكـا فلسـت بمالـك لضـلوعي

حبّ الرجوع إلى الشباب ولم أجـد
في مـرِّه مـا يرتجـى لرجـوع

بـين الأضـالع صـخرة لكنّهـا
ممـاجنى الأحبـاب ذات صـدوع

قلـب عليـه تحالفـت زمـر الهـوى
فمنيعـه للـذُّل غـير منيـع

قالوا استقلَّ عن الهموم فقلت: لا
فهـو التبيـع لظـالم متبـوع

❊❊❊

فطار الحمام

ياشـعب كـم في القلـب مـن لوعـة
عليـك تغـلي يـا مهـيج الغـرام

شـكوت عيشـاً خلتـه وصـمة
وحبـذا عيشـك لـو كـان دام

تزاحمـت فيـك أمـاني الـورى
« والمـورد العـذب كثـير الزحـام »

هـم نصـبوا للصـيد أشراكهـم
فلـم يجـد بـداً فطـار الحمـام

حنَّـت قلـوب لـك شـوَّقتها
يـا معهـد الشـوق سـقاك الغمـام

إن نجحـت فيـك أمـانٍ لنـا
فهـي وإلا فعليـك السـلام

❊❊❊

يا يراع الحر

أيهـا الطالـب إنصـافاً
لقـد رمـت محـالا

أنـت مـثلي عـاطش
غـرك إذ أبصرت آلا

كـاذب مـا نـال شـعب
بسـوى القـوة نـالا

يــا يــراع الحــر قــد ... ضــاق بـك الحـر مجـالا
فصــموتاً فلكــم جــرَّ ... لــك النطــق وبـــالا
واعتــزالاً أو يكــون الحـق ... حـــــراً..فــــاعتزالا
يــا أخــا البلبــل شــدواً ... وشـــعوراً واعتقـــالا
كلُّنـا يـدري الـذي تلقـى ... كفينــــاك مقـــالا
لم تطـل دولـة هـذا الظلـم ... إلا لتــــــــدالا
عثـرة يـا شـعب كانـت ... أحــــرام أن تقـــالا
ألِلى الأحــرار تشــكو ... وهــم أســوأ حـــالا
تهــت لمــا أخمــدوها ... فكــرة ..كانــت ذبــالا

***

جناية الأماني

جلبــت لي الهــم والهــمُّ عنــا ... آه مــا أروحنــى لــولا المنــى
آه مــا أخيبنــي مــن غــارس ... شــجر الآمــال لكــن مــا جنــى
كلــما حــدِّثت عــن نجــم بــدا ... حــدثتني الــنفس أن ذاك أنــا
أمــل أخشــى عليــه زمنــي ... فلــو اســتطعت أطلــت الزمنــا
لا تــذكرني الهنــا يشــجو الحشــا ... ذكــره إني ألفــت الشَّــجنا
إنــما أشــكو حيــاة كلُّهــا ... تبعــات كنــت عنهــا في غنــى
لا تخلــه في هنــاء ظــاهر ... كلُّ من في الأرض لا يدري الهنا
غــرّد الطــير فقــالوا : مســعد ... ربَّ نــوح خالــه الغــرُّ غنــا
وانثنــى الغصــن ولــولا أنــه ... حامــل مــا لم يطقــه مــا انثنــى

أتــرى الأنجــم طــرّاً تشــتكي ... ذا أم الآلام خصــت نجمنــا ؟

بات يرعى الشُّهب مضنى جالباً ... ســهراً راق لــه وهــو ضــنى

أتـرى اسـتجليت منهـا غامضـاً ... أنـت يـا مـن بالـدراري افتتنـا

آه مــا أبهــاك يــا ليــل علــى ... ظلمـة فيـك ومـا أجلى سـنا !

أتـرى مرتهنـاً بـات بـك البـدر ... أم بـــتَّ بـــه مرتهنـــا

فمـــن أنـــت ذا لم تهـــوه ... فبـــه سرُّك أضـــحى علنـــا

كـم فـؤاد فيـك مطـوي علـى ... حـرق مـن غـير مـا ذنـب جنـى

ومعنّـى أزعــج الشُّــهب لــه ... حــر أنفــاس فــرادى وثنــى

فعلى الرفـق فـما أبقـى الأسـى ... أمــلاً يجــدي عــلى الرفــق بنـا

أنــا حَّملتــك يــا طــير الأسـى ... أنــا حتــى عــدت منــه ألكنــا

تلــك أثقــال المنــى شــاطرتني ... حملهــا أنــت فأســديك الثَّنــا

أنــت مــثلي شــاعر معتــزل ... فتغنــى كــي تميــل الغصــنا

أنــت لا تطلــب مــا لا ينبغــي ... فــدع الألقــاب عنــا والكنــى

أنــت يــا آمــال قــد عاهــدتني ... بالوفــا لا.. لا تخــوني عهــدنا

غنّــي باســم عراقــي تشــجني ... واتــرك الشَّــام وخــلِّ اليمنــا

لا أرى لي بــدلاً عنــه وقــد ... عــذب الــورد وطــاب المجتنـى

أتــرى يغنيــك عنــه وطــن ... أنـت يـا مـن خـان هـذا الوطنـا

لم تبــع شــعبك لــو أنصــفته ... فمــن الشَّــعب قبضــت الثمنــا

خلَّــف المجــد لنــا مــن ســلفوا ... أفيخــزي عارنــا مــن بعــدنا

***

بين الأحبة والبدر

لئن شكر الصبح المحبون إنني ... شكرت الدجى إذ كان ما بيننا سترا

وليل رثى لي والأحبة نوَّم ... له مقلة بالشُّهب من لوعتي عبرى

بكيت فرَّق النجم لي وهو صخرة ... إلى أن جرت منه مجرَّته نهرا

ومالي صدر ينفث الهمَّ زفرة ... ولكنّه الهمُّ الذي ينفث الصدرا

خليلي ما اخترت الدراري لو أنني ... وجدت بكم من يحفظ العهد والسرّا

وما أهون الآلام لو كان سرُّها ... يباح.. ولكن أحمل الوجد والصبرا

على البدر من غدر الأحبة مسحة ... فكل قسى قلباً وضاحكني ثغرا

***

بلية القلب الحساس

تلبَّد لكن ما حكاه غمام ... وناح ولكن أين منه حمام

ألا ليت إحساساً وسلوى تجمعا ... وكيف.. وهل يلفى سنى وظلام ؟

فمن أين للحساس قلب يريحه ؟ ... ومن أين للقلب الغبيِّ غرام ؟

أكلُّ نسيم للأسى هبَّ زعزع ... وكل ضباب للهموم قتام ؟

تطلَّب دقيقات الأمور تفز بها ... وخل التي تنوي فتلك جسام

***

بين النجف وأمريكا

أأمريك يابنت « كولمبس » ... لحبِّك وقع على الأنفس

صبوت إليك وأين الفرات وأهلوه من بحرك الأطلس
حنّنا ولو كان في وسعنا سعينا إليك على الأرؤس
إذا آنس الصبَّ ذكر الحبيب ففي غير ذكرك لم آنس
هواجس تدني إليك المنى ولولا المنى قط لم أهجس
وإني.. ومابي حبّ الصخور أحن إلى صخرك الأملس
هوى لو بشهب الدراري صبت ولو بالعواصف لم تهمس
إذا كان من ثمر للمنى ففي غير أرضك لم يُغرس
وكم قائل ما اصطلى في الهوى بناري وقد غرّه ملمسي
أليس سواها نفيس يرام فقلت :هواي مع الأنفس
أحبّاى حتى لم يصبو لكم معاف ويذكركم من نسي
ألا هل أتاكم بأني متى تدر كأس حبّكم أحتس
وأني كالليل بادي الهموم وأني كالنجم لم أنعس
ولي قلب حر عصيُّ الزمام فإن راضه حبُّكم يسلس
وكم ليلة بتُّ في عزلة ومن طيب ذكراكم مجلسي
وبلدة ذل تميت الشعور فمنطيقها الحرُّ كالأخرس
أحب بلادي لو لم أخف بها شرَّ ذي الغدرة الأشرس
يجاذب قلبي إليها الهوى ويأبى المقام بها معطسي
جفوني ولا ذنب إلا الأباء وإن طاب من بينهم مغرسي
وقالوا تناسى ولا حنة وهل بلبل حنَّ للمحبس!

***

ابن الشام

....

....

أسـفاً تبيـت رُبـاك وهـي مـدرّة للـرزق.. رهـن الفقـر والإمـلاق

خـدعوك إذ سـمّوا قيـودك حيلـة مـا أشـبه الأصـفاد بـالأطواق

لـك في العـراق جـوانح ملهوفـة تشـكو الـذي تشـكنه وتلاقـي

إني شـامي إذا نسـب الهـوى وإذا نسـبت لمـوطنى فعراقـي

ويـذيع منـك الـبرق كـامن لـوعتي فيـدي عـلى قلبـي مـن الإشـفاق

رقـت طبـاع بنيـك فهـي إذا انـبرت سـالت كصـفو نمـيرك الرقـراق

كـم في الجـوانح لي إلـيهم زفـرة كمنـت ليـوم تـزاور وتلاقـي

ورسـائل برقيـة مهـزوزة أسـلاكها مـن قلبـي الخفـاق

أمـا الهـوى فدليلـه شرقـي متـى ذكـروا رُبـاكِ بـدمعي المهـراق

أرقـت أجفـاني فلـو راودتهـا غمضـاً لمـا طـاوعن في الأطبـاق

قالوا : دمشق.. فقلت : غانية الربى قـالوا : لـذاك تطـاول الأعنـاق

ابـن الشـام سـلام صـب واجـد يهـدي إلـيكم أكـرم الأعـلاق

يهفـو إلـيكم لوعـة لا مـدَّعي مـا أهـون الـدعوى عـلى العشـاق

أنـا مـا بكيـت الشـعر ذل وإنـما أبكـي الشـعور يبـاع في الأسـواق

أنـا للتجـاذب نقطـة إن سَّرني لقيـاكم سـاء العـراق فراقـي

ما كـان أصـفى مـا أسـال من الهوى هـذا الـيراع بهـذه الأوراق

***

ذكرت الوئام

وليـــل ذكـــرت بـــه صـبوتي ... فعـــــدت إلى الـــــزمن الأول
تجـردت عـــن تبعـات الجـدود ... وبـــتُّ عـــن الغـــير في معـــزل
قسـت شـهبه عـن شـكاة الهوى ... وحــــدّقن شـــــزراً ولم تحفـــــل
أبــــثُّ لهـــا هـــمَّ عصر مضى ... فتبســـم عـــن عصري المقبـــل
ســـهرنا.. وشـــتان مـــا بيننـــا ... وأيـــن مـــن المســـتهام الخـــلي !
أمـــان تســـامت فمـــن أجلهـــا ... حيـــاتي.. وفي شرحهـــا مجمـــلي
وآنســـت في جنحـــه وحـــدتي ... فبـــــتَّ كـــــأني في محفـــــل
سـكون الـدجى وجـلال الغـرام ... جناحـــان للشـــاعر الأعـــزل
وعاذلـــة في الهـــوى لـــو درت ... بحـــال المحبّـــين لم تعـــذل
« ذكـرت الوئـام » فمـن عـبرة ... تســـيل ومـــن زفـــرة تعـــتلي
كمالـــك جـــر عليـــك الفنـــاء ... أخـــا القـــرد ليتـــك لم تكمـــل
كـــأن الـــدُّنا خـــص في واحـــد ... فكـــل يقـــول الـــذي فيـــه لي
وهاتفـــــة راعهـــــا مقـــــدمي ... فـــــلاذت بأغصـــــانها الميَّـــــل
أيـــا ورق لا تـــذعري إننـــا ... شربنـــا العواطـــف مـــن منهـــل
ولا تنفـــري ســـانحات المهـــا ... أصـــبت الأمـــان عـــلى المقتـــل
ويـا ليـل ردد صـدى مـن مضى ... وإن كنـــت يـــا ليـــل لم تعقـــل
فكـــم بـــثَّ مـــثلي أخـــو حسرة ... إليـــك الغـــرام فلـــم تحفـــل
ويـا بـدر كـرر حـديث الشُّجون ... فلـــولا هـــوى بـــك لم تضـــؤل
أيـا ليـل كـم فيـك مـن خـاطر ... لـــذي لوعـــة بالأســـى ممـــتلي

وكـــم مقلـــة فيـــك ســـهرانة — وكـــم غلَّـــة فيـــك لم تبلـــل
تجـلى بـك البـدر ربُّ الجـمال — فهـــام بطلعتـــه المجـــتلي
أيـا ليـل هـام بـك المغرمـون — لمـا فيـك مـن عـالم أمثـل
فراشـاً بجنحـك حـاموا عـلى — سـنا البـدر ينـزل أو يعـتلي
عـلى رغـد أيهـا النـائمون — فجفنـي بـالغمض لم يكحـل
ويـاليـل رحمـاك يـا ذا الجـلال — ويـا بـدر عطفـاً فأنـت العـلي

***

ما هذه النفوس قداح

قـلى لـك يـا عصر الشـبيبة والصـبا — فإنـك مغـدى للأسـى ومـراح
صحبتك مر العيش لا الروض يانع — لـديَّ.. ولا المـاء القـراح قـراح
تفيـأت أطـلال التصـابي وإنـما — نصـيبي منهـا حسرة وبـراح
حشى أفسحت فيه المنى خطواتها — فضاقت به الأرجاء وهي فساح
يقولون: محصوص الجناح هفت به — همـوم ومـاذا يسـتطيع جنـاح
عـلى رسـلكم إن الليـالي قصـيرة — ومـا هـي إلا غـدوة ورواح
أأحبابنـا مـاذا التغـير لا الهـوى — بصـاف ولا تلـك الوجـوه صبـاح
تحولتم عن مركـب الحب واستوى — مشـوب وداد عنـدكم وصراح
إلى مـا انخـداعي بـالمنى وهـي غـرة — وتركـي فيهـا الجـدَّ وهـو مـزاح
همـوم تـرى في كـل حـين بمظهـر — سـواء هـديل شـائق ونـواح
أغـاض دمـوعي أنهـن كـرائم — وأن النفـوس الآبيـات شـحاح
ومـا أعربـت خـرس الأراك بلحنهـا — عـن الحـب إلا كـي يقـال فصـاح

لأهـل الهـوى ياليـل فيـك سرائـر عجـاب وغـدر أن يـنمَّ صـباح
رأوا فيـك مخضر الأمـاني فعرسّـوا بجنحـك مـا شـاء الغـرام ونـاحوا
نغــض لمــرآك الجفــون وإنــما عيـون الـدراري في دجـاك وقـاح
خـروق نجـوم في سـماء تلاوحـت كـما لاح في جسـم الطعـين جـراح
ومـرضى قلـوب مـن وعـود وخلفة ولم تهـو يومـاً أنهـن صـحاح
براها الأسى حتى استطار شرارها فرفقاً.. فـما هـذي النفـوس قـداح

***

تحية العيد
أو الملك والانتداب

لمـن الصُّـفوف تحـفُّ بالأمجـاد وعـلى مـن التـاج الملمـع بـاد
ومـن المحـلّى بـالجلال يزينـه وقـر الملـوك وسـحنة العبّـاد
ليت الرشيد يعاد من بطن الثرى لـيرى الـذي شـاهدت في بغـداد
حيـث الملـوك تطلعَّـت توّاقـة لـك والوفـود روائـح وغـوادي
وعـلى المواكـب مـن جلالـك هيبـة غـصَّ الصـعيد بهـا ومـاج الـوادي
شّـوال جئـت وأنـت أكـرم وافـد بالعيـد تسـعد كعبـة الوفّـاد
أمـا العـراق فلسـت مـن أعيـاده وعليـه لـلأرزاء ثـوب حـداد
ملـك العـراق هنـاك ملكـك أنـه وقـف عـلى سـبط النبـي الهـادي
زف العـراق إلى عـلاك سـلامه مـا بـين حـاضر ربعـه والبـادي
يـدعوك للأمـر الجليـل ولم تـزل ترجـى لـيوم كريهـة ونـآد
فـكَّ العـراق مـن الحمايـة تحيـه وامـدد لسـورّيا يـد الإسـعاد

عجباً تروم صلاح شعبك ساسة ... بالأمس كانوا أصل كلِّ فساد
صرِّح لهم بالضدِّ من آمالهم ... أو لست ممن أفصحوا بالضاد ؟
قم ماش هذا الشعب في خطواته ... لا تتركن وطني بغير سناد
ألله خلفك والجدود كلاهما ... وكفاك عون الله والأجداد
هذي الرقاب ولم تعوَّد ذلة ... تشكو إليك نكاية الأصفاد
علت الوجوه الواضحات كآبة ... ومحا الذبول نضارة الأوراد
والرافدان تماوجا حتى لقد ... أشفقت أن يثبا على الأسداد
ولقد شجاني أن ترى في مأتم ... أمَّ الخلائف مرقد الأسياد
سل عن تشرشل كيف جاذبه الهوى ... حتى استثار كوامن الأحقاد
هيهات من دون الذي أمَّلته ... وقع السُّيوف ووثبة الآساد
ومواطن حدبت على استقلالها ... بالسيف ترضعه دم الأكباد
يكفيكمو بالأمس ما جرَّبتم ... فدعوا السيوف تقرُّ في الأغماد
أبني الشعوب المستضامة نهضة ... ترضي الجدود فلات حين رقاد
هذا تراث السالفين وديعة ... لا تخجلوا الأجداد في الأحفاد

***

العلم والوطنية

يا علم قد سعدت بك الأوطان ... فليسم منك على المدى سلطان
وليسق حبّيك العراق ليشتفي ... منه الغليل ويرتوي الظمآن
هذِّب لنا أخلاق أهليه فقد ... غشّى عليها الجهل والعدّوان
يا أيّها النشء الجديد تسابقاً ... بالعلم إن حياتكم ميدان

صـونوا الـبلاد فـإنما عزمـاتكم ... قضـب ومـن أقلامكـم خرصـان

يا شعب هل تخشى ضياعاً بعدما ... حاطت عليك حياضك الشبان

شـادوا المدارس بـالعلوم تنافساً ... فكـأنَّما بـين الـبلاد رهـان

يـا جهل رفقا بالشعوب فأهلها ... كـادت تـذيب قلوبها الأضـغان

لا لـن تفرقنـا الحـدود ولم تكـن ... تـدري الحواجز أخـوة جـيران

مـاذا يريـد اللائمـون فإنّـه ... وطـن يحـبُّ وحبُّـه إيـمان

سـنذود عنـه بعـزم حـر صـادق ... منـه ضـمير يسـتوي ولسـان

لا يـرتضي إلا المنيـة مـنهلا ... أو منـزلاً مـن دونـه كيـوان

لي فيـك آمـال وصـدق عـزائم ... لا بـد تـنشر طيَّها الأزمـان

ولـئن هتفـت بـها أجـن فعـاذر ... فلقـد أضر بصـدري الكـتمان

يـا مـوطن النُّجـد الغـزاة هضـيمة ... كيف ارتقت عن شأنك الأوطان

مـاذا التـواني منـك في شـوط العلى ... هـلا نهضـت وكلنـا أعـوان

إن تخش سـطوة ظـالم فلقـد تـرى ... والغـرب منـه لحكمـك الإذعـان

غـرُّوك إذ دارت كـؤوس خـداعهم ... حتـى سـكرت فعقَّـك النُّـدمان

أمـن المـروءة أن تنـال حقوقهـا ... لقـط وأنـت نصـيبك الحرمـان

بئسـت علاقـة واغلـين وإنـما ... عـيش الكـريم مـع اللئـيم هـوان

قـد سرَّ أكنـاف الجزيـرة مـا رووا ... يـا مصر عنـك ومـادت الأركـان

مـديٍّ بروجـك للعـراق يـبن لـه ... نهـج الرشـاد.. أمـدَّك الـرحمن

يـا أيهـا الـوطن المفـدى دونـه ... يـوم الفـداء الأرض.. والأوطـان

فـدّتك ناشـئة الـبلاد وشـمرت ... لـك عـن سـواعد عزمها الفتيـان

زاحـم بمنكبـك النجـوم ولا يطـل ... شرفـا عليـك ببرجـه « كيـوان »

وارع الشباب وصن كريم عهودهم فهــم لصــفحة مجــدك العنــوان

****

خل النديم

خــلِّ النــديم.. فــما يكــون رحيقُــهُ وأدر لَمــــاك إذا غفــــا إبريقُـــــهُ

لم يُصــبني كــأسُ النــديم وخمــرُهُ لــو دام لي ثغــر الحبيــب وريقــه

أن تحم عن أهل الهوى كأس اللَّمى فــالخمرُ أجـود مــا يكــون عتيقــه

حاشــا لعهــدك بعــد مــا عوذتَــه بــدقيق خصرك أن يُحَــلَّ وثيقــه

عــين تؤرقهــا عــدتك قروحهــا وحشــاً تؤججــه عــداك حريقــه

حمّــل فــؤادي مــا تشــاء يُطــق بــه إلاّ جفــاكَ فــذاك لســت أطُيقــه

مـا نسبة الخَصرْ النحيف مـع الحشـا فهــل استُعير مــن الوشــاح خفوقــه

أنــا لــيس لي عنــه غنــى فلــو ارتضى ديــنَ المســيح فــإنني بِطْريقــه

لا أدّعــــي هجــــر الخيــــال وإنــــما أرَّقْـــتُ أجفــاني فَسُــدَّ طريقــه

طـــرف تنازعـــه هـــوىً ومهابـــة هــــذاك يجذِبـــه وذاك يعوقـــه

أم كيـف يسـلو عنـك نشـوان ومِـن كـأس الغـرام صَـبوحهُ وغَبوقـه

قـالوا: نَـزالِ.. فقلـت : هـل يخشـى قلبــي واســمر قــده معشــوقه

كــذَب الوُشــاة فــما يــزال كعهــده رَغــم الصــدود يشــوقني وأشــوقه

مــا راق في عينــي ســواه ولا انثنــي شيء ســواي عــن الأنــام يروقــه

بــالرغم منــي بعــد طــول تواصــل أرضى بطيــف منــك عــز طُروقــه

وقـــف البيـــان علـــيكما فتغـــزُلي بــك والثنــاء إلى « عــلي » أســوقه

مــا أبعــدَ الشــأوين هــذا إن يضــق منــه الحشــا فبــذا يُفَــرَّج ضــيقه

دع عنك من كعبٍ وحاتِم إنما ... للّجود معنى عنده تحقيقه

المجد ما روجت فيه بضائعاً ... للمكرُمات فما عُكاظُ وسوقه

نسب زهت بأبي الجواد فروعُه ... وإلى محمدِ ينتمين عروقه

ذو عزمة مشهورة لو طاردت ... شُهْبَ السما ما عاقه عَيُّوقه

صال العدى فقست صلود صفاته ... وسرى الندى فاهتز منه وريقه

لو يدَّعي الحساد شأوك في العلى ... لعريق مجدك يُستَذَمُّ عريقه

أنعم بليلتك التي قضَيتها ... والبدرُ من بين السُّتور شروقه

لله أيُ رِتاج باب رمتَه ... حتى استُبيح بهجمة مغلوقه

عجباً لقلبٍ بالوصال تروعه ... ودم بلا ذنب هناك تُريقه

لي فيك صوغٌ للبلاغة لو خلا ... جيدُ الفتاة لزانها منسوقه

أرفدتُه لك لا كبائر سلعة ... لكن كما هنّا الصديق صديقه

دُمتم على مر الزمان مباهيا ... بكمُ وأخطي جمعكم تفريقه

***

استعطاف الأحبة

كلُّ ما في الكون حب وجمالُ ... بتجليك وإن عزّ المنالُ

بسط النور فكم ثائر بحر ... هادئاً بات.. وكم ماجت رمال

ورياض ضاحَكَ الزهرَ بها ... ثغرُك الصافي وناجاها الخيال

وسهول كاد يعرو هَضْبَها ... نزقٌ من صبوة لولا الجلال

ما لمن يهوى جمالا زائلا ... وعلى البدر جمال ما يُزال

لا عدِمناك مروجاً للهوى ... جِدَة فيها.. وللدهر اقتبال

عيشُنا غض وميدان الصبا … فيه مجرىً للتصابي ومجال
يا أحباي وكم من عثرة … سلفت ما بالُ هذي لا تقال
علَّلونا بوعود منكم … ربما قد علل الظمآنَ آل
وعدوني بسوى القرب فقد … شفَّني الهجرانُ منكم والوصال
لا أمَّل العيش ما شئتم فكونوا … لسوى حبكم يحلو الملال
أمن العدل وما جُزْتُ الصبا … ومداه يألف الشيبَ القذال
إنها أنفُسُ لم تخلق سدى … ورقيقات قلوب لا جبال
أشتكي منكم وأشكو لكمُ … إنَّ دائي في هواكم لعُضال
فعلى الرفق كفاني في الهوى … ما أُلاقي.. وكفاكم ذا المِطال
ألذنبٍ تصطلي حَرَّ الجْوى … مهجٌ كانت لها فيكم ظِلال
أرتجيها صفوة منكم وإن … زَعَموها بغيةً ليست تنال
إنما أغرى زماني بكم … نِعَمٌ طابت وأيام طِوال
لا أذُم الدهر هذي سُنة … للهنا حال وللأحزان حال
قد حثثناها مطايا صبوة … لكُمُ أوشك يعروها الكلال
ورجعنا منكمُ خِلواً ولو … أكلت منهن آمال هزال
لا تقولوا : هجرُنا عن علة … ربما سَرَّ حسوداً ما يقال
أنا من جربتموه ذلك الطاهرُ … الحبِ إذا شِينت خِصال
شيم هذَّبْنَ طبعي في الهوى … مثلَّما يجلو من السيف الصِّقال
أيها الناعمُ في لذاته … لذةُ النفس على الروح وَبال
شهوة غرَّتك فانقدْتَ لها … ومُنى المرء شعور وكمال

لبنان في العراق

أرض العـراق سـعت لهـا لبنـانُ ... فتصـافح الإنجيـلُ والقـرآنُ
وتطلَّعـت لـكَ دجلـةٌ فتضـاربت ... فكـأنما بعبُابهـا الهَـيَمان
أأمـين أن سُرَّ العـراقُ فبعـدما ... أبكـى ربـوعَ كـوبَس َالهجـران
لـك بـالعراق عـن الشام تصـبر ... وبأهلـه عـن أهلهـا سُـلوان
لـو تسـتطيع دنـت إليـك مُدّلـةً ... فتـزودت مـن رُدنـك الأردان
وحِّـد بـدعوتك القبائـل إنـه ... ألقـى إليـك زمامَـه التِّبيـان
كيـف التـآلفُ والقلـوبُ مواقـد ... تغـلي بهـا الأحقـادُ والأضـغان
أنِـر العُقـول مـن الجهالـة يستبنْ ... وضـحَ السـبيلِ ويهتـدي الحـيران
وأجهـز بحـد رهيـف حـدٍ لمَ ينُـبْ ... لـك عـن شَـباه مهنـد وسـنان
خضعت لعنوته الطغاةُ.. فأقسمت ... أن لـيس تعـدو حُكْمَـه التيجـان
نـار تُـذيب النـار وهـي يراعـةٌ ... عضـبٌ يفُل العضـب َوهـو لسـان
أنّي يـقصِر بالعِنـان إذا انـبرى ... وهـو الجمـوح وفكـرك الميـدان
زِدنـا بمنطقـك الـوجيز صـبابةٍ ... فهـو السَّـلاف وكلُّنـا نشـوان
مـا كـل حـي قائـل مـا قلتـه ... لكـنْ أمـدَّ بيانـك الـرحمن
الشرق مهتـز بنطقـك معجـب ... والغـرب أنـت بجـوه مِرنـان
والقول ما نَّمقْتَ.. والشعر الذي ... يـوحي إليـك.. فصـاحةٌ وبيـان
أنـا خصـم كـل منـافق ! لم يَنْهَنـي ... حَـذرٌ ولم يقعُـد بي الكِتـمان
عابوا الصراحة منك لما استعظموا ... أن يسـتوي الإسر رُ والإعـلان
يـا شـعب خـذ بيـد الشباب فإنهم ... لـك عنـد كـل كريهـة أعـوان

واعـرِف حقـوق المصـلحين فـإنما ... بهـم الحقـوق الضـائعات تصـان
واعطف لريحان النُّفوس ورَوْحها ... فلـه عليـك تعطـف وحنـان
واسِ الضعيف يكن ليومك أسوة ... وكـذا الشُعوب كـما تـدين تـدان
يـا شرق.. يـا مهـد النوابـغ شـدّما ... سـاوى مكـانٌ بيـنهم وزمـان
للنـاس كـان .. وإن أبـت لبنـان ... « فـأمين » لـيس لهـا ولا « جـبران »

***

الوحدة العربية الممزقة

حتـى مَ هـذا الوعـدُ والإيعـادُ ... وإلى كـم الإبـراقُ والإرعـادُ
أنا إن غصصتُ بـما أحسُّ ففي فمي ... مـاء وبـين جـوانجي إيقـاد
يـا نـائمينَ عـلى الأذى لا شـامُكم ... شـامٌ.. ولا بغـدادُكُمْ بغـداد
تلـك المـروج الزاهـراتُ تحولـت ... فخـلا العـرينُ وصـوّح المرتـاد
هُضِمت حقوقُ ذوي الحقوق وُضيِّعت ... تلـك العهـودُ وخاسـت الآسـاد
أعـزِزْ عـلى الأجـدادِ وهـي رمـائم ... أن لا تُعـزَّ تراثَهـا الأحفـاد
فزِعـت إلى تلـك المراقـد في الثـرى ... لـو كـان يُجـدي بـالثرى استنجاد
قَرِّى شـعوبَ المَشرقَـيْنِ عـلى الأسـى ... ميعـادُ فـكِّ أسـارِك الميعـاد
أخـذوا بأسـباب السـماء تعاليـاً ... واسـتنزلوكِ إلى الثـرى أو كـادوا
يسمو الخيـال بنـا ويسـمو جهُـدهم ... بِهـمُ.. فكـلٌّ عنـده منطـاد
إيـهٍ زعـيم الشرق نجـوى وامـق ... لَهِـج بـذكركَ هـزَّةٌ الإنشـاد
إن فَـتَّ في عضُـدِ الخِلافـة سـاعدٌ ... فلكَـمْ هـوت بسـواعد أعضـاد
ولكـم تضرَّت في القلـوب عواطـفٌ ... ثـم انثنـت وكـأنهنَّ رمـاد

خُطَّت على صفحات عزمك آيةٌ ... إن الحياة ترفعٌ وجهاد

حاطت جلالَك عصبةٌ ما ضرّها ... أن أبرقت.. أن يكثُر الإرعاد

أنا منكم حيث الضُّلوع خوافق ... يهفو بها التصويبُ والإصعاد

أنا شاعرٌ يبغي الوفاق موّحد ... بين الشُّعوب.. سبيلُه الإرشاد

ما الفرسُ والأعراب إلا كَفتا ... عدلٍ ولا الأتراكُ والأكراد

لم تكفنا هذي المطامع فُرقةً ... حتى تُفرِّقَ بيننا الأحقاد

ألغات هذا الشرق سيري للعلى ... جنباً لجنب رافقتك الضاد

***

أمين الريحاني

لمنِ المحافلُ جمّة الوُفّادِ.. ... جَلَّ المَقام بها عن الإنشادِ

مَنْ زان صدرَ المجلس الأعلى وقد ... طفح الجلال بحيثُ فاض النادي

مِن صاحبُ السِّمة التي دَّلت على ... أدب الحضارة في جمال البادي

يا نجلِ «سوريا» وتلك مزية ... شهِدت بها بمهارة الأولاد

في كل يوم للمحافل رنةٌ ... لك من نيويوركٍ إلى بغداد

ما قدرُ هذا الاحتفالِ وإنما ... كلُ الزمان محافلٌ ونوادي

تَعْدادُ مجد المرء منقصة إذا ... فاقت مزاياه عن التَّعْداد

يا كاشف الآثار زور أهلها ... وكفت بذُورك عندهم من زاد

رُحماكِ بالأمم الضَّعاف هوت بها ... إحنٌ.. فَمُدَّ لها يدُ الإسعاد

وأشفق على تلك الجوانح إنها ... حُنيت أضالعُها على الأحقاد

وَّحدْ بدعوتك القبائل تهتدي ... عن غَيِّها ولكل شعب هادي

اقرأ على « مصر » السلامَ وقل لها حَيَّتْ رباكِ روائحٌ وغوادي
لا توحشي دارَ الرشيد فإنها وقفٌ على الإبراق والإرعاد
وتصافحي بيد الإخاء فهذه كفُّ العراق تمُدُّ حبل وداد
لا ترهَبَنَّكِ قسوةٌ من غاصبٍ عاتٍ فإن الحق بالمرصاد
لا تخْدعَنَّك حِليةٌ موهومة ما أشبه الأطواقَ بالأقياد
ما أنصفوا التاريخ وهو صحائف بيض نواصع لفعت بسواد
أمثقِفَ القلم الذي آلى على أن ليس ترجَحُ كفةُ استعباد
ومشَّيداً للشرق ركناً يلتجي منه بأمنع ذمة وعهاد
أنصِفْ شكية شاعر قد حَّلقت بالصبر منه فظائع الأنكاد
إني سمعت وما سمعت بمثله نبأً يرن على مدى الآماد
سورية أمُّ النوابغ تغتذي هدفَ العداة فريسةَ الأوغاد
تُضحي على البلوى كما تُمسي وقد خَفَت الزئيرُ بها عن الآساد
لم تكفِها آراؤك الظُّلَّمَ التي غَشيتْ ولم تَهمُمْ بقدح زناد
أكذا يكون على الوداد جزاؤها أم لست من أبنائها الأمجاد
حنَّت إليك مرابعٌ فارقتها لو أن بُعداً هز قلبَ جماد
حدث عن الدنيا الجديدة إنها أم الشعوب حديثة الميلاد
ماذا نقول غداً إذا بك حدَّقت خُوْصُ العيون بمحضر الأشهاد
وتساءل الأقوامُ عنّا هل لنا فينا الشعور وما غناء الحادي
وتعجَّبوا من مهبِط الوحي الذي سمِعوا وليس سوى قرارةِ وادي
وعلمت ما في الدار غيرُ تشاجر وتطاحن ومذلة وفساد

أتــذيع سرّ حضــارةٍ إن غُيبِّــت ... منهـا السرائـر فالرسـوم بـوادي
« كـل المصـائب قـد تمـر عـلى الفتـى ... فتهـون غـير شـماتة الحُسّـاد»
قـل إن سُئلتَ عـن الجزيـرة مُفصحاً ... مـا أشـبهَ الأحفـادَ بالأجـداد
ما حُوِّلت تلك الخيامُ ولا عَدَتْ فينا ... فينـا عـلى تلـك الطبـاع عـوادي
نـارُ القِـرى مرفوعـةٌ وبجنبهـا ... نـارُ الـوغى مشـبوبةُ الإيقـاد
أبقيـةَ السـلف الكـريم عجيبـةٌ ... مـا غيرتـكِ طـوارئ الآبـاد
مـا لوَّثـتْ منـك الحقائـبُ مسحة ... موروثـةً لـك قبـلَ أعصر عـاد
مـا للحـوادث فاجأتـكِ كأنهـا ... كانـت عـلى وعـد مـن الأوعـاد
نام « الرشيد » عن العراق وما درى ... عـن مصره فرعـون ذو الأوتـاد
حالـت عـن العهـد الـبلاد كأنهـا ... لبسـت لفقـدِهُمُ ثيـاب حِـداد
واستوحشـت عرصـاتُها ولقـد تُـرى ... دارَ الُوفـادة كعبـة الوُفـاد
إذ مُلْكُهـا غـض الشـباب.. وروُضـها ... زاهـي الطـراز.. مفـوف الأبـراد
وعـلى الحِمـى للوافـدينَ تطلـع ... بتعاقـب الإصـدار والإيـراد
أغـرى بهـا الأعـداءَ صـيقلُ حسـنها ... وجنـت عليهـا نَضْرةُ المرتـاد
فتسـاندوا بعـد اخـتلاف مطـامع ... أن لا يقـيمَ الشرقَ أيَّ سـناد
وإذا أردتَ عـلى الحيـاة دلائـلا ... لم تلـق مثـلَ تـآلف الأضّـداد
إن هـزكمْ هـذا الشـعورُ فطالمـا ... لانَ الحديـدُ بضربـة الحـداد
أو تنكـروا منـي حماسـة شـاعرٍ ... فـالقومُ قـومي والـبلاد بـلادي
عَجِلَتْ على وطني الخطوبُ فحتَّمت ... أن لا يقَـرَّ وسـادهُ ووسـادي

***

في سبيل الكتاب

إعـــارةُ الكُتْـــبِ رســـمُ ... بـــين الصِّـــحاب ورمـــزُ
وقـــد أخـــذتَ كتـــابي ... أظُنُّـــــه ســــيُبَزّ!
المســـتعارُ عزيـــز ... والمســـتعير أعـــز
«قَرنـــاكَ» تغـــدو طحينـــاً ... والصـــوف منـــك يُجَـــز!

***

يا أحبايَّ

يـــا ليـــالي مـــن جنـــب الحِمـــى ... قـــابلي حَـــرَّ الجـــوى مـــن نـــفسي
إن رعينـــا في هـــواكِ الـــذِّمما ... فَلكَـــمْ عنـــدكِ عهـــدٌ قـــد نُسي
يـــا أحبّـــاي وإن حـــال الـــودادْ ... وذوى غصـــن الصِّـــبا وهـــو رطيـــبْ
فلكـــم مـــا بـــين أضـــلاعي فـــؤاد ... حظُّـــه مـــنكم عـــذابٌ ووجيـــب
فســـقى دمعـــي لاصـــوبَ العهـــاد ... زمنـــاً مـــرَّ ولم يـــدرِ الرقيـــب
تُشـــهدُ الأرض بنـــا شُـــهب الســـما ... فســـوى الريبـــة لم نحـــترسِ
عَرِيـــت أشـــواقُنا لكـــنما ... حاكـــتِ العفـــةُ أبهـــى ملـــبس
يـــا مـــراح العـــيش في «الحـــيرة» ... لا زلتَ ضحَاكا من الغيث العميمْ
كنـــتَ فينـــا للتصـــابي مـــأهلاً ... حيـــثُ صح الجـو واعتـل النسـيم
إن يكـــن روض شـــبابي أمحـــلا ... فلقـــد يُقنعنـــي منـــه الشـــميم
ليـــت مـــلاّكَ الهـــوى مـــا حرّمـــا ... ثمـــرَ اللّهـــو عـــلى المغـــترسِ
ودرى أيَّ فـــؤاد إذا رمـــى ... منـــه أضـــحى نَهـــزةَ المفـــترس

يـــا مواثيـــق عهـــود ســـلفتْ ذكّـــري أحبابنـــا مـــا عاهـــدوا
وانشُـــديهم نفـــس حـــر تَلَفَـــت في هـــواهمْ ضـــلّ عنهـــا الناشـــد
عَرفـوا كـفّ النـوى مـا خلّفـت فيَّ لـــو بعـــض همـــومي كابـــدوا
لا تـــرى في الحـــب خَطبْـــاً مـــثلما مُصْـــعَبٌ يُعطـــي قيـــادَ المســـلسِ
شـــيمة منهـــا أُعيـــذ الكَرمـــا يســـتوي المحســـنُ فـــيكم والمسِي
لي فـــؤاد فـــيكُمُ إن سُـــعِّرا بلظـى الشـوق يَقُـلْ :هـل مـن مزيـدْ
أفمِـــن أجـــل حـــديث مفـــترى يؤخـــذُ المغـــدور بـــالحكم العنيـــد
أم كـذا الأحبـاب كـانوا أم تـرى ضاعت الأخلاقُ في العصر الجديـد
كـــيفما شـــئتمْ فكونـــوا إنـــما لكـــم انقـــادت ضـــعاف الأنفـــسِ
لم يَـــدَعْ منهـــا الجفـــا إلا دَمـــا كبقايـــــا غســـــقٍ في غلـــــس
أنا مـا اسـتبدلتُ عـن كـاس اللّمى بـــــدلا يشـــــهدُ لي مرشـــــفُهُ
ذكّـــروه العهـــد والســـفح ومـــا ضـــــمَّنا إن قـــــال لا أعرفُـــــه
فـــــإذا رقَّ فقولـــــوا حرّمـــــا ربُّـــــك الظلـــــم فلِـــــمْ تُتْلِفُـــــه
وإذا مـــا أزور قولـــوا أجرمـــا وهـــو مـــن عَطْفـــك لمـــا ييـــأسِ
إنـــما الحـــب ضـــلال وعمـــى فاهـــدِهِ نـــورَ الرضـــا يســـتأنس
مســـــتهام بكُـــــمُ إن عَنَّفـــــا عـــاذلٌ داجـــاه عـــن أشـــواقِهِ
قلـــت : لا ترجـــعْ لعهـــدٍ ســـلفا إن عمـــراً شـــبَّ عـــن أطواقـــه
قـــال غالطـــت خبـــيرا عرفـــا كـــل مـــا في القلـــب مـــن إخفاقـــه
قلـــتُ يـــا قلـــبُ نقضـــت المبرمـــا أنـــا لـــولاك شـــديدُ الملمـــسِ
ظـــالم خاصـــمته فاختصـــما آه لـــو أمهـــل دقُّ الجـــرس

هجرت الديار

هجـرتَ الـديارَ فقلـتُ العفـا　　لربـــع السّرور وزُوارِهِ
وبـتُّ بليـل لفـرط الأسـى　　كَلَيـل الضـجيع عـلى نـاره
وظـل يحـن فـؤاد المشـوق　　لـذكر الحبيـب وأخبـاره
تفـيض دُمـوعي بتَـذكاره　　زمانـاً تَـقَضّى بأوطـاره
ولوبِنتَ «لا بنتَ» عن ذا المحيط　　لضـاق عـليَّ بأقطـاره
أطلـت المُقـام ألا عـودةٌ　　تحيـي «الغـريَ» بـأنواره
لعمـري أسـاء إليـك الصنيع　　زمـان يُشـاب بأكـداره
كـذا الـدهرُ كـم حـاز مـن خامـل　　وحـرِ تصـدى لأفكـاره
علـوت عـلى موجـه بعـدما　　تحـداك عـارم تيـاره
تـنُم بطيـب شـذاك الـبلاد　　كـما الـروضُ فـاح بأزهـاره
بعيشـك شـاطر فـؤادي الهمـوم　　فقـد ضـاق صـدري بـأسراره
فمثلـك يُـنهِضُ قطـرَ العـراق　　ويَجْمـعُ أشـتات أحـراره
فـلا تحـرِم الشرقَ مـن مقـولٍ　　تـروع عـداه ببتـاره
دُعُـوا ودُعيـتَ لـنظم القـريض　　فكنـت السَّـبوقَ بمضـماره
فهـل أنـت تغنَمهـا فُرصـةٍ　　فتُـنهِضَ قطـركَ مـن عـاره

***

الشباب المر

طوت الخطوبُ من الشباب صحيفةً　　لم ألـقَ منهـا مـا يُعِـز فراقهـا

ومسهدٍ راع الظلامَ بخاطر لو كان بالجوزاء حَلّ نطاقها
ترنو له زُهرُ النجوم وإنها لو أنصفته لسَوّدتْ أحداقها
أفدي الضُّلوع الخافقات يروعني أن الرقاد مسكّن خفاقها
وأنا المؤاخذ في شظايا مهجة حَمّلْت مالا تستطيع.. رفاقها
ضمنت لي العيش المهنأ لوعة أَخذت على شُهْب السما آفاقها
يشتاق إن يردَ اللواذع منهلا صبٌ ولولا لذةٌ ما اشتاقها
هزجٌ إذا ما الوُرق نُحن لأنني خالفت في حب الأسى أذواقها
كم نفثةٍ لي قَنّعتْ وجه الدجى هماً وأوحت للسُها إخفاقها
ومهونٍ وجدي عَدَتْهُ لواعجٌ أخرسن ناطقَ عذله لو ذاقها
ما في يديْ هي مهجةٌ وهفا بها داءٌ ألّح.. وَعبرةٌ وأراقها
يا مهبِطَ الرسل الدعاة إلى الهدى عليا بنيلـ ـن العلى ما عاقها
زحفت بمدرجة الخُطوب ففاتها شأو المُجِدِّ من الشعوب وفاقها
لحقت فلسطينٌ بأندلسٍ أسىً والشامُ ساوت مصرَها وعراقها
مهضومةٌ من ذا يرد حقوقها وأسيرةٌ من ذا يفُك وَثاقها
يسمو القويُّ وذاك حكم لم يدع حتى الغصونَ فشذَّبت أوراقها
نقضت مواثيقَ الشُّعوب ممالكٌ باسم العدالة أبرمت إرهاقها
لم تُنْصفوا الأمم الضِعافَ ورَدَتُمُ عذْب الحياة وأُورِدت غَسْاقها
إن الذي قسم الورى جعل الحبا نصفاً وقسَّم بينهم أرزاقها
هُبي ليوثَ المشرقينِ وجددي منها الحياة وقوِّمي أخلاقها
صبحٌ من الآمال أشرق إن يكنْ حقاً فشمسكَ عاودت إشراقَها
أسمعت تَهْدار الأُسود مهاجة تحمي العرينَ وهل رأيت وفاقها

تلك الشُّعوب المستكينة من جلا عنها القذى؟من حثَّها؟ من ساقها؟

ولقد علمت بأن ذاك لغاية تسمو بها إذ أكثرت إطراقها

لك في محاني «الدردنيل» معاصم آلت تمد على رُباك رِواقها

حلَفت بمجد الشرق لا خانت له عهداً..فأحكمَ حِلفُها ميثاقها

***

الروضة الغناء

نسجَ الربيع لها الرداء الضافي وَهَمَتْ بها كفُّ الحيا الوكّافِ

فضَّت بها عذراءَ كلِ سحابة خطرت فنبهتِ الهزار الغافي

قضّى الربيع بها ديونَ مصيفها من سَح كل مدرة الأخلاف

الحب ما ضَمِنَ ضُلوع سمائها للأرض لا ما يدعيه الجافي

قلب كما اتَّقدت لظى.. وجوانحٌ رَعْدٌ وجَفنٌ دائم التّذراف

إن الذي قَسم الحظوظَ مواهبا أعطى الربيع نِقابة الأرياف

وكأنما لبست به أعطافها حُللا يُوشِّيها الَّسحاب ضوافي

وكأنما هَزَجُ الرعود إذا حَدتْ ركبَ السحاب بشائر الألطاف

وكأنما العُشبُ النضير خمائلٌ ومن الورود لها طِراز وافي

وكأن مياسَّ الغُصون إذا انتشى غِبَّ السحاب يُعبُّ صِرف سلاف

وكأن مختلف الورود صحائفٌ فيها تُخط بدائع الأوصاف

وكأن خلاّق الطبيعة شاعرٌ نَظَمَ الرياض قصائداً بقوافي

وتلبد الجو المغيم كأنه قُطرٌ عرته سياسة الإجحاف

وكأنما الماء النمير مهند للمَحْل تصقُله يد الإرهاف

وكأنــــه سَـــلَبَ الأصـــيلَ رداءه　　أو دسّ قرنَ الشمس في الأجراف
أيــن الصــفي سرائــراً وخلائقــاً　　يحكـي لنـا لُطْـفَ النمـير الصـافي
مترقرقــاً تلقـى السـماء بأرضـه　　لـولا خيـالُ تشـابك الصفصـاف
وتخــال إن لمعــت حَصـاهُ لآلئــاً　　تُجْـلى بكــف النَقْـدِ الصرّاف
ترتــد عنــه الطـير وهـي مُليحـة　　ممـا عليـه مـن الجـلال الطـافي
أوحـى النسـيم إليــه أن عواصـفاً　　بعـدي فـأرجف خِشية الإرجـاف
واهتـــاج حتـــى ود أن ضـــفافه　　سـالت فلـم يُصبحْ رهـين ضـفاف
ليــت الـذي قـاد الزعـازع ردّهـا　　عـن مثـل هـذا الجـوهرِ الشـفاف
الروضـــةُ الغنـــاء مفـــرشُ لــذتي　　حيـثُ الخيـالُ مطّـرزُ الأفـواف
تتســـاند الأعشـــاب في جَنَباتهـــا　　فـترى القـويَّ يَشُـدُّ إزر ضـعاف
باكرتُهـــا والـــنجمُ متقـــدُ الســـنا　　لِهِثٌ وقـد ضـرب الـدجى بسِجاف
والطـــيرُ يكـــتم نطقـــه متحـــذراً　　خـوف انتبـاه الصـبح للأسـداف
حتــى إذا مــا الفجــر حــان نشــوره　　وسـطا الصـباح بجيشـه الزحـاف
خلعــت عليــه ذُكــا مــلاءة نورهــا　　فتبـــاشرت منهـــ ربّـــى وفيـــافي
فأخــذت أنشــدها وعنــدي هــاجس　　أخـذ الهمـومَ علـيَّ مـن أطـرافي
لــو شــاء مــن ضــم الأزاهــر لم تكــن　　لتعيـثَ في الأكـوان كـف خـلاف
ولِمـــا تزاحمـــت القـــوى وتهافتـــت　　منهـا سِـمانٌ لانتهـاك عجـاف
متكـــالبين كـــأنَّ رب لغـــاتهم　　مـاخط فيهـا لفظـة الإنصـاف
لـــو أن ألقـــاب الـــورى في قبضـــتي　　حـلَّ الوضـيعُ محَلّـة الأشراف
لـــو كـــان في مـــال الغنـــيِّ لمعـــوزٍ　　حـق لسـادت عيشـة بكفـاف
يســـمو الغنـــي عـــلى المُقـــل وعنـــده　　أن الثـراء قـوادم وخـوافي

عــــاثوا بشــــمل الاجــــتماع فحبــــذا يــــومٌ يَعيــــث القصــــد بــــالإسراف
خــــير مــــن الأشر الضــــنين صــــعالك لا يســــألون النــــاس بالإلحــــاف
لِتبَجــــلِّ النــــاس الغنــــيَّ فــــإنني كلــــفٌ بتبجيــــل الفقــــير العــــافي

***

النقمة

قــــد كنــــتُ أقــــربَ للرجــــاء فصرت أقــــربَ للقنــــوطِ
كــــلُّ الــــبلاد صــــعودٍ .. والعــــراقُ إلى هبــــوط
في كــــل يــــوم مبــــدأٌ.. أُواهُ مــــن هــــذا السُّــــقوط
وطــــنٌ أقامــــت ركنــــه شــــبابنا بــــدم عبــــيط
يــــا للرجــــال تلاقفتــــه يــــدُ الأعــــاجم والنَّبــــيط
ســــقط النشــــيط عــــلى افتقــــار الخــــاملين إلى النشــــيط
ولقــــد بَكَيْــــتُ عــــلى حُبوطِــــكِ يــــا بــــلادي لا حبــــوطي
يــــا نــــائماً مــــا نَبَّهَتْــــهُ الحادثــــاتُ مــــن الغطــــيط
لم يبــــقَ مــــن نســــج الأكــــفِّ المحكــــمات ســــوى خُيــــوط
خُــــدِعت جمــــوعٌ عــــن صريــــح الحــــق بــــالكَلِم البســــيط
أبــــداً تَقَــــرُّ عــــلى ضــــياع في حقــــوق أو غمــــوط
أمــــا أنــــا فكــــما تــــرى بــــين الطبيعــــة والمحــــيط
أُفٍ لهــــا مــــن عيشــــةٍ مــــا بــــين وغــــدٍ أو لقــــيط
يــــا شــــعرُ ثُــــرْ إن الشــــعور مهــــدَّدٌ يــــا نفــــس شــــيطى

***

أمنعم القلب الخلي

أمنعمَ القلب الخلي تركتني حِلْفَ المحنْ
لم ترع عهد فتى رعاك على السريرة وأتمن
سل جفنك الوسنان هل علمت جُفوني ما الوسن
لحظ الحبيب أثار بين النوم واللحظ الفتن
إن كان لا بد الرِّهانُ فرحمةً بالمرتهن
رفقاً بقلب ما درى غيرَ الشجى بك والشجن
يصبو لذكرك كلما ناح الحمام على فنن
أخشى يطول على الصراط عذاب مطلعك الحسن
ما ضرَّ من ضمن الحشا لو كان يرعى ما ضمن
طَرْفٌ قرير كان فيك رماه هجرك بالدَّرَن
الله ماذا حَمَّلت كفُّ النوى هذا البدن
لا تحسبوا ماءَ الفرات كعهدكمْ فلقد أجَن
حسد الزمان لياليا سَمَح الوصال بها فضن
أعذَرْتُمُ لولا النوى ووَفَيْتُمُ لولا الزمن
لو تشترى بالروح أيام الصبا قل الثمن
ولقد وقفتُ بداركمْ وكأنها بطن المِجَنْ
يا مألف الأحباب حُلْتَ وحال عهدُك بالسَّكن
واعتضتَ آراماً سوانحَ فيك عن ريمي الأغن
وذَعْرتَ سِربي بالفراق فليت سربَك لا أمِن

ويـــحَ المعـــذب بالبِعـــاد تَهِيجُـــه حتـــى الـــدِّمن
مـــاذا عـــلى العُـــذّال إن وجـــد المقـــيم بمـــن ظعـــن
أيـــلام إلْـــفٌ بـــأن عنـــه أليفُـــه فبكـــى وحـــن
لـــو لم يشُـــفِ القـــوس مرمـــى سـهمه مـــا كـــان رن

***

النشيد الخالد

تزاحمـت الآمـال حولـكِ وانـبرتْ قلـوب علـيهنَّ العُيـون شـواهدُ
مشت مهجتي في إثرِ طرفِكِ واقتفت دليـل الهـوى والكـلُّ مـنهنَّ شـارد
حُشاشةُ نفسٍ أجهدت فيك والهوى يطاردهـا عـن قصـدها وتطـارد
أجابـت نفـوسٌ فيـك وهـي عصـية ولانت قلوب منك وهي جلامد
أعـلَّ السُّـها مسرى هـواك وأوشـكت تَنـازَلُ عـن أفلاكهـنَّ الفراقـد
ورغبَنـي في الحـب أن لـيس خاليـاً من الحب إلا بارد الطبع جامد
إذا كان وحي الطرف للطرف مدليا بـأسرار قلبينـا فـأين التباعـد
خلـيلي مـا للعـين في الحـب ريبـةٌ إذا كُرمـت للنـاظرين المقاصـد
ولي نزعـات أبعـدتها عـن الخنـا سـجية نفـس هـذبتها الشـدائد
أقاويـل أهـل الحـب يفنـى نشـيُدها وأمـا الـذي تُمـلي الـدموع فخالـد
ومـا الشـعر إلا مـا يـزان بـه الهـوى كـما زينـت عطـل النحـور القلائـد

***

سلام على أرض الرصافة

صبوت إلى أرض العراق وبَرْدها
إذا ما تصابى ذو الهوى لربى نجدٍ

بلاد بها استعذبتُ ماء شبيبتي
هوي ولبست العزَّ بُرداً على برد

وصلت بها عمرِ الشباب وشَرخَه
بذكر على قرب وشوق على بعد

بذلت لها حق الوداد رعايةً
وما حفظ الود المقيم سوى الود

سلام على أرض الرُّصافة إنها مراح
ذوي الشكوى وسلوى ذوي الوجد

لها الله ما أبهى ودجلةُ حولها
تلف كما التف السوارُ على الزند

يعطر أرجاها النسيم كأنما
تنفس فيها الروض عن عابق النَّد

هواؤكِ أم نشر من المسك نافح
وأرضك يا بغداد أم جنة الخلد

أحباي بالزوراء كيف تغيَّرت
رسوم هوىً لم يرع جانبهُ بعدي

رَضِينا بحكم الدهر لا جو عيشنا
بصاف ولا حبل الوداد بممتد

كأن لم نحمِّلْ بيننا عاتق الصبَّا
رسائل أعيته من الأخذ والرد

جفوتم ولم أنكر جفاكم فلستمُ
بأولِ صَحْبٍ لم يدوموا على العهد

***

لا تفكوا أساره

شباب ولكن في هواكم أضعتُه
وغرس ولكن ما جنيت ثمارهُ

أسَرْتُم فؤاداً لا يحب انعتاقه
بحب سواكم ما رضيتم إساره

خذوه تُريحوا أضلعاً كابدت به
هموماً برتها .. أبعد الله داره!!

ولم أنس يوم السفح إذ طلَّه الندى
ولا كأس إلا طرفه فأداره

أقـول لـه لا ترجـع اللحـظ إننـي ... مـن النظـرة الأولى عَرفـتُ اقتـداره

****

الشاعر السليب

«بَلِينـا ومـا تَـبْلى النجـوم » الرواكـدُ ... رسـومٌ عَفَـت منهـا العـلا والمحامـدُ

أصــاخَ بهــا للجهــل طــيرٌ مشردً ... وســابت بهــا للغــي رُقْــمٌ أســاود

وليلــة بتنــا بــالغريّ بســاطُنا ... رياض.. ومن خد الشقيق الوسائد

تخال الصـبَّا إمـا سرت كـفٌ لا قـط ... وقـد نُظِمــتْ للطـلِّ فيهـا فرائـد

تجمــع للأحــزان جــو ملبــدٌ ... وهبـت مـن البلـوى ريـاحٌ رواكـد

وممــا شــجا أن الثلاثــة قــادهم ... لمـا قـادني حَـظٌ عـن الكـل شـارد

صــغارٌ بغــوا للنحــو شرَّ وســيلة ... تضِــل بهــا للســالكين المقاصــد

يقولـون أعْـرب قـام زيـد وخالـد ... ومـا جـرّ إلا الشـؤمَ زيـدٌ و خالـد

فقلتُ: لئن قاما فذاك الفعل حـاضر ... وقـد بـان عـما تسـألون الشـواهد

وقـالوا : جلاميـدٌ أقيمـت مَحْارِبـاً ... فقلــت : جســومٌ دونهــن الجَلامـد

فلـما دنونـا وانجـلى ضـوء بـارق ... من الحق جلّى الظنُ والظن فاسد

هناك التقى الجُنحان منهـا وأخفقا ... ضـعيفان مقصــودٌ هنـاك وقاصـد

ومـا مـنهمُ إلا كـما الـبرجُ نـاهض ... علينا ومثـل الكلـب للترب سـاجد

يقولون : لا تَهمِس وبـالهمس قـولهم ... فقلـت : استوى منـا خـليٌّ وواجـد

أراكم «حسبتم كـل بيضـاء شـحمةٍ» ... من الناس أو ضاقت عليكم فدافد

وإلا فهـل أغنــتكُمُ عــن طرائــف ... مـن المـال هـذى الباليـاتُ الأوابـد

لهـم حسـب في اللـؤم دقَّـت عروقُـهُ ... طوارفُــه تســمو بهِــم والتوالــد

مُحالاً أرى تصحو من الغي قفرة أراذلها تُكسى وتَعرى الأماجد

لئن سلبوا ثوباً أرَثَّ فبعدما كستهم ثياب العار مني القصائد

***

على ديوان ابن الخياط

وما الروضُ رواحَهُ مثقَلٌ من المُزْن يَحْمِلُ ما لا يطيقُ

فعاطاه من صوب أكوابه هنالك ما لا يعاطي الرحيق

وفَضَّت لطائمَهُنَّ الرياحُ عليه كما فاح مسك فتيق

بأحسنَ مما أجاد القريض وحلاه هذا الكلامُ الرشيق

بألفاظه وهي غُرٌّ رِقاقٌ ومعناه وهو الغريب الدقيق

سيُبْلى زمانُك حتى الحديد ويُبليه هذا النسيجُ الرقيق

***

صوت من النجف

أنابغةَ الدين الذي دون عِرضه تدافع يُسراه وتحمي يمينهُ

مقالُك هز المشرقَيْنِ وقد بكى لما هاجه ركنُ الصفا وحَجونه

شحذتَ له الذهن الذكي توقداً كما شحذت عضبَ الغرار قُيونه

فجاء كما راقت شَمولٌ أجادها بنا جَوْدُها دهراً سَفَّتْ سنينه

وما كنت شيعياً ولكن مذهباً دعاك لكف الظن عنه يقينه

صدقتَ فإما ذنبه فسكوتُه لدنيا وأما عاره فسكونه

كثيرٌ محبوه الكرام وإنما لما قد عراه أخرستهم شجونه

هـو الـدين أمـا حاكمتـه خصـومه فقرآنــهُ يــقضي علــيهم مبينــه
ومــا هـــو إلا واحــد في جميعــه وإن رجـم الغـاوي وسـاءت ظنونه
أخـلايَ مـا أحـلى التـآلفَ في الهـوى إذا كثُــرت عُذّالُـــهُ وعُيونـــه
هلُمـوا فهـذا الـروض زاهٍ أريضُـهُ لنرتــاده والمــاءُ صــاف معينــه
نسـير معـاً لا العـرق مني بنـابِض سـواكم ولا عهـد الإخـاء أخونـه
فلو ريْمَ كشـفُ السـتر عن قبر أحمدٍ إذن لشـــجانا نَوْحُـــه وحنينـــه
تجمعنــا مــن أمــره لــو نطيعــه ووحـدتناً مـن عهـده لـو نصـونه
أعـد نُصرةَ الإسـلام تقـض دُيونـه سـيَجزيك عنـه الله فالـدين دينـه
أثرهــا عــلى اسـم الله نفثـةَ واجـد تهـيج الـذي يطـوى عليـه حزينـه
ألسـتَ الـذي إن قـال أصغت لشـعره رياض الحمى واستنشـدته غُصـونه
يبــين لــه السرُّ الخفــي إذا خفــى عــلى غـيره مـا لا يكـاد يبينـه
وتُــرقص أوتــار القلــوب لحونــه يُخـال بهـا مـسُ الصِبـا أو جنونـه
فـلا تبتـئسْ إن طاولتـك قصـائر وناطحـك الكـبشُ الخفـاء قرونـه
فـذلك دأب الـدهر جـرَّع مـن مضى بمثـل الـذي جُرِّعَتـه منجَنُونُـه
مضى عــالم الآداب عنــا فهــذه حقائقــه تفنــى ويحيــا مُجونــه
وللعلـم مثـلَ الشـعب عمـرٌ مقـدر وكـلا أراه حـان للمـوت حنينـه
أفي العـدل يعلـو مـن ذُبـاب طنينـه ويَصـغِر بالليـث الهزبـر عرينـه
ويسـكت عـن حـق ويعـزى بباطـل وتـغضي عـلى هضـم الأبي جُفونـه
ويُظلـم مـن كانـت تَهَـشُ لصـوته سهول الفلا شوقاً وتبكي حُزونه
يُــردّ في صــدح الهــزار صُــداحُهُ وتسـتقطر الصخر الأصـم لحُونـه

وما كان بالمستضعف العزم من سطا بعـز المعـالي والمعـالي تُعينـه
وراءك أقـلام يهـوِّن وقعُهـا شبا السيف إن ساوى القرينَ قرينه
تُمـدُّ بهـا أيـدٍ طِـوال يُطيعها البيـانُ جنيبـاً إن تعاصـت فُنونـه
ويَرْفِـدها الفكـر الغزيـر كأنـه مصـبُّ غـدير طافحـاتٌ مُتونـه

***

أعيذكم من كذبتين

خـذوا كبـدي قبـل الفـراق فإنها معـودة ألاّ تَقَـرَّ عـلى النَّـزْح
ومـن نسـمات الصبـح روحٌ جديدة بعثـتم بها لي قبـل منَبلج الصبـح
يـذكرِّني عليـاكُمُ رونـقُ الضـحى إذا ارتفعت شمس النهار على رمح
ونُبِّئـتُ أن البعـد أورى زنـادكُم فلـم تعرفـوا غير الوقيعة في قـدحي
هلمـوا انظـروا قلبـي فـإن صفاءه يبـين الـذي خلَّفـتمُ فيـه مـن قَـرح
محضـتُ لكـم رشـح الـوداد كعادتي ولم تعرفـوا لي غـير مختلط الرشـح
لـئن سركـم أني إلى العـيش كـادح لقـد سـاءني أني لغـير العـلى كـدحي
فـما عرفـت كفـي التسـول للغنـى ولا صـافحت كفـاً تُمـدُّ إلى المـنح
وإنيَّ مـذ فـارقتكمْ كـان لي غنـى وشـغل عـن المـال المجمـع بـالطرح
أَعيـذكُمُ مـن كـذبتين فلـم يكـن ليصْـدقَ في الـذم المصـدَّق في المـدح

***

على أطلال الحيرة

وقفـت عليـه وهـو رِمـةُ أطـلالِ أسـائله عـن سـيرة العصُر الخـالي

مضَـوا أهلُـه عنـه وخُلّـف موحشـاً ... معـاصرَ أجيـال مـترجمَ أحـوال
خلـيلَيَّ مـا لـوح الكتـاب مخلَّـداً ... بأفصـحَ منـه وهـو منـدرس بـالي
مهـيجَ بلبـالِ المنـاذرةِ الأولى ... بأنسك هجتَ اليومَ بـالحزن بلبـالي
أهابُـك إنْ أدنـو إليـك كـأنني ... أرى الملكَ الغضبانَ في دسته العـالي
أفي يـوم بـؤسٍ أم نعـيم زيـارتي ... إليك لَقد خاطرت بـالنفس والمال
أخـاف «أبـا قـابوس» أن لا يسره ... لساني ولا يُرضيه شكلي ولا حـالي
أبعـد ابـن ذبيـانٍ زيـادٍ لسـانِهِ ... ونابغِـه يُصـغي ليسـمع أقـوالي
بلادك يا «نُعمان» سلْ كيف أصبحت ... فغـيرُك لـيس اليـوم عنهـا بسـآل
فـلا تحسـبنْ أن العروبـة معقِـلٌ ... منيـعٌ فقـد أضـحت نِهابـا لـدُخّال
ولا تحتقـرْ هـذا المقـالَ فإنـه ... وإن قـلَّ يكبـو دونـه كـلُّ قـوّال
لقد أعدت العـربَ المقاويلَ رطنةٌ ... وزمزمـةٌ ليسـت بزجـر ولا فـال
لـو أن «زيـاداً» و«المنخّـلَ» راجعـا ... زمـاني لمـا جـاءا بـراء ولا دال
يَعيبُـكِ يـا أم الجهـال مـبغَّضٌ ... مـن القـول عـارٍ عـن جمال وإجمال
خليليّ بـاع النـاس بخسـاً بلادهـم ... فما لي وحـدي سُـمتها الثَمن الغـالي

***

وخزات

طـال السـكوت لأمـرٍ ... خـيراً عسـى أن يكونـا
قـالوا ليـوم وشـهرٍ ... فكيـف عـاد سـنينا
مـا بـين «أمـرٍ» و«خمـرٍ» ... ظـنَّ العـراق الظنونـا
لا تفهمـوا مـن كلامـي ... يـا نـاس أيَّ اعـتراضِ

أســـاخطٌ ليـــت شـــعري «مــولاي» أم هــو راضي؟!

« طيـــارة» في بـــلادي تَكفـــي لحـــلِ « المشـــاكلْ»

وحفنـــةٌ مـــن نُضـــار تهُـــدُّ كـــل « الهياكـــل »

أصـــاحب « الأمـــر »يهـــوى شـــيئاً ونحـــن نجـــادل

نُريـــد وضـــعاً جديـــداً لكـــن بغـــير مخـــاضِ

شـــعبي لهـــذا وهـــذا غنيمـــةٌ بـــالتراضي

أشـــكو ضَـــياعيْ ولكـــن أشـــكو مـــن الحُـــرّاسِ

مـــاذا جنتْـــه بـــلادي مـــن كـــل هـــذا الغِـــراس

أمـــا أنـــا فـــبرأسي لم يبـــقَ أي «عُطـــاس»

لم يبـــقَ أيُّ حـــراك في قلبـــي النضَّـــاضِ

يـــا حـــاكمي.. ياخصـــيمي.. اقـــضِ بـــما أنـــت قـــاض

أواجـــدون لشـــعبي في كـــل يـــومٍ دسيسَـــهْ

يَهنْـــيكُمُ قـــد أكلـــتم حتـــى عظـــامَ الفريســـه

حتـــى « الدجاجـــةُ» تـــأبى ترفعـــاً أن تسوســـه

قالـــت بـــما في مبـــيضي مـــن صُـــفرة وبيـــاض

وزارة أنـــا فيهـــا قبلتهـــا بامتعـــاض

ظننـــتُ مـــاءً فلـــما سبحتُ سَـبْحاً طـويلاً

لم أُلـــفِ إلاّ سرابـــا وســـاء ورداً وبـــيلا

أردت شـــيئاً كثـــيراً لم أُعـــطَ حتـــى القلـــيلا

العـــيشُ صـــوّح لكـــن آمالُنـــا في ريـــاض

عـــن دجلـــةٍ وفـــراتٍ غنـــى لنـــا بالحيـــاض

مستهام

إن سعى الواشي يُريك الغَيَّ رشداً ... لا تكن أهلاً وصُن للود عهدا
حاشَ لله بقايا ذمةٍ ... منك أن تُشْمِتَ بي خصماً ألدا
أنا إنْ بُلِّغتُ عنكم ريبةً ... قلت :شكراً لهم مني وحمدا
وإذا قيل جفا من سلوة ... قلت :لا أسلو وإن عاف وصّدا
مستهام كَرَعَ الدمع فما ... زادَه إلاجوى فيكمْ ووقدا

***

تذكر العهود

أُعِدَّ لك النَّهَجُ الواضحُ ... فسِر لا هفا طيرُك السانحُ
وحيّاك ربك من ناصح ... إذا عزّنا المشفقُ الناصح
يحدث عنك بطيب الهُبوب ... نسيمٌ له عبقٌ نافح
فكل مكان ربيع يروق ... وكل تراب شذىً فائح
سلام الإله على طالع ... يحارُ بطلعته المادح
مَهِيب يرُدُّ سناه العيون ... وإن أُجْهد النظرُ الطامح
مليكَ العراق وكم جمرةٍ ... يَضيق بأمثالها القادح
يغُرَّنكَ إن غرّد النائح ... ينوح المغرد شجواً فلا
أبُثُّك أن الفؤاد الرقيقَ ... يُمضُّ به الحادث الفادح
ألا لا يُقلْ.. وحُبِيتَ الحياةَ.. ... وريدُك أنت له ذابح
وإنك مستبدِل باليَسار ... يميناً لها الشرف الراجح

وإنــك خودعــتَ عــن نيــة ... فــؤادُ الحســود بهــا طــافح
فقــد ســار بــين حُــداة الركــاب ... حــديثٌ يــرِق لــه الكاشــح
تــنُمَّ الشَــمال بــه للجَنــوب ... ويُبنــي بــه الغــاديَ الــرائح
وحاشاك.. حاشاك كيف استُخِفَّ ... لمــا بلَّغــوا حِلْمــك الــراجح
بــودي لــو مجمــلاتُ الحــديث ... تبــاح لينشُرَهــا شــارح
لــتعلمَ كيــف خبايــا الصُّــدور ... ومــن هــو في غيبــهِ جــارح
لــئن سرهــم أننــا عــزَّلٌ ... فقــد أخطــأ المقتــلَ الــرامح
وفــيمن تصــول لــرد الصَّــيال ... يمــينٌ لهــا عَضُــدٌ طــائح
تــذكَّرْ لعــل ادكــارَ العُهــود ... يــراح بــه نَفَــسٌ رازح
غــداةَ استضّــمك في «كــربلاء» ... وإيــاهم المجلــسُ الفاســح
هُــمُ ألْقحــوا الأمــر حتــى إذا ... تمَخَّــض لم يجْنــه اللاقــح
فيــا جَــبرَ اللهُ ذاك الكســير ... ويــا خَسِرَ الصــفقةَ الــرابح
ووالله لا الــوِرْدُ عــذبُ النمــير ... ولا العــيشُ مــن بعــدِهِمْ صــالح
وأقســمُ لــولا أمــنٍ يــراض ... بتعلــيلهن الحشــا الجــامح
لبِتنــا وكــلٌّ لــه شــاغل ... وكــلٌّ عــلى قربــه نــازح
ولــولا قــدومُك كــان «الغــري» ... لفقــدهم وجهــهُ كــالح
وإنــا لنأمــلُ نصرَ اللُّيــوث ... وأن يلْقــمَ الحجــرَ النــابح
ودام مَقامــك للوافــدين ... كــالركن مــا مســح الماســح

***

يا فراتي

إي وعــيشِ مضى عليــك بَهــيِّ وشُــعاع مــن شّــطِكِ الــذهبيِّ
والتفـافِ النَّخيـل حولَـكَ حتَّـى لــو تقصَّــيْتَ لم تجـدْ غــيرَ في
وانبســاطِ السَّــفْح الـذَّي زاحمتـه دَفَعــاتٌ مــن مَوجـكَ الثَّــوْري
وسـنا الشَّـمس حين مجَّـتْ لُعاباً أرسـلته مـن نورهـا الـكسروي
فتخــالُ الضـياءَ والمــاءُ مــوجٌ في رواح مـــن جانـــبِ ومجـــي
كخيوطٍ من فضَّةٍ بتْنَ طوع الرّيح بـــين الشـــمال والشرقـــي
وابتسـام البـدرِ المطلِّ إذا مـا بـات يجلـــو الـــدُّجى بوجـــهٍ وَضي
وزمـــانٍ حلـــوٍ كطـــلٍّ نــدّي لم يَشُـــبْهُ صـــفوُ السَّــماء بشي
لو تحولْـتَ عـن مجاريك أو حُلْت لمـــا جئـــتَ بـــالنكير الفـــري
يــا فُــراتي وهــل يُحاكيـك نهـرٌ في جمــالِ الضُــحى وبــردِ الـعَشِي
ملكـتْ جانبيـك عُـرْبٌ أضـاعوا إذ أضـــاعوا حِمـــاكَ عهـــدَ قُصي
نضـجتْ بالصَّـغار منهم جلـودٌ ولقـــد تنضـــج الجلـــودُ بِكَـــي
إي ومجـرى الجيـادِ يـومَ التنّـادَي ومجـــرِّ الرمـــاح حـــول النـــدى
دنَّسَــتْ طُهْـرَكَ المطـامعُ حتَّـى لم تَعُـــدْ تَنْقَـــعُ الغليـــلَ بـــرِي
الخَنـــى.. أيـــن عنـــه نفـــسُ أبيّ و الحِمـىَ أيـن عنـه طَـرْفُ الحَمِـي
لا القنـــا يـــومَ تنثنـــي لِمَـــذَبِ عــن حــريم .. ولا الظبــى لكمــي
آه .. لولا خِصبُ العـراق وريفٌ هـــو لـــولاه لم يكـــن بمـــرِي
ما استجاشتْ له المطامعُ والتفَّتْ عليـــه مـــن المَحَـــلِّ الـــقَصِي
واستخفَّتْ به الشعوبُ.. وباتَـتْ وهـــي ترنـــو لـــه بلحـــظٍ خفـــيّ

قــد نطقنــا حتَّــى رُمينــا بهُجْــرٍ وسكتنا حتَّــى اتُّهِمنــا بِعِـــي

ورضِينا حُكْمَ الزَّمان.. وما كانَ احتكـــامُ الزمـــنِ بـــالمَرْضي

فــإذا كــلُّ يومِنــا مثــلُ أمــسِ وإذا كــلُّ رُشــدنا مثــلُ غَــي

وعلمنــا أن لــيس نملــك أمــراً فصــبرناعلى احتكــام « الــوصي »

***

النجوى

يقولـــون : ليـــلٌ علينـــا أنـــاخ نهارٌ على الغـربِ يُـعشي العيونـا

وأنّـــا نســـينا عنـــاءَ القلـــوب لأنّـــا بهـــذي الـــدُّجى هادئونـــا

وأنْ لـــيس في الكـــون مـــن رحمـــةٍ يـــواسي بهـــا مـــعشراً آخرونـــا

فليـــتَ عيونـــاً سُـــهاداً درتْ بأنـــا – كعادتنـــا – راقـــدونا

ســـألناكمُ عـــن مَثـــار السَّـــديم فَعَـــنْ حُـــرَقِ الهـــمِّ لا تســـألونا

فــــإنَّ معــــاملَكمْ والبخــــار وقلبـــي وزفرَتـــهُ مســـتوونا

أرى أُممـــاً هـــي والمـــالكين متـــاعٌ أعـــدَّ لِمـــنْ يأكلونـــا

نظـــنَّهُمُ خُلقـــوا للغـــلاب وأنّـــا خُلِقْنـــا لأنْ يغلبونـــا

وعصرٌ تَنـــاهضَ فيـــه الجـــمادُ عجيـــبٌ بـــه يجمُـــدُ النَّاهضـــونا

ألا هِـــزَّةٌ تســـتثيرُ الشّـــعوب فقـــد يُـــدْرِكُ النَّهْـــزَةَ الثائرونـــا

ألا قبســـاً مـــن شُـــعاع الكلـــيم تُعيدُ على الشَّرق يا « طُورَ سينا »

خلـــيليَّ أيـــن نبـــوغُ العـــراق وأيـــن ذوو حُكْمـــهِ النابغونـــا

أذاكَ الـــذَّي خَلَّـــفَ الـــذّاهبون كهـــذا الـــذَّي تـــرك الوارثونـــا ؟

أغـــيرَ المطـــامع لا تعرفـــون وغـــيرَ الهياكـــلِ لا تعبـــدونا ؟

زفيفـــاً وقـــد حلَّـــقَ المعتلـــون ... وزحفـاً وقـد أبْعَـدَ الرّاكضـونا ؟

ولســـنا وقـــد أعجزتنـــا الحيـــاة ... عـن المـوتِ في نيلهـا عاجزينـا

وإن أنسَ لا أنس حـول «الفـرات» ... منـاظر تُصـبي الحلـيمَ الرزينـا

نســـيماً يلاطــف رِخــوَ النمــير ... كـما حـرَّكَ الـوَرَقَ اللاعبونـا

وســـاكن جـــوٍ يعيـــدُ الأثـــير ... كـما الحـبُّ شـاء شـجيّاً حزينـا

ونـــوراً كســـا سُـــدُفاتِ الأثـــير ... جمـالاً يـردُّ التَّصـابي جنونـا

يـــدلُّك يـــا بـــدر هـــذا الجـــمالَ ... على الخَلق لـو أنصفَ الشـاكرونا

كفتنـيْ الكـرى واجبـاتُ المِحـاق ... فجئـتُ تَماسَـحُ منـي الجفونـا

تَجَـــلَّ علينـــا إلـــهُ الشـــعور ... سـجوداً معـي أيُّهـا الشـاعرونا

عــلى مَهَــلٍ بعــضَ هــذا الخــداع ... فنُـورك قـد أوهـمَ اللاقطينـا

إذا مـا اعـتلى البـدرُ خـيطَ الرمـال ... تخيَّلهـا الطـرفُ عِقْـداً ثمينـا

بـــأمركَ تحريـــكُ درع الفضـــاء ... وإن رَجَـمَ الخلـق فيـك الظنونـا

ســـلامٌ عـــلى أنفُـــسٍ رفرفـــتْ ... مـن الحـبِّ هـام بهـا المغرمونـا

خلـــيليَّ حتـــى وعـــورُ الجبـــال ... تَهـيجُ الصـبَّابةَ لي والحنينـا

ولي مضـــغةٌ بـــينَ عُـــوج الضـــلوع ... تحاولُ أنْ تجعـلَ الفَـوْقَ دونـا

فـــديتُ المُنـــى أنَّهـــا رَوحـــةٌ ... وروحٌ يعـيشُ بهـا الشـاعرونا

ولـــولا قلـــوب تحـــس الأذى ... لمـا عـرف اللـذة العاشـقونا

رقـــاقٌ تـــرى أنَّ مَيْـــل الغصـــون ... إذا ما الصبا جالَ في الـروضِ هُونا

وإنَّ مـــنَ الشّـــعْر وهـــو الخيـــالُ ... عروشـاً وأنهـمُ المالكونـا

خلـــيليَّ إنَّ ادكـــارَ الصـــبّا ... يُهَـيّجُ مـن عيشـنا مـا نَسـينا

هَلُمّـوا رفـاقي فهـذا الضـياء سـينشرُ أعمالَنـا إنْ طُوينـا
ابـن أيُّهـا البـدرُ كيـفَ النَّجـاة وأيـن اقتنْصنـا.. وأني رُمينـا
وكيـفَ اسـتحالَ صـفاءُ الربيـع همومـاً تصـاحِبنا مـا بَقينـا
وكيـفَ اختفـائيَ تحـتَ الظـلال زمـانَ صِـبايَ مـع اللاعبينـا
وكيـف إذا البـدرُ حتـى الوِهـاد نَخِـفُّ لطلعتـهِ أجمعـونا
نسـير عـلى خُطُـواتِ الشّـعاع كأنـا إلى غايـةٍ سـائرونا
وكيـف السَّـلامُ عَقيـبَ الصِـدّام .. وكيـفَ الـتمازجُ مـاء وطينـا
أعيـدوا الطفولـةَ لي إنّهـا تُعيـدُ النزاهـةَ لي والقيِنـا
وليـلِ أراني دبيـبُ السَّـنا بـهِ كيـف تحيـا أمـانٍ بَلينـا
وقـد ذهـب اللّيـلُ إلاّ ذَمـاً كـما ردَّدَ الـنَّفَس الجارضـونا
وآذنَ بالصـبح صـوتُ الهَـزار كـما هـيَّجَ الـنَّغَمَ العازفونـا
صُـداحٌ هـو الشّـعر زاهـي البيـان يُكـذِّبُ مـا زخـرفَ المُـدَّعونا
وكـم هـاجَ في شـدوهِ الأعجمـي خـواطرَ أعجـزتِ المُفصـحينا
يهـبُّ عـلى نَسَـماتَ الصْـباح إذا مـا اسـتهانَ بهـا الرّاقـدونا
خلـيليَّ روح الحيـاة النَّسـيم فلـولا انتشـاقُ الصَّـبا مـا حيينـا
ويـوم تُضـاحكَ فيـه الرَّبيـع وحيَّـتْ ورودُ الرُّبـى المجتلينـا
تمشَّـى عـلى الـروض روحُ الإلـه فـمالَ ومِلْنـا لـه سـاجدينا
حـدائقُ خَـطَّ عليهـا الجـمال قصـائدَ أعْجَـزَتِ النَّاظمينـا
كـأن جـلالَ الهـوى شَّـفها ففاضـتْ دموعـاً وسـالتْ عيونـا
وسـاقيةٍ بـاتَ قلـبُ الـدُّجى يُعيـد عليهـا الصَّـدى والأنينـا
جـرتْ وأجـرَّتْ دمـوع الغـرام فـلا عَـذُبَ الـوِرْدُ للشـاربينا

عليهـــا ريـــاضٌ كســـاها الرّبيـــع ... مَطـــارفَ يَعيـــا بهـــا المُبـــدعونا
أُحِـــبُ الحقـــولَ لأنَّ الجـــمال ... تجمَّـــعَ فيهـــا فنونـــاً فنونـــا
فيـــا ســـاكني فَجَـــواتِ البطـــاح ... هنيئـــاً لكـــمْ أيُّهـــا الخالـــدونا
نعـــيماً فـــلا الـــريحُ خـــاوي المهـــبّ ... ولا الـــرُّوحُ ذلَّلهـــا الطَّامعونـــا
خلـــيليَّ أُفٍ لهـــذي المـــروج ... إذا مـــا اســـتبدَّ بهـــا المالكونـــا
وليـــتَ الفـــداء لكـــوخ الفقـــير ... قصـــورٌ أنـــافَ بهـــا المُترَفونـــا
إذا مـــا اســـتدارتْ خطـــوبُ الزَّمـــان ... ســـتعلمُ أيُّهُـــمُ الخاسرونـــا
فـــإن الهبـــوطَ بَقـــدْرِ الصـــعّود ... فـــإنْ شـــئتَ فَوْقـــاً وإنْ شـــئتَ دونـــا
وَمـــنْ في البســـيطةِ يَفـــدي البســـيط ... ويفـــدي ذَوُو الجَشـــع القانعينـــا
ألا هَـــلْ أتـــى نوَّمـــاً في العـــراقِ ... أنَّـــا لأجلِهِـــمُ ســـاهرونا
أحبَّتَنَـــا إنَّ همـــسَ البحـــار ... زفـــيرُ الأحَّبـــةِ لـــو تعلمونـــا
أصـــيخوا ولَـــوْ لاهْتـــزازِ القلـــوب ... فلـــيسِ مـــن العـــدلِ أنْ تُوحـــدونا
إذا مـــا وردتـــمْ نمـــيرَ الحيـــاة ... وراقَ لكـــمْ وِرْدُه فاذكرونـــا
وإن لاحَ صـــبحٌ لكـــمْ فـــاذكُروا ... بأنَّـــا بليـــلِ العمـــى خابطونـــا
وإنَّ عُضـــالاتِ هـــذا المحـــيط ... نقـــائصُ أعوزهـــا المصـــلحونا
هياكـــلُ أخنـــى عليهـــا الجمـــود ... فغـــيرَ الـــذي وجـــدوا لـــن يكـــونا

***

عاطفات الحب

عاطفـــات الحـــبِّ مـــا أبْـــدَعَها ... هـــذّبتْ طبعـــي وصـــفَّتْ خُلُقـــي
حُـــرَقٌ تمـــلأ روحـــي رقـــةٍ ... أنـــا لا أُنكِـــرُ فضـــلِ الحُـــرَق

أنـــــا باهَيْـــــتُ في الهـــــوى ... لا بشـــوقي أيـــن مـــن لم يَشْـتَق
ثـــق بـــأن القلـــبَ لا تشـــغَلُهُ ... ذكريـــاتٌ غـــيرُ ذكـــراك ثـــق
لســـتَ تـــدري بالـــذي قاسـيتُهُ ... كيـــف تـــدري طعـــمَ مـــا لا تَـذُق
لم تـــــدعْ مِنّـــــيَ إلا رَمَقـــــاً ... وفـــداءٌ لـــك حتـــى رمقـــي
مُصـــبحي في الحـــزن لاأكرهُـــهُ ... إنـــما أطيـــبُ منـــه مَغْبَقـــي
إن هـــذا الشـــعر يشـــجي نقلُـــهُ ... كيـــف لـــو تســـمعُه مـــن منطقـــي
ربّ بيـــــتٍ كسرت نبرتـــــه ... زفـــرات أخـــذت في مخنقـــي
أنـــا مـــا عشـــت عـــلى ديـــن الهـــوى ... فهـــواكم بَيْعـــةٌ في عنقـــي

***

في بغداد

يـا نسـمة الـريح مِـن بـين الريـاحينِ ... حيـي الرُّصـافة عنـي ثـم حَيّينـي
إن لم تمـــري عـــلى أرجـــاءِ شـــاطِئها ... فلَيـــتَ لم تحمـــلي نشراً لـــلدارين
لا تَعبَقـــــي أبـــــداً إلاّ مُعطّـــــرةً ... ريانـــةً بشَـــذَى وردٍ ونِسريـــن
أهـديت لي ذكـرَ عَصرٍ قـد حَييـت بـه ... مـن عَلَّـم الـريحَ أن الـذكرَ يُحيينـي
حيـثُ الزمـانُ وَريـقُ العـودِ رَيّقـه ... والـدهرُ دَهـرُ صـباباتٍ تـواتيني
معي من الصحب يسعى كـلُّ مُقتَبِلٍ ... نَضْرِ الشباب طليقِ الوجـهِ ميمـون
خـالٍ مـن الهَـمّ لـو لامَسْـتَ غُرَّتـه ... أعـداكَ واضـحُ تَهليـلٍ وتَحسـين
ولي إلى الكـرخ مـن غربيِّهـا طَـرَب ... يكـادُ مـن هِـزَّةٍ للكـرخ يرمينـي
حيث الضفافُ عليها النخلُ متّسقٌ ... تنظـيمَ أبيـات شـعرٍ جـدِّ مـوزون
وللنســـيم اســـتراقٌ في مرابعهـــا ... للخطـو مَشْيٌ ثقيـلُ القيـد موهـون

يـا ربـةَ الحسـن لا يُحصَى لـنَحصِره ... وصـفٌ فكـلُ معانينـا كتخمـين
والله لـولا ربـوعٌ قـد أَلِفـتُ بهـا ... عيشَ الأليفينِ أرجوها وترجوني
وأن لي مـن هـوى أبنائهـا نَسَـباً ... دونَ العشيرة للأصحاب يَنميني
لاخترتُهـا منـزلاً لي أسـتظلُّ بـه ... عـن الجنـان ومـا فـيهن يُغنيني
لخـبَّرت كيـفَ شـوقُ الهـائمين بهـا ... وكيفَ صَفْقُ عذولي كفَ معبون
إخوانُنا حيث راقَ الجَسرُ وانتظَمَتْ ... بروجـه بوجـوه الخـرد عـين
واعتل نشر الصبا من طول ما حملت ... إلى مغـانيكم أنفـاسُ مَحـزون
فالشمس كل بـروج الأفـق تصحبها ... سـيراً وتسري إلى بـرج بتعيـين
سـقاكُمُ ريِّـقٌ مـن صَـوب غاديـةٍ ... ينهـلُّ عـن عـارض بـالبشرِ مقـرون
لا تحسـبوا أن بعُـد الـدارِ يُـذهلني ... عـنكم ولا قِصرَ الأيـام يُنسـيني
ضِـقتُمْ قلوبـاً لمـا ضـمَّتْ جوانحُنـا ... لـو كـانَ يسـمَحُ في نشر الـدواوين
ذاوى النبـات هشـيماً لسـتُ آمـنَ ... من ريح الصَّبا أنها جاءت لتذروني
خـلِّ الملامـةَ في بغـدادَ عـاذلتي ... عـلامَ في شـم رَوح الخُلـد تَلحيني
هـل غـيرُ نَفـسٍ هَفَـت شـوقاً لمـا لئهـا ... شـوقاً يصـعِّد بـين الحـين والحـين
أمـا النسـيمُ فقـد حملتـهُ خَـبَراً ... غـيرُ النسـيم عليـه غـيرُ مـأمون
مـا سرَّني وفنـونُ العلـم ذوايـةٌ ... أنَّ الأفـانينَ لُفَّـتْ بالأفـانين
ولا الربـوع وإن رقَّ النسـيم بهـا ... إن كـان مـن خَلفهـا أنفـاسُ تِنّـين
هيهـاتَ بعـد رشـيدٍ مـا رأت رَشـداً ... كـلا ولا أمِنَـت مـن بعـد مَـأمون
أمـا اللسـانُ فقـد أعيـا الضِرابُ بـه ... وكـان جِـدَّ رهيـفِ الحـدِّ مَسـنون

❊❊❊

عدِّ عنك الكؤوس

عَدِّ عنك الكؤوسَ قد طِبتُ نَفساً ... واسقينها مراشفاً لك لُعْسا
إن يُحسَّ الغرامَ قلبي فحقٌّ ... خلق اللهُ عَبده لِيُحِسّا
لست أنسى عيشي.. وخيرُ زَمانٍ ... زَمَنٌ طِيبُ عيشهِ ليسَ يُنسَى
حبذا دجلةٌ وعيشيَ رَهْوٌ ... طيب الرَوحتين مغذىً ومُمْسَى
حينَ أيامُنا من الدهر يومٌ ... فيه تُستَفرغ الكؤوس وتُحسى
يَحسَب الشَربُ أنهم علموا الغيب ... وهم يخطئون ظَنّاً وَحدْسا
طاف وهناً بها علينا إلى أن ... لم يكد أن يعي من القوم حِسا
عيَّ منا اللسانُ فالكل خُرْسٌ ... ينقلون الحديثَ رَمزاً وهَمْسا
رمتُ كأساً ومذ تلجلجتُ أوميت ... بكفي فظنّنت رُمتُ خَمسا
فأتاني بها فلمْ اعتراضها ... حذراً أن يكونَ مثليَ جبسا
إن ردَّ الكريم عارٌ على النفس ... وحاشاي أنني صُنتُ نَفْسا
أُفرغَت كالنُضار بل هي أبهى ... فعليها لم يوجب الشرعُ خُمسا
ولها في العُروقِ نبضٌ خفيٌ ... مثلما يُمسك الطبيبُ المِجَسا
وكأن النديمَ لما جلاها ... أفقٌ يُطلِعُ المَسرَّةَ شمسا
يا نديمي أمري إليكَ فزدْني ... أو فدَعني فلستُ أنطقُ نَبسا
لا تقطِّبْ إني أرى الإنس جِناً ... وتبسَّمْ لأحسَبَ الجنَّ إنسا
ما ترى الفجرَ والدجى في امتزاج ... مثل خيطَي ثوب خِلاطاً وَمسَّا
كم أرادَ الصبحُ المُتاحُ انطلاقاً ... وأرادت له دَياجيه حَبْسا
ما شربنا الكؤوس إلا لأنّا ... قد رأينا فيها لخديكَ عَكْسا

أنـتَ تـدري حرمـانَ ذي العقـل ... في النـاسِ فـزدني منهـا جُنونـاً ومَسـا
لا تُمِلهـا عنـي وفيَّ حَـراكٌ ... واسـقِنِها حتـى تـراني يَبِسـا
إن عُمْـراً مسـتلطَفاً باعـه المـرء ... بغـير الكـؤوس قـد بيـعَ بَخْسـا
أنـا حِلـس الطِـلا ولسـت كشـيخ ... خلـسَ الـدينَ وهـو يُحسَـب حِلسـا
لـو يبيـع الخَـمّار دَينـاً بـدينِ ... لاشـتراها وبـاع أخـراه وكسْـا
إن أحـلى مـا يسـبح هـذا البحـرُ ... قـرْعُ النـديم بالكـأس جَرْسـا
لا تلُـم في الطِـلا ولا في انتهـاكي ... مـا أبـى الله .. إذ نهـى أن تُحَسّـا
إن نيـل الحـرام أشـهى مـن الحِـلِّ ... وأحـلى نـيلاً وأعـذبُ كأسـا
قـد طويـتُ الحديثَ خـوفَ رقيـب ... يبتغـي فيـه مطعنـاً ليَدُسّـا
وهجرنـا الكـؤوسَ لكـن لعُـرسِ ... هـو أصـفى كأسـاً وأطيـبُ أُنسـا
وانتقلنـا لكـن لـبُرج سُـعود ... قَـرنَ الله فيـه بـدرْاً وشَمسـا
هـي جَلَّـت عُرسـاً فزيـدت بهـاءً ... دارةُ المجـدِ إنـهُ جـلَّ عُرسـا
طـاب مُمسـى سروره فليبكّـرْ ... أبـدَ الـدهر مُصبِحاً حيـث أمسـى
لـك عـمٌّ أحيـا مزايـا ذويـه ... وأرانـا الجـدودَ تـنفُضُ رمْسـا
لا تلمـه إن هـزَّ للشـعر عِطفـاً ... إنّ فيه مـن دوحـة المجـدِ رِسّـا
هـو أصـفَى مـن اللُجـينِ وأوفى ... في المعـالي مـن الهضـاب وأرسَـى
وهـو إن ينتسِـبْ فمـن أهـل بيـت ... أذهـبَ الله عنـه عـاراً ورِجسـا
بيـت مجـدٍ كـالبحر طـام ولكـن ... أنـت فيـه أبـا الضـائعينِ مَرْسـى
يـا بـنَ بنـتِ البيـت الـذي كـان نَجـماً ... لـكَ سـعداً وفي أعاديـك نَحسـا
لستُ أنسـى مـدحَ الجـواد ومـن كـان ... مـن المـدح فرضُـه كيـف يُنسـى

مستفيضُ الندى وكم من يَمينٍ صخرةٌ زلقَةُ الجوانب مَلسا
حَيَّرت مادحيكَ رقةُ طبعٍ تَحلِفُ الخمرُ أنها منه أقسى
قد بلونا سجليكَ قبضاً وبسطا وخَبَرنا دَهرَيك نُعمى وبُؤسى
فوجدناكَ في الجميع رضيّاً وحميداً مصَّبحاً ومُمَسّى
وهززنا في الأريحية غُصناً ورأينا في الدست رضوى وقُدْسا
وكأن اللغات بتن يفرقن كلما تشتهيه نِعمَ وبئسا
فكسونَ الصديقَ شهماً ونَدْبا واعدن العَدُوَّ نذلاً ونِكسا
وارتديتَ العلى لباساً وتاجاً وسواك ارتدى الحريرَ الدِمَقسا
لك كفٌ كالركن فينا فأقصى منيةِ النفس عندنا أن تُمَسّا
وبليدٍ لا يكتفي من سَنا النار بومضٍ.. حتى يجرِّبَ لمسا
قال هل الحقنَة قلتُ : تَعْيَا قال : حتى غباره قلتُ : نَحسْا
رُوِّضت كُفه فلولا رجامُ الناس أقرى بها الطيور وعسا
رِدْ نداه وبطشَه وتُقسه وارتكُنْ حاتِماً وعمراً وقُسّا
وذكرنا في اليوم عُرسَ عليٍّ فكأنَّ السرورَ قد كان أمسى
حيث مُدّاحه تجول وثوب النحس يُنضى ومِطرفَ السعد يُكسي
طاب غَرْساً مُصدّقاً لا كمن يُحسَبُ نُكراً أن قيل قد طاب غَرْسا
هو قاسٍ أن أغضَبُوه ولكن لو يَهُزّ الصَفَا نَداهُ لَحَسّا
لو تكون النجوم بُرداً وتاجاً لكسيناكَهُنّ عِطفاً ورأسا
أن علوتم فحقكم أو لستم قد رَفَعتم لكعبةِ الله أسسا
هزني مدحُكم فقلتُ ولا يصلُح عودُ الغناء حتى يُجَسّا
أيها المقتفُونَ شأوي هَلمّوا وخذوا عَنيَ البلاغةَ دَرسْا

أنــا آليــت أن أُعيــد رســوماً ... منه أضحت بعد ابن حبوبَ دُرسا

أنــا لا أدَّعــي النبــوةَ إلاّ ... أننــي أرجــعُ المقاويــلَ خُرسْـا

أنـا في الشـعر فـارسٌ إن أغالَـب ... يكــنِ الطبــعُ لي مجَنّــاً وتُرســا

كــلُّ محبوكــةٍ فــلا تُـبصرُ المعنـى ... مُعّمىً ولا تــرى اللفــظ لَبْســا

وإذا مــا ارتمــت عــليَّ القــوافي ... نلــتُ مختارَهــا وعِفــتُ الأخســا

إن أكــن أصــغرَ المجيــدين سِــناً ... فأنــا أكــبرُ المجيــدين نَفْســا

طبقّــت شــهرتي الــبلادَ ومــا ... جـاوز عمـري عشراً وسـبعاً وخمسـاً

****

على مجلسي

عـلى مجـلِسي مادمـت حيـاً أخطُّهـا ... وفي مرقدي إن مِتُّ خطواً نصائحي

فهــل غــيرَ أن أقضي وعنــدي بَثّــةٌ ... نعم سوفَ أشكوها لأهل الضرائح

بعــين الهــوى لي بــالفراتين وَقفــة ... أهاجَـت كمينَ الشـوقِ بين الجـوانح

وقــد خَفَـت الليـل البَهـيمُ فـما بـه ... سوى هاجساتِ الفكرِ لي من مَطارح

أأبهَــجُ مــن هــذا جمــالاً ومنظــراً ... فــما بالُهــا سَــدَّت عــلىّ قرائحــي

أتعِـرفُ أمــواجَ الفُــراتين مُهجتــي ... إذا استنشـدُوها عـن قلُـوبٍ طـوائح

أبحتُ لكِ الشَكوى فهل تسمعينها ... وإلا فبَعــدَ اليــوم لســتُ ببــائح

أقمنــا بجــوٍّ كــلُّ مــا عنــد أهلــه ... مجــالسُ ألهاهــا صــفير المــدائح

ألا هــل يعــودُ الشــعر فينـا كأنــه ... من الظهـر يملى عن غيُوث رواشِح

فأحســنُ ممــا رَدَّدَت نــبراتكم ... مـن الكلـم العـاري غنـاءَ المراسِـح !

قطعـتُ.. ولم يبلـغ بيَ العمرُ شوطه ... مـن الشـعر أشـواطاً بِعـادَ المطـارح

فقـل لسـنَيح الطـير إن لم تَـرُق لـه أهـازيجُ شـعرٍ أيـن عنـه « سـوانحي »

***

الشاعر

لا أريـــدُ « النــاي » إني حامــلٌ في الصــدرِ نايــا

عازفـــاً آنـــاً فآنــاً بالأمـــاني والشَّـــكايا

البلايـــا أنطَقَتْـــهُ ســـامحَ اللهُ البلايـــا

حافظــاً كــلَّ الــذي مــرَّ عليــه كالمرايــا

سّـيئ الحـالِ ولكـنْ حَسُـنَت منــه النَّوايــا

حجــزَ الهــمُّ عــلى أنفاسِــه إلاَّ بقايــا

أفلتـــت في نَـــبراتٍ شـــائعاتٍ في البرايــا

تــرقصُ الفتيـــانُ إذ غَنَّيــتُ فيــه والفتايــا

هـــو وِردي في صـــباحي وصَـــلاتي في مســـايا

مُعجِـــزٌ تهييجُـــهُ كـــلَّ المُغَنّـــينَ سِـــوايا

أدركـــتْ ظـــاهره النّـــاَسُ وأدركـــتُ الخفايــا

رنَّـــةُ المِعَـــولِ في الحفــرةِ صـــوتٌ لِلمنايــا

كومـــةٌ للرمـــلِ أم جُمجمـــةٌ طـــارتْ شـــظايا

حمـــلَ النـــاسُ ســـكوناً وجَـــلالاً في الحنايــا

شـــاعراً أدركـــهُ المـــوتُ غريبـــاً في الزوايــا

ســـبرَ الأفـــق بعـــينٍ أدركـــتْ منـــه الخبايــا

فـــانبرى يُـــوحي إلى النَّـــاس مـــنَ الأسرارِ آيــا

ثـــــمَّ أغفاهـــــــا وفي ... الــــنَّفْسِ ميـــولٌ ونوايـــا

قـــالَ لَمَّـــا لَقَّنـــوهُ ... أنَـــا لا أملـــكُ رايـــا..

لســتُ أدري مـــا أمـــامي .. ... لســتُ أدري مـــا ورايـــا

لا أرى مَـــن شـــيَّعوني ... مـــنكمُ إلاَّ مطايـــــا!

رجعـــــتْ.. إذ لم يجـــدْ ... ســـائقها للســـيرِ غايـــا

حَـــزِنَ « الشـــيخُ » ولكـــنْ ... ضـــحِكتْ منـــه الصـــبَّايا

***

كذب الخائفون

رمـــق الأُفـــقَ طرفُـــه فترامـــى ... ورأى الحـــق فوقـــه فتعـــامى

كـلَّ يـوم للحـاكمين كـؤوس ... جرَّعوهـا الشـعوب جامـاً فجامـا

كَـذَب الخـائفون مـا الضـيمُ منـا ... أيُّ شـعب يُرضـيه أن يُستضـاما!؟

إن حفِظـتمْ عـلى الصُّـدور وسـاماً ... فمـن الشـعب قـد أضـعتم وسـاما

آيتـا العـرب في نـدىً وزِحـام ... طيِّبـوا ذكـركم.. وموتـوا كرامـا

أنـــا ذاك الحرالعراقـــي إمّـــا ... حَـنَّ يسـتنهضُ العـراقُ الشـاما

***

سبحان من خلق الرجال

يـــا للرفـــاقِ لمـــوطن لجّـــوا بـــه ... حتـــى ازدرى أخلاقـــه فتخلقـــا

فـــإذا نـــزت همـــجٌ إلى طمـــع نـــزا ... أو صَـــفَّقَتْ فيـــه قـــرودٌ صـــفقا

تـــرك القريـــبَ مـــن الصـــلاح ففاتـــه ... ورجـــا البعيـــدَ مـــن الظنـــون فأخفقـــا

دبّـــت عقاربــــه إلى جيرانـــه ... أوما تـرى بغـداد أعـدت جِلَّقـا

أهل الخورنق والسدير ولو سعوا ... رفعـوا سـديراً ثانيـاً وخورنقـا

سبحان من خلق الرجالَ فلم يجدْ ... رجـلاً يحـق لمـوطن أن يُخلقـا

مـا إن يـزالُ مرَّشـحاً لأُمـوره ... متجـبراً أو طامعـاً أو أحمقـا

وطنـي وداؤك أنفـسٌ مملـوءة ... جَشَعاً فمـن لي أن تُبِـلَّ وُتفرقِـا

بلوى الشعوب مخادعون إذا ادَّعوا ... للنصـح كـذَّبتِ الفِعـالُ المنطقـا

الآن يلتمســون فــكّ وَثاقـه ... مـن بعـد مـا نـزل البلاء وأحـدقا

وطني ومن لك أن تعود فترتقي ... مـن بعـد مـا أعيـا وعـزّ المرتقـى

ما إن ترى عينٌ لصبْحِك مَصْبحاً ... للعاشـقين ولا كليلِـك مَغْبقـا

زَهَـرْت رياضـك واجَتليتَ محَّلئاً ... وصفت مياهك واحْتسيْتَ مرنقا

أفتلـك دجلـةُ بـالنعيم مرفرفـاً ... تجـري وبالعـذب الـزلال مصَّـفقا

باتـت تـدفقها الريـاح وإنـما ... ضـاقت مسـايلُ مائهـا فتـدفقا

وبكـت لواردهـا أسـىً وكأنهـا ... أمسـت تصـعِّد منه صـدراً ضـيِّقاً

أقصى مرامِك أن تَفيضَ فتشتكي ... ظمـأ ربوعُـك أو تفـيض فتغرقـا

لـو يعلـم الشـجرُ الـذي أنبتَّـهُ ... مـا حل فيك مِنَ الأذى ما أورقـا

رَجَعـت خـلاءً كفُّهـم بـك ثـرةً ... وَرَجعـت أنـت أبـا الخـزائن مُملِقـا

أشـفقت ممـا قـد مُلكـت قسـاوةً ... أن لا تـرِقَّ إذا ملكـتَ فتُشـفقا

مـالي وطارقـةُ الخطـوب إذا دهـت ... فلكـم سـألت الله أن لا تُطرقـا

عـزم الرجـال إذا تنـاهى حـدهُ ... مثـلُ الكِـهام إذا ستوى فتفتقـا

مَثَـلٌ جـرى فـيما مضى لمحنـكٍ ... مـن « يعـرب » رام السـداد فَوُفِّقـا

أعيـا بـه جمـع العِصي فلـم يُطِـق ... تحطـيمَ وحـدتهنَّ حتـى فرَّقـا

أهدى لكم.. لو تقتفون سبيله.. مَثَلاً به كان السبيلَ إلى البقا

***

بم استهل

بم أستَهِلُّ بِموته ورثائِهِ ؟ أم قبل ذاك بعُرسه وهنائِهِ
عيَّ اللسانُ فإن سمِعتَ بِمقول فاعلم بأني لستُ من أكفائه
هو موقفٌ ما بين قلبي والأسى جَلّي.. فكان الصبرُ من شهدائه
سكن الثرى من كان لا يطِأ الثرى وهوى إليه وكان في جوزائه
ولقد خشِيتُ عليه من نَفسَ الصَّبا أسفاً لواهُ الموت في نكبائه
نجم هوى من أُفقه فتناقصت ولتشهدنَّ عليه شُهْبُ سمائه
من كان يفترش الجُفُون وطاؤه قد وسدته الترب غيرَ وِطائه
بشرى أبيكَ وبورك العُرسُ الذي زفوك فيه إلى ثرى بَوغْائِه
ما الموت أطبقَ ناظريكَ وإنما رق الصَّبا فكَرِغْتَ من صهبائه
أجانباً عرض البسيط أعيذه من أن يَضيقَ عليك رحبٌ فضائه
لكن رأى زمراً تمور وعالماً خلط الظلال هديره بِرُغائه
فطواك في أحشائه متخوفاً من أن يضيع الدُّر في حصبائه
هذا الربيع وأنت من أزهاره - يَبكيك طيبَ أريجه وهوائه
أسفاً فلا روضُ الحمى زاهٍ ولا نُواره متفتحٌ بشذائه
ما اهتز نعشك يوم صفف عوده إلا لأنك كنت من خطبائه
يَبكيك مِنْبَرُكَ الرفيعُ وإنما يبكى لفقد وقاره وعلائه
قد كان يأمُل أن يبلغ مُنيةٍ حتى يراك وأنت من بلغائه

لا توقظـــوه بالـــدموع فـــربّما أغفـــى لطـــول سُـــهاده وعنائـــه
ولقـد خشِيتُ عليـه قبـلَ حِمامـه أن ســوف يُحرِقُــه هُيــبُ ذكائــه
غصْـن لوتـه الحادثـات فلـم يُطِـق دفعــاً لهــا فــذوى بــخضرة مائــه
جاذبنــه فضــل الحيــاة فــقصّرت منــه ومــا قصُرت فضــول ردائــه
قــالوا أأعــوزه الــدواء جهالــةً ولــربما مــات الفتــى بدوائــه
يــا أيهــا « السـلك » المبلـغ نعيَـهُ هــلاّ حملــتَ لنــا حــديث لقائــه
ركــب تحمــل والحِــامُ يســوقه عَجِـلاً ووقـعُ الـبرق صـوتُ حُدائـه
قلــت : البشــارةُ بالقــدوم.. فهـذه أوتــارهُ هزِجــت بلحــن غنائــه
فــإذا عــلى أســلاكه مهــزوزةً نبـــأ يـــرِن الحـــزن في أثنائـــه
عجبـاً لـه خِلـو الحشـا مـن لوعـة وجليـــلُ رزء المـــوت في أحشـــائه
قــاسِ تحمــل وقــع كــل عظيمــة جلـــلِ تحـــطُ البـــدر في عليائـــه
كــالعود في أهزاجــه..والســهم في إصـــماته.. والطَـــرفِ في إيمائـــه
متملـــكٌ ســـمعَ الملُـــوك وإنـــما يـــروي فصـــيح القـــول في فأفائـــه
لا يســـتكنُّ السرُّ بـــين ضـــلوعه وتـــراه محمـــوداً عـــلى إفشـــائه
تتراجــع الأفكــار رزاحــةَ الخـطى مــــا بـــين عودتـــه إلى إبدائـــه
مـا كنـت أعلـم « والغـريُّ » مَحِلّـةٌ لــك أن سـتقضي في ربـى « فيحائـه »
كنــت الهــلال تـنقلاً وقـد ارتـدى ثـــوب المِحـــاق رعايـــةً لإخائـــه
لفُّوْهُ في شَـطَن الـردى ءمضى فلـم يحلـــلْ لغـــير الله عقـــد قَبائـــه
أفديــه مصــدورَ الفــؤاد تقــاطرت أفـــلاذُه بالنـــار مـــن صُـــعَدائه
أبكيـــه ريـــانَ الشـــباب.. رداؤه نَضِرُ الصــبّا.. شَرِقٌ بحســن روائــه
أبكيـه منطويــاً عــلى نــارين مــن داء النَّــوى وهـــو الأمــضّ.. ودائــه

أبكيـــه مـــذعوراً تقسَّـــمَ طرفُـــهُ … مـــا بـــين أهليـــه.. إلى رفقائـــه

أو بعـــدَما بَرَقَـــتْ أسِرَّتُـــه لنـــا … وبـــدت مخايـــلُ حســـنِه وبهائـــه

تتناشُـــه كـــفُ المنيـــة صـــارماً … عَضْـباً يفُـلُ العضـبَ حـدُّ مضـائه

مـا بعـدَ يومـك غـيرُ عـينٍ ثَـرّة … ومـــدامع سُـــحٍّ وحِلْـــم تائـــه

لا تسألنّي عن « أبيكَ » فبعض ما … لاقـــاه أن بكاءَنـــا لبكائـــه

عـين تسـيل دمـاً لفقـد سـوادها … وحشي يـذوب أسـى عـلى سـودائه

والمـــرء ســـلوة والـــدٍ متصـــبرٍّ … فـــإذا اســـتقلَّ فصـــبره بإزائـــه

ولقـد عهِـدْتُ [illegible] الشمائلُ غضـةٌ … غنـــيَ النـــديم بهـــن عـــن نُدمَائـــه

قالوا : « الوباءُ » فقلت من أدوائنا … وهـــو القتيـــل بهـــن لا بوبائـــه

رُحْ ســالماً.. ودع الحيــاة لجاهــل … وغـــروره.. أو عـــالم وريائـــه

والـدين.. كـلُّ ال[illegible] تعـرف حَمْلَـهُ … والفـرق كـلُّ الفـرق عنـد أدائـه

هـل كنـت لـو نُجِّيـتَ إلا سـاخراً … مـن حكـم دهـرك.. سـادراً بشـقائه

صـــبراً أبـــاهُ وإن دهـــاك برزئـــه … دهـــر يـــذوب الصـــبر في أرزائـــه

أخـــذ الإلـــه وأخـــذُه أجـــرٌ كـــما … أعطـــى وكـــان الفضـــل في إعطائـــه

ولـــربما جـــزِع الفتـــى مـــن علّـــة … كانـت سـبيلَ الشـكر عنـد شِـفائه

صبراً وشافع من تسمّى « محسنا » … أمـلٌ بحســـن الصـــبر عنـــد بلائـــه

بالخلـد عـن هـذي الحيـاة تصـبراً … يُغنـــى وعـــن أكـــدارها بصـــفائه

إني نظمـــت الـــدمع فيـــه قصـــيدة … لمـــا وجـــدت القـــول دون رثائـــه

وعلمـت أن الخلـد ملـك « محمـد » … فعســى أكــون هنــاك مــن شــعرائه

صـبراً وإن ذهـب « العـليُ » وأنـتم … « بسـعيد » هـذا الجيـل مـن سـعدائه

وبعد عام على الوفاة نُقِلَ جُثمان الفقيد من البصرة إلى النجف.. فأقام والده مجلس الفاتحة.. فنظم الجواهري قصيدة أخرى منها:

أُعِيدَ لأهله نعشُ الفقيد فعدنا للصبابة من جديد
أُعِيدَ لأهله صعدا ولكن أُعيدَ من الصعيد إلى الصعيد

***

على حدود فارس

أحبابنا بين محاني العراقْ كلفتُمُ قلبيَ ما لا يُطاق
العيشُ مرٌّ طعمهُ بعدكم وكيف لا والبُعْدُ مرُّ المذاق
أمنيَّةٌ تَستاقُها شقوة آهٍ على أمنيَّةٍ لا تُعاق
كلُّ لياليكُمْ هنيئاً لكم بيضٌ ودَهري كلُّه في مِحاق
لي نَفَسٌ كيف بتَصعيده والشوقُ مني آخِذٌ بالخِناق
الله يَرعَى «حَمَداً» أنه غادرني ذكراه رهنَ السياق
هل جاءه أن أخاه متى يَذكرْه يَشَرقْ بدموع المآق
يكفيكُمُ من لوعتي أنني في فارس اشتاقُ قُطرَ العراق
لا سوحُها وهي جِنان زَهَتْ بكلِّ ما رقَّ جمالاً وراق
ولا الربى مخضّرة تزدهي حسناً حواشيها اللطافُ الرِقاق
خُطَّتْ على أوساطها خضرةٌ سبحان من قدّر هذا النِطاق
تنال من شوقي وهل سلوةٌ لمن قضى اللهُ له أن يُشاق
صبَّ الشتاء الثلج فوق الرُبى يرفعُه فيها طباقاً طباق
حتى إذا الصيفُ انبرى واغتدتْ تُصَبِّحُ الأرض بكأسٍ دِهاق

هــبَّ علــيلاً ريحُهــا لا صَــحَا ... ومــاسَ سُـكراً روضُــها لا أفــاق

أحســن مــا في وجـهِ هــذا الثـرى ... عيونُـــه لا رمُيـــتْ بانطبـــاق

تجــري وتجــري أدمعـــي ثـــرةً ... وأدمُعـــي أولى بشـــأو السـباق

لمُ يحــي هــذا المـاءُ مَيْــتَ الثَـرى ... لــو لم يكــنْ مــاءُ حيــاةٍ يُــراق

ذكـــرتكُمْ والـــنفسُ مســـحورةٌ ... وللخُطـى بـين المـروج اسـتراق

لـيس يقـي الـنفْسَ امـرؤ مـن هَـوى ... إلا إذا كــانَ مـــن المـــوت واق

***

الذكرى المؤلمة

أقــول وقــد شــاقتنيَ الـريحُ سـحرةً ... ومَنْ يـذكرِ الأوطـانَ والأهـلَ يَشْـتَقِ

ألا هــل تعــودُ الـ[illegible] بعــد تشـتُّتٍ ... ويُجْمَـعُ هـذا الشـملُ بعـدَ تفـرُّق

وهـل ننتشي ريـحَ العـراقِ وهـل لنـا ... ســبيلٌ إلى مــاء الفــرات المصــفَّق

حبيـــبٌ إلى ســـمعي مقالـــةُ « أحمــدٍ ... أأحبابَنــا بــين الفــراتِ وجِلَّــق »

فــو الله مـــا روحُ الجنـــان بطيِّـــبٍ ... ســواكم ولا مــاءُ الغــوادي بريــق

ووالله مـا هـذي الغصـونُ وإن هَفَـتْ ... بـأخْفَقَ مـن قلبـي إلـيكم وأشـوق

شربنا عـلى حكـم الزمـانِ مـن الأذى ... كؤوســاً أضرت بــالشراب المعتــق

فــما كــان يَهنيــه صَــبوحٌ ومغبــقٌ ... فـإن مـن البلـوى صَبوحي ومغبقـى

خلــيليَ لا تُلْحــى ســهامُ مصــائبٍ ... أُتيحت فلــولا حكمــة لم تُفَّـــوق

تعنـــف أحكـــام القضـــاء حماقـــة ... كــأن القضــاءَ الحـتمَ لـيس بـأحمق

كفـى مخـبراً بالحـال أنْ لـيس مُنيـةٌ ... لـــنفسيَ إلا أن نعـــودَ فنلتقـــي

ومــا فــارسٌ إلا جنــانٌ مُضــاعةٌ ... ويــا رُبَّ خمْــرٍ لم تجـد مـن مُصـفق

هنيئاً فلا مسرى الرياح بخافتٍ ... وبيٍّ ولا مجرى المياهِ بضيّق
أتى الحسنُ توحيه إليها من السما ... يدُ الغيث في شكل الكمام المفتَّق
مضى الصيفُ مقتاداً من لحسن فيلقاً ... وجاء الشتا زحفاً إليها بفيلق
كأن الثلوجَ النازلاتِ على الرّبى ... عمائمُ بيضٌ كُوِّرتْ فوق مَفْرِق

***

على كرند

خليليَّ أحسنُ ما شاقني ... بفارس هذا الجمال الطبيعي
إلى الآن تجري مُتون الجبال ... علينا بمثل مذاب الدُّموع
هَلُما معي نحو هذي الرياض ... نجددْ عهوداً بفصل الربيع
فقد أضحتِ الأرض مخضرةً ... تَضاحكُ عن شمل حسن جميع
ومهلاً فظلمٌ لهذا الجمال ... نمر عليه بلحظٍ سريع
خليليَّ إن جيوش الغَمام ... عرفن لفارسَ حسنَ الصنيع
ألم تريا كيف ضَرْعُ الغمام ... يرِق لهذا النبات الرضيع ؟
ولِمْ لا تريع بأريافها ... بلاد تسيل بماء مريع؟
خليليَّ ما في بِقاع الوجود ... أبهجُ من وشي هذا البقيع
بني الفرس فارسُكُمْ لا العراق ... وزاهي رُبوعكمُ لا ربوعي
وما أبهج الشمسَ عند الغروب ... يحيي رُباها وعند الطُّلوع
خليليَّ ما غيرت فارسٌ ... محل البصير بكم والسميع
ولو شئت حملت برقية ... تُزَفُّ لكم من رجيف الضُّلوع

***

الريف الضاحك

كلُّ أقطارِكِ يا « فارسُ » رِيفُ | طـابَ فصـلاك ربيـعٌ وخريـفٌ
لا عرَتْ أرضكِ من لطفٍ فقد | ضَـمِنَ الحسـنَ لهـا جـوٌ لطيـف
يـا رِياضـاً زهَـرَتْ في فـارسِ | شـكرَتْكنَّ عُيـونٌ وأُنـوف
مـثلَّما للقلـبِ مـن حـرِّ الجـوي | رقَّـةٌ للطـيرِ فـيكنَّ رفيـف
ألشيءٍ غـيرَ أنْ نقطِفَـه | ثمـراً غضّـاً دنـتْ منـكِ القُطـوف
نزلـتْ ضـيفاً بهـا أرواحُنـا | فَقَرَتْهـا خـيرَ مـا تُقـرى الضُّـيوف
مِـن جمـال خُـط معنـاهُ عـلى | فـارسِ واختصَّـتِ الأرض حـروف
وخيَـالٍ تُطـربُ الـنفسَ بـه | هِـزَّةُ الـروضِ ويشـجوها الحفيـف
صَـنعةٌ للفـرسِ في الـوشي ولا | مثـلَ مـا وشَّـى بهـا الـروضُ المفـوف
لـذَّ مشـتاها فأنسـانا بـما | هـزَّ منّـا أنَّـه لـذَّ المصـيف
مـا لأكنـافِ الرُّبـى مبيضَّـةً | أتُراهـا بُـدِّلت منهـا الشُّـفوف
أمْ هـو الشـيبُ دَهاهـا عَجبـاً | شـيَّبت حتـى الرُّبـى هـذى الصُّروف
إنـما جلَّلهـا الـثلجُ الـذي | غُمِـرتْ منـه جبـالٌ وكهـوف
فـارِسٌ أيـنَ وأُلافُ الصِّبـا | أوَ هـلْ يبقـى عـلى النـأي أليـف ؟
أمـن النـاسِ تُرجِّـي صـفوةً | عنـكَ يـا ناشـدُ فـالحيُّ خَلـوف
لا تعُـدْ تسـلُكُ فيهـا قفـرةً | فطريـقُ الـودِّ في النـاسِ مَخـوف
كـلُّ هـذا وهـو يـومٌ واحـدٌ | كيـف لـو مـرَّتْ مئـاتٌ وألـوف
قـد تَناوَمنـا عـلى رغـم الكـرى | لنـراكمْ .. أفـلا طيـفٌ يطـوف
سِـمةٌ للشـوقِ كانـتْ سـبباً | لسؤالِ النـاسِ : مَـنْ هـذا النحيـف؟

لا تقولــوا وَحــدةٌ تُوحِشُــه ... كيـف يسـتوحشُ والشـوقُ رديـف

أيهــا الخَضْرُ وفي أبيــاتكم ... أوجـه تُفـدى بـها ضـم النصيـف

لم يفتهــا تــرف الظــل ولا ... نـال مـن أوراكهـا السـير الوجيـف

حبــذا حــبُّكُمُ مــن معهــدٍ ... كــم نــما فيــه أديــب وظريــف

***

بين قطرين

سقى تُربَها من ريِّقِ المزن هطّالُ ... ديـاراً بعـثْنَ الشـوقَ.. والشـوقُ قتـالُ

خليليَّ أشـجَى مـا ينغِّص لـذتي ... مَنــاخٌ أقامتــه عيــالٌ وأطفــال

وأيــد وأجيــادٌ تُمَــدّ وتلتــوي ... ومــنهن حــال بالــدموع ومعطــال

خليليَّ لـو لم يَنطـق الوجـدُ لم أقـل ... فقـد كـذَّبت قـبلي لـذي الحـبّ أقـوال

وحيداً فلو رُمتم على الوجد شاهداً ... لمــا شَــهِدت إلا بُكــورٌ وآصــال

وما برِحت أيدي الخطوب تنوشُني ... بفــارسَ حتــى بغَّــضَ الحـلَّ ترحــال

ومـا سرني في البُعـد حـال تحسَّـنَتْ ... بــلاديَ أشــهى لي وإن ســاءتِ الحــال

فمـن شـاقه بَـردُ النعـيم بفـارسٍ ... فــإني إلى حَــرِّ العــراقين ميّــال

أُحـب حصـاها وهـو جمـر مـؤجَّج ... وأهــوى ثراهــا وهــو شَــوكٌ وأدغــال

وإني عــلى أنَّ الــبلادَ جميلــةٌ ... تـروق كـما ازدادت مـن الـدلِّ مِكسـال

منعَّمــة أمــا هواهــا فطيّــب ... نسـيم وأمــا المــاءُ فيهــا فسَلســال

يسـيل عـلى أجبالهـا وهـو لجّـةٌ ... ويجـرى عـلى حَصبائها وهـو أوشـال

تحـيط بـه خُضرُ الريـاض أنيقـةً ... كـما رُقِمـت فـوق الصـحائف أشـكال

أحـنُّ إلى أرض العـراق ويعـتلي ... فــؤادي خُفــوقٌ مــثلَما يَخفُــق الآل

وماالهول غِشيانَ الدروبِ وضيقُها　　عراكُ الهوى والوجدُ والذكرُ أهوال
خليليَّ أدنى للبيب رُقيُّهُ　　إلى النجم من أن يَسلَم العزُّ والمال
ألا مُبلغٌ عني « المعرِّيَ » أحمداً　　ليسمَعَه والشعر كالريح جوّال
بأني وإيّاه قريننا مصائبٍ　　وإن فَرَّقت بين الشعورينِ أحوال
وإني وإياه كما قال شعره　　«مغاني اللوي من شخصكَ اليوم أطلال
« تمنيت أن الخمر حلَّت لنشوة　　تُجَهِّلُني كيف استقرَّت بيَ الحال »
أحباي بين الرافدين تيقَّنوا　　بأني وإن أُبعِدتُ عنكم لسّآل
لئن راقكم ماءُ الفرات وظلّلتْ　　عليكم من الصَفصاف والنخل أظلال
فإنيَ من دمع عليكم أُذيله　　شَروبٌ ومن سَوداءِ قلبي أكّال
لقد كان هذا القلب في القُرب مضغة　　وها هو من بعد الأحبَّة أوصال

***

الأحاديث شجون

جَدِّدي ريحَ الصبَا عهد الصِبا　　وأعيدي فالأحاديثُ شُجونُ
إن أباحتْ لكِ أربابُ الهَوى　　سِرَّه فالحكمُ عندي أن يصونوا
جدِّدي عهدَ أمانيه التي　　قُرِنَ العيشُ بِها نِعمَ القرين
يومَ كنّا والهوى غضٌّ وما　　فُتِحَتْ إلاّ على الطُهْر العُيون
ما عَلِمنا كيفَ كُنّا.. وكذا　　دينُ أهلِ الحبِّ والحبُّ جُنون
أشرقَ البدرُ على هذي الرُبى　　أفلا يُخسِفُه منكُمْ جَبين
جَلَّ هذا الجِرمْ قدراً فلقد　　كادَ يهتزُّ له الصخرُ الرزين
كل أوقاتيَ رهنٌ عندَه　　الدجُى.. الفجرُ.. الصبحُ المبين

سَـألونا كيـف كنـتم ؟ إن مَـنْ ... دأبُـه ذكـرُكمُ كيـفِ يكـون !

هـوَّن الحـبَّ عـلى أهـل الهَـوى ... أن تَـركَ الحـبِّ خطـبٌ لا يهـون

مـا لُهـمْ فيـه مُعينـونَ ومـا ... لـذَّةُ الحـب إذا كـان مُعين

ميَّـزَت مـا بـين أربـاب الهـوى ... ودَعـاويهم : وجـوهٌ وجُفـون

وهـواكُمْ لا نَقَضْـنا عهَـدكُمْ ... وَضـمينٌ لكُـمُ هـذا اليمـين

أيفـى الـنجمَ فيبقـى سـاهراً ... مُحيـاً سـودَ الليـالي ونخـون

شَرَعٌ في النـاس والـدينُ وعـودٌ ... عـم فيهـا الخُلْـفُ والوعـدُ ديـون

أيـن مـن يُرضـيكَ منـه حـاضِرٌ ... وهـو في عِرضِـكَ إن غبـتَ ضَنين

فعـلى الخـير يقـينٌ ظَنُّـهُ ... وعـلى الشرِّ فكـالظنِ اليقـين

جـدِّدي كيـف اطِّراحـي فارسـاً ... ولمـرأى وَطَنـي كيـفَ الحنـين

وَسـلي قلبـيَ لِمْ ضـاقتْ بـه ... فـارسٌ وهـي ريـاضٌ لا سُـجون

ضَحِكَت فيهـا من الـروض وجوه ... وجَـرَت بالسَلْسَـلِ العَـذبِ عُيـون

واكتَسَـتْ بالحسـنِ هامـاتُ الرُبى ... كـيفَما شـاءَ لهـا الغيـثُ الهَتـون

حبـذا فـارسُ مـن مُسـتوطَنٍ ... عافَـه الأهـل وخـلاّه القَطـين

أفَهـذا قصرُ « فَرهـادِ » الـذي ... جمعتـه مـع « شـيرينَ» المَنـون

مـثَّلا للحـبِّ دوراً طـاهراً ... لم يَشُـبْ أثوابَـه البـيضَ مُجـون

لـيس منـه غـيرُ رسـم دارسٍ ... مُخـبِراً أنَّ رَحـى الـدهرِ طَحـون

أولا كسرى ولا أجنـادهُ ... خُلِّيَـتْ مـنهم قِـلاعٌ وحُصـون

سـلَفَت فـيهم سـنونٌ تَرفـاً.. ... واتَـتهْم بالبَلِّيـات سـنون

وكـذا الـدهرُ عـلى عاداتِـه ... إن صَـفَا حيـنَ نبـا والتـاث حـين

جـدِّدي ذكـرَ بِـلادي إنَّنـي ... بهواهـا أبـدَ الـدهرِ رَهـين

أنـــا لي دينـــان : ديـــنٌ جـــامع ... وعراقـــي وغَرامـــي فيـــه دِيـــن

القـــوافي أدْمُـــعٌ منظومـــةٌ ... والأناشـــيدُ بُكـــاءٌ وحَنـــين

كيـــف لا تُحـــزنكُم أُهزوجـــةٌ ... كـانَ مـن أوتارهـا القلـبُ الحـزين

اكـــسُ يـــا ربِ بـــلادي رحمـــة ... وحنانـــاً.. مـــثلما يُكسَـــى الجنـــين

امـحُ عنهـا ذُلَّ إرهـاقِ العِـدى ... أنهـــا مـــا عُـــوِّدَت عـــاراً يَشـــين

يـــا مُـــدانينَ أضـــاعُوا وطنـــاً ... هـــو للـــحشرِ بمـــن فيـــه مـــدين

أيـــن كـــانَ الـــوطنُ المحبـــوبُ إذْ ... قَلَّـــتِ الزينـــةُ مـــالٌ وبَنـــون

لـيسَ يخفَـى أمـركُم مـن بعِـدما ... قَلَّبَـــت منـــه ظُهـــور وبُطـــون

كـــم يُـــروى منفوخـــةً أوداجُـــهُ ... مـــن نِعـــاجِ هُزِلَـــتْ.. ذئـــبٌ ســـمين

تَـــبخَس الأوطـــان ظلـــماً حقهـــا ... ثـــم لا يُســـترخَصُ العمـــرُ الثمـــين

هـــذه بغـــدادُ.. هـــذا كرخُهـــا ... ..هـــذه دجلـــةُ والمـــاءُ المَعـــين

هـــذه الـــدورُ التـــي شـــيَّدها ... للسَّـــما « مســـتنصرٌ » أو « مســـتعين »

كلهـــا تُصـــبحُ إرثـــاً ضـــائعاً ... ليَـــنُح « هـــارونُ » وليبـــكِ « الأمـــين »

لـــيس تنفـــكُّ بـــلادي كلُّهـــا ... يَـــبَسٌ أو كلُّهـــا مـــاءٌ وطـــين

دجلـــةٌ والنيـــلُ والشـــامُ معـــاً ... و«الصَّفا» تندُبُ شـجواً و« الحَجـون»

قُطِّعَـــتْ أوصـــالُها.. وافترقـــتْ ... فشِـــمالٌ لـــيس تـــدري ويَمـــين

***

وفى الربيع

غَـــدرَ الصِـــبا وَوَفى الربيـــعُ لريفِـــه ... شـــتانَ بـــين أليفنـــا وأليفِـــه

عـــادت لتفويـــفِ الصـــبا أزهـــارهُ ... أتـــرى صـــبايَ يعـــود في تفويفـــه

سقياً لشرقيِّ الرُصافة إذ صَفَا ... عيشٌ بمرتَبَع الهَوى ومَصيفه
من سفح دجلةَ حين رق نسيمهُ ... سَحَراً وراقت دانيات قُطوفه
أحبابَنا في الكرخ هل من زورةٍ ... لنَحيل جسم بالفراق نحيفه
أهوَى لأجلكُمُ العراقَ فمُنيتي ... في قُربكم لا خصبِه أو ريفه
لي فيكُمُ قَمرٌ يُهيِّجني له ... إن البِعادَ يَروعُني بخُسوفه
ومسجفٌ لو لم يُحَجَّبْ كانَ مِن ... زفراتِ أنفاسي بمثل سُجوفه
متنقلُ الأفياء شْيَّعَ ركبَه ... نَفسَي يُناطُ بسَيره ووُقوفه
يَلوي الوعودَ فلا تُزَرُّ جيوبهُ ... إلاّ على نزْرِ الوفاء ضعيفه
ما الطيرُ حامَ على الغدير فراعَه ... وحشٌ فظَّل يحوطهُ برفيفه
ظمآنَ لا وِردٌ سواه فَينثني ... عنه ولا يسطيع خوض مَخوفه
يوماً بأولعَ من فؤادي إذ نأوا ... عنه بمجدولِ القَوام رهيفه
لا تُنكروا قلبي الخَفوقَ فإنما ... هي مهجةٌ قد عُلِّقت بشُفوفه
ما هاجَ قلبَ الصبِّ إلا الصدغُ في ... تشويشَه والشَعرُ في تصفيفه
أرَّقْتَ طَرْفاً لم تَرِقَّ لقَرحه ... وأخَفْتَ قلباً لم تُرَع لحفيفه
الله يشهدُ أنني ألقىَ الهوى ... بلسانِ فاسقِه وقلبِ عفيفه
إني وإن كانَ التصابي هفوةً ... مني وكم ساع لجلبِ حُتوفه
لأحِنُّ للعهد القديم صبابةً ... كحنين إلفٍ نازح لأليفه
ولئن سلوتُ ففي التهاني سلوةٌ ... « بمحمد » صَفْوِ الندى وحليفه
يا بن « الحسينِ » وأنت تخلُف ذكرَه ... أكرمْ بمخلوف مضى وخليفه
سرَّت ثراه بروقُ عرسِك فاغتدت ... عنه وذكر هناكَ أُنسُ مخوفه
بك في «العلي» عن «الحسينِ» تصبرٌ ... بممجدٍّ ثبتِ الجنان رؤوفه

لا تُجهِـدنَّ الشـعر يـا نَظامَـه فصـفاتُه تُغنيـك عـن تَوصـيفه
جَـمٌّ النَـدى أنسـاه عـن عثراتـهِ في الجـودِ بـذلُ مثاتـهِ وألوفـه
طَـرِبٌ يُغَنيِّـه سَـميرُ ضـيوفه لا « معبـدٌ » بثقيلِـه وخفيفـه
شَـيمٌ أنـافَ تليـدُها لطريفهـا فسـما بهـا بتليـده وطريفـه
يـا ابـنَ النبـيِّ وتلـك أشرفُ نسبةً ومُضـافُ مجـدٍ ينتمـى لمُضـيفه
لم يُـرغَم الحسّـادُ إلا مفخـراً أغنـاهُم التنزيـلُ عـن تحريفـه
شَرَفٌ محـلّ الشـهب دونَ محَلِّـه ومُنيـفُ بُـرج الشـمسِ دون مُنيفـه
بيـت بـه طـاف العُفـاةُ ففضـلهُ بـاد كفضـل البيـت في تَطويفـه
يَغديكَ من ضربَت به المثلَ الورى نُجلاً فقُرصُ الشمس قُرصُ رغيفه
سَـحَّت عطايـاه فـما مـن نـاظرٍ ألا تمنـىَّ الطيـفَ مـن مَعروفـه
لـو رام يمحـو البخـل عنـه مُدافعٌ عكفـت طبيعتُـه عـلى تعنيفـه
ويقـولُ إن قـالوا تصرف درهـمٌ ليـت الجمـودَ عَـداهُ عـن تصريفـه
ولقـد أراكَ وللبراعـةِ مَسرحٌ في القـول بـين غريبِـه ولطيفـه
قَلَـمٌ سـقاهُ فـيضُ كفِّـك فالتقَـت بـيضُ الأمـاني بـين سـودِ حُروفـه
لـدنٌ إذا مـا الـدهرُ جَـد فهـزَّة في طِرسـه تكفيـكَ ردَّ صُروفـه
مـا جـال في جَلبَات طِرسِـكَ سـابقاً إلا وجـاءَ مـن النَـدى برديفـه
كـم مُشـكلٍ مُسـتَنبَط بدقيقـهِ وسـمينِ خطـبٍ مُـذعنٍ لعجيفـه
كالسـيلِ في تحـديرهِ.. والسـيفِ في تطبيقِـه.. والـرُمح في تثقيفـه
وكأنـه بـين السُّـطور مـدَّبرٌ للجـيش أعَجَبـه انتظـامُ صُـفوفه
معـروفُ شـعري في مـديح محمـدٍ أزْرَت بدائعُـه عـلى « معروفـه »

نَفَسٌ شأى نَفَسَ الكهول وإنما ... ظَرْفُ الشباب يلوحُ في تفويفه
وقصائدٍ رَّقتْ فكان مدبُّها ... كالخمر من ثَمِلِ القَوام نزيفه
أسِفَ الحسودُ بما علون وإن أعِشْ ... لأطَولنَّ بهن حزنَ أسيفه
إن زِينَ قومٌ بالقصيد فإنني ... باسمي يزانُ الشعرُ في تعريفه
دمتُم ودام المجد في تشريفه ... جُوداً.. ودامَ الفضلُ في تأليفه

***

تحت الرسم

أأحمدُ ما أَبْثَثْتُكَ الهمَّ والجوى ... مكاشفةً إلا لأنك « عارفُ »
ألا لا تَنَلْ شكوايَ منكَ فإنها ... تُؤلِّمُ حتى الصخرَ هذي القذائف
يقولون « مطبوعُ القريض لطيفُه » ... فهل قوبلت باللطف تلك اللطائف
ألا لو يبوحُ الشعر مني بما انطوى ... لهَبَّتْ على هذي الطُروس العواطف
سيُغنيك رسمي عن أمور كثيرة ... فظاهرُهُ عن باطن الأمر كاشف

***

على الخالصي

صدقْتَ يا برق بهذا النبا ... ومن ليَ اليوم بأن تكذَبا
من هِزة الحزن غدا خافقاً ... سلكك أم من هِزة الكهرُبا ؟
طارت بيوم النَّحس برقيةٌ ... آه على الآمال طارت هبا
شقّت على الأسماع أصداؤها ... وهز فيها المشرقُ المغربا
موجزةُ اللفظ وداعي الأسى ... بالحزن في أثنائها أطنبا

تكــاد أن تَمــرُقَ مــن سـلكها ... لــو وجــدت مــن بينــه مهربــا

علـماً بـما تحمـل مـن خطـرة ... بــالرغم أن تقــرأ أو تكتبــا

لســانُها الأخــرسُ مــن حَلِّــه ؟ ... ولفظُهــا المعجــمُ مــن أعربــا؟

قُـومي ألـبسي بغـدادُ ثـوب الأسـى ... إن الــذي ترجينــه غُيِّبــا

إن الــذي كــان سراج الحمــى ... يشــع في غيهبــه كوكبــا

بــات عــلى نهضــة أوطانــه ... ملتهــب الجمــرة حتــى خبــا

قصرَّ مــن أيامــه همُّــهُ ... أن يُنقِــذ المــوطن والمــذهبا

قــومي افتحــي صــدرك قــبراً لــه ... وطرزيــه بــوُرود الرُّبــى

خُطــي عــلى صــفحته« هكــذا ... يُرفــع مــن مــات شــهيدَ الأبــا»

ودرِّسي نشــأك تاريخَــه ... فــإن فيــه المــنهج الأصــوبا

رُدي إلى أوطانــه نَعشَــه ... لا تــدفني في فــارس « يعربــا »

لا تــدعي فــارس تختصــه ... فالولــد الــبَرُّ لمــن أنجبــا

شــمس أضــاءت ههنــا حقبــة ... وهــي هنــا أجــدر أن تغرُبــا

كــان يهــزُ الصُلــب مــن غالــب ... ويــدفع المغلــوب أن يغلبــا

يُهيب بالطالـب أن يركـب الأخطارَ ... حتــى يبلُــغَ المطلبــا

لا يــأتلي ينشُــد حقــاً ولا ... ينفــك أن يُغضــب أو يغضــبا

كــان صــليب العــود في دينــه ... وكــان في آرائــه أصــلبا

يمنعــه المبــدأ أن ينثنــي ... والــدين والجَــرأةُ أن يكــذِبا

عــفَّ عــن الــدنيا ســوى خُطــةٍ ... يــذبُ عنهــا وكفــى مأربــا

ورابــط الجــأش متــى مــا يشــأ ... جهَّــز مــن آرائــه مقنبــا

يبغضـــه المعجـــب إذ أنـــه أخـــو اتضـــاع يـــبغض المعجَبـــا

محّــص بالتجريـــب أيامـــه وكـــيِّسُ الأقـــوام مـــن جربـــا

يكـــاد أن يُشرب مـــن رقـــة ومـــن جمـــال الـــروح أن يُنهبـــا

شـــاء العـــلى والمجـــد أن يجـــتلى وشـــاءت الأقـــدار أن يُحجبـــا

تنـــازع للكـــون في أهلـــه صـــير منـــا الحـــوَّلَ القُلبـــا

مـــا الجـــود في أعمارنـــا طولهـــا وإنـــما الجـــود بـــأن توهبـــا

ســـيان طـــال العمـــر أو لم يطُـــلْ مـــا دامـــت الغايـــة أن يســـلبا

ســـمعاً زعـــيم الـــدين مـــن نـــادب عـــزَّ عليـــه ليـــوم أن تنُـــدْبَا

اليـــومَ يَرثيـــك وفي أمســـه كـــان يُغنيـــك لكـــي تَطْرَبـــا

كـــان ومـــا زال بأنفاســـه ينفُـــث كـــالجمر وقـــد ألهبـــا

مـــا دأبـــه العجـــب ولكـــن كفـــى أنـــك قـــد كنـــت بـــه معجَبـــا

بكـــل غـــراءَ إذا أنشِـــدت تلهـــي العطـــاش الهـــيم أن تشربـــا

تـــزري عـــلى الشـــمس إذا أشرقـــت وتغـــرُب الشـــمس ولـــن تغربـــا

مـــن أيـــن ســـارت وجـــدت قـــائلاً أهـــلاً وســـهلاً مرحبـــا مرحبـــا

إيـــهٍ بـــلادي هـــل يَقيـــك الأذى أني انتضـــيت المقـــول المِقْضـــبا

تعيـــا القـــوافي أن تصُـــدَّ الجـــوى يغـــلي.. ويعيـــا الـــدمعُ أن ينضُـــبا

شـــيئانِ مـــا مـــثلهما لـــذةً في الســـمع ذكـــراك وذكـــرُ الصِّـــبا

مـــن فلَـــذِ القلـــب وأنياطـــه حـــقٌ لتمثالـــكَ أن يُنصـــبا

***

بعد الفراق

خليليَ سلِّ القلبَ عن هذه البلوى | وناج فإنّ الهمّ تدفَعَه النَّجوى
ألا لو وجدنا عن أذانا محامياً | أقمنا على الدهر الذي ضامنا الدعوى
سل الفَلَكَ الدوارَ يرفقْ بسيره | فإنا بَلَغْنا للأذى الغايةَ القصوى
نأت دجلةٌ عني وبانت ضفافُها | وأبعدَ ذاك الروضُ ذو المنبتِ الأحْوى
فوالله لا أقْوى على ما تَهيجُهُ | لقلبي من الذكرى ويا ليتني أقوى

***

سيصدني وأصده

شرٌ تمادى حَدُّهُ | سيصُدني وأصُدُّهُ
أما العراقُ فجُرحُهُ | مني وعندي ضَمْده
سيف يُسلُّ على بلادي | ليت قلبي غِمده
ماج الفراتُ فلم يُطِق | صبراً عليه سدّه
مهتاجُ عزم عكسُهُ | يُوهي الجليدَ وطرده
هذي حماسة ثائر | عَزْمُ الإله يَمُدُّه
يا بانياً مُلكاً تعالى | فوق مجدي مجده
وطني وعندي شوكُهُ | أسفاً .. وعندك ورده
هذا الربيع لكم.. ولي | حرُّ العراق وبرده
آليت أني حربُ من | ناوى البلاد وضده
هذا اليراع ذبابه | للذَّب عنه أُعده

وخـــــــذوا لســــــاني إن تبــــدَّل أو تحـــوَّل عهـــده

***

سجين قبرص

هـــي الحيـــاة بـــإحلاءٍ وإمـــراءٍ تمضي شـعاعاً كزَنـد القـادح الـواري

ســجيَّةُ الــدهر والبلـوى سـجيتُه تَقَلُّـــبٌ بـــين إقبـــال وإدبـــار

لم يدر مـن أحسنوا صُنْعاً لغيرِهُمْ بـــأنَّ عقبـــاهُمُ عُقْبـــىَ سِـــنِمّار

ود الأبـاة وقـد سـيموا مناقصةً في الـرُوح لـو أبـدلوهم نقـصَ أعـمار

مَـن ضـامِنٌ لـك والأيـام غـادرةٌ أن لـيس ينشُـب فيك السَهم يـا باري

مـا للتمـدُّن لا ينفـكُّ ذا بِـدَعٍ في الكـون يـأنَفُ منها وحشةُ الضاري

كم ذا يُسمُّون أحراراً وقد شَهِدَت فِعـالهم أنهـا مـن غـير أحـرار

مـا للجزيـرة لم تـأنسْ مرابعُهـا بعـدَ الحُسـينِ ولم تحفِـلْ بسُـمّار

مُغـبرَّةٌ خلَّـفَ الليـل السـوادُ بهـا أو جلَّلتْهـا سـماءُ اهـمٍّ بالقـار

لِمْ لا تشَـبُّ بهـا نـارٌ أكلُّهـم ألهـاهُمُ الحـزنُ حتـى موقـدو النـار

يـا مهبطَ الـوحي للتـاريخ معجـزةٌ سَـلي تحـدِّثْكِ عنهـا فُوهـةُ الغـار

لله عنـدَكَ بيـت سـوف يكلـؤهُ ـن أن يُبـاح لأشرار وكُفّـار

تلـك السُنونَ بآثـارٍ مضت وأتـت هـذي السنونَ تُبَغْـي محـوَ آثـار

أمـا بنـوكَ فهـم جـيرانُ ربهُـمُ وربُّهـم خـيرُ مـن يَحمـي حِمى الجـار

دارٌ بـدَّيارها مـن طـارق حُفِظَـت وطالمـا حُفِظَـت دار بـدّيار

شـيخ الجزيـرة أنـت اليـوم مُـرتَهَنٌ بحسـنِ فِعلـك مـن صِـدقٍ وإيثـار

لتحمـدَنَّ مـن الـدنيا عواقبَهـا فقـد أرينَـكَ عُقبـى هـذه الـدار

خُودعت عنها وليستْ لو علمتَ مراسح همُّها تمثيلُ أدوار
تغشى العيونَ بتدليس محاسنُها وتستكنُّ المساوي خلف أستار
يا حاملين على الأمواج عزمتَه قابلتُمُ البحرَ تيّاراً بتيّار
هل بلَّغتْ قبرصٌ عن ضَيف بُقعتِها بأنّه أيُّ نَفّاع وَضرّار
كمثل ثائرٍ ذاك الموج ثورتَه يوم استشاط وهاجَتْ سورة الثار
يامن يُجِلُّ شعارَ الدين مستمعاً لله آياتُ إجلالٍ وإكبار
حتى على البحر للتكبير مأذنةٌ تقامُ كلَّ عشيات وإبكار
الله أكبر ردَّدها فإن بها خواطراً ورموزاً ذات أسرار
مما يعيد إلى التاريخ روعتَه تخليدهُ ملكاً في زيّ أحبار
من سيئاتِ ليالٍ جلَّ ما صنَعَت سوءاً بليةُ وفّاء بغدّار
يا ناهضاً بأباةِ الضيم منتفضاً عن أن يَمُدَّ يداً للذُل والعار
في ذمة الله والتاريخ ما تَركَت أيامُك الغُرُّ من محسود آثار
إن لم يقيموا لك الذكرى مخلَّدةً فحسنُ فعلك فينا خيرُ تَذكار
لو تبتغي بغنى عن عزةٍ بدلاً لكنتَ ذا نَشَبٍ جَم وإكثار
نهضاً بني العَرَب العَرْباء أنكُمُ فرائسٌ بين أنياب وأظفار
أرقدةٌ وهوانا أن بعضَها مما يَفُتُّ بأصفادٍ وأحجار

***

تحت ظل النخيل

مَرَّ النَّسيمُ بريّاكم فأحيانا فهل كذكراكُمُ في القلب ذكرانا
من مُبلغُ الجاعلين اللهَو مركبَهُمْ أما ركبنا بحارَ الهمِّ طوفانا

إنا سرينا على الأمواج تحملنا ... وباسْمِكم بعد اسم الله مسرانا
ما للدجى هادئاً تزري كواكبه ... بنا وقد هاجَتِ الأمواجُ شكوانا
لا تسألوا عن جمال البدر يَبْعَثُهُ ... فذاك إلا عن الأحباب ألهانا
هذي النجومُ وما خلق سُدى.. ... أنسُ المحبين نرعاها وترعانا
يا حبذا هذيانُ العاشقين بكم ... لا شيءَ أفصحُ عندي منه تبيانا
وحبذا تحت النخل مُصْبَحُنا ... بدجلةٍ وعلى الأجرافِ مُمْسانا
وليت من دجلةٍ كأساً تصفقه ... أمواجُها بالرحيق لصفْوِ ملآنا
يا من ذكرناه والألبابُ طائشةٌ ... ظلم على خطرات الأنس تنسانا
ما مَسَّ إلا على طُهْرٍ غرامُكُم ... قلبي لأني أعد الحب قرآنا
آنست في غربتي حبّاً يُبدِلُني ... بالأهل أهلاً.. وبالجيران جيرانا
سِيّانِ فيها جنى صحبي ودهرُهُمْ ... كلُّ أرانا من التعذيب ألواناً
لا تحسبوا العدَّ بالأرقام يُسعدكم ... تحصى النجومُ وما تُحصى بلايانا
الروحُ جارت علينا في محبتِكم ... وطالما أشقَتِ الأرواحُ أبدانا
والحب أرخص من أقدارنا بكم ... لولا هوانا بنا ما كان أغلانا
نَعِمْتُمُ وشَقِينا في الهُيام بكم ... شتانَ ما بينَ عُقباكُمْ وعقبانا

***

الساقي

لا تَعدُكم سُننُ الهوى وفُروضُهُ ... فالروضُ يضحك للغمام أريضُهُ
ما أبهجَ الزهرَ المرقرقَ في الضحى ... يجلو العيونَ شعاعهُ ووميضه
والروض شعَارٌ له من وَردِه ... نَفَسٌ ومن سجع الطيور قريضه

والجـو محتشـد الغيـوم رُواقـه — بيـد الريـاح متـى تشـأ – تقويضـه
وكـأنّما جـاء الربيـعُ إلى الثـرى — بالحسـن عـن سَـمج الشـتاء يَعيضـه
والكـأسُ يجلوهـا أغـنُّ يكـاد مـن — فـرْطِ النُعـاس يـؤودهُ تغميضـه
راضـت محاسـنُه النفوسَ فأدركـت — ثـأراً فهـاهي بـالكؤوس تروضـه
لـو كنـتَ تُـبصره رثيـتَ لـه وقـد — أعيـا عليـه مـن الخُـمار نُهوضـه
لا تـأسَ إنْ غفـل النـديمُ فلـم يُـدرِ — كأسـاً فعنـد جفونـه تَعويضـه
إيـهٍ نـديمي قـد جمعـتَ لنـاظري — أمـرين كـلٌّ لا يَبـين غموضـه
أمـواجَ خـدّك والتوقّـدُ ضـدُّها — ومُـذابَ خمـرِك واللهيـبُ نقيضـه
طـولُ الجـمال وعَرضـه لـك والهـوى — وقـفٌ عليـك طويلُـه وعريضـه
وقِّـعْ كـما تهـوىَ عـلى وتـر الهـوى — فلأنـت « مَعْبـدُ » لحنـه و« غريضـه»
أمـا الغـرامُ بكـم فـإنّ قصـيدَه — وَقْـفٌ علـيكم بحـره وعَروضـه

****

على ذكرى الربيع

مَـواطرُ الغيـثِ حَيـيٍّ جانـبَ الـوادي — وهدِّيـهِ بـإبراقٍ وإرعـادِ
مُـديٍّ بـه بُسُـطَ الأعشـاب زاهـرةٍ — وطرِّزيهـا بأزهـارٍ وأوراد
ورواحيـهِ رَذاذاً منـكِ يبعثـهُ — حَيّـاً كـما تبعـثُ المـوتى بميعـاد
مـالي وللهـمِّ تَصـليني لوافحُـهُ — ألسـتِ يـا نسـمةَ الـوادي بمِرصـاد
مُـرِّي بنفحتِـكِ الريّـا عـلى كبـدٍ — أقـلُّ مـا تشـتكيهِ غُلـةَ الصـادي
فـما لشيءٍ سـوى أن تبعثَـي نَفَسـاً — فاضَ الغمامُ وصـابَ الرائحُ الغـادي
وليسـت الـريحُ يُهـدي الله نفحتهَـا — لنـا بـل الـرُوحُ يُوحيهـا لأجسـاد

ردّ الربيع صنوفَ الحسن يقسمُها شطرينِ ما بين أنشازٍ وأوهاد
يهدي به اللهُ إشفاءً لذي سَقَم من النفوس وإشفاقاً بمُرتاد
هو الربيعُ وأبهى ما يُزهِّدني عن الحضارة فيه نجمةُ البادي
أنا الحنيف وهذي الأرض مُعشبة سَجَّادتي ورقيقُ الشعر أورادي
يمضي الزمانُ علينا نصفهُ جُمعٌ ترى تُقفَّى بأسباتٍ وآحاد
ما كان لله أديانٌ مضاعفةٌ لولا تعصبُ أحفادٍ لأجداد
أين الذين أماتَ الحبُّ أنفسَهم حتى قَضوا فيه عُشّاقاً كزُهّاد
الضاربينَ خيام الحب طاهرة والداعميها من التقوى بأوتاد
والمُطربين لشكوى الحبِّ مُعلَنةً مستبدلين بها عن جَسِّ أعواد
مواظبين على الآدابِ ما انتقدوا لحبِّهِمْ غيرَ أكفاءٍ وأنداد
لم يُبلَ قيسٌ وفرهادٌ كما بُليتْ ليلى بقيسِ وشيرينٌ بفَرهاد
جيل من الناس عدواهم لإخوتِهم من الخبائثِ عَدوى السُم في الزاد
يستظهرون لساني أن يجازفَهم ويعلمُ الله أن الصدقَ معتادي
كلَّفتمُوني من الأقوال أصعبَها نطقاً كما كُلِّفَ الأعجامُ بالضاد
أضرّ بي من سجاياكم توقُّعكم أن لا تفُتَّ سجاياكم بأعضادي
ما ضّرني غضَبُ الدنيا بأجمعها أن كان يُرضي ضميري صدقُ إنشادي
حُسن اختباري لأشبهي ونيّتِهم في الصنع حَسَّنَ في عينيَّ أضدادي
ما إن تحطون شعرى قيد أنملةٍ إن لم تصوغوه أطوافاً لأجياد
هذا الزمان كفيل أن يكيل هم صاعاً بصاع وأعداداً بأمداد
كم تعلنون لجهال تموت بكم مآتماً هى رغم الناس أعيادى
كل وما سن فيه الله من خلقٍ هذا أنا يوم تكوينى.. وميلادى

أذل قـدر القـوافى أنهـا تركـت ... حظـاً مشـاعاً لنظـام ونشـادِ
كـم أنشـدتكم فى آذانكـم صـمم ... حـوضى مبـاحٌ وقـومى غـير ذوادِ

****

بغداد

خـذي نفسَ الصبا « بغـداد » إني ... بعثـتُ لـكِ الهـوى عرضـاً وطـولاً
يـذكّرُني أريـجٌ بـات يُهـدي ... إليَّ لطيمُـه الـريحَ البليـلا
هـواءك إذ نهـشُّ لـه شَـمالاً ... ومـاءك إذ نصّـفِقه شَـمولا
ودجلـةَ حـين تَصـقُلُها النُعـامى ... كـما مَسَـحتْ يـدٌ خـداً صـقيلا
ومـا أحـلى الغصـونَ إذا تهـادت ... عليهـا نُكَّـسَ الأطـراف مِـيلا
يُلاعبهـا الصِّـبا فتخـال كفّـاً ... هنـاك تـرقِّصُ الظـلَّ الظليـلا
ربـوعُ مسرَّةٍ طابـت مُناخـاً ... وراقـت مَربعـاً.. وحلَـتْ مَقيلا
ذكـرتُ نميرهـا فـذكرتُ شـعراً ... « لأحمـدَ» كـاد لطفـاً أن يسـيلا
« وردنـا مـاءَ دجلـةَ خـيرَ مـاءٍ ... وزرنـا أشرفَ الشـجر النخـيلا»
« أبغـدادُ » اذكـري كـم مـن دموع ... أزارتـكِ الصـبابةَ والغليـلا
جـرينَ ودجلـةٌ لكـن أجاجـاً ... أعـدن بهـا الفـراتَ السلسـبيلا
ولـولا كثـرةُ الواشـينَ حـولي ... أثـرتُ بشـعريَ الـداءَ الـدخيلا
إذن لرأيـتِ كيـف النـار تـذكو ... وكيـف السـيل إنْ ركـب المسـيلا
وكيـف القلـبُ تملكـه القـوافي ... كـما يسـتملك الغيـثُ المحـولا
أدجلـةُ إنَّ في العـبرات نطقـاً ... يحّـير في بلاغتـه العقـولا
فـإنْ منعـوا لسـاني عـن مقـالٍ ... فـما منعـوا ضـميري أن يقـولا

خذي سجعَ الحَمام فذاك شعرٌ نظمناه فرتِّله هديلا

***

شوقي وحافظ

يا لَلرفاق ومثلُ ما كابدتُه مما أُلاقي كابَدَتْهُ رفاقي
وطني نقيض شُكوله فرجالُهُ شابوا وما شّبوا عن الأطواق
عِتْقُ النِجار يَبين بين خُيوله أما الرجال به فغير عِتاق
ضرب الأسى سُوْراً عليه وأحدقت سودُ الحوادث أيّما إحداق
إيهٍ خليليَ لا تَذرْني طامِعاً في منطقي فيَريبَكَ استنطاقي
فلقد أكون وما غُلقن مقاولي واليوم وهي كثيرة الإغلاق
إن أطوِ يلتهبِ الضميرُ.. وإن أَبُحْ يوماً ففوق يدي يد الإرهاق
مَمَّ التعجبُّ صاحبيَّ وإنما قَسَمَ الحظوظ مقسِّم الأرزاق
والحَذق في سبك القريض وصوغه متفاوت كتفاوت الحُذاق
وأجلُّ ما ترك الفتى من بعده أثرٌ على مر لليالي باق
لا يفخرنْ أحد عليَّ بشعره الفخرُ مدَّخرٌ ليوم سباق
« شوقي وحافظ » لا يَجُسُّ سواكما نَبْضَ القريض وما له من واق
لكما الخِيارُ إذا الرجال تنافسوا أو حرّروا دعوى بلا مِصداق
أن تَقْتُلا أو تُحرقِا متشاعراً أو تقطعا يد شاعر سرّاق
هل تحكمانِ اليومَ حكماً عادلاً خِلواً من الإرهاب والإشفاق
في شاعر لزم البُيوتَ وأخفقت منه المآرب أيّما إخفاق
لكما شكا ظلم العراقِ وذِلةٌ أن يشتكي ظلمَ العراق عراقي

أهدى سوايَ نفيسَه وأنا الذي ... أُهدي إليه نفائسَ الأعلاق

« شوقي وحافظ » أوضحا في آيِّنا ... لُطْفُ الخيال والشعورُ الراقي

أأنا الذي اتخذ البلاد شعاره ... أم هم وقد لبسوا ثياب نفاق

في كل يوم في رداءٍ وَفْقَ ما ... تقضي بذلك عملةُ « الأوراق »

وأنا وأخلاقي كما علم الورى ... أم هم وفيهم سوءة الأخلاق

وأنا الذى أعطى القوافيَ حقها ... مِن ناصعاتٍ في البيان رِقاق

ومهذَّباتٍ جمةٍ عشاقُها ... « أن المليحة جمة العشاق »

تُجلى على قُرّائها فتُميلُهُمْ ... سكراً كما يَجلو السُّلافَ الساقي

أم هم وكم بيتٍ لهم مستهجنٍ ... نابٍ عن الأسماع والأذواق

وأنا الذي صان القريض عن الذي ... يُزري به من فُرقةٍ وشِقاق

ومدائح كانت لفرط غُلُوِّها ... تشكو من المخلوق للخلاق

أم هم وقد باعوا الضمائر واشتروا ... عيشَ الذليل وبُلغةَ الأرماق

غَنَّوا سواهم يطلُبون عَتاده ... فكأنهم « جَوْق » من الأجواق

أبياتُكمْ تبقى لهمْ وهباتُهُمْ ... ليست بباقية على الإنفاق

وأجلُّ من هبةٍ يُذِلَّ بها الفتى ... أشعارَهُ صبرٌ على الإملاق

عاراً أرى وأنا « الأديب » بضاعتي ... معروضةً كبضائع الأسواق

كيف التجددُ في القريض وأهلُه ... شدّتْهُمُ أطماعهم بوثَاق

أخذوا على الآداب من عاداتهم ... وجمودِهم فيها بكل خناق

إني لأصبو للقريض تهذّبت ... منه الحواشي.. صبوةَ المشتاق

وأُريدُ شعراً ليس في أبياته ... غيرُ القلوب تَبِين للأحداق

وأجـل مـا خلـق الإلـه لخلقـه وحسـابُ فضـلِ الله غـير مطـاق
الشـعرُ في تـأثيره والغيـثُ في آثـاره والشـمسُ في الإشراق

***

بعد المطر

عـاطى نبـاتُ الأرض مـاءَ السـما مـا لا تعاطيـه كـؤوسُ الرحيـقْ
وبـات إذ حـطَّ بهـا ثِقْلَـه يكلِّـف الأرض بـما لا تُطيـق
أوشـكتِ القِيعـانُ إذ فُتّحـت لهـا السـما ممـا عراهـا تَضيق
واهتـدت الشـمس لتجفيفهـا فابتعثـتْ شـكرَ النبـات الغريـق
الجـوُّ زاهٍ والثـرى فـائحٌ ومنظـر الأرض لضَيـفٌ أنيـق
والعُـود يهتـزّ لمـرِّ الصَّـبا والـروضُ مـن سَـكرته لا يُفيـق
والغيـثُ يَهمـي أيـن مـن صَفوهِ وهـو جديـدٌ خمـرُ دنٍّ عتيـق
تفتَّحـي خُضْرَ الرُّبـى للنَّـدى في مَبسِم الفجر – متى شئتِ – ريق
وعطّـري ريـحَ الصَّـبا بالشَّـذى وانفتقـي عـن فـار مسـك فتيـق
كـلُّ فصـولِ الـدهر لا تُشـترى بـالنزْر مـن نَشْرِ شـذاك العبيـق
جـاء الربيـعُ الطلـق فاسـتبشري غريمُـكِ الـبردُ طَريـدٌ طليـق
مثـل الـذي لاقيـت مـن ذا وذا يصـدف في الـدهر انفـراجٌ وضيق
صـوبَ الحيـا رفقـاً فكـم لطمـة أنزلتهـا قسراً بخـدِّ الشـقيق
كـأن نَضْـحَ القَطْـرِ مـن فوقـه ذائـبُ دُرٍّ في أواني عقيـق
إني تخالفـت وزهـرَ الرُّبـى والكـلُّ منـا ذو مـزاج رقيـق
أنفاسـها نشرُ شـذىً نـافح وحـرّ أنفـاسي شـواظُ الحريـق

كـــلُّ وجـــوه الأرض مكســـوَّةٌ لفـــائفَ الأزهـــار حتـــى الطريـــق

***

ليت الذى بك فى وقع النوائب بي

ليتَ الـذي بـكَ في وَقْـع النوائـبِ بِي ولا أُشـاهد ثُكْـلَ الفَضْـلِ والأدبِ

صـابتْ حشـاك وأخْطَتْنـي نوافـذُها ليـت النوائـبَ لمْ تُخطـئْ ولم تُصـب

هـلاّ تعـّدى الـردى منـه ببطشـته لغـيره أو تعـدى النبـعَ للغَــربِ

هيهـاتَ كـفُّ الـردى نقـادةٌ أبـداً للأكـرمينَ تُفـدي الـرأس للـذنب

يـا غائبـا لم يَـؤُبْ بـل غـائِبَينِ معـاً إن العـلى معــه غابــت ولم تــؤب

لِيَهْنِـكَ الخلـدُ في الأخـرى وجنتُـه يـا خـير منقلـبٍ في خـير منقَلـب

نعم الشـفيعانِ ما قـدَّمتَ من عمـلٍ لله سراً ومـا فرَّجـتَ عـن كَـرَب

ومـا رأيـتُ كمعـروفٍ يُجـاد بـه بـين الرجـال وبـين الله مـن سـبب

قــدمتَ لله أعـــالاً اتَخِــذتَ لهـــا من التقـى مسرحـاً في مرتـع خصِـب

قـالوا : الزيـارةُ فاتتـه فقلـتُ لهـم : مــا فاتــه أن يــزورَ اللهَ في رجـــب

كــأن نعشَــك والأجــواءُ غائمــةٌ تُقِلُّـه النـاس للسُّـقيا مـن السُّـحب

لو كان في جند « طـالوت » لما طلبـوا « سكينة وسْط تابوتٍ » من الخشب

كــم ذا يصــعّرُ أقــوام خــدودَهم كفــاهم عِــبرةٌ في خــدك الــتَّرِب

كـم يَعْجَـبُ المـرءُ مـن أمـرٍ يفاجئـه ومـا درى أن فيـه أعجـبَ العجـب

بَيْنـا يُـرى وهـو بـينَ النـاس محتشـمٌ إذا بـه وهــو منبــوذٌ عـلى الـتُّرُب

لا يُعجِـبَنَّ ملـوكَ الأرض همــتُهم فــإن أعظــم منهــا همــةُ النُّــوَب

لا شـملَ يبقـى عـلى الأيـام مجتمعـاً يبــددُ المــوتُ حتــى دارةَ الشــهب

أودى الـذي كـان تِيْـهُ المكرُمـات بـه ... عـلى سـواهن تِيـه الخُـرَّدِ العُـرُب
فتُـم وعـزِّ عُيـونَ المجـد في حَـوَرٍ ... فَقْدَنـهُ..وثغـورَ الفضـل في شَـنَبَ
صـبراً محبيـهِ إن المـوت راحـة مَـزْ ... قـد كـان في هـذه الأيـام في تعـب
تسـليمةُ المـرءِ فـيما خُـطَّ مـن قَـدَرٍ ... أجـدى لـه مـن داء الويـل والحـرَب
والمـوتُ إن لم يـزدْهُ حـزنُ مكتئـبٍ ... بـه فأحسـنُ منـه صـبرُ محتسـب
وغضبةُ المرء في حيثُ الرضا حَسَنٌ ... قبيحـةٌ كالرضـا في موقـع الغضـب
ذابت عليك قلوب الشاعرينَ أسىً ... فـما اعتـذارةُ شـعرٍ فيـك لم يـذبُ
شيئانِ.. يُرْفَع قـدرُ المرء ما ارتفعـ ... نظمٌ لـدى الشـعر أو مأثورة الخطب
مـاذا يقـول لسـان الشـعر في رجـل ... خـير البنـينَ بنـوه وهـو خـيرُ أب
إن غـاب عنـا ففـي أولاده عَقِـبُ ... يحييك ذكراً.. وذكر المرء في العقب
أودى بحسّـاده غيظـاً كـأنّ بـه ... « محمـد » وبشـ'نيه « أباالهـب »
لا عيـبَ فيـه سـوى إسرافِـهِ كرمـاً ... يـومَ النَّـوال ولـولا ذاك لم يُعَـب
وفي « الرضا » مسرح للقول منفسح ... كـلُّ القصـائد فيـه دَرَّةُ السـحب
أنـسُ الجلـيس وإن نبتـه نائبـةٌ ... كأنه – وهو دامي القلب – في طرب
أخـو النـدى وأبـو العليـا إذا انتسبـ ... « كنايـة بهـما عـن أشرف النسـب »
كـلُّ الخصـال التـي جمَّعتهـا حسُـنَت ... وقعـاً وأحسـنُ منهـا طبعـك العـربي
لا تَحْسَـبنَّ تمـادي العمـر أدبَّـه ... كذاك كان على العلات وهـو صبي
إن لم يـؤدِّ بيـاني حَقَّكـم فلقـد ... سـعيتُ جَهْـدي ولكـن خـانني أدبي
تلجلجتْ بـدخيل القـول « ألسـنة » ... للعـرب كانـت قـديماً زِينـةَ الكتـب
إن أنكرتنـي أُنـاس ضـاع بيـنهم ... قدري فمن عَرَّف « لحجار» بالذهب
كـم حاسـدٍ لم يجـرِّبْ مِقـولي سَـفَهاً ... حتى دَسْستُ إليه السم في الرُّطب

طعنتُــه بــالقوافي فــانثنى فَرَقــاً ... يشكو إلى الله وقع المقْولِ الـذَرب

فـإن جهلـت فتـى قـد بـذ مشـيخةٍ ... في الشعر فاستقص عنه «حلبة الأدب»

***

درس الشباب
أو (بلدتي والانقلاب)

انزِعـي يابلـدتي مـا ... رثَّ مـن هـذي الثيـابِ

وإذا خِفـتِ عَـراءً ... فسيكسـوك صحابي

أمَـلٌ لي فيـكِ.. بعـد الله ... ينمـو في الشـباب

يـا بنـي العشريـن في ... أعمالكـم فصـلُ الخِطـاب

رهـنٌ مـا عنـدكم مـن ... همـة عُقبـى المـآب

يـا شـباباً نَهَضـوا ... والنـاس مـن هـاوٍ وكـابي

أيُّ بـاب ولَجوهـا ... وولجـتم أيَّ بـاب

كتـب الله لـك النُّصرةَ ... في هـذا الغِـلاب

إن في أعيـنكم رمـزاً ... لأسرارٍ عُجـاب

الزمـوا خـيرَ صِحابٍ .. ... اقـرؤوا خيرَ كتـاب

أطِلعـوا للشـعر شمسـاً ... لا تُبقِّـي مـن ضبـاب

اتركـوا كـلَّ قـديم ... منـه يسـعى في تَبـاب

شـمّروا واعتصـبوا ... نُجحُكُـمُ في الاعتصـاب

انبُـذوا منـه قُشـوراً ... وَتَغـذّوا باللُّبـاب

هُــــزِلَ الشـــعرُ وأنـــتمْ — مـــن مراعِيـــه الخِصــاب
لا تقولـــوا حســبُنا منــه — وزِيـــدوا في الطِّــلاب
قــد رأيــتم مــا تجشَّــمنا — عليـــه مـــن صِـــعاب
لـــــيس بـــــالهيِّن أن — نـــأتيْ بأبيـــاتٍ عِـــذاب
خاليـــاتٍ مـــن نُفــورٍ — وغلـــوٍّ واضـــطراب
إنهـــا ذوبُ قُلـــوبٍ — صِـــيغَ في لفـــظٍ مُـــذاب
لـو سُـئلنا كيـف نظـمُ الشـعر — حِرنـــا في الجـــواب
لســـت أدري غـــيرَ أني.. — كـــان حـــبُ الشـــعر دابي
يكـــاد يُلهينـــيَ حتـــى — عـــن طعـــامي وشرابي
قـد قـرأتُ الشـعرَ في القـرآن — مـــن عهـــدِ التصـــابي
« بقُـــدورٍ راســـياتٍ — وجِفـــانٍ كـــالجوابي»
ولكَـــمْ هَـــيَّجَ طَبْعِـــي — نَغْـــمُ عُـــودٍ أو رَبـــاب
كـانَ لحـنُ الشـعرِ فيـه — بارتفـــاع وانصـــباب
وإذا مـــا عـــدَّدوا — أهـــل نبُـــوغ واكتســـاب
لم يكـنْ عنـدي سـوى الشـاعرِ — مـــن خُلـــق عُجـــابِ
هكـــذا كنـــتُ ومـــا زادَ — عـــلى الـــعشر نِصـــابي
حبـــذا الشـــعرُ ربيعيـــاً — طبيعــــيَّ الإهـــاب
مُظهِـــراً قـــدرةَ ربي — في وِهـــــادٍ أو رَوابي
وصـــفَ نهـــر في الثـــرى — أو وردة بـــين الشـــعاب
يـــوم تُضـــحي الدمنـــةُ — الغــبراءُ خضراءَ الجْنَــاب
أو حماســـياً يثـــير الـــنفس — عــــن عــــارٍ وعــــابِ

كاشفاً عن عينها ... كلَّ غطاء وحِجاب
فإذا كان مديحاً ... فليقرِّب للصواب
أوَلا يأنفُ حُرٌّ ... أن يُحابَى أو يُحابي
وإذا كان رِثاء ... فليكن رجعَ المصاب
وإذا كان هجاء ... فليُنَزَّهْ عن سِباب
ليس شأنُ المرء نهش المرء ... بل شأنُ الكلاب
امزِجُوا الطعنَ به ... مزجَكُمُ شُهداً بصاب
ليّنَ اللفظ وفي ... طيّاته وخزُ الحراب
قد سئِمت الشعرَ ما ... فيه سِوى معنى كِذابِ
كلَّ يوم شاعرٌ ... كالبوم ينعَى في خراب
وقوافٍ لا يَلحِنَّ ... السمعَ إلا باغتصاب
لهجةُ الصدق بها ... مثلُ بياضٍ في غُراب
أنا يا شعر وإياك ... سواءٌ في العذاب
أنا مما بكَ أبكيكَ ... وتَبكيني لِما بي
شكَتِ القومُ حُضوري ... وسيشكون غِيابي
بِزَّةُ الشاعر قد تُعرَف ... من بعدِ استلاب
إن يكن للمرء أجرٌ ... فهو لي يوم الحساب
إن في إيقاظِ قوم ... رَقَدوا خيرَ الثواب
وبِعِتق الناسِ من ... أوهامِهِمْ عِتقُ الرقاب

***

في الثورة السورية

مِثْـلُ الـذي بـكِ يـا دمشـق — مـن الأسـى والحـزنِ مـابي
دمعـي يَبـين لـك الجـوى — والـدمعُ عنـوانُ الكتـاب
زاهـي الحمـى نهـبُ الخطـوب — ومهجتـي نهـبُ المصـاب
أرأيـت مرتبـعَ الشِّـعاب — بهـا ومُصـطافَ الهضـاب
والنبـتُ مخضـلُّ الثَّـرى — والـرُّوضُ مخضرُّ الجْنَـاب
والحسـنُ تبسُـطه الطبيعـةُ — في السـهولِ وفي الـروابي
والشـمسُ تبـدو مـن خـلال — الغـيم خَـوْداً في نقـاب
فـإذا انجـلى هزَّتـك روعـةُ — نورهـا فـوق القبـاب
والـروضُ نشـوانٌ سـقاه — المـاءُ كأسـاً مـن شراب
بَـرَدَى كـأنَّ بـروده — رشـفات معسـولِ الرُّضـاب
تلـك النَّضـارةُ كُلُّهـا — كُسِـيتْ جلابيـبَ الخـراب
ثـوري دمشـقُ فـإنَّما — نَيـلُ الأمـاني في الطِّـلاب
وخـذي الوِفـاق فـإنما — عُقبـى الخـلاف إلى تَبـاب
إنْ تغضَـبي لتليـدِ مجـدٍ — آذنـوه باسـتلاب
ومنيـع غـابٍ طوقـوهُ — بالبنـادق والحِـراب
ومعطـاسٍ شُـمٍّ أرادوا — عَرْكهـا بالاغتصـاب
فـلا أنـتِ رغـم خلـوٍّ كفّـك — مـن مُعَـدّات الضراب
بالعاطفـات الحانيـات — عليـك وافـرةُ النصـاب
ولأنـتِ أمنـعُ بـالنُّفوس — المسـتميتة مِـن عُقـاب

فتماسـكي أو تُكرَهـي ... بـالرغم منـك عـلى انسـحاب

فَـلَشرُّ مـا عمِـلَ امـرؤ ... عمـلٌ يُهَـدَّدُ باقتضـاب

سـدّي علـيهم ألـف بـابٍ ... إن أطـاقوا فـتحَ بـاب

إن لم يكـن حجـرٌ يضرّ ... بهـم فكُـومٌ مـن تـراب

لا نُكـرَ في الـدنيا ولا ... معـروفَ إلا في الغـلاب

شُـبَّان سـوريّا الـذين ... تناوشـوا قِمَـمَ السَّـحاب

والمبـدلين بـرأيهم ... في الليـل عـن قـبس الشـهاب

المـالكي الأدب الصـميم ... ووارثـي الشرفِ اللُبـاب

لكـمُ العتـابُ وإنّـما ... عَتْـب الشـباب عـلى الشّـباب

سـورّياُ أم الضراغـم أصـبحت ... مرعـى الـذِّئاب

مثـلَ الوديـع مـن الطيـور ... تعاورتـهُ يـدُ الكـلاب

باتـت بليلـةِ ذي جـروح ... مستفيضـاتٍ رغـاب

وسـهِرتُم متضـاربي النزعـات ... مختلفـي الثيـاب

مَـن كـانَ حـابى أن ... يقـول الحـقَّ إني لأُحـابي

لا بُـدَّ أن يـأتي الزمـانُ ... عـلى بـلادي بـانقلاب

ويـرى الـذين توطّنـوا ... أنَّ الغنيمـةَ في الإيـاب

مـاذا يقـول المـالئو الأكـراش ... مـن هـذي النهـاب

إنْ دال تصريـفُ الزمـان ... وآنَ تصـفية الحسـاب

جـاؤوا لنـا صُـفرَ العِيـاب ... وقـد مضَـوا بُجْـرَ العيـاب

***

عند الوداع

اللهُ يصحب بالسلام مودِّعي ... عجِلاً وإن أخنى عليَّ بِعادهُ
شُدَّتْ على شَعْبِ القلوب رحالُهُ ... وَجْداً.. وفاضت بالدُّموع مَزاده
وميمٍّ « بغدادَ» كادت حسرة ... منها عليه تؤمه بغداده
حسبُ « الفرات » شجيِ فراقكُمُ له ... وكفى بدجلةَ أنكم وُرّاده
قولوا لمن هذا القريض ؟ يسّرني ... ما قلتمُ إن راقَكم إنشاده
وإذا قست تلك القلوبُ فردّدوا ... أبياتَه ليلينَها تَرداده
وإذا جرى ذكري فقولوا شاعرُ ... يجري على طرف اللسان فؤاده
ماذا عليكم أن يُسَيَّر باسمكم ... شعري..وتهفو نحوكم نُشَّاده
شعرٌ يَجيء به الجمالُ مكرِّراً ... منه الجميلَ متى يكون نَفاده
لا أشتهي هزجَ المغنّي في الهوى ... ما لم تجس بذكركم أعواده

***

ويلي لأمة يعرب

جِدُّوا فإن الدهرَ جَدَّا ... وتراكضُوا شِيباً ومُرْدا
وتحاشَدوا خَيرُ التسابق ... للعُلى ما كانَ حَشْدا
صولوا بعزم ليس يصدأُ ... حدُّه والسيفُ يصدأ
لا تَقعُدوا عن شحنِها ... هِمَماً تَئِنُّ الدهرَ أدَّا
أوَلستُمُ خيرَ المواطنِ ... موطناً وأعزَّ جُنْدا
فاز امرؤٌ عرف التقلُّبَ ... في الليالي فاستعَدَّا

في لَـــــوح ربِّـــــك «آيـــــةٌ» خُطَّــت عــلى مــن كــانَ جلْــدا
لا ييأسَـــنْ مـــن خـــاب ممســيً أن ينـــالَ الأمـــر مَغـــدى
ذَلَّ امـــرؤٌ قعَـــدَت بـــه آمالـــهُ قَيْـــداً وَشـــدّا
بَينْـــا يُمَنّـــي المـــرء خـــيراً نفسَـــه إذ قيـــلَ أودَى
أيـــنَ الـــذين إذا انتحـــتْهم شِـــدَّةٌ كـــانوا الأشَـــدّا
وإذا الخطـــوبُ عَـــرَتْهُمُ لم يضْرَعـــوا للخطـــب خَـــدّا
اتَخـــذِوا الثبـــاتَ ســـلاحَهُمْ وتـــدَّرعوا حَزْمـــاً وجِـــدّا
أبنـــي مَعـــدَّ بلادُكـــم لا تُغضِـــبوا فيهـــا مَعَـــدا
وطـــنٌ مُفَـــدىً خـــيرُ مـــا حَضَـــن الفَتـــى وطـــنٌ مُفـــدَّى
«الرافـــدان» بجانبيـــه تجارَيـــا خمـــراً وشُـــهْدا
والزاهـــراتُ مـــن الريـــاض تضـــوَّعت أرَجـــاً ونَـــدّا
وكِسَـــتْ رُبـــاه يـــد الطبيعـــة مـــن بـــديع الحُسْـــن بُـــردا
فَـــرْدُ الجـــمال وفي الغُلُـــوِ بحبِّـــه أصـــبحتُ فَـــرْدا
صـــبّاً نشـــأتُ وكلَّـــما زادتْ ســـنيني زدتُ وَجْـــدا
وَطَـــنٌ إذا ذكـــروه لي وبيَ الغليـــلُ وَجَـــدت بَـــرْدا
ولـــو استَفْـــفتُ ترابـــه لوجـــدْتُ عـــيشي فيـــه رَغْـــدا
أعـــزِزْ بـــأني لا أطيـــقُ لمـــا دَهَـــى وطنـــي مَـــرَدَّا
الله يَشـــهَد أننـــي لم آلُـــهُ في النصـــح جُهْـــدا
لا تأســـفَنْ وطنـــي وكُـــنْ ثَبْتـــاً عـــلى الأيـــام صَـــلْدا
ظُلـــمْ تَعـــدَّى حـــدَّه والظلـــم يُـــردى إن تَعَـــدّى

« الله » يَجْــــزي خـــيرَ مـــا　　جـــازَى بـــه مـــولىً وَعبْـــدا
صِـــيداً « ليعـــرب » شَـــيَّدوا　　عـــزاً وللأوطـــان مجـــدا
في ذمـــةِ الـــوطنِ الـــذي　　بَـــذلوا لـــه نَفْســـاً وَوُلْـــدا
رُوح بظلـــم أُزهقَـــت　　وَدمٌ جَـــرَى ظُلْـــماً وَعَمـــدا
أفكـــان عُقْبـــى مـــالَقوا　　أن زادتِ النفقـــاتُ عَـــدّا
ويـــلي لغلِمـــة « يَعـــرُبِ »　　هـــدَّتْهم الأيـــام هَـــدّا
الجَـــور الحَمـــمَ بُـــردَة البَلـــوى　　لَهـــم والضَـــيمُ سَـــدَّى
وَيـــلي لكّـــفٍ لم تجِـــدْ　　عَضـــداً تصـــولُ بـــه وزَنْـــدا
وَيـــلي لمـــن كانَـــتْ لهـــم　　أيّـــامُهم خَصْـــماً ألَـــدّا
مـــن أيـــن دارُوا واجهـــوا　　نكباتهـــا سُـــودا ورُبْـــدا
هَـــوَتِ العـــروشُ كـــأنما　　بعـــضٌ بسَر الـــبعضِ يُعـــدَى
فَقَـــدَتْ «دِمشـــقٌ» زَهوهَـــا　　وجمـــالُ «بغـــدادٍ» تَـــرَدَّى
وجزيـــرةُ العُـــرب ازدرَتْ　　نُـــورَ «النبـــوة » فاســـتُرِدَّا
باتـــت بهـــا أحقادُهـــا　　يوسِـــعْنَ خَرقـــاً لـــن يُسَـــدّا

***

من النجف إلى العمارة

أنـــا مـــذ همـــتُ فـــيكمُ كـــانَ دأبي　　أنَّ مـــا ترتَضـــون يحملـــه قلبـــي
إن تزيـــدوا الجـــوى فـــأهلاً　　وإلا حَسبُكُم ما لقيتُ منكم وحسبي
وبحســـبي مـــن الأحبـــةِ ظُلـــماً　　أن يُعَـــدَّ الغُلُـــوُّ في الحـــبِّ ذنبـــي
يعلـــم النـــاسُ مـــا أكابـــدُ مـــنكمْ　　في ســـبيل الهَـــوى ويعلَـــمُ ربي

يـــا أبـــا صـــادقٍ أُحبُّـــك حُبـــاً ... لـيس يبقـي عـلى اصـطبار المُحِّـب
إن عتَبْنـا فلـم يكـن عـن مَـلال ... أحسَـنُ الـوُدِّ مـا يشـاب بعَتْـب
لسـتُ أدري عَقَقْـتُ صَـحبيَ لمـا ... هِمـتُ أم عَقَّنـي لأجلـك صَـحْبي
غــير إني أراكَ وافقــتَ طَبْعــي ... دونَ هـذا الـوَرَى وجانَسْـتَ لُبـي
وأراني صَـــبّاً بأخلاقـــك الغُـــرِّ ... ومــا كنـــتُ قبـــل ذاك بصَـــب
ولعَمــري لقــد تربيَّـــتُ حتـــى ... عَـرَفَ النـاسُ فيـكَ فضـل المـربي
أيُّ عـــيشٍ لي في العـــمارة رَغْـــدٌ ... وزَمَـــانٌ مَضىَ هنالِـــك عَـــذْب
وأحاديـــثُ لا تُمَـــل مـــن الوجـــدِ ... بلَفـــظٍ كـــاللؤلؤ الرَطَـــبِ رَطْـــب
حبـــذا دجلـــةٌ وعـــن جانبيهـــا ... تَتَمشّـــى الظـــلالُ جَنبـــاً لجنـــب
أن تَسَـلْني عـن الزَّمـان وأهليـهِ ... فـإني طِـبٌّ بهـم أيَّ طِـب
عِـش كـما تشـتهه [illegible] كنـت خِبّاً ... والـزَم البيـتَ إن تكـنْ غـيرَ خِـب
ليـت مـولى « حَمـدان » يُـنشَرُ حيـاً ... لـيرى كيـفَ حالـهُ « المتنبـي »

***

في ذكرى الخالصي

سَـلْمُ الزمـانِ.. وإن حرصـت.. قَليـلُ ... لا بـدّ أنْ سـيغول شـملَك غـولُ
بـالرغم ممـا رجفـت أوهامُنـا ... يـأتي المخـوف ويُمنـع المـأمول
كـم ذا يسرُّك أن تفوتَـك سـاعةٌ ... طالـت ألأنـت إلى المـمات عجـول
حقـاً أقـولُ.. ومـا الحِـمامُ بتـاركي.. ... إني عـلى كُـرْه الـرَّدَى مجبـول
يكفـي العقـولَ جهالـةً تعريفُهـا ... للمـوت أنَّ سـبيلَه مجهـول
الليـلُ مغـبرُّ النجـوم حزينُهـا ... والصبحُ في حبـلِ الـدُّجى موصـول

والشمسُ كاسفةُ الجْبين مُشيحةٌ ... والبدرُ حيرانُ السُّرى مذهول
حزناً ليومَ أبي محمدَ إنّهُ ... يومٌ على يوم الحسابِ يطول
الله يَجْزيكَ الجميلَ فكلُّ ما ... خلّفتَه في المسلمينَ جميل
المُعولاتُ عليك غُرٌّ مكارم ... قامت عليها رنّةٌ وعويل
وطَنْتَ نفسَك للصِعاب فذُللت ... إنّ الصعابَ يروضُها التذليل
وبذرتَ للأوطانِ أشرفَ بذرةٍ ... ستطول أفراعٌ لها وأصول
أعمالُك الغُرُّ الحسانُ خوالدٌ ... والمرءُ عن أعماله مسؤول
كن آمنا أن لا تضيع مَتاعبٌ ... سيُقيمُها التِمثالُ والتَّمثيل
مهّدْتَ للنَشء الجديدِ سبيلَه ... فليشكرنَّك بعد جيلِكَ جيل
وملكتَ لم تَقُدِ الرعيلَ وإنما ... يُغنيك رأيُك أنْ يُقادَ رعيل
حَمَلَتْ لنا الأسلاكُ نعيَك موجزَاً ... حتى كأنْ لم يوحَشِ التنزيل
أو أنَّ دينَ محمدٍ لم ينصدعْ ... حتى بكى قرآنُه الإنجيل
أعيت بما حملت فجاءت عَيَّةٌ ... لا تستبينُ النطقَ حين تقول
منهوكة لم يبق فيها من ذما ... نبأٌ على سَمْع الزمانِ ثقيل
الله ما هذا الجلال حياتُهُ ... ترنيمةٌ ومماتُه تبجيل
هل مدَ روحُ الله عيسى روحَه.. ... أم كان يَنْفُثُها به جبريل
قم وانعَ للبيتِ الحرام شعارَهُ ... وقلِ انطوى التكبيرُ والتهليل
وتعطلتْ سُبُلُ المحامدِ والتقى ... والمكرماتِ فما هناك سبيل
قد قلتُ فيك وقلتُ ثانيَ مَرَّةٍ ... ولسوف أرجِع كرّتي فأقول
أما العراق.. وقد قضيتَ.. فكفُّهُ ... مشلولةٌ.. وحسامُهُ مفلول
إنْ ينتفضْ فَبِقوةٍ مستغلبٌ ... أو ينتهضْ فَبِذِلَّةٍ مغلول

اللهُ.. والأوطـــان تعـــرِفُ نيّتـــي ... وعـــليَّ فـــيها أدعيـــهِ.. وكيـــل

إني إذا شَـــغَلَ الغـــرامُ متَـــبَّلاً ... فأنـــا الـــذي بـــبلادِهِ مشـــغول

وطـــنٌ جميـــلٌ.. وجهُـــهُ بغـــدادُه ... ورُضـــابَهَ مـــن دجلـــةٍ معســـول

كيـف السُّـلُوُّ ولـيس تـبرحُ بُكْـرَةٌ ... فيـــه تَهِـيجُ صـــبابتي وأصـــيل

إني لأشـــتاقُ الفـــراتَ وأهلَـــهُ ... ويَروقُنـــي ظِـــلٌّ عليـــه ظليـــل

وأُحـــبُّ شـــاطئَهُ وروعـــةَ سَـــفْحِهِ ... تحنـو عـلى الأمـواج فيـه نخيـل

أشـفى عـلى جُـرف المهالـك مـوطنٌ ... بيديـــهِ لا يـــدِ غـــيره مقتـــول

آلامُـــه صـــدعُ الشـــقاق بأهلـــه ... وبـــلاؤهُ الأوهـــامُ والتضـــليل

في كـــل يـــوم ضـــجة ملعونـــة ... أنْ يحـــدثَ التغيـــيرُ والتبـــديل

يـا شرقُ يـا مهـدَ السَّـلام ألمْ يَـئن ... أنْ يسـتطيرَ إلى السـلام رسـول

إن يُسْرِج المســتعمرون خيـــولَهم ... فلهـــم تِـــراتٌ جمّـــةٌ وذُحـــول

أو تـنس «عمـور» ومـا دفعـوا بهـا ... لم تُـنس « قرطبـةٌ» ولا « إشـبيل »

تَخَـرَتْ بأشـباهِ البُحـور سـفائنٌ ... وعـدت بأمثـال الصُّـقورِ خُيـول

***

ذكرى دمشق الجميلة

كـؤوسُ الـدمع مُتْرَعـةٌ دِهـاقُ ... وللحـزنِ اصـطباحٌ واغتبـاقُ

مضى « فِرْعَـوْنُ » لم تَفقِـدْهُ مصرٌ ... ولا « هـارونُ » حـنَّ لـه العـراق

أُديـف « الرافـدان » فلـن يـرادا ... ولا « بـردى» مـن البلـوى يُـذاق

وكيـف يَلَـذُّ للـوُرّادِ مـاءٌ ... عليـهِ مـن بنيـهِ دمٌ يُـراق

ثباتـاً يـا دِمَشـقُ عـلى الرزايـا ... وتوطينـاً وإن ضـاق الخنـاق

وفوزاً بالسِّباق وليس أمراً ... غريباً أن يكونَ لكِ السباق
دمشقُ وأنتِ غانيةٌ عروسٌ ... أمشتبك الحرابِ لكِ الصَّداق؟
أذنباً تحسبون على البرايا ... إذا ما ضويقوا يوماً فضاقوا
بعين الله ما لقيتْ شعوب ... لحد السيف مكرهةً تُساق
عجافاً أُطلقت ترعى ولكن ... معاهدة القويّ لها وَثاق
وعيقَتْ مُذْ بَغَتْ حقاً مضاعاً ... وساموها الدمار فلمْ يُعاقوا
ذروا هذي الشعوبَ وما اشتهته ... مذاقُهُمُ لهمُ ولكم مذاق
تحررتِ البلادُ سوى بلادٍ ... ذُيولٍ شانهن الالتحاق
أبابُ الله يُفتح للبرايا ... وعن هذي البلاد به انغلاق
وكيف تسير مطلقةً بلادٌ ... عليها من أحابيلٍ نطاق
فيا وطني ومن ذكراك روحي ... إذا ما الروحُ أحرجها السياق
أُشاق إلى رُباكَ وأيُّ حرٍّ ... أقَلَّتهُ رُباك ولا يُشاق
ويا جوَّ العراقِ وكنت قبلاً ... مداواةُ المراض بك انتشاق
لقد خَبُثَتْ بك الأنفاسُ حتى ... لروحي منك بالروح اختناق
على « مدنية » زهرت وفاقت ... سلامٌ كلما ذُكرَ الوفاق
تولى أسّها الباني اعتناءً ... وشيد ذِكْرَها الحَسَنَ اتفاق
أُشاق لها إذا عنَّت خيامٌ ... وأذكرها إذا حنَّت نِياق
تغشتها النزاهةُ لم تَشُبْهُ ... أساليبٌ كِذابٌ واختلاق
كما شيّدتُمُ شِئْنا وزِدنا ... ولكن ما لقينا لم تلاقوا
وما سِيانِ بالرفق امتلاكٌ ... لمملكة وبالسيف امتشاق
سلوا التاريخَ عن شمس أُديلت ... وعن قمر تَعاوَرَهُ المحاق

هل الأيام غيّرتِ السجايا ؟ وهل خَشُنَتْ طباعُهُمُ الرِقاق
وهل إفريقيا شهِدت سَراةً بها كالعرب مذ عُبِرَ الزُّقاق
غداةَ البحر تملِكه سفينٌ لنا والبر تحرُسُهُ عتاق
و « طارقُ » ملؤُهُ نارٌ تَلَظَّى وحشوُ دروعِه سمٌّ ذُعاق
بأنْدَلُسٍ لنا عرشٌ وتاجٌ هوى بهما التخاذلُ والنفاق
هما شيئان ما اجتمعا لشعبٍ فإما الملكُ فيهِ أو الشقاق
أولئك مَعشرٌ سَكِروا زماناً وناحُوا ملكَهُم لما أفاقوا
فإنْ كُتِبَ الفراقُ لنا فصبراً على كل الورى كُتِبَ الفراق
لنا شوق إذا ذكروا رباها وإنْ نُذكَرْ لها فلها اشتياق
يُطاق تقلبُ الأيام فينا وأما أنْ نَذلَّ فلا يُطاق

****

إلى روح العلامة الجواهري

حذِرتُ وماذا يُفيد الحذرْ وفوقَ يميني يمينُ القَدَرْ
ومما يهوِّن وقَع الحِمام أن ليس للمرء منه مفر
يُوَقِّعُ ما شاء عُودُ الزمان ويبكي ويضحك منه الوتر
« فيومٌ علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نُسر »
تعشقتُ من « عمرٍ » قَولَهُ وكم حكمة في معاني عمر
أرى دهرنا مسرحاً كلُّنا نروح ونغدو به كالصُّور
أقول وقد قيل جاء البريد ينث إليك بهذا الخبر
عجِيب له كيف لم يوهِه فقالوا صدقتَ لهذا عثر

عَرَفــت الكتـــاب بمضـــمونه ... يُحَـــدّث :أن الـــيراع انـــكسر

خلـــيليَّ مـــا أنـــتما صـــانعان ... بـــدمع ترقـــرق ثـــم انحـــدر

تحـــير بـــين النُّهـــى والهـــوى ... فهـــذا نَهـــاهُ وهـــذا أمـــر

هلُّـــما ننـــوح عـــلى دوحـــةٍ ... ذوى الأصـل منها وجـفَّ الثمـر

ولا ترغبـــا في اعتـــذار الزمـــان ... متـــى زلَّ دهـــرُ كُما فاعتـــذر

وهِّـــونَ مـــن حُرقتـــي أن أرى ... دَمَ النـــاس عنـــد الليـــالي هـــدر

حَلَفْـتُ لقــد كنــتَ عــفَّ اللســان ... وعــف اليــدين وعــف النظــر

جَنانُـــك لا تعتليـــه التســـكوك ... ونفسُـــك لا يزدهيهـــا البَطَـــر

شـــباب مضى كنَـــتَ بـــرّاً بـــه ... وشـــيخوخةٌ كنــت فيهــا أبــر

فلـــم تـــدر في صِـــغَر مـــا الصَّـــغار ... ولم تـــدر مـــا الكِـــبْرُ عنـــد الكِـــبَر

ونفسُـــك للنفـــع مخلوقـــة ... فلــو رُمــت..لم تــدر كيــف الضرر

لقـــد جـــلَّ خطبـــك عـــن أن يقـــاس ... بـــما خلَّفتـــه خُطـــوب أُخـــر

فتلـــك يُـــلامُ بهـــا جـــازع ... وهـــذا يـــلام بـــه مـــن صـــبر

بكيتُـــكَ للعلـــم مُخَصْـــتَهُ ... وأبرزتـــه نافعـــاً مختـــصر

كتـــاب أبيـــك ومـــن ذا يعيـــد ... عليـه.. وقـد رحـت عنـه.. النظـر

وللـــنفس تزهَـــد في عاجـــل ... وترغـــب في الآجـــل المـــدخر

لفقـــد صـــيامك يبكـــي النهـــار ... ويبكـــي لفقـــد القيـــام الســـحر

بكيتـــك للبيـــت عـــالي العـــماد ... فخـــاراً نُعيـــت إليـــه فَخَـــر

تعطَّـــل مـــن حَلْيـــهِ جيـــدهُ ... وعِقـــدُ الجـــواهر منـــه انتثـــر

رأيـــت مـــن النـــاس مـــا دونـــه ... يُفَـــلُ الحديـــد يُفَـــتُ الحجـــر

نُســـيتَ لأنـــكَ رُمـــت الآلـــه ... وغـــيرُك رام الـــورى فاشـــتَهر

وعافتـــك دنيـــاكَ إذ عِفتهـــا
وما بــك لــو رُمتهــا مــن قِصَر

وأعظــمُ مــا جــرّ خطــب الزمــان
ملائكـــةٌ تُبـــتلى بـــالبشر

ثمانــــينَ في الله قضـــيْتَها
ســتُظْهر مــن فــاز ممــن خسر

علــى قــدر مــا اختلــف الــواردون
يكــونَ اخـــتلافُهُمُ في الصَّـــدَر

ولــو نَفَعــتْ عِــبرةٌ في الــورى
لكانـــت حياتـــك أمَّ العـــبر

لقــد كلمتــك خطــوب دهــت
لــو الصــخرُ كابــدهنَّ انفطــر

شــبابان كنـــا بلطفـــيهما
نبـــاهي الخميلـــة أُمَّ الزهـــر

فقـــدتَهما لم يكـــن بـــين ذا
وذلـــك إلا كلمـــح الـــبصر

أتعلـــم إذ شـــيعت نعشَـــه
لمــن ذا تُشــيِّع هــذي الزمــر

وهــل عَــرَف المــوت إذ غالــه
بــما أيِّ عِلْــقٍ نفــيس ظفِــر

ولــو كنــتَ تُرثــى كــما ينبغــي
لكنــت الجــدير بــأم الشُّــور

ولكــن علــى قــدْر مــا أســتطيعُ
أتيــت أقابــل طــوداً بِــذر

ومـــا أنـــا إلا مُســـيء أقـــر
ومـــا أنـــت إلا كـــريمٌ عـــذر

هــو الحــزن نَــمَّ عليــه البيــان
أو الجمـــرُ نـــمَّ عليـــه الشرر

رأيــت الهمــوم نَتــاجَ الشــعور
فــلا يَفْــرَحنَّ امــرؤٌ إن شــعر

ودونَ القصــيد الــذي تقــرؤون
إذا جاشــت أنفــس وخــزُ الإبــر

ومـــا المـــرءُ إلا بآثـــاره
وذكــرك بــالخير نعــم الأثــر

أبــا حســنٍ يــا جــواد النَّــدى
إذا المَحْــلُ عــمَّ.. وصِــنوَّ المطــر

ويــا نابغــاً حــينَ جَــفَّ النُّبــوغ
وضــلت عــن الفكــر أهــلُ الفكــر

يَهــشُّ لــك الســمع قبــل العِيــان
وتشــتاقك البــدو قبــل الحضر

فـلا تجـزَعنْ.. نِعـم عُقبـى الفتـى ... تَحَمّـلُ مـا لم يُطِـقْ فاصـطبر

***

البادية في إيران

بهجـة القلـب جـلاء البصرِ ... هـذه الأريـاف غِـب المَطَـرِ

يـا أصيلاً هاجَتْ الذكرى بـه ... نسـمةٌ أنسَتْ نسـيمَ السـحر

أنـت هيَّجـتَ شُـعوري طَرَبـاً ... أنـا لـو لم تحـلُ لي لم أشـعرُ

لطفُـك اللهُـمَّ مـا أعظمَـه ... أفهـذا كلُّـه للبشَر

أبسـاطُ الـورد ممـدوُد عـلى ... هـذه الأقطـارِ مَـدَّ البصر

وبأنفـاسِ جِـرارٍ خَبُثَـتْ ... تتلاشـى نفحـاتُ الزَهَـر

يـا خليـليَّ أجـيلا نَظَـراً ... تَريـا الآفـاقَ كُحـلَ النظـر

تريـا « البقعـةَ » مـن بعـد العـرا ... تَكـتسي نـورَ بسـاطٍ أخضر

عَمِيـت عينـيَ أن أشـغلَها ... منظـرٌ عـن حُسـن هـذا المنظـر

ألشيءٍ غـيرَ أنَ تؤنسَـني ... تظهـرُ الأرضُ بهـذا المظهـر

لسـتُ بالشـاعر إن لم يُصْبِني ... أينما كـان.. جمـالُ الصُـورَ

في الثرى.في الروضِ. في أفق السما ... في شـآبيبِ الحيـا.. في الحَجَـر

واشـكري يـا أرضُ ألطـافَ السّما ... تُسـلَبُ النعمـةُ إن لم تشـكري

واذكـري الشـدةَ في فرحِتهـا ... واعـرفي حُسـنَ صـنيع المطـر

حَسُـنَت باديـةٌ فارهـةٌ ... هـي أَنسـتْنيَ حُسـنَ الحضَر

كـم عـلى أُمواهِهـا تعريسـةٌ ... ومَقيـلٌ تحـت ظـلِّ الشـجر

ونهـارٌ مشـمِشٌ نَقْطَعُـهُ ... بالأحاديـثِ كليـلِ مقمـر

راقــت الوحــدةُ لي في غربتــي | أنــا لا أهــوى ضــجيج الزُمِــر
شُــغِل النــاسُ بسُــمّارِهُمُ | وأنــا وحــدي هــواكم سَــمَري
أنــا والــروضُ وأشــباحُكُمُ | نتنــاجى تحــتَ نُــور القمــر
هيَّجــوا أوتــارَهم وانبعثــت | هِــزّةُ الحــب فهاجــت وَتَــري
نَفــسَ للشــعر في تقطيعــه | أثــرٌ مــن نَفَــسِ المحــتضَر
يــا أحبــايَ ومــا أصــبرَكم | أحسَــنُ الأحبــاب مــن لم يَصبِر
طــال إســهابي ومــا أشــوقَني | لكتــابٍ مــنكُمُ مختــصَر
كــم أرى منتظــراً وعــدَكمُ | ثَقُــلَ الوعــدُ عــلى المنتظِــر
أنــا إنْ عَــدُّوا علــيكم عثــرة | قلــت :أيُ النــاس مــن لم يعثُــر
وإذا مــا قيــل : ظلــمٌ هجــرهُم | قلــتُ:لا لــو زلــةٌ لم أهجُــر
يطمــع القلــب بسُــلوانِكُمُ | فــإذا حاوَلَــه لم يقــدِر
تعتريــهِ هــزَّةُ الشــوقِ لكــم | ومــن القســوة أن لا تَعــتري
أتُــرى ريــحَ الصــبا يُثقلهــا | خــبرٌ تحملــه عــن جَعفَــر
عــن أديــبٍ جَمَعَــتْ أنفاسُــه | صـنعةَ « الفـنِ » وطبـعَ « العبقـري »
أنــا خــاطرت بــنفسي في الهــوى | والهــوى لذَّتــهُ في الخَطَــر
قــد سَــهِرْنا فوجــدنا أنــه | فــوق طعــم النــوم طعــمُ السَــهَر
حســب قلبــي ذكــركم تعويــدةً | وأمانــاً مــن صروف القــدر

***

على دربند

أحبَّتنـا لـو أُنـزل الشـوقُ والهـوى | عـلى قلـب صـخرٍ جامـدٍ لتصـدَّعا

خليليَّ ما أدنى المهات إلى الفتى ... وأقربَ حبلَ العمرِ أنْ يتقطَّعا

ولمْ تطلُعِ الأقمارُ إلاَّ لتختفي ... ولا عقربُ الساعات إلا لتُلسعا

فإنْ لم يكن إلاَّ نهارٌ وليلةٌ ... فما أجدرَ الإنسان أنْ يتمتَّعا

ولمَّا أبتْ أيَّامُنا غيرَ فُرقةٍ ... ولم تُبْقِ في قوس التصبرُّ منزِعا

وكنَّا وفي كأس الرزايا صُبابةٌ ... فما برِحتْ حتى شربناه أجمعا

نوينا فأزمعنا رحيلاً وما التوت ... بنا نُوبُ الأيام إلاَّ لنُزمعا

نزلنا ففرَّقنا هموماً تجمَّعتْ ... أبى صفو « شمرانات » أن تتجمَّعا

أحتىَّ لدى الجنَّاتِ أهفو إليكمُ ... ويسمعني داعي الصبابة أنْ دعا

رعى الله أُم الحُسن « دَرْبندَ » إنَّنا ... وجدنا بها روضاً من الصفو مُمرِعا

لقد سرَّنا منها صفاها وطيبَها ... ولكن بكيناه جمالاً مضيَّعا

مَريعاً من الحُسن الطبيعيِّ لو سَعتْ ... بنوه إلى إنعاشه كان أمرعا

قُري نظِّمتْ نظمَ الجُمانِ قلائداً ... أو الدُّرِّ مُزداناً.. أو الماسِ رُصِّعا

صفوفٌ من الأشجار قابلْنَ مثلَها ... كما مَصرعٌ في الشعر قابل مصرعا

نَظَمنا فأهدَينا القوافي بديعةً ... وكانَ جمالُ الله فيهنَّ أبدَعا

وقفتُ على النهر الذي من خريرِه ... فرْعتُ من الشعر الإلهيِّ مطلعا

لقد وقَّعتْ كفُّ الطبيعةِ لحنه ... وشابهه في الشعر طبعي فوَّقعا

***

بريد الغربة

هبَّ النسيم فهبتِ الأشواقُ ... وهفا إليكمْ قلبه الخّفاقُ

وتوافَقا فتحالفا هو والأسى ... وحَمامُ هذا الأيكِ والأطواق

عـارٌ عـلى أهـل الهـوى أن تُـزدرى ... هـذي النفـوسُ وتُشـترى الأعـلاق
ذَم الفـــراقَ معـــاشرٌ جهلـــوكُمُ ... مـن أجلكـم حتـى الفـراقُ يُطـاق
ما شوقُ أهل الشوق في عُرفِ الهوى ... نُكـرٌ فقـد خُلِقـوا لكـي يشـتاقوا
أمـا الرفـاقُ فلـم يَسُؤْني هجـرهمْ ... إذ لـيس في شرع الغـرام رفـاق
لـو أُبـرم الميثـاقُ مـا كَمَـلَ الهـوى ... شرطُ الهـوى أن يُـنقَض الميثـاق
كُتُـبُ الإلـه تشرفـت في ذكـره ... وبـذكركمْ تـتشرفُ الأوراق
هـذا القـريض تكـبَّرت بُرُآتـهُ ... إذ ضـاق مـن ألم الفـراق خنـاق
عَمَـرت بـذكركمُ اللذيـذِ مجـالسٌ ... وازَّيَّنَـتْ بهـواكُمُ أسـواق
مـاذا أذُم مـن الهـوى وبفضـله ... قـد رق لي طبـعٌ وصـحَّ مَـذاق
هي « فارسٌ » وهواؤهـا ريح الصَّبا ... وسـماؤها الأغصـانُ والأوراق
وَلِعَـتْ بهـا عُشّـاقها وبليـةٌ ... في الشرق إنْ وَلِعَـتْ بهـا العشـاق
سـالت بـدفاق النُّضـار بقاعُهـا ... وعـلى بنيهـا شـحتِ الأرزاق
يـا بنـتَ « كـومرثٍ » أقـلِّي فكـرةً ... فلقـد أضرَّ برأسـك الإخفـاق
وتطلَّعـي تَتَبَيَّنـي الفجـرَ الـذي ... تتـوقعينَ وتـنجلي الآفـاق
لي في العـراق عصـابةٌ لـولاهمُ ... مـا كـان محبوبـاً إليّ عـراقُ
لا دجلـةٌ لـولاهمُ.. وهـي التـي ... عـذُبت..تـروق ولا الفـراتُ يـذاق
« شمرانُ » تُعجِبُني.. وزهرةُ روضها ... وهواؤهـا.. ونميرُهـا الرَّقـراق
مـتكسراً بـين الصـخور تمُـدّهُ ... فـوقَ الجبـال مـن الثُّلـوج طِبـاق
وعليـه مـن وَرَقِ الغُصـونِ سُرادقٌ ... ممـدودةٌ ومـن الظِـلالِ رُواق
في كـل غصْـنٍ للبلابـل نـدوةٌ ... وبكـل عـودٍ للغنـا «إسـحاق»

كانت منايّ فلم تُعَقْ وعجيبةٌ ... أني أُحب منيّ فلا تُعتاق
سرُّ الحياة نجاحُ آملِ الفتى ... أما المهاتُ فسرُّه الإخفاق

***

في طهران

ما انتفاعي بغيض هذي الدُّموع ... والجوى مِلْءُ مهجتي وضُلوعي
لا أُحب العِناقَ من أجل ذكرى ... خَلّفتها عناقةُ التوديع
لم أكُنْ قبل أن يَحِينَ نواكُمْ ... عارفاً قَدْرَ شمليَ المجموع
قد رأيتمْ تجلُّدي لسواكمْ ... فاسألوا: كيف كان فيكم وُلوعي
هَيّنٌ كلُّ ما أُلاقيهِ منكمْ ... في الهوى غَيْرَ ذِلّتي وخضوعي
عتب الناسُ قبلنا فأساءوا ... رُبّ عتبٍ يجرُّ للتقريع
أين فضلُ الشباب إن لم يكن لي ... حين أرجو وصالَكُمْ بشفيع
نَفَسُ الشعر شاهدٌ لذويهِ ... ليس يخفى المصنوعُ بالتصنيع
إن أُضيّعْ فسوف يُنْشَدُ شعرٌ ... بدويٌّ برقةِ المطبوع
قد سمِعْنا بفارسٍ وكفانا ... حُسْنُ مرئيّها عن المسموع
جاء فصلُ الربيع يَفْتَرُّ حسناً ... وهنا.. هاهنا رُواءُ الربيع
رَجَع الحسنُ بعدما فات منها ... قلَّ ما بينَ فَوْتِهِ والرُّجوع
وإذا ما الشتاءُ جاء وردت ... قطعاتُ الثلوج كَفَّ الصقيع
وأتى الصيفُ فاستفاضت شِعابٌ ... غمرتها الرّبى بماءٍ مَريع
وتولى الأشجارَ زِيٌّ غريبٌ ... فهي خضرُ الأصولِ بيض الفروع
فهناك الجمالُ وهو بسيطٌ ... تجتليه والحسن وهو طبيعي

الخريف في فارس

يـــا هـــائجينَ لخريـــفِ فـــارسٍ ... مـــا تصـــنعونَ لـــو أتـــى ربيعُـــهُ
ورافعـــــينَ طُنُبـــــاً تدعَمـــــه ... قـــــدودُهم دامَ لكـــــم رفيعـــــه
أبيـاتُ حُسـنٍ.. نُظِّمـتْ بيُـوتُكم ... جميعهـــــا وحُـــــيكم جميعـــــه
كـــأنما الجْـــمالُ شِـــعرٌ بحـــرُه ... بـــــرٌّ وأطنـــــابُكمُ تقطيعـــــه
تشـــكركُمْ عُيـــونُ أربـــاب الهـــوى ... وصـــاحبُ الإحســـانِ مـــن يُشـــيعه
هـــذا جمـــالٌ زانـــهُ نـــورُ الفضـــا ... لا كجـــــمالٍ حِفظُـــــه يُضـــــيعه
لله دَرُّ دَرِّه مــــــــن مُرضِــــــــع ... كـــلُّ الثـــرى ومـــن بـــه رضـــيعه
أُفٍّ لخَلْـــقٍ رشَّـــةٌ مـــن السَّـــما ... تُشــــــبعه وَمنْعُهــــــا يُجيعــــــه
الحـــيُّ بـــادٍ عُجْبُـــه وعنـــدَه ... عجيـــبُ أمـــرٍ مضـــحكٍ بديعـــه
مـــا الحـــيُّ يقتـــادُ القطيـــعَ للكـــلا ... وإنـــــما يقـــــوده قطيعـــــه

***

الربيع

خلـــيليَّ مـــن ظلـــم الليـــالي بأنهـــا ... تجيء على رَغمي وتُحسَب من عُمري
هَلُـــمّا نَبِـــعْ عُمـــراً ونَشْرِ مَسَرَّةً ... فلـــيس بعـــدلٍ أن نَبيـــعَ ولا نَشرى
ألم تَرَيـا حُسـنَ الربيـعَ ومـا ضَـفَا ... عـلى هـذه الأشـجارِ مـن حُلَلٍ خُضر
فلـو أنَ مَيْتـاً يُكتَفـى عـن نُشـوره ... إذنْ لاكتفى مَيْتُ النباتِ عن النَشْر
تَرى الوَرْقَةَ الصفراءَ تنمو على الحَيا ... رُوَيـداً كـما ينمـو الرضـيعُ عـلى الـدَرّ
خلـــيليَّ مـــا شُـــكرُ ابـــنِ آدم ربَّـــه ... بأفصـحَ مِـن شُـكر الخمائـلِ للقَطْـر

سقاها الحَياَ الغادي فنَمَّ على الثَنا   شذاها كما نمَّ الحَبَ'ب على الخَمر

***

من كنوز الفرس

هي بعض ترجمات من شعر حافظ الشيرازي.. الشاعر والأديب الفارسي المعروف.. ولفصل هذه المجموعة عن باقي قصائد الديوان اخترنا ترقيمها بهذا الشكل من رقم (١) إلى رقم (٢٥).. وقد نُشرت بالتتابع في جريدتي النجف ابتداء من العدد ٦١ في تشرين الثاني ١٩٢٦ وانتهاء بالعدد ٦٩ في ٧ كانون الأول ١٩٢٦ . ولم يحوها ديوان من قبل هذه المجموعة.. ويقول الجواهري عنها في العدد ٦٤ من جريدة النجف الصادر في ٣ كانون الأول : كان لوجودي في «طهران » عاصمة الفرس الفضل الأدبي الذي لا ينسى.. فقد لطفت أوضاع هذه المملكة الروحية وأذواقها النفسية من روحي وذوقي.. ويستطرد الجواهري في نهاية مقاله المطول ليقول أن بعض أشعاره التي كتبها هناك هي أعز ما ضمنته مذكرته الشعرية..

***

١ - مجموعة الورد

لغة الأملاك لا يعرفها كل من طالع أوراق الصحاح

لأزاهير الربى مجموعةٌ شرحها يعرفه طير الصباح

***

٢- بين العالمين

ملكاً كنت وفي الفردوس لى كان صحاب

آدم أخرجني منه إلى هذا الخراب

ظـــل طـــوبى وصـــفاء الحـــور غيـــداً والشراب
كلـــه مُـــذ همـــت في حبـــك عـــن ذهنـــي غـــاب

***

٣- جلوة المعشوق

بلبـــــل يحمِـــــلُ في منقـــــاره وَرْقَـــةً مـــن وردةٍ ذاتِ جمـــالِ
وهـــو لا ينفـــك في استعراضـــها ذا زفـــيرٍ ونُبـــاح متعـــالي
قلـــت : مـــا أوجـــب ذا الحـــزنَ ومـــا نســبةُ الوصــلِ مــن الــدمع المُـذال
قـــال : هـــذا ســـنةٌ توجبهـــا جلـوةُ المعشـوقِ في يـوم الوصـال

***

٤- فتوى في الخمر

مـــن شـــيخ دَيْـــرِيَ فَتْـــوى عنـــــدي وعهـــــدٌ قـــــديمُ
أن لا تَحِـــــــلَّ مُـــــــدامٌ حتـــــى يَحِـــــلَّ النـــــديم

***

٥- الأمل

إن يكـــنْ أُغْلِـــقَ يـــومٌ لـــــك فـــــارجُ الانفِتـــــاحْ
مـــثلما تنقـــبض الـــوردةُ بعـــــــــــدَ الأنْشراح
فيُحيّهـــا الصِّـــبا الطَّلـــقُ وأنفـــــاسُ الصـــــباح

***

٦- رشحة القلم

أيَّ لُطـــفٍ قـــد أرتنـــا رشـــحةٌ مـــن قلمـــكْ

كرمـــــاً كــــــان عظـــــيماً منـــــك ذكـــــرى خَـــدَمِك

***

٧- أينا أحسن..

ذهـــب النـــاس مـــن الـــدنيا بِمُلْـــــــكٍ ونعـــــــيم
وذهبنـــا نحـــن بالأشـــعارِ والـــــــذوقِ الســـــــليم

***

٨- ختم الشفتين

مثـــلُ دنِّ الخمـــرِ نـــفسي أبـــــــداً في غليـــــــانْ
وأنـــا آكـــل مـــن قلبـــي ولا يـــــــدري اللســـــان
كيـــف بعـــد الخـــتم تقـــوى أن تبـــــوحَ الشـــــفتان

***

٩- في العيد

وعـــظ الشـــيخُ ولكـــنْ أذني فيهـــــا انصـــــمامْ
كـــلُّ شـــغْلي يـــومَ عيـــد الفِطْـــرِ كـــأس ومُـــدام
لِتنـــالَ الخمـــرُ منـــي ثـــأرَ أيـــام الصِـــيّام
مـــدة غبـــت بهـــا عـــن وجـــه خمـــار وجـــام
وبحســـبي بعـــض مـــا فرطّـــتُ في ذيـــــن أثـــــام

***

١٠- أدب الساقي ..

خـــذِ الكـــأس بتـــوقيرٍ وقبّلْهـــــا بإذعـــــانِ

فقـــد رُكِّـــبَ مـــن قِحْفَـــةِ جبّـــــارٍ وســـــلطان
بقايـــــا رأسِ جَمْشـــــيدَ وبهـــــرام وبهـــــمان

***

١١- النسيم العاشق

مـــن أجـــل أن يحظـــى بـــوردٍ مثـــل وجهـــك فى الجـــمال
صـــبحاً يجـــوس خـــلال كـــل خميلـــةٍ ريـــح الشـــمال

***

١٢- بلا عمر

أنـــا قـــد عشـــت بـــلا عمـــرٍ لتـــوديعي رفـــاقي
أيـــن مـــن يحســـب مـــن دنيـــاه أيـــام الفـــراق

***

١٣- نسيم الحياة..

جهـــراً أقـــول ولـــوثُ الخُـــمارِ يـــدوي بـــرأسي
إني وجـــدتُ نســـيمَ الحيـــاةِ يمـــلأُ كـــاسي

***

١٤- أمر الأستاذ

لا بـــأمري خلـــق الصـــاحي ولا النبّـــاذْ
كلنـــا يـــأتي كـــما قـــد أمـــر الأســـتاذ

***

١٥- البلبل الشاعر

في الصبح أوحى بلبل الرّوضِ إلى ريح الصَّبا
أرأيت ما جرّ لنا عشقُ أزاهيرِ الرُّبى

***

١٦- هذا وذاك

ينوح البلبل المسكين ما بين البساتين
وأنفاس الصبا تحظى بتقبيل الرياحين

***

١٧- من هنا إلى هناك

سماع الوعظ لا نقبله من غير أخيار
فمن مجلسنا هذا إلى حانة خمار

***

١٨- أمران عجيبان

طبعك القاسي وحظي منك أمران عجاب
لعدوى مجلس الأُنس ولي مر العتاب

***

١٩- إلا أنا

كل سكير قضى عن نفسه دين الشراب
وأنا ثوبي رهن الخمر من دون الثياب

***

٢٠- ألف شكوى

أمـــن الـــدهر تعجبـــت ومـــن صرف الهـــوان
ألـــف شـــكوى مثـــل هـــذي ســـمعت أذن الزمـــان

***

٢١- أم لماذا

هـــل صـــحا «حـــافظ» مـــن ســـكر ريـــاء وارتيـــاب
أم لمـــــاذا تـــــرك الـــــدير إلى حـــــان الشراب

***

٢٢- أنت أعرف

أنـــت يـــا ســـاقي الطـــلا أعـــرف منـــي بالصـــنيع
أنـــت مـــن أهـــل الشـــعور الحـــي والـــذوق البـــديع
ضـــفة النهـــر وظـــل الغـــيم والفصـــل ربيـــع

***

٢٣- فى الكأس

زف لي الخـــمار كأســـاً هـــي مـــرآة الزمـــان
دلنـــى فيهـــا عـــلى مـــا فيـــك مـــن لطـــف المعـــاني

***

٢٤- الوردة والشوكة والبلبل

ســـحراً إذ جئـــت للبســـتان أبغـــي منـــه وردا
راعنـــي صـــوت هـــزازٍ يتشـــكى الحـــب فـــردا

شــــاعرٌ قـــد هـــده عشـــق ورد الــــروض هـــدا
فــــتراه يمـــــلأ البســـتان بالآهــــات وجـــــدا

***

٢٥- كثر الورد .. ولكن

كثـــر الـــورد ولكـــن منـــع الشـــوك اقتطافـــا
عشـــق البلبـــل ورداً هـــو والشـــوك تصـــافى
لا ســـلا هـــذا ولا ذاك عـــن الإلـــف تجـــافى

***

اعترافات

يقـــول : لَمَ اعتزلـــتَ؟ فقلـــتُ لِمْ لا — وخـــيرٌ مـــن تظـــاهُريّ اعتـــزالي؟
نظمـــتُ فلـــم يُفـــد شـــيئاً نظـــامي — وقلـــت فلـــم يَجِـــد أثـــراً مقـــالي
وهـــل تجـــدي الشَّـــجاعةُ في كـــلام — جبانـــاً عـــن مقارعـــة الرجـــال
أقـــــول وذاك بهتـــــانٌ وزورُ — ظهـــــوريَ لا لجـــــاهٍ أو لمـــــال
ألا فليشـــــــهَدَ الـــــثقلانِ أني — مـــع الأيـــام ! تـــرخُص ..أو تغـــالي
أذُم النــــاس إن غــــابوا.. ولكـــن — إذا حضروا فعُنـــــوانُ الجـــــلال
أبـــالي بامتـــداح النـــاس فعـــلي — وإن أظهـــــرت أني لا أُبـــــالي
وأزجُــــرهُم إذا نطقـــوا بعيبـــي — كـــأني بـــالغٌ حـــدَّ الكـــمال
وأُظهـــر عِفـــةً عـــن نيـــل شيءٍ — إذا ألفيتُـــه صـــعب المنـــال
وأُســـأل عـــن أمـــور لا أعيهـــا — فـــأظْهِر أن نقصـــاً في الســـؤال
وكـــم ســـليت بالأوهـــام نـــفسي — وغطَّيـــت الحقيقـــةَ بالخيـــال

خططتُ على الرمالِ منيّ فلما ... تطامى السيلُ سِلْن مع الرمال
وكم من منطقٍ حُرٍّ نزيهٍ ... أُزيّفُهُ عِناداً بالجدال
مخافَة أن أُرى فيه أخيذاً ... ومغلوباً.. كأني في قتال
على عهدي.. فلا الأيام حالت ... ظواهرُها.. ولم تشِب الليالي
ولكنْ.. ضيقُ نفسي باعترافي ... يريني أن ضيقاً في المجال
وكم وعدٍ حلفتُ بأنْ يوفّى ... كأني قد حلفت على المِطال
أقول.. ولا أخاف الناسَ.. إني ... مزجت حرامَ دهري بالحلال
وقد حَسُنتْ خِصالٌ لي ولكن ... رأيت القبحَ أكثرَ في خِصالي

****

شدة لندن

يا خليليَّ والبلاءُ كثيرٌ ... في بلادي.. ولا كهذي البليهْ
أزْمنَ الداء في العراق ولن ... يَشفيه إلا الجرّاح والعمليه
أفتِيٌّ عراقنا ؟ فلماذا ... خدعوه ؟ وذاك شأن الفتيه
سَحَرْتنا ظواهرُ الأمر حتى ... أوهمتنا أن البلاد قويه
نتغنى وعصْرنا من نُحاس ... بأغاني عصورنا الذهبيه
نَخر الجهل أُمّتي نخرة السوس ... فأينَ المجامعُ العلميه
كلُّنا في الجْمود والجهل ... وحشيون لكنْ حقوقنا مدنيه
كلُّنا في النفاقِ والختلِ نُبدي ... كلَّ يوم مهارة فنيه
وطني كلُّ من عليه وزيرٌ ... واضعٌ نُصبَ عينه كرسيَّه
قد لففنا كل المساوي فينا ... برداء من نهضة وطنيه

مـــا شَـــقِينا إلاّ لأنـــا حسِـــبْنا أن في الكـــذب جـــرأة أدبيـــه
كثـــر المـــدَّعونَ.. لمـــا اختلفنـــا في البـــديهي.. فكـــرةٌ فلســـفيه
لـــو يقـــول الأديـــب في الشرق « إن الأرض تحتـي » لسُميت نظريـه!
كلُّنـــا بالـــذي تمنـــى سـعيد لا نبـــالي أن الـــبلاد شـــقيه
أسـمعتم مـا قيـل عـن « برلمـاني » وعـــرفتم مهـــارة الحزبيـــه؟
لسـت أدري لكـن يقـول خبـير في البضـاعات.. شـدة « لندنيـه »

***

بغداد على الغرق

بـدت خَـوداً لهـا الأغصـان شَـعرُ ودجلـــةُ ريقُهـــا والسَـــفْحُ ثَغْـــرُ
عـلى « بغـداد » مـا بَقِيـتْ سَـلامٌ يَضُـــوعُ كـــما ذَكَـــا للـــوَردِ نَشْر
سـمتْ تَزْهـو عـلى السَـحَينِ منهـا قصـــورٌ ملؤهـــا زَهْـــوٌ وكِـــبْر
يُظلَّـــلُ دجلـــةٌ منهـــا جَنـــاحٌ كـــما بَـــاهى بقادِمتَيـــه نَسْر
نزلـــتُ فـــما رأيـــتُ أبـــرَّ منهـــا وضـــيفُ كريمـــةٍ بـــرّ يُـــبَرَ
قرتْنـي الـريحُ.. لم يَفْسُـد.. مَهَـبٌّ لـــه والمـــاءُ.. لم يسْـــدُدْ.. مَمَـــرُّ
سـكِرتُ ومـا سُـقِيتُ بغـيرِ مـاءٍ ودجلـــةُ ماؤُهـــا عَسَـــلٌ وخَمـــر
كريمـــةُ ســـادةٍ عَـــرَّقْنَ فيهـــا عـــروقٌ مـــن بنـــي « عـــدنان » نُضْر
كفـى « العبـاسَ » مـا أبقَـتْ بنـوه فـــما تَربـــو عـــلى « بغـــدادَ» مِصْر
مَضَـوا غُـرَّ الوجـوهِ وخلَّـدتْهم نِقابـــاتٌ مـــن الآثـــار غُـــرّ
فمـن يـكُ ذكـرهُ حَسَـناً جمـيلاً فحسْـــبُ القَـــوم في بغـــدادَ ذِكْـــر
فيـــا بغـــدادُ لا ينفـــكُّ سِرٌ لحُسْـــنِكِ يـــنجلي فيـــدِقُّ سِر

أكنت و «بابلاً» بلداً سواء ... فللملكَينِ باقٍ فيك سحر

سقى الجسرَ المَطيرَ من الغوادي ... فَملْقى اللهو واللذاتِ جسر

هو البرجُ الذي كادَتْ عليه ... نجومُ الأفقِ ساجدةٌ تَخِرّ

رأيتُ بأفقه شمساً وبَدراً ... كأحسنِ ما تُرَى شَمسٌ وبَدر

نهاراً كلُّه أُصُلٌ لِذاذٌ ... وليلاً كلهُ سحرٌ وفجر

وقفتُ عليه وِقفةَ مستطيرٍ ... من الأحزانِ ملْء حَشاه ذُعر

وللأمواج من حَنَقٍ نَشيشٌ ... كما يَغلي على النيرانِ قِدر

ودجلةُ كالسجينِ بغَى فراراً ... وأزْبَدَ حيثُ أعوزَه المَفَرُّ

وذاك الثابتُ الأركانِ أمسى ... عليها ريشةً لا تستَقِرُّ

فما أدري غَداةَ نَزَا عليه ... من الأمواج مُغتَلِمٌ يؤر

أتحتَ الماءِ غاصوا حين جازوا ... عليه أم فُوَيقَ الماءِ مرّوا

أحقاً أن « أمّ الخير » منها ... بعاصمة « الرشيد » أحاطَ شرّ

وبات الماءُ منها قِيدَ شِبرٍ ... لقد أسدَى لها الإحسانَ شِبر

ودجلةُ حُرَّةٌ ضيمَت فجاشَت ... ويأبى الضيمَ والإذلالَ حرّ

أضاعُوا ماءها هدراً وأختَى ... على مُستودَع البَرّكات فَقْر

فإن تَكُ دجلةٌ هَدَأت وقرَّت ... فللغضبان « شِقْشِقَةٌ » تَقَر

وإن تُبْتُمْ فذالكمُ وإلا ... تُصِرُّ على البلية إن تُصرّوا

رأوا حسنَ العراق فأعجبتهمْ ... أباطحُ من.. ربيع فيه.. خُضْر

وقد حَنُّوا إليه كما تلظى ... فطيمٌ حول مرضعة تدُر

فيا وطناً جَفَوْهُ وهو راضٍ ... وعقّته بنوه وهو بَرّ

برغمـي أن تـروقَ لهـم فتحلـوا ... مـواردُهم وعـيشي فيـك مـرّ
نصـيبي منـك دمـعٌ لـيس يرقـى ... عـلى البلـوى وجنـبٌ لا يَقِـر
رضيٌ بالحـالتين ضـنىً وبـؤسٌ ... فضُر مـن بـلادي لا يضر
ولسـتُ ببـائع أرضي بـأرضٍ ... وإن لم ألـقَ فيهـا مـا يسر
ومـن لم يـرضَ موطنـه مقـراً ... مـن الـدنيا فلـيس لـه مقـر
تتابعـت الخطـوبُ عـلى بـلادي ... فواحـدةٌ لواحـدةٍ تجُـر
وقـد مـرت نحـوسٌ واسـتمرت ... وذلُ القـوم نحـسٌ مسـتمر
فلـو قـالوا تمـنَّ لقلـتُ يومـاً ... يكـرُّ ومـا بـه خطـبٌ يكـر
إليـك الشـعرَ يـا بغـدادُ عِقـداً ... تناسـق لؤلـؤٌ فيـه ودُرّ
بيـانٌ جـاش فيـكِ فجـاء عفـواً ... وحسـنٌ رق منـك فـرقّ شـعر
جـرى بـالوَفق مـن قلبـي لسـاني ... وأظهـرت القـوافي مـا أُسِر

***

تحية الوزير

حـيِّ الـوزيرَ وحـيّ العلـمَ والأدبـا ... وحيِّ مـن أنصـف التـاريخَ والكتبـا
وحيِّهـا ضربـةً للجهـل قاضـيةً ... مجالسُ العلـم قـد عجّـت لها طربـا
وحيّـه سـاخطاً هاجـت حميَّتُـهُ ... وحيِّـهِ ناهضـاً غَـيرانَ ملتهبـا
أُريـد منـه الـذي لم يهـوَهُ فنبـا ... وسِـيمَ مـا لم يُطـقْ وجدانـهُ فـأبى
لـولاك أعـدى بُـراءً داءُ دعـوتِهم ... وربّ عضـةِ كلـبٍ أورثـت كَلَبـا
لم يحفظـوا لأمـاني الشـعب حرمَتَهـا ... من أجل أن يبلُغوا من مطمع أرَبا
يـا صـاحب الهمّـةِ الشـماء حسـبُكَهُ ... يومـاً رَعَيْـتَ بـه الأجـدادَ والنسـبا

اللهُ يجزيـــك والآبـــاء مـــأثرةً | في الله صُـنتَ بهـا آبـاءَكَ النُجبـا
ما زلـت « حباً بـما شيدت في رجـب » | من فوق كل شهوري رافعاً رجبا
بصّرت بعـدك مـن يـأتي بواجبـه | نحو البلاد كما أخجلتَ مَنْ ذهبا
لـو كـان للشـعبِ رأي في مصائرِه | حقـاً أقـام لـك التمثـالَ والنُصُـبا
هـم حاولوهـا لأغـراض مُذَمَّمَـةٍ | حتى إذا سُعِّرَتْ كـانوا لها حطبـا
جـزاء مـا قـد أظلتـه الـبلادُ ومـا | أضفت عليهم بـه أثوابَهـا القُشُبـا
عـارٌ عـلى صـفحة التـاريخ قيلتُـه | ولطخـةٌ في جبـين المجـدِ مـا كتبـا
حسـب «الحسـين» الـذي لاقاه مغترباً | مـن الشـام ومـا لاقـاه محتربـا
هـذا نتـاجُ شـعورٍ جـاش جائِشُـهُ | راعوا عواطف هـذا الشعب ياغُرَبا
أمـا العـراقُ فقـد غصـت «مطاعِمُـهُ» | فاستطعموا بعده بيروتَ أو حلبا
ضـاقت بـما لَقِيتْ منهم مـواطِنُهُمْ | لكـنّما مـوطني مـن ذلـةٍ رَحُبـا
وقيعـة بـين شـعب هـادئ وجـدوا | كفـواً لها سـاقطَ الأخـلاق فانتـدبا
مـا كـان يعلـم لمـا أن أهـاب بـه | شـيطانُه أنْ يَجُـرَّ الويـلَ والحربـا
حتـى إذا صَـوَّحَتْ آمالـهُ ورأى | أن الأمـاني التـي غرّتـه عُـذْنَ هبـا
عـضَّ النواجـذَ مـن غـيظٍ فـما نفعـت | شـيئاً وأهْـوِنْ بـه مـن واجـد غضبـا
كسرتَ من شوكة الطاغوتِ ماعسرت | ورُضْـت مـن خُلُـقِ الجَبّـارِ مـا صُـعبا
لا رحمـة لغَـويٍّ في الضـلال هـوى | ولا لعـاً لُمِجِـدٍّ في الشـقاق كبـا
مشـى يظنُّـك كالماضـين ذا خَـوَرٍ | حتى إذا ما رأى مـا لم يـرَ انسحبا
هيهـاتَ في أيّ مرعـى شـائكٍ سـفهاً | رعـى ومـن أيِّ كـاسٍ عَلْقَـم شَرِبـا
وطعمـه جهمـة الأحسـاب مـا عرفـت | مـن الكتـاب إلا السـب والصـخبا

لكـــل مـــا شـــان أمجـــادا وشـــوهها　　أعــدت الحــبر والأوراق والقصــبا
مــن كــل منتبــذ الأخــلاق مطــرح　　لو كان عضواً لكان الذيل والذنبا

***

الوطن والشباب

أتـــت زمـــراً فهـــدَّدت الـــبلادا　　خطـــوبٌ هـــزَّت الحجـــرَ الجـــمادا
فيـــا وطنـــاً تناهبـــتِ الرزايـــا　　حُشاشـــتَه وأقلقـــتِ المهـــادا
برغمـــــــي أنَّ داءك لاأقيـــــــه　　وجرَحـــكَ لاأطيـــق لـــه ضـــمادا
وأنْ يِـــردوا مياهَـــكَ صـــافياتٍ　　مرقرقـــــةً وأنْ أرِدَ الـــــثمادا
وأن تصـــفو مـــواردُهم فتحلـــو　　لهـــمْ وبنـــوكً لا يَجِـــدونَ زادا
تـــدفقْ مـــاءَ دجلـــة فاخترقْهـــا　　ســـهولاً طـــبنَ مرعـــىً أو وهـــادا
وجلّلْهـــا عمـــيمَ النبـــت واخلـــعْ　　عليهـــا الحُسْـــنَ وافرُشْـــه وســـادا
وقُـــلْ للـــزارع المســـكين يـــزرعْ　　ويتركـــــه إذا بلـــــغ الحصـــــادا
أراد الســـوطُ أن نشـــقى ليهنـــوا　　ومـــاضِ حكـــم «ســـوطٍ» إنْ أرادا
وســـيّدُ نفســـه شـــعبٌ ولكـــنْ　　قضى الفـــردُ المســـلَّطُ أن يُســـادا
ألا ســـاع ولـــو بخيـــال طيـــفٍ　　يـــبشّر أنَّ عصرَ الظلـــم بـــادا
أخُـــلانَ العبـــادِ عـــلى اســـتواءٍ　　لِمـــن وعـــلى مَـــا ســـلَمْتِ العِبـــادا
رأوا في الرافـــدين ثـــرىً خصـــيباً　　يـــروقُ العـــين فـــانتشروا جـــرادا
ســـل الـــنشءَ الجديـــدَ حمـــاه ربي　　أيقـــدِر أنْ يُبلّغنَـــا المـــرادا؟
أيقـــدر أن يُـــري التـــاريخ ســـعياً　　متـــى نمـــرُرْ عليـــه نقـــلْ أجـــادا
وأن يســـعى ليصـــلحها شـــعوباً　　بنوهـــا أوســـعت فيهـــا فســـادا

فـإنَّ عـلى الوجـوه سـماتِ خـيرٍ ... حسـاناً تكشـف الكُـرَبَ الشـدادا
مدارسَـنا احفظـي الأولاد إنـا ... وضـعنا بـين أضـلعك الفـؤادا
أريهـم واجـبَ الـوطنِ المفـدَّى ... لكـيما يُحسـنوا عنـه الجهـادا
أريهـمْ أننـا بـالعلم ننمـو ... كـما ينمـو الثـرى سُـقِيَ العهـادا
أريهـم أننـا نبغـي رجـالاً ... نسـود بهـا الممالـك لا سـوادا
أشـبَّانَ العـراق لكـم نـدائي ... ومـثلُكُمُ جـديرٌ أن يُنـادى
ألسـتم إنْ نبـا بالشـعب خطـبٌ ... نضـيناكمْ لـه قضـباً حـدادا
وحسـب الشـعبِ بـالفكرِ اعتقـاداً ... وبعـد الله بـالنشء اعتضـادا
لسـاني نافـثٌ سـماً وطبعـي ... يلطفُـه فتحسـبُه شِـهادا
لـئنْ غطـى عـلى كَبـدي أديـمٌ ... فكـم مـن جمـرةٍ كُسِـيَتْ رَمـادا

****

نزوات

كـم مـن سـؤالٍ عميـقِ ... لـه الـدموع جـوابُ
أمـا الفـؤاد ففيـه ... مـن الهمـوم كتـاب
عـلى اللسـان تَبَـدَّى ... لّمـا اسـتفاض الوِطـاب
طَفْحـاً كـما يتنـزّى ... عـلى الشراب حبـاب
مـا للثقـاب ومـالي ... مـلءُ الضـلوع ثقـاب
شـعابُ قلبـي أطاقـت ... مـا لا تُطيـقُ الشّـعاب
ولّي شـباب ومـاذا ... رأى فيبقـى الشـباب
ضـيف عزيـز قـراه ... الهـمّ والاكتئـاب

حقيقـــةُ الأمــــر عنـــدي ... الشــــكُّ والارْتيــــاب

جنـــى عـــليَّ شــعوري ... إنّ الشـــعورَ عـــذاب

أمــــا القـــوافي فجمــــرٌ ... طـــوراً وشـــهدٌ مُـــذاب

تـــرضى وتغضـــب لكـــن ... أرَقُهُـــنَّ الغِضــــاب

لا يَحْسُـــنُ الشـــعرُ حتـــى ... تُـــراضَ منـــه الصِّـــعاب

أَوْحـــدهُنَّ فيلغـــى ... عـــن النســـاءِ الحجـــاب

كـــل المســـائلِ غطـــى ... وجـــوهَهُنَّ نِقـــاب

إصـــلاحكُم لـــيس يجـــدي ... كـــلُّ الأمـــورِ خـــراب

قلبـــي وبيتـــي وشـــعبي ... في كُلِّهـــنَّ اضـــطراب

مـــا انســـدّ للبـــؤس بـــابٌ ... إلا تَفـــتَّحَ بـــــاب

البرلمـــــانُ صـــحيح ... يعـــوزه الانتحـــاب

وفيـــه قـــام دويّ ... تجهلـــه الأحـــزاب

الجـــوعُ يُنْـــذِرُ قـــومي ... أن يأكـــل الظُفْـــرَ نـــاب

ســـل دجلـــةً كيـــف باتـــت ... قصـــورُها والقبـــاب

مـــا ضر لوكـــان يومـــاً ... غطّـــى عليهـــا العُبـــاب

غنـــىّ عليهـــا هَـــزارٌ ... ونـــاح عنـــدي غـــراب

مـــن دم قلـــب كســـيرِ ... ســـمنَّ هـــذي الرقـــاب

ومـــن دمـــوعِ حِـــرارِ ... مُلِـــئنَ تلـــك العيـــاب

قـــد بـــان مـــن نقـــص قـــومي ... مـــا لا تغطّـــي الثيـــاب

رّقـــتْ لمـــا هـــي فيـــه ... حتـــى الصـــخورُ الصِـــلاب

هـــل في ســـوى الـــزيّ منـــا ... تجـــدُّدٌ وانقـــلاب

قـــالوا: حـــروبِ فقلنـــا ... لُهـــمْ : وأيـــن الحِـــراب؟

هلموا وانظروا

ألا : لا تسألاني ما دهَاني؟ — فعن أيِّ الحوادثِ تسألانِ
بكَيت وما على نفسي ولكنْ — على وَطَنٍ مُضام مُستَهان
على وَطن عجيفٍ ليس يقوَى — على نُوَبٍ مُسلْسلةٍ سِمان
تظُنُّ زعانفٌ والظنُ إثم — بأني لا أُرامي من رَماني
أأتركُهم وقد أغرَوا بأخذي — وأنساهُم وقد غَصَبوا مَكاني
أما والله لولا خوفُ واشٍ — يحرِّفُ عن مقاصِده بَياني
إذنْ لملأتُ محفِلَكم شُجوناً — دماً يبكي عليها الرافدان
ولكني أطمّنُ من هِياجي — وأمنع أن يغالبَني جَناني
لِحاظاً للعواقب وانتظاراً — ليوم ضامنٍ نيلَ الأماني
أمثلي تمنَعون عن القوافي — ومثلي تحبِسون عن البيان ؟
سيمنعُ من طلاقته لساني — متى مُنِعَ الظهورَ الفرقدان
دعوه أنه بالرغم منكم — جوادٌ سابقٌ ملءَ العِنان
عريقٌ ليسَ بالمجهول أصلاً — ولا يَنمي لآباء هِجان
أنا الصَبُّ الذي مَلَك القوافي — ولم يبلُغْ سوى عشرٍ زماني
حياتي للعراق فِدىً ووقفٌ — على وطني ومُصلِحُه كياني
ولو سُئِل الجهادُ لمن قريضٌ — تَهَشُّ له إذا يُروَى عَناني
« ولو أني بُلِيتُ بهاشميٍّ — خُؤولته بنو عبدِ المَدان
لهان عليّ ما ألقى ولكنْ — هلُّموا وانظروا بمن ابتلاني »

***

الخطوب

عَـــدتني أن أزوركـــمُ عـــوادي ... فـــلا تُشَـــجو بكتـــبكُم فـــؤادي
عجيـــبٌ مـــا أرتنيـــه الليـــالي ... وأعجـــب منـــه أن ســـلم اعتقـــادي
بـــأيسر مـــن أذاي ومـــن شَـــكاتي ... رمـــى النـــاسُ « المعـــرّي » بارتـــداد
ومـــا في هِمَّتـــي قِصرٌ.. ولكـــن ... قـــدحتُ مطـــالبي فكبـــا زنـــادي
ســـلِ الأيـــام مـــا أنكـــرنَ منـــي ... كـــريمَ الخِـــيم أم شرفَ الـــوِلاد
أرقُّ مـــن النســـيم الغـــضِّ طبعـــي ... وأحمـــل مـــا يشـــقُّ عـــلى الجـــماد
فيـــا نـــفسي عـــلى الحسرات قَـــرّي ... فـــأين مُـــراد دهـــركِ مـــن مـــرادي
ولا تـــرِدي مـــوارد صـــافيات ... إذا مـــا كـــان حـــتماً أن تـــذادي
أينكـــر الفتـــي حتـــى صـــحابي ... وتنبـــو الأرض بي حتـــى بـــلادي
ومـــن عجـــب تضـــيعني وذكـــري ... تـــردّده المحافـــل والنـــوادي
أيـــدري مـــن يردِّدهـــا حســـاناً ... خـــلاءً مـــن زِحـــاف أو ســـناد
تناقَلُهـــا الـــرُّواة بكـــلّ فـــجٍّ ... وتُهـــديها الحـــواضر للبـــوادي
بـــأن الشـــعرَ تشرب مـــن عيـــوني ... قوافيـــه..وتأكـــل مـــن فـــؤادي

***

شهيد العرب

وطنـــي الغضـــيضُ إهابُـــهُ ... أصـــبو لـــه وأهابُـــهُ
خُضْر الحقـــولِ طَعامُـــه ... والرافـــدان شَرابـــه
حَـــبُّ القلـــوبِ رِمالـــهُ ... كُحْـــلُ العيـــون تُرابـــه

إن ســـاءَ مبـــدأُ مـــوطني … فعَســــى يَسَرُّ مآبـــه
لم يبـــقَ فيـــه بقيّـــةٌ … ظُفْــرُ الزمـــان ونابـــه
بيـــد الظـــروفِ دَنيَّـــةٌ … ألعوبـــةٌ أحزابـــه
وعـــلى رَحَـــى تفريقـــه … مطحونـــةٌ أقطابـــه
«شـــعراؤُهُ متكـــالبونَ … ومـــثلهم كُتّابـــه
هيهـــاتَ يـــنهضُ مـــوطنٌ … حُـــبُّ التقســـمُّ دابـــه
سَـــحقَ الزمـــانُ رؤوسَـــه … فترأسَّـــتْ أذنابـــه
فـــإذا نبَـــا دهـــرٌ … بـــه فحُماتـــهُ نُهّابـــه
تبغـــى الســـفورَ نســـاؤهُ … وعـــلى الرجـــال حِجابـــه
ضـــجَّت جُيـــوبُ الأجنبـــي … بـــه وضـــجَّ «وطابـــه»
مـــن طـــول مـــتلأتْ بـــه … أكراشُـــه وعِيابـــه
وابـــنُ الـــبلادِ عـــلى الكفـــاف … يطـــولُ فيـــه حِســـابه
تبكـــي لـــنقص الســـاكنينَ … قصـــورهُ وقِبابـــه
ومـــن المذلّـــةِ حُمِّلـــتْ … مـــالا تُطيـــقُ رقابـــه
مـــضَّ العتـــابُ بـــه وذو … الشـــكوى يُمِـــضُّ عِتابـــه
والشـــاعرُ الغَضـــبانُ أعـــذرُ … مـــا تكـــونُ غِضـــابه
الموجعـــاتُ حســـانُهُ … والمُبكيـــاتُ عِذابـــه
لـــو لم يُنفـــه بـــالقريض … أودتِ بـــهِ أوصـــابه
قلبـــي وشِـــعري ســـالَ مـــن … هـــذا وذاكَ مُذابـــه
حـــي الشـــبابَ تناهضُـــوا … فخـــر العـــراق شَـــبابه

بِهُـــمُ ازدهـــتْ نهضـــاته ... وبِهِـــمْ سَـــمَتْ آدابـــهُ

صُــــونوا القضـــيةَ إنهـــا ... سِرٌّ وأنـــــتُمْ بابـــــه

أمـــا الســـؤالُ « فقـــبرِصٌ » ... « وأبـــو عَـــلِيَ » جَوابـــه

الـــبَرُّ ضـــاقَ فســـيحهُ ... والبحـــرُ جـــاشَ عُبابـــه

يـــومَ اســـتقَّلتْ بالمليـــكِ ... أبي الملـــوك رِكابـــه

يـــا نازحـــاً عَـــودُ الكرامـــة ... عـــودُهُ وإيابـــهُ

هـــذا كتابـــكَ والفتـــى ... تاريخـــهُ وكتابـــه

اللهُ يعـــرِفُ مـــا أتيـــتَ ... وبيتـــهُ وشِـــعابه

وأخـــو المتاعـــبِ لا يَضـــيع ... سُـــدىً ولا أتعابـــه

سـِيّانِ شُـــهدُ الـــدهر عنـــد ... العـــاملين وصَـــابه

ولعـــزة الأوطـــان هـــان ... عـــلى « الشــهيد » مُصـــابه

أمـــر جليـــل بالتقـــاعس ... لا تُـــراضُ صـــعابهُ

وبقـــدر مَســـعى الطـــالبينَ ... لـــه يكـــونُ طِلابـــه

مـــا للفـــؤادِ وُعـــودهُ ... طالَـــتْ فطـــالَ عَذابـــه

وإذا تغالَـــبَ والرَجـــاءُ ... فيأسُـــه غِلابـــه

والـــدهرُ يُنبـــئ أنَّ ... أحـــزانَ الـــوَرَى أطرابُـــه

ظمآنـــةٌ لا تمـــتَلي ... مـــن عَـــبرةٍ أكوابـــهُ

وطنـــي وفـــوق الـــذَنبِ ... كـــان جـــزاؤه وعِقابـــه

بشَّرتُهـــم بِعـــماره ... إذ قيـــلَ تـــمَّ خَرابـــه

مُلْـــك أريـــدَ « دَمـــارُه» ... فتعجَّلـــتْ أســـبابه

قَلـــبُ السياســـةِ لا تـــرِقُّ ... عـــلى الضـــعيفِ صِـــلابه

النفثة

السَّلم لا يُجدي بيوم الكفاحْ فاستقبلِ الأيام شاكي السلاحْ
واغتنم العمرَ وساعاتِه فإنها تمر مرَّ الرياح
حسبُك فيما قد بقي عِبرةٌ لا يَطرُح اليومُ إذا الأمسُ راح
آهٍ على الفُرصةِ ضيعتَها والآن إذ تطلُبها لا تُتاح
بالعزم نِلْ يا شرق ما لم يُنَلْ فالغرب قد طار بِهذا الجَناح
لا تك مهما اسطعت رِخو الجماح واستنزلِ الدهرَّ على الاقتراح
يكفيك ما كابدتَ من ذِلّة الملكُ قد فُرِّق والعرش طاح
هلاّ إلى مَكْرُمةٍ خُطوةٌ يا شرق يا ذا الخُطُوات الفِساح
يا أمةً أعيائُها طفرةٌ بُشراك قد انتجت قبل اللِّقاح
سائمةُ الحيِّ اطمأنتْ به مرعىً خصيبٌ ونميرٌ قراح!
ألجِد ما تُضمر من طيّةٍ وكل ما نُعلن عنه مزاح
نُحْتُ وغنَّيتُ ولا مِيزةٌ قَبْلِيَ كم غنّى هزارٌ وناح
لا غرو أنْ سال قصيدي دماً فإنَّ قلبيْ مثخنٌ بالجِراح
يا ظلمةً قد طبقّتْ موطني دومي فشعبي لا يُريد الصّباح
الشؤم قد أوهم أوطاننا أن ليس يُجدي المرء إلا النِّياح
ما لبلادي فظّةٌ روحُها بعيدة عن هزةِ الارتياح
من لي بشعب واثقٍ آمنٍ غُدُوُّهُ لغايةٍ والرَّواح
قد فَوَّضَ الأمرَ لشُبانِهِ فكُلِّلتْ أعمالُه بالنجاح
تَوَّجَهُ الوعيُ بألطافه بِشراً كما تُوِّجَ زهرُ البِطاح

غازي

سـهولُ العـراق وكثبانُـهُ ... وروحُ العـراقِ وريحانُـه
ودجلـةُ خمـراً وشُـهداً تسـيلُ ... وزهـوُ الفُـراتِ وطُغيانـه
وصَفصـافهُ وظِـلالُ النخيـل ... عـلى ضَـفَّتَيه ورُمانـه
تحييـكَ جذلانـهُ طلقـةً ... وخـيرُ الهـوى الصِـدقِ جذلانـه
يحييـك جَـوٌّ وطيّـارهُ ... وبحـرٌ ركبـت وربانـه
تكـاد لـ« لنـدن» شـوقاً تطـيرُ ... لترجـعَ بالضـيف «بَغـداده »
ولـو تسـتطيعُ نُهُوضـاً سَـعَت ... قُـراه اللِطـافُ وبُلدانـه
يحييـك « فخـر شـباب العـراق » ... شِـيبُ العـراق وشُـبّانه
قـدومُك « غـازي » يَـزين الأوانَ ... وكـم قـادم زانَـه آنـه
عـلى حـينَ عَجَّـت لنـأي المليـكِ ... حُـداة البيـانِ ورُكبْانـه
سـلمت فهـذا أوانُ القَـريض ... ويـومُ الشُـعور ومَيدانـه
ومـا أنـا مَـن سِـيمَ في شـعرِه ... ولا أنـا مَـن ضـيمَ وجدانـه
ولكنـه نَفَـسٌ طـاهرٌ ... قـديمُ القصـائد بُرهانـه
«حسـين» و« قبرصُـه» يعرفـانِ ... و«عبـد الإلـه» و«عَمّانـه »
مَـن الشـاعرُ المستثيرُ الشـجونَ ... إذا هـزَّت الصـدرَ أشـجانه
إذا مـا « دواويننـا » نُشِّرت ... فكـلٌّ ومـا ضَـمَّ « ديوانـه »
فـديتُك خَـلِّ الأسـى راقـداً ... فقـد يَقتُـلُ المـرءَ يَقظانـه
ولا تَسـتَثرْ شـاعراً إنـه ... مَخـوفٌ إذا جـاشَ بُركانـه
فلـو كـلُّ مـا الحـرُّ يـدري يقـول ... لضـاقَتْ عـلى الحـرِّ أوطانـه

لقــــد فَقَــــدَ العُــــرْبُ حريــــةً ... كــــما الــــروحُ خــــلاه جثمانــــه

زمــــانُ الوفــــود مضَى وانــــقضَى ... ومــــا قــــال كِسرى ونُعمانــــه

وإذ ســــيِّدُ العَــــرَبِ الأولــــينَ ... يــــتمِّمُ بالســــيف نُقصــــانه

وهــــذا زمــــانٌ يُلــــينُ اللســــانَ ... عــــلى وَغَــــر القلــــبِ إنســــانه

أريــــدُ سرورَك والقلــــبُ فيــــه ... مــــا لا يَسُّرك إعلانــــه

مليــــكٌ وتكفيــــهِ أتعابــــهُ ... وشَــــعبٌ وتكفيــــه أحزانــــه

فحــــدِّثْ فقــــد أذنــــت بالسَــــماع ... لحلــــو حــــديثِك آذانــــه

عــــن العلــــم في الغــــرب مــــا بالــــهُ ... وعــــن رجــــلِ الغــــرب مــــا شــــانه

وهــــل في الشــــدائد أحقــــادهُ ... تُعــــينُ عليــــه وأضــــعانه

وهــــل للدسيســــةِ بــــين الصــــفوف ... تَلاقَــــت تُســــخِّرُ أديانــــه

تبــــاهي بمثلِــــك أكفــــاؤهُ ... ولاةُ العهــــودِ و« أقرانــــه»

وحســــبُك مُنطلقــــاً منشــــأً ... نشــــأتَ وضــــمَّتْكَ أحضــــانه

رعايــــة جــــدّك نــــور النَّبــــي ... وبيــــتُ الإلــــهِ وأركانــــه

ولا خــــيرَ في المُلــــك مــــا لم يُشَــــدْ ... عــــلى أُسُــــسِ العلــــم بُنيانــــه

***

في الطيارة أو على أبواب المفاوضات

حيّــــاك ربُّــــك غاديــــاً أو رائحــــاً ... مستســــهلاً نَهْــــجَ الهدايــــةِ واضــــحا

أمــــواجُ دجلــــةَ والفــــراتِ تــــدفَّقا ... عَــــذباً فراتــــاً عــــاد بعــــدك مالحــــا

أيامُنــــا بــــك كلهـــن ســـوانحٌ ومتى تشأْ – حوشيت – كُنَّ بوارحا

لــولاك مـا كـان العـراقُ وأهلُـهُ إلا قطيعــــاً في فـــلاةٍ ســــارحا

سُسْـتَ الحـوادثَ بالرويـة جاهـداً وحملـتَ أعبـاءَ الخطـوبِ فوادحـا

وأذبـتَ نَفْسـكَ في رياضـةِ مـوطنٍ لـولا جهـودُك كـان صـعباً جامحـا

لُقيِّـتَ أصلَح غايـةٍ يـامن سـعى لله والأوطـــانِ ســـعياً صــــالحا

في ذمـة الـوطن المفـدّى أن تُـرى مُتغرِّبــاً وعـــن المــواطن نازحــاً

عَرَفتْـك أقطـاب السياسـةِ سـاهراً بهمومـه ولخـير شـعبك كادحـا

«باريسُ» تعـرفُ ثـم « لنـدنُ» موقفاً خُضْـت السياسـة فيـه لجُـاً طافحـا

و« التـاج» إذ نَقَمـت عليـه عصـابةٌ قـامرتَهُمْ فيــهِ فكنــت الرابحــا

مــولايَ ثــقْ إن الجْــوانحَ ثــرّةٌ بـولاء عرشِـكَ مَـا بقـينَ جوانحـا

سر واثقـاً بجهـاد شـعبِ طـامح ولقـــد يسرُّكَ أن تــراه طامحـــا

قـل إن أتيـتَ مـن « الخليفـة » دارَها ولقِيـتَ شـعباً للشـعوب مكافحـا

« شـعبي » وفي كفـي نجـاحُ مصـيره يرجــو ويأمـــلُ أن يـرانيَ ناجحــا

شـعبي يُريـد الرافـدين لنفسـه لا أن يكــونَ « الرافـدان » منائحـا

يشـنا عـلى العـذب الفـرات منافقـاً ويحب في السم الذعاف « مصـارحا»

« كـوني » لـه الخـلَّ النصيحَ سريـرةً وَجهـارة تجدِيـهِ خـلا ناصــحا

كـيما تصـانَ مصـالحٌ لـك عنـده صـوني لأبنـاء العـراق مصـالحا

مـولايَ : عاطفـةُ الأديـب وشـعرُهُ كالزَّنـد يـوري إنْ يصـادفْ قادحـا

عاشـت بـرغم « الظـالمين » قريحتـي ولكـم أمـات « الظـالمون »قرائحـا

مـدح الملـوكَ « الشـاعرون » وإنـما أفرغـتُ « قلبـي » للمليـك مـدائحا

في ظـل مغنـاك الكـريم ولطفِـه أبداً أُجيد «خـواطراً» ..و« سـوانحا»

على سعد

قـم والـتمسْ أثـرَ الضريـح الزاكـي وسـلِ «الكِنانـةَ» كيـف مـات فتـاكِ
وسـلِ « الكِنانـةَ » مـن أصـابك غِـرةٌ واسـتلَّ سـهمَك غيلـةٌ فرمـاك
أهـرامَ مصرَ وقـد بنـاكِ لغايـة « فرعـونُ » ذو الأوتـاد حـين بنـاك
علمـوا بـأن سَـتداسُ مصرُ ومـا بهـا حتـى قبـورُ المـالكين سـواك
فاستوطنوكِ وَحسْبُ أرضِكِ ميزةٍ أن لم يَـروْا ثقـةً بغـير ثَـراك
تـاريخُ مصرَ عـلى يـديك يعيـده من جانبيك صدى السنينَ الحاكي
« زغلـول » ضـميّه إلى آبائـه «وفـؤاد مصرَ ضـعيه في أحشـاك »
لا تُهمليـه واذكـري أتعابَـهُ وثقـي بسـعدٍ فهـو لا ينسـاك
روح عـلى الفـردوسِ رفَّـتْ حـرةً وتقمصـتْ ملكـاً مـن الأمـلاك
حَمَلَـتْ ومـا حَمَلَـتْ إلى أوطاننـا غـيرَ المناحـةِ هـزةُ الأسـلاك
يـا روحَ سـعْدٍ قـد خـبرتِ بـلادَهُ بـالله قصـيها لمـن سـوّاك
وإذا رأيـتِ النيـلَ يَزْفُـرُ موجُـهُ فـولي بعينـك شـجو هـذا البـاكي
قـولي بعينـك وردةٌ مـا تـنقضي آلامُهـا مـن وخـزةِ الأشـواك
مصرٌ يـداكِ عـلى « العـراقِ » عزيـزةٌ أبمنظـر منـه تشـلّ يـداك ؟
يُسراك مـن طـولِ الملاكمـة انـبرتْ وبمـوت سـعدٍ تنـبري يُمنـاك
عاشـت بلُحْمَتِـكِ السـنينُ ولم تُطِـقْ - لله درّك - عيشـةً بسَـداك
هـزوا لتجربَـة قُـواك وسـاءهم بعـد العنـا ألاّ تخـورَ قُـواك
روح المفـاداةِ الكريمـةِ علمـت أبنـاءَكِ الأغيـارَ صَـوْنَ حمـاك
شـيع تمـوج تزاحمـاً حتـى إذا نـزل الـبلاءُ تضـامَنَتْ لبقـاك

وهَبي بَنُوكِ قَضوا لأجلكِ كلُّهم ... عاشت بناتُك حاملات لواك

يا موجةَ النيلِ احملي تيّارَهُ ... علّ « العراقَ » تهزُّهُ عدواك

ماشي العراق بيومه فلطالما ... تاريخُه بسِنينه ماشاك

وطنٌ مريضٌ زاد في آلامه ... ألاّ يكونَ على يديه شفاك

وتسمّعي إن القلوب تفطرت ... من أنّةِ الزُّراع والمُلاّك

عربُ الجزيرةِ هامدون كأنّهم ... لم يُبْتلَوا أبداً بيوم عراك

لا يطلبون سوى ارتخاءِ قُيودهِم ... أتُراهُمُ لم يطعموا بفكاك

هذي الطيورُ البيضُ أين مَفَرُّها ... ستُّ الجهاتِ رصدْنَ بالأشراك

يا سعد أمّا موطني فمهدَّدٌ ... - إن لم يُعَدْ بنيانه - بهلاك

يا سعدُ أبلغْ من قصيدةِ شاعرٍ ... يبني القوافي فيك دمعة شاكي

يا سعدُ ما قدري وقدرُ نياحتي ... كلُّ البلادِ نوائحٌ وبواكي

*****

جائزة الشعور

نادمتُ خلان الأسى ... وسُقيتُ من كأسِ دِهاق

مثلَ اصطباحي من كؤوس ... الهم والألَمَ اغتباقي

هذي النفوسُ الشاعراتُ ... تلذّذت بالاحتراق

غنّيت نفسي إذ رأيت ... نفوسها غنّت رفاقي

كّلٌ يقول أنا أحوز السبقَ ... في يوم السباق

مالي أنوح على سواي ... وميّتي رهنُ السياق

ساقي المدام إذا قَضَت ... هذي البلاد فأنتَ باقي

روحي وروحُ الشعر والأوطانِ ... كل في التراقي
كل البلاد سَعت لتُصلِحَ ... شأنها إلا عراقي
صَدْعَ الزجاج تصدَّعَ ... استقلالُنا بيد النِفاقِ
شتانَ فيما أرتئيه ... مَذاقُ صحبي من مَذاقي
حَلَبات آدابِ العراق ... بَكَت على الخيل العِتاق
لم يبقَ لي غيرُ ... المخُاتِل والمُنافقِ والمُتاقي
أفٍّ لها من أوجهٍ ... قابلْنَنّي سودٍ صِفاق
أما غِنايَ فظاهرٌ ... محضٌ كأغنية السَواقي
تتكسُر النَبَراتُ في الأشعارِ ... من ضيقِ الخِناق
نَزَفت دموعُ العين ثم ... تحجرَّت هذي المآقي
ولكثرة الباكين ضاعت ... حرمةُ الدّمع المُراق
هذا بياني تعرِفون الروحَ ... فيه من السِياق
يا رقةٍ في الطبع بانَتْ ... بين أبياتٍ رِقاق
أنت التي هوَّنتِ من ... هذي الشدائدِ ما أُلاقي
وأنا المدينُ لمهجةٍ ... حَمَّلتُها غيرَ المُطاق
آلامَ أيام مَضَينَ ... وخوفَ أيام بواقي
أما التمردُ في شعوري ... فهو من أثَر الوَثاق
أحييتُمُ نَفْساً أردتُمْ ... مَوتَها بالاختناق
لا تقتضي تلك الخشونةَ ... بعضُ أبياتٍ رِقاق
ماذا تُرَجِّى « فارك » ... من بعد حادثها الطَلاق

مــــا سرهــــا لقيــــاكُمُ فيســـوؤُها وقـــعُ الفِــراق
قــم يـــا « جميـــل » فحـــامِني يـــا حـــاميَ الأدبِ العراقـــي
يـــا مـــن بشـــعرِكَ ظنَّـــتْ الأقـــوامُ أنَّ الشَـــعبَ راقـــي
قـــبلي بأحجـــارٍ رُشِـــقتَ لقـــاءَ هاتيـــك الرِشـــاق
تلـــك العـــرائسُ كـــم لَقَـــت ضـــيماً وهُـــنَّ بـــلا صَـــداق
أو بعـــــدَ ذا يتشـــــدَّقونَ بقُـــــرب دورِ الانعتـــــاق

***

من لندن إلى بغداد

حيــاكَ ربُّــكَ مــن ســاع بسراءِ يلقــى الوفــودَ بوجــهٍ منــهُ وضّــاءِ
فاضـت أسـاريرهُ بشراً فـما وَقَعَتْ منــهُ العيــونُ عــلى كَــدٍّ وإعيــاء
لله يومُـــك مشـــهوداً بِروَعْتـــه تهـــزّ داني بـــلادِ الله والنـــائي
في محفـلِ حجَـبَ الأبصـارَ موكبُـهُ فلــيس يحسُــدُ إلا النــاظرَ الرائي
هذي الوفـودُ وفـودُ الشعبِ حاملةً إليـــك إخـــلاصَ آبـــاءٍ وأبنـــاء
هـابُوا جلالتَـك العُليـا فـما نَطَقُـوا حَرْفــاً ولا سَـــلَّموا إلا بـــإيماء
للـنَصرِ فوقَـك أقـواسٌ نوافـذُها ترمــي ســويداءَ حُســادٍ وأعــداء
بغداد مثل قلوب المخلصين لكم تُزهَــى بشُــعلة أنــوارٍ وأضــواء
أنـت الطبيـبُ لشـعبي والـدواءُ لـه وأنت شَخَّصـت منه موضعَ الداء
يـدٌ مـن اللطـف غـراءٌ ولا عجبٌ كـم من يـدٍ لـكَ قـد أسلفتَ غـراء
كم موقفٍ مثلِ حدِّ السيف ذي زلق فَرَجْتَــهُ بــين إصــباح وإمســاء
أذيّـــةٌ في جهـــاد نِلتَهـــا طربـــاً وهــل جهــادٌ بــلا مــسٍّ وإيــذاء

في ذمـةِ الله مـا لاقيـتَ مـن نَفَـرِ ... مـن الأجانـب عُبّـادٍ لأهـواء
الله يُخـزي مهـازيلاً ضـمائرهُم ... مـأجورة بـين إطـراء وإزراء
يسـوؤهم أن تُـرى في زِيّ مضـطلع ... بثِقـل شـعب لمـا يُصـميه أبّـاء
لـو يقـدرون أدالـوا كـلَّ ظـاهرةٍ ... وبّـدلوا كـلَّ نعـماءٍ بغـماء
هزُّوا العراق بما اسطاعوا فما أخذت ... منـه تَضـارب أنبـاءٍ بأنبـاء
كانوا وما أمّلوا من زُخْرُفٍ سفهاً ... كمن يَخُطّ الـذي يهـوي عـلى الماء
مـررتَ بـاللغو مـرّ الهـازئين بـه ... بـأُذْنٍ حُـرٍّ عـن الفحشـاء صـمّاء
حراجـة بـالكريم الحـر موقفُـه ... حـيران مـا بـين قـوم غـيرِ أكْفـاء
إنْ يهزمـوك بإرجـافٍ فقـد بُليـتْ ... كـلُّ الشـعوبِ بهـمّازٍ ومشّـاء
هـوِّن فـما قـام هـدّامٌ بمعولـه ... إّلا وقـام عليـه ألْـفُ بنّـاء
يـأبى شعوريَ أن يلقـاك عـن كثب ... إّلا بقافيـةٍ تأتيـك غـراء
ومَرْحَبـاً بـك في طياتهـا نَفَسٌ ... كنسـمةِ الفجـرِ قـد طُلّـت بإنـداء

****

ثورة الوجدان

سَـكَتُّ حتَّـى شَـكَتْني غُـرُّ أشـعاري ... واليـومَ أنطِـقُ حُـرّاً غـيرَ مهـذارِ
سـلَّطتُ عقـلي عـلى مَيلي وعـاطفتي ... صَـبْراً كـما سَـلَّطُوا مـاءً عـلى نـار
ثُـرْ يـا شُـعورُ عـلى ضَـيْم تُكابـدُهُ ... أوْلا فلسـتَ عـلى شيءٍ بِثَـوَّار
وقَّعْـتُ أُنشـودتي والحـزنُ يملؤهـا ... مَهابَـةً ونيـاطُ القلـبِ أوتـاري
في ذمَّـةِ الشِّـعْرِ مـا ألقـى وأعظَمُـهُ ... أنّي أُغنّـي لأصْـنام وأحجـار
الشـعبُ شـعبي وإنْ لم يـرضَ منتبـذٌ ... والـدارُ رغـمَ « دخيـلِ » عـابَني داري

لَوْ في يدي لَحَبَسْتُ الغيثَ عن وطَنٍ ... مُسْتَسْلِمٍ وقَطعتُ السلسلَ الجاري
ما عابَني غير أنّي لا أمُدُّ يداً ... إلى دنيءٍ وأنّي غيرُ خوّار
العُذْرُ يا وطناً أغليتُ قِيمَتَهُ ... عَنْ أنْ يُرى سِلعةً للبائع الشّاري
الكُلُّ لاهونَ عن شكوى وموجدَةٍ ... بما لهُمْ مِن لُباناتٍ وأوطار
وكيفَ يُسْمَعُ صوتُ الحقِّ في بلدٍ ... للإفكِ والزُّورِ فيه ألفُ مِزمار
يا أيُها السائحُ المُجتازُ أوديةً ... مشى الربيعُ عليها مشيَ جبَّار
مَرَّ النسيمُ على أكنافها فَذكَتْ ... كأنما جُرَّ فيها ذَيْلُ مِعطار
مَحِّصْ بِعينَيْ نزيهٍ غير ذي غَرَضٍ ... حالَ العراقِ وخلِّدهُ بأسفار
إن القصورَ التي شاهَدْتَ قائمةً ... على أساسٍ من الإجحافِ مُنهار
خَلِّ الخُوانَ وإنْ راقَتْ مَطاعمُهُ ... وبتْ بليلةِ ذاكَ الجائع العاري
وانظُر إلى الكوخ قد بيعتْ دعائمُهُ ... وحَوَّلُوها لأقراطٍ وأسوار
واخشَ الدخيلَ فلا تَمْدُدْ إليه يَداً ... فإنَّه أيُّ نَفّاع وضَرّار
صرف الدراهم باعوا واشتَرَوا وطني ... فكلُّ عشرةِ أميال بدينار
وطغمةٍ من دُعاةِ السُوء ساقطةٍ ... ليسَتْ بِشَوكٍ إذا عُدَّتْ ولا غار
تروي ونظْمأُ لا تَلوي على نَصَفٍ ... ولم تُوَكِّلْ بإيرادٍ وإصدار
في كُلِّ يوم بأشكالٍ وأنمطِةٍ ... وكُلِّ آنٍ بهيئاتٍ وأطوار
مأجورةٍ لم تَقُمْ يوماً ولا قعَدَتْ ... إلاّ على هَتْكِ أعراضٍ وأستار
عَوَتْ فجاوَبَها أمثالُها هَمَجٌ ... مِنْ كلِّ مستصرَخٍ لِلغَيِّ نَعَّار
يُحصونَ تاريخَ أقوام وعندهمُ ... صحائفٌ مُلِئَتْ بالخزي والعار
لجّوا على أنْ يزيدوا كلَّ ثائرةٍ ... تسعيرةً وأصرُّوا كلَّ إصرار
أينَ المساميحُ بالأرواح إنْ عَصَفَتْ ... هوجاءُ تُنْذِرُ أوطاناً بإعصار

يــــا للرَّجــــال لأوطــــانٍ مُوَزَّعـــةٍ ... في كـفِّ كـلِ مُهـانِ الـنفسِ دَعَّـار
شَـلَّتْ يـدٌ عبِثـتْ في أُختِهـا وكَبَـتْ ... رِجـلٌ إلى نفسِـها تسـعى بـإضرار
مـا ذا السُـكونُ إلا تَهتـاجُ نخـوتَكُمْ ... أنَّ العُروبـةَ قـد حُفَّـتْ بأخطـار

***

لولا...

الـروح أشْـقَتني وجُـلُّ صَـحابتي ... مـا أشـقتِ الشـعراءِ إلّا الـروحُ
توسي الجروحُ وليس يوسي شاعرٌ ... بصـــميم إحساســاته مجــروح
في القلب من أثرِ الهُموم ووَسْمِها ... سِـمةٌ عـلى الـنَّفسَ الحـزين تلـوح
فَنِيَـتْ قـواف مـا قـرحن وإنـما ... خلدت بذكرى «ذى القروح» قـروح
ولكَمْ طَرِبتُ فما أجَدتُ وحسبكم ... أني أُجيـد الشـعر حـين أنـوح
أمــا التبــاريحُ الحِــرارُ فإنهــا ... للــنَفْس ممــا تشـتكي تـرويح
يا موطناً عَـزّت بـه « خرطوشـةٌ » ... ذُلاًّ وهـــانَ دمٌ لـــه مســـفوح
لــولا اتقــاءُ رواصــدٍ مبثوثــةٍ ... هتكــتْ مُتــونَ المجمــلات شروح
ولقـد يَحِـسُ الشـاعرون بـأنهم ... عــبءٌ عــلى أوطـانِهِم مطـروح

***

ضحايا الانتداب

ســل الأخــوين معتنقــين غابـا ... لأيــةِ غايــةٍ طَويَـا الشــبابا
وعـــن أي المبـــادئِ ضــيَّعوهُ ... دمــاً لم يألُــهِ النــاسُ اطِّلابــا
ألللأوطــان وهــي تَعِـجُّ شـكوى ... كعهـدهما وتصـطخبُ اصـطخابا

ولــو كَــدَمَيهما ســالت دمــاء محرَّمــــة لمـــا رأت انقلابـــا
عــلى الأخــوين معتنقــين صــفا كــما صــفَّفتَ أعــواداً رِطابــا
عَتَبــتُ وغايــة في الظلـــم أني أحمِّــلُ فــوق مــا لقيــا عتابــا
أدالَ الله مـــن بيــتٍ مُشـــادٍ عـــلى بيـــتٍ يخلِّفــهُ خرابــا
ولاَ هنــأتَ بــها لَقِيــت أنــاسٌ عــلى قــبريكما رَفعــوا القِبابــا
مشــى نعــش يجــرُّ وراه نعشــاً ســحابٌ مُقلــع قَفّــى ســحابا
وناحــتْ خلفــه أشــباحُ حــزنٍ يُخفِّــي نطقُهــم الألمَ اكتئابــا
بعــين الله منتظـــرينَ أوبــاً بــما يُبكـي الصـخورَ الصـمَّ آبـا
دم الأخــوين في الكفنــين يغــلي خطــاب لــو وَعــىَ قــومٌ خطابــا
ســيعلمُ مــن يخــال الجَــوَّ صــفواً بــأنَّ الجْــوَّ مملــوء ضـــبابا
ومــن ظــن المجــالسَ عــامراتٍ بمـــدح أنهـــا شُـــحِنَتْ سِـــبابا
ويعــرفُ مــن أراد صــميمَ شــعبي رَميِّـــاً أيَّ شـــاكلةٍ أصـــابا
ويُــدرِكَ أيــنَ صــفوُ المــاء عنــه وريِّقُــــهُ إذا وَرَدَ اللصــــابا
ولــو عَرَفــت بــلادي مــا أرادَت بهـــا النُـــواب لم تـــرد انتخابـــا
فــلا وأبيــكَ مــا ونَــتَ الليــالي تُـــديف لمـــوطني سُـــمّاً وصــابا
حَـــدَدْنَ لقلبـــه ظُفـــراً فلـــما وَجَـــدْنَ بقيـــةً أنشـــبْنَ نابــا
فيالــكَ موطنــاً واليــأسُ يــمشي فلـــو رام الرَجـــا حُلُـــماً لخابــا
أرادَ الـــرأسَ لم يحصـــلْ عليـــه مكـــابرةً ولا لـــزمَ الـــذُنابى
لمـــن وإلى مَـــن ألم يُنـــادي كَفـــاهَ مذلـــةً أن لا يجابـــا
وهــل طرَقــتْ يمــينُ الحــق بابــا ولم تســدد شِـمال الظلــم بابــا
فواأســـفاً لمطّلـــبٍ طلابـــا يخــال المــوتَ أقــربَ منــه قابــا

وقـد اتخـذوا لحـومَ بنيـهِ زاداً — وقـد لبِسـوا جلـوَدهُمُ ثيابـا
رضُـوا مـن صُـبحِهم فجـراً كِـذاباً — ومـن أنـوار شمسـهِمُ اللعابـا
وقـرَّت لـلأذى مـنهم صُـدورٌ — فسَـمَّوهُنَ أفئـدةً رِحابـا
ووقـر مـن أتـاحَ ألعـابَ فـيهم — وقـالوا إنهـم يـأبَون عابـا
لقـد طـاف الخيـالُ علـيَّ طيفـاً — رأيـتُ بـه الحمامـةَ والغُرابـا
فكـان العـدلُ ممتلئـاً سَـقاماً — وكـان الظلـمُ ممتلئـاً شـبابا
فيـا وطنـي مـن النكبـات فَـأمَنْ — فقـد وَفّتـكَ حظَّـك والنصـابا
وإن خَشُـنَتْ عليـك مكاشـفاتٌ — فحسـبُك أن تُجامَـلَ أو تحـابَى
وإن طُوِيـت علـى دَغَـلٍ قلـوبٌ — فقـد أُعطِيـتَ ألسـنةً رطابـا

***

أيها المتمردون !

أسـاتذتي أهـلَ الشـعورِ الـذينَ هُـمْ — منـاريَ في تـدريبتي وعـمادي
أروني انبلاجـاً في حيـاتي فـإنَّني — سـئمتُ حيـاةً جُلّلـتْ بسـواد
ومـا الشـاعرُ الحسَّـاسُ صِـنوٌ لِعيشـةٍ — مكـرَّرةٍ مخلوقـةٍ لجـماد
خـذوا بِيـدَيْ هـذا « الغريـب » فإنَّـه — لكـلِّ يـدٍ مُـدَّتْ إليـه مُعـادي
لـئن جئـتُ عـن أزمـانِكمْ متـأخراً — فـإنّي قريـبٌ مـنكمُ بفـؤادي
لغـيرِ زمـانٍ كَـوَّنَ الـدهرُ نزعتـي — وكـوَّنَ أعصـابي لغـير بـلاد
وعنـديَ مـنكمْ كـلَّ يـوم مجـالسٌ — تـرفُّ بهـا أرواحُكـم ونـوادي
معـي روحُ «بشَّـارٍ» وحَسـبْي بروحـه — تقرّبنـي مـن حكمـةٍ وسَـداد
تعَلِمنـي سُـخفَ القـوانينِ في الـورى — وسـوءَ نظـام لم يجـئ برشـاد

وطوراً مع الشَّهم الظريف «ابن هانئ» ... يـراوح خمَّاراً لـه ويغـادي

يسجّل ما أحصْت يـداه بدقَّـةٍ ... ويمـزُج منـه صالحاً بفسـاد

ومن قبلُ « للحاناتِ» كانت ولم تزلْ ... لـدى الشـعراء النابهينَ أيـادي

تعوِّضهمْ عن وحشـةٍ بانطلاقـةٍ ... وعن يقظـةٍ مذمومـةٍ برقـاد

أسـاتذتي لا تُوجِدوني فـإنَّني ... بـوادٍ وكـلُّ الشـاعرين بـوادي

ولا تعجبوا أنَّ القـوافي حزينـةٌ ... فكـلُّ بـلادي في ثيـابِ حِـداد

وما الشعر إلاَّ صفحة من شَقائها ... وما أنـا إلاَّ صـورة لـبلادي

فـلا تـذكروا عيشي فـإنَّ يراعتي ... تَرفَّـعُ عـن تدوينـه ومـدادي

أمـرُّ مَـن المِلـح الأُجاج مـواردي ... وأوجعُ من شوكِ القتادةِ زادي

تقدَّمني مَن لستُ أرضى اصطحابه ... وطاولني مـن لم يكنْ بعـدادي

وضُويقتُ حتى في شعوري وإنَّما ... شعوري بُقيا عُـدَّتي وعتـادي

وما لـذَّةُ الدُّنيا إذا م أكن بها ... أُمتَّـع في تفكـيرتي ومـرادي

وما أنـا بالحُرِّ الـذي ينعتَونـه ... إذا لم يكـن في راحَتَـيَّ قيـادي

أُصرِّفُـه فيما أروم وأشتهي ... وأبـذلُ فيـه طـارفي وتـلادي

ومـاذا يريـدُ النـاسُ منـي وإنَّما ... «لنفسي صلاحي أو عليَّ فسادي»

فـلا تَنشُـدوا حُريّـةَ الفكـر إنَّها ... «ببغـدادَ » معنـى نكبـةٍ وصفاد

فـما كـان بشَّـارٌ بـأوَّلِ ذاهـبٍ ... ضـحيَّةَ جهـلٍ شـائنٍ وعنـاد

إلى اليوم في« بغداد » خنقُ صراحةٍ ... وتعـذيبُ آلافٍ لأجـل أحـاد

مداخلـةٌ في مجلـسٍ ومسـاربٍ ... وتضـيـيقةٌ في جِيئـةٍ ومَعـاد

وخلّـوا اهتضامَ الشـعر إنَّ حديثَـه ... شجونٌ أقضَّتْ مضجعي وَوِسادي

خلَـتْ حَلبـةُ الآداب إلَّا هجائنٌ ... ملفَّقَـةٌ سـدَّتْ طريـق جيـاد

تشكَّى القريضُ العابثين بَحقله كما يتشكَّى الروضُ وقعَ جراد

***

الأدب الصارخ

ونَفسٍ لاقتِ الصدماتِ عزلى وكانت وهي شاكيةُ السلاح
وقد كانتْ سباخاً فاستثيرت وفلَّ صميمَها وقعُ المساحي
وأفراح شحيحاتٍ أديفت بأتراح جُبِلْنَ على السَّماح
أأقرَبُ ما أكونُ إلى انقباض وأبعَدُ ما أكون عن انشراح
وَشتَّان اقتراحات الليالي وما تَبغيه مني واقتراحي
فليتَ حوادثا ما رفَّهَتْ لي نطاقَ العيشِ لم تحصُصْ جناحي
وليتَ مخابراً قَبُحَت دَهَتني مجرَّدةً عن الصُورِ القِباح
إلى ألَمٍ وعن ألَمٍ مسيري فما أدري غُدويَّ من رَواحي
وما أختارُ ناحيةً لأنّي رَماني الدهرُ من كل النواحي
وملء القلبِ إذ حبست لِساني ظروفٌ مغرماتٌ باجتياحي
جراحٌ لم تَفِضْ فملئن قَيحاً وبعضُ الشر لو فاضت جِراحي
رأيتُ معاشرَ الشعراء قبلي تعدُّ الخمر مجلبةَ ارتياح
وقد أُغرِقْتُ في الأحزان حتى سئمتُ مَنادمي وَذَممتُ راحي
وما سكرانُ يقتحِمُ البلايا كمُقتحِم البليةِ وهو صاحي
بعينِ الشعرِ والشعراءِ بيتٌ هَتَفْتُ به فطارَ مع الرياح
يَهُبُّ مع الصَبا نَفَساً رقيقا ومؤتلقاً يطيرُ مع الصَباح
له من وقعهِ نَسَبٌ صريح يمتُّ به إلى الماءِ القراح

ولـو في غـيرِ أوطـاني لجالـتْ — بـه نظـم القلائـد والوِشـاح
وقائلـةٍ تـرى الآدابَ سَـفَّت — وقد غطّى النُعابُ على الصُداح
وما نفعُ السكوتِ وقد أُضيعتْ — حقـوقُ ذوي الجـدارة بالصـياح
تقـدَّمْ للقـوافي واقتَحِمْهـا — فقـد يُرجـى التقـدُّمُ بالكفـاح
أقـول لهـا : دعـي زَنـدي فـإني — أخـافُ عليـك بـادرةَ اقتـداحي
وكـلُّ حقيقـةٍ سـتَبينُ يومـاً — وكـل تصـنّع فـإلى افتضـاح
ومـا بغـدادُ والآدابُ إلّا — كـما انتفخـت طبـولٌ مـن ريـاح
تُـوفّي الحُـرَّ مـن حـقٍ مُضـاع — ومـن عِـرضٍ تمزِّقُـه مُبـاح
ولمـا أنْ رأيـتُ الشـعرَ فيهـا — أداةً للتشـاحن والتلاحـي
أنـرتُ ذُبـالَ مسرجتـي بكفـي — أفـتشُ عـن أديـبٍ في الضـواحي
فكـان هنـاك تحـتَ سـتارِ بُـؤسٍ — يجلِّلـه وفي ثـوب أطـراح
أقـول لـه : ألا وجـهٌ حيـيٌ — يقيـكَ طـوارقَ النـوَبِ الوِقـاح؟
أمـا في الحـيِّ معـترفٌ بفضـلٍ — يناشِـد عـن غـدوِّكَ والـرواح؟
فقال وأرعشـتْ شـفتهُ : دعني — أقابـلْ جِـدَّ دهـرِكَ بـالمُزاح
ومـثلي ضـحَّت الـدنيا كِثـاراً — فهبنـي بعـضَ هاتيـك الأضـاحي

****

الشاعر والعود

مـا سَـمِع السـامعونَ آسـى — مـن شـاعرٍ ضَـيمَ في العـراقِ
ألـوى عـلى عـوده شَـجيّاً — يبثُّـه فَـرْطَ مـا يُلاقـي
إذا بكـى ارتـدَّ يبكـي — شَـجْواً لألحانـه الرِقـاق

في ذمـــةِ الله مـــا تُلاقـــي ... يـــا عـــودُ منّـــي ومـــا أُلاقـــي
روحـــانِ منـــي ومنـــكَ باتـــا ... مـــن وَطـــأة الهـــمِّ في الترَاقـــي
مـــا ضـــاق منـــك الخِنـــاقُ يومـــاً ... لـــو نفَّـــسَ الـــدهرُ عـــن خِنـــاقي
يـــا دهـــرُ خُـــذني واحلُـــلْ وَثاقـــاً ... أرهَـــقَ عُـــودي واحلُـــلْ وَثـــاقي
أولا فحِّـــولْ أنّـــةَ أسري ... عنـــه إلى نغمـــةِ انطـــلاق
فَغَمْغَـــمَ العـــودُ واستجاشَـــت ... أشـــجانُهُ خطـــرةً الفِـــراق
اِسْـــلَمْ رفيـــقَ الصِّـــبا ألـــوفٌ ... تفـــدِّيك مـــثلي وأنـــتَ بـــاق
قبلـــكَ واســـيتَ ألـــفَ شـــاكٍ ... وألـــفَ حـــاسٍ وألـــفَ ســـاق
مـــن فضـــلِ مـــا أوحـــت الرزايـــا ... إليَّ مُيِّـــزت عـــن رفـــاقي
أقـــول لمـــا انـــبرتْ غُصـــونٌ ... أعوادَهـــا تبتَغـــي لَحـــاقي
احْمِلْـــنَ مثـــل الـــذي أُلاقـــي ... مـــن اصـــطباحي أو اغتبـــاقي
طـــارِحنَ مـــثلي أخـــا شـــجونٍ ... شـــاركنَ مـــثلي أخـــا اشـــتياق
ربَّ نهـــارٍ كنـــتُنَّ فيـــه ... جنبـــاً إلى جنـــب في اعتنـــاق
قضـــيته جنـــبَ ذي شـــجونٍ ... أخـــافُ مـــن بثِّـــه احتراقـــي
وربَّ ليـــلٍ ســـهِرتُ فيـــه ... أشـــدو حزينـــاً مـــع الســـواقي
اصـــبرْ قلـــيلاً يـــا عـــودُ إنّـــا ... عـــما قريـــبٍ إلى افـــتراق
حملـــتَ عنـــي مـــاضي همُـــومي ... فاحمـــل قلـــيلاً مـــن البـــواقي
وَلّى شـــبابي إلّا بقايـــا ... ضـــحيةَ القلـــب والمـــآقي
والـــنفسُ تـــأبى إلّا انطلاقـــاً ... والـــدهرُ يـــأبى إلّا ارتهـــاقي
والحـــزنُ لم يـــدخر صُـــباباً ... يُبقيـــه في كأسِـــه الـــدِهاق

ألا نِطفــائي كـــان اشـــتعالي ... الاحِتراقـــي كـــانَ ائتلاقـــي
وحـــين جـــاء الظـــلامُ يُرخـــي ... سِـــتراً عـــلى الأوجـــه الصِّـــفاق
ورفَّ روحُ الســـلامِ يُخفـــي ... غريـــزةَ الحِقْـــدِ والنِفـــاق
بـــاتَ بطيّاتــــه فـــؤادٌ ... يشـــكُرُ لُطـــفَ المـــوت الـــذعاق
وجنبَـــه عـــودُهُ يُنـــاغي ... حَشرجـــةَ الصـــدرِ في الســـياق
إلى التلاقـــي «عـــودي» وداعـــاً ... وكيـــف بعـــدَ المـــوتِ التلاقـــي
اقـــرأْ ســـلامي عـــلى الرزايـــا ... أعنـــي ســـلامي عـــلى الرفـــاق
ذاك أديـــبٌ مـــات اضـــطهاداً ... ذاك هـــو الشـــاعرُ العراقـــي

***

صفحة من الحياة الشعبية أو
بيت يتهدم

ســالَ شِــعري بــالرَغم عَنــيَّ حزنــاً ... أبتغـــي فَرحـــةً فـــما تَتَسَـــنَّى
كــلُّ صَــحْبي يشــكون شــكوايَ لكــنْ ... ربّـــما يضـــحكونِ خُسْراً وغَبْنـــا
لو لـ«جوتِ» تبدو تعاسةُ هذا الشعبِ ... يومـــاً لكـــانَ أجمـــلَ فنّـــا
لتتناسَـــى «آلامَ فَرتـــرّ» طـــرّاً ... رُبَّ حـزنٍ يُنسِي أخـا البؤسِ حزنـا
مـن شـبابِ العـراق تعلـو الكآبـاتُ ... وُجوهـــاً تفـــيضُ طُهـــراً وُحسْـــنا
لـو تَراهـا عجبـتَ أن لا يَهُزَّ الشرخُ ... قلبـــاً أو يُضـــحِكَ الزهـــوُ سِـــنا
أعـلى هـذه النُّفـوسِ – مـن اليـأس ... استماتت – مستقبلُ الشعب يُبنى
يَتَغَـــذّى دمَ القُلـــوب شـــبابٌ ... لا يُريـــدُ الحيـــاةَ ذُلاًّ ووَهْنـــا
خُدْعـــةٌ هـــذه المظـــاهرُ مـــا في ... القـــوم فـــردٌ يعـــيشُ عَيشـــاً مُهَنّـــا

الثيـــاب الفَرْهـــاء رفَّــتْ علــيهم كضــهادٍ غطَّــى جِراحــاً وضَعْنــا
والأحاديثُ كلُّها تشتكي « البؤسَ » وفصــلُ الخطــاب أنّــا « يَئِسْــنا »
إيــهِ أُمّــاهُ مــا أرابَ شــقيقَ الــنفسِ منّــــا حتـــــى تَبعَّـــــدَ عنّـــــا
منـــذ يــومينِ لــيسَ يَعــرِف عــمّا نحــنُ فيــه شـيئاً ولا كيــفَ بِتْنــا
جائيــا ذاهبــا يقسِّــم في الأوجــه لحظَيـــهِ مــــن هُنـــاكَ وهَنْـــا
إيـــه أمّـــاهُ إن نـــفسي أحسَّـــت مـــا يُقــذِّي عينــا ويُــوقِرُ أُذْنــا
فـــانبرت دمعـــةٌ تُـــترجم عـــما في ضـــمير الأُمِّ الحنـــونِ اســـتكَنّا
اِســـمَعي يـــا عزيـــزتي أنـــا أوفى منــكِ خُــبْراً إذْ كنــتُ أكــبر سِــنا
ولــدي مُــذْ عَرَفتُــه يمــلأ البيــتَ بتفكـــــيرِهِ ارتهابـــــاً وحُزنـــــاً
ولـــدي طـــامحٌ تُعنَيـــه آمـــالٌ كِثـــارٌ إن الطَّمـــوحَ مُعَنَّـــى
يَتَمنَّـــى كـــلَّ السُرور ولا يســـطيعُ نـــيلاً لــــبعض مــــا يَتَمنّــــى
لــو بكفِّــي مَنْعــتُ جُــلَّ القــوانينِ عـــلى الحـــقِ نِقْمــــةً أن تُسَـــنّا
لا نظــامٌ حــرٌّ فيرْعــى الكفــاءاتِ ولا مَـــن يُقـــيمُ للحـــر وزْنـــا
عُكِسَـــتْ آيـــةُ الفضـــائلِ فـــالأعلى مَقامــاً مــن كــانَ في الــنفس أدْنــى
ســاكنُ الــقصر لــو إلى ذِمــة الحــقِ احتكمنـــا لكـــانَ يســـكُنُ سِـــجنا
ولكـــانَ الحـــريَّ أن تتحاشـــاهُ البرايـــا لا أن يُـــبَرَّ ويُـــدْنى
إنَّ مــا يجتنيــه مــن مُنكَــرات العــيشِ مـــن شَـــقْوةِ البريئـــينَ يُجْنَـــى
وقنـــاني الخمـــرِ التـــي عَصَروهـــا مـن دُمـوعي ومـن دُموعِـكِ تُقْنَـى
ولــدي اخــتَشي عليــه مــن المــوتِ انتحـــاراً واخـــتشِي أنْ يُجَنّـــا
أسـمعتيه بـالأمس إذ يَتحـدّى النـاسَ إني عَرَفـــتُ مَرْمَـــاهُ ضِـــمنا

هـوَ يشـكوُ مـن النَّذالـةِ خَصْـماً — وهـو يشـكو مـن الخيانـةِ خِـدنْا
ولـدي لم يكـنْ ليحمـلَ - لـولا — أن يُلِحُّـوا بـه - على النـاسِ ضِـغْنا
مـا لزَوجـي إذا ذَكَـرتُ لـه الأنـسَ — ومـا أرتجـي مـن العـيشِ أنـا
أَنَّــةٌ سِرُّهـا عميـقٌ وفيهـا — ألـف معنًـى مـن القُنـوط ومعنـى
كـاسراً جفنَـه يخالِسُـني اللحـظَ — لأمـرٍ في الـنفسِ يـكسِرُ جَفْنـا
أَتُـرى مـن إشـفاقةٍ هـذه النظـرةُ — أم سـاءَ بي وحاشـايَ ظنّـا
خَلَتِ الغُرفـةُ الصـغيرةُ مـن توقيـع — زوجي فلسـتُ أسْـمعُ لَحنـا
أنـا والله كنـتُ أستشـعرُ — معنَـى الحيـاةِ إذْ يَتَغَنـى
في سـوادِ الـدُجى وعاصـفةِ الأقـدارِ — هبَّـت تَجتَـثُّ بـالعُنفِ غُصـنا
مـن عـلى دجلـةٍ تِكَشَّـفُ للضـيف — عزيـزاً عـلى الطبيعـة - حِضـنا
شَـبَحٌ لاح مـن بعيـدٍ يَحُـثُّ — الخطـوَ طـوراً وتـارة يتـأنَّى
يـا لَـه موقفـاً يمثِّـلُ مـذهولاً — يُعـاني حـالَين: خَوفـاً وأمْنـا
زوجتـي سـوفَ تسـتفيقُ مـن — النـومَ صَـباحاً فـما تَـرانيَ وَهْنـا
سـوف تجتاحُهـا الظُنـونُ ولهفـي — إذ تُنبَّـي عـن صـدق مـا تَتظَنّـى
زوجتـي مـا اقترفـتُ إثـماً ولكـنْ — كـيفما شـاءتِ النـواميسُ كُنّـا
زوجتي أوسِـعي النزاهـةَ ما اسطعتِ — سِـباباً وأوسـعى الحـقَ لَعْنـا
اقـتلي بنْتَـكِ الصـغيرةَ لُبنـى — لا تكابـدْ مـا كابـدت أمٌّ لبنـى
وعجـوزٌ هنـا لِكُـمْ حسـبُها مـن رحمـةِ — الـدهرِ أنْ سـتفقِد ابْنـا
لـو تخـيرتُ لي إلهـاً لمـا ألهـتُ — إلاّ مـن هيكـل الأم بطنـا
و«ربـابٌ» شـقيقتي بعـد مـوتي — أبـداً بالحيـاة لا تَتَهنّـا
وسـأقِضي فيوسـع النـاسُ تـاريخي — بعـد المـماتِ سّـباً وطَعنـا

يـــا لهـــا مـــن نذالـــةٍ في أحاديـــثَ ... تُســـمِّي شـــجاعةَ المـــوتِ جُبنـــا
اشـــهَدي دجلـــةٌ بـــأني – كـــما كنـــتُ – ... قويـــاً جســـماً وعزمـــاً وذِهنـــا
شـــاعرٌ بـــالوجود أُغمِـــضُ عـــما ... فيـــه مـــن هـــذه المنـــاظِرِ جَفنـــا
كـــلُّ هـــذا وســـوف أنتحـــرُ اليـــوم ... لأنيّ أرى المعيشـــــةَ غَبنـــــا!
احمـــلي « دجلـــةٌ » ســـلامي إلى الأهـــل ... وقـــولي :قـــد اســـتراحَ المعنّـــى
حَمَلـــوا – بعـــد أربـــع – جُثـــةً لم ... تتميـــز منهـــا النـــواظرُ رُكنـــا
وانحنَـــتْ فوقهـــا الأمومـــةُ خرســـاءَ ... تُزجّـــى يُسرى وتَرفـــع يُمنَـــى
لم تُطِـــق أنـــةٍ فماتـــت – وقـــد يـــدفع – ... موتـــاً عـــن ثاكـــلٍ أن تئنّـــا
واســـتخفَّ الشـــقيقةَ « الصَرعُ » فهـــي ... اليـــومَ نِضـــوٌ يعـــالج المـــوتَ مُضـــنَى
وحـــديثُ الأخـــرى اتركـــوهُ فقـــد ... يُغنـــيكُمُ عـــن صراحـــةٍ أن يُكَنّـــى

***

أمان الله

وَداعـــا مـــا أردت لـــكَ الوَداعـــا ... ولكـــنْ كـــانَ لي أمـــلٌ فضـــاعا
وكـــمْ في الشرقِ مـــثلي مـــن مُـــرَجٍّ ... أرادَ لـــكَ النجـــاحَ فـــما اســـتطاعا
وإنَّ يـــداً طوتـــكَ طـــوتْ قلوبـــاً ... مرفرفِـــةً وأحلامـــاً وِســـاعا
وقـــد كانـــت متـــى تـــذكَرْكَ نـــفسي ... تَطِـــرْ – إذْ تمـــتلي فرحـــاً – شَـــعاعاً
فهـــا هـــيَ بـــينَ تأميـــلٍ ويـــأسٍ ... تُصـــبِّرُ ســـاعةً وتجـــيشُ ســـاعا
أمـــان الله والـــدُّنيا «هَلـــوكٌ» ... أبـــتْ إلا التحـــوُّلَ والخِـــداعا
بغـــيرِ رويَّـــةٍ حُبّـــاً وكُرهـــاً ... إذا كالـــتْ تُـــوفّي المـــرءَ صـــاعا
تثَّبـــتْ لا ترعُـــكَ فلـــيس عـــدلاً ... ولا عَّـــودتَ نفســـكَ أنْ تُراعـــا

إلـــهُ الشرِّ جبـــارٌ عنيـــدٌ يحـــبُّ مـعَ الجبـــابرةِ الصراعـــا
وأحكـــامُ القضـــاءِ مغفَّـــلاتٌ يُســـئنَ إذا انتخـــبنَ الاقتراعـــا
أرى رأسَ « ابـنَ سـقاءٍ » محـالاً يُطيـق بتاجـكَ الألِـقِ اضـطلاعا
بـلى وأظنّـه عـمّا قريـب سيشـكو مـن تحمّلـه الصـد اعـا
لقـد أودى بعـاطفتي ركـودٌ فهـا أنـا سـوفَ أنـدفعُ انـدفاعا
تقـدَّمْ أيهـا الشرقـيُّ وامـددْ يـديكَ وصـارع الـدُّنيا صِراعـا
فقد حلَفـوا بأنَّـك مـا استطاعوا سـتبقى أقصرَ الأقـوام باعـا
وأنَّـك مـا تُشـيِّدْ مـن بنـاءٍ تَجِـدْ فيـه انثلامـاً وانصـداعا
ولـيس بـأوَّلِ التيجـانِ تـاجٌ أرْدنَ لـه مطـامعُهم ضـياعا
فيـا لِشـقاء شـعبٍ مَشرقـيٍّ إذا وجـدوا بـه مِلكـاً مُطاعـا
وهـبْ أوفى ب « أنقـرة » وأنعـمْ رُواءُ المُلـك يَزدهـرُ التماعـا
فلـمْ تكـنِ « البَنيَّـةُ » وهـيَ فـردٌ لتعـدِلَ ألـفَ بنيـانٍ تـداعى
سـأقذِفُها وإنْ حُسِـبَتْ شـذوذاً وإن ثقُلـتْ عـلى الأذنِ استماعا
فـما للحـرِّ بـدٌّ مـن مَقـالٍ يـرى لضـميرِهِ فيـه اقتناعـا
إذا لم يشْـمَلِ الإصـلاحُ دِينـاً فـلا رُشْـداً أفـادَ ولا انتفاعـا
وأوفـقُ منـه أنظمـةٌ تُماشـي حيـاةَ النـاسِ تُبتـدَعُ ابتـداعا
أتـتْ « مدنيَّـةُ الإسـلام » لمّـاً لشـعثٍ لا انشـقاقاً وانصـداعا
ولا لُـترى مواطِنُهـا خرابـاً ولا ليبيـتَ أهلوهـا جياعـاً
ولا لتكـونَ للغـربيِّ عونـاً يهـدِّدُ فيـه لـلشرقِ اجتماعـا
وإلا مـا يُريـدُ القـومُ منّـا إذا ألقـتْ محجَّبـةٌ قِناعـا
أعنـدَ نسـائنا مـنهمْ عهـودٌ بـأنَّهُمُ يجيـدونَ الـدِّفاعا

أإنْ خُلِقتْ لحيٍّ مُلئتْ نِفاقاً ... اتّخذْتُمْ شَعرها دِرْعاً مَناعا
رفعتمْ رايةً سوداءَ منها ... وثوَّرتمْ بها ناساً وِداعا
عَفتْ مدنيَّةٌ لدمارِ شعبٍ ... وديع تخدُمُ الهمجَ الرَّعاعا
هُمُ نفخوا التمرُّدَ في خِرافٍ ... وأغرَوهنَّ فانقلبت سِباعا
ومن خُططِ السياسةِ إنْ أرادتْ ... فساد المُلك أفسدَتَ الطّباعا
على أني وإنْ أدمى فؤادي ... ليومك ما أضيقُ به ذراعا
أُحمِّلكَ الملامةَ في أُمورٍ ... بِطاءٍ قد مشيتَ بها سِراعا
وقد كانت أناةٌ منكَ أولى ... وإنْ كنتَ المجرِّبَ والشجاعا
« وخيرُ الأمرِ ما استقبلتَ منه ... وليسَ بأنْ تتبَعهُ اتباعا»
« ولكنَّ الأديمَ إذا تفرَّى ... بلىً وتعيُّباً غلبَ الصَّناعا»

***

علموها

علِّموها فقد كفاكُمْ شَنارا ... وكفاها أنّ تحسَبَ العلمَ عارا
وكفانا منَ التّقهقُرِ أنّا ... لم نعالج حتى الأمورَ الصغارا
هذه حالُنا على حينَ كادتْ ... أممُ الغربِ تسبِقُ الأقدارا
أنجبَ الشرقُ جامداً يحسبُ ... المرأةَ عاراً وأنجبت طيارا
تحكم البرلمانَ من أمم الدنيا ... نساءٌ تمثّلُ الأقطارا
ونساء العراقِ تُمنعُ أن ترسمَ خطّاً ... أَوْ تَقْرأَ الأسفارا
علِّموها وأَوْسِعوها من التّهذيب ... ما يجعلُ النّفوسَ كبارا
ولكي تُحسنوا سياسةَ شعبٍ ... بَرهنوا أنّكم تسوسون دارا

أَنَكُمْ باحتقاركُمْ للنساء اليومَ أوسعتُمُ الرّجالَ احتقارا

أَفَمِنْ أجلِ أنْ تعيشوا تُريدونَ لثلْثَيْ أهلِ البلادِ الدّمارا

إنَّ خيراً من أن تعيشَ فتاةٌ قبضةَ الجهلِ أن تموتَ انتحارا

أيُّ نفعٍ من عيشةٍ بين زوجينِ بعيدين نزعةً واختبارا

وخلال البيوتِ لا تجدون اليومَ إلاّ خصومةً وشِجارا

اختياراً بالبنت سيروا إلى صالحها قبل أن تسيروا اضطرارا

فعلى قدر ما تزيدون في الضغط عليها ستُوجدونَ انفجارا

وَهَبوا مرةً نجحتم فلا تنخدعوا سوف تُخْذلون مرارا

ولدى الأمرِ لا محالةَ مغلوبٌ ضعيفٌ يقاومُ التّيارا

وأرى جامداً يصارعُ تجديداً كَقَزْمٍ مصارع جبّارا

أينَ عن حرمة الأمومةِ داستْها وحوشٌ المصلحونَ الغَيارى

قادة للجمودِ والجهلِ في الشرق على الشعب تنصُرُ استعمارا

لو بكفي ملأت دور المحامين عن المرأة الجهولةِ نارا

ازدراءً بالدينِ أن يُحسَبَ الدّينُ بجهلٍ وخزيةٍ أمّارا

وبلاءُ الأديانِ في الشرق هُوجٌ باسمه ساموا النفوسَ احتكارا

تُزدَرى رغبةُ الجماهيرِ في الشرقِ وتُنْسى إنْ خالفت أنفارا

أسلَموا أمرهم إلى «الشيخ» عُمياناً وساروا يَقفونه حيثُ سارا

وامتطاهم حتى إذا نالَ بغياً خَلَعَ اللُّجْمَ عنهُمُ والعِذارا

نَبذَ القِشْرَ نحوهم باحتقار وَحوَى اللبَّ وحدَهُ والخِيارا

دفعوا غُنْمَهمُ إليه وراحوا يحمِلون الأثقالَ والأوزارا

عاطلاتٍ نساؤهم ونساء« الشيخ » حُلّينَ لؤلؤاً ونُضارا

وإذا جـاءت الشـدائدُ تَـترى قـدَّموهم وولَّـوا الأدبـارا
حالـةٌ تُلهب الغيَارى وتستصرخ غُلـبَ الرجـالِ والأحـرارا
إن بـينَ الضُلوع ممـا اسـتغلوه بتضـليلهم قلوبـاً حِـرارا
يُعـوزُ الشـعبَ كـي يسـيرَ إلى المجـد حثيثاً وكـي يُـوَقَّى العِثـارا
حـاكمٌ مطلَـقٌ يكـون بـما يعـرف مـن خـير شـعبه مختـارا
يتحـرَّى هـذى الشـنائعَ في الشرق بـنفس لا تَرهَـب الأخطـارا
إن يُطَـعْ كـان مشـفقاً واذا مـا أحوجـوا كـان فاتكـا جـزارا
أو فـلا يُرتَجـى نهـوضٌ لشـعبٍ أن يُقـدِّمْ شـبراً يُعيَـقْ أشـبارا

***

الرجعيون

سـتَبقى طـويلاً هـذه الأزمـاتُ إذا لم تُـقصِّرْ عُمرَهـا الصـدَّمَاتُ
إذا لم يَنَلْهـا مُصـلحونَ بواسـلٌ جريئـونَ فـيها يَـدَّعونَ كُفـاة
سَيبقى طويلاً يَحمِلُ الشعبُ مُكْرَهاً مَسـاوئَ مَـنْ قـد أبْقَـتِ الفَـتَرات
قُيوداً من الإرهاقِ في الشرقِ أُحكِمَتْ لتسـخير أهليـه لهـا حَلَقـات
ألمْ تـرَ أنَّ الشْـعبَ جُـلُّ حقوقـهِ هـي اليـومَ للأفـرادِ مُمتلَكـات؟
مشتْ كلُّ جاراتِ العراقِ طموحةٍ سِراعـاً.. وقامـتْ دونـهُ العَقَبـات
ومِـنْ عَجَـبٍ أن الـذينَ تكفَّلـوا بإنقـاذِ أهليـهِ هـمُ العَثَـرات
غـداً يُمْنَـعُ الفتيـانَ أنْ يتعلَّمـوا كـما اليـومَ ظُلـماً تُمنَـعُ الفتيـات
أقـولُ لقـوم يَحْمَـدونَ أنـاتهم ومـا حُمِـدتْ في الواجبـاتِ أنـاة
بأسرعَ مِن هذي الخُطَى تُدرَكُ المُنى بِطـاءٌ لَعَمْـري مِـنكمُ الخُطُـوات

ومـــا أدَّعـــي أنَّ التهـــوُّرَ صـــالحٌ ... متى صَـلُحَتْ للناهضِ النزوات؟!
ولكــنْ أُرَجــي أنَّ تقـوم جريئــةً ... لصــدِّ أكُــفِّ الهــادمين بُنــاة
أُريــدُ أكُفّــاً مُوجِعــاتٍ خفيفــةً ... عليها – متى ما شاءتِ – اللَّطمات
فــإنْ ينــعَ أقــوامٌ عــلىَّ مقــالتي ... ومــا هــي إلاّ لوعــةٌ وشَــكاة
فقد أيقَنتْ نفسي.. وليسَ بضائري ... بــأنّيَ في تلــكَ العُيــونِ قَــذاة
وما النقدُ بالمُرضي نفوساً ضعيفةً ... تهــدُّ قُواهــا هــذهِ الحَمَــلات
وَهَبْنــي مــا صــلَّتْ عــلىَّ معــاشرٌ ... تُبــاعُ وتُشرى مــنهمُ الصَّــلَوات
فلــو كنــتُ مِمَّــنْ يطعمــونَ بمالــهِ ... لعــادَتْ قِداســاً تلكــمُ اللعنــات
دَعُوهــا لغــيري عَلَّكُــمْ تَحلُبونهــا ... ســتُغنيكمُ عــن مِــثليَ البَقَــرات
ومــا هــيَ إلاَّ جمــرةٌ تُنكرونَهــا ... ســتأتيكُمُ مــن بَعــدِها جَمَــرات
قــوارصُ قــولٍ تقتضــيها فِعــالُكُمْ ... وتـدعو الهَنـاتِ القـرصاتِ هَنـات
وإنْ يُغضِبِ الغاوينَ فضحُ معاشرٍ ... هــمُ اليــومَ فيــه قــادةٌ وهُــداة
فما كـان هـذا الـدينُ لـولا ادّعاؤهم ... لِتمتــازَ في أحكامــهِ الطَّبَقــات
أتُجبــى ملايــينٌ لفــردٍ وحوَلُــه ... أُلـوفٌ علـيهمْ حَلَّـتِ الصَّـدقات؟!
وأعجــبُ منهــا أنَّهــم يُنكِرونَهــا ... علـيهم وهـمْ لـو يُنصِفونَ جُباة
قـذىً في عيـونِ المصـلحينَ شـواهقٌ ... بــدتْ حولَهــا مغمــورةً خَرِبــات
وفي تلـك مِبطـانونَ صُـغْرٌ نُفوُسُـهم ... وفي هــذه غرثــى البطــونِ أُبــاة
ولــو كــانَ حُكْــمٌ عــادلٌ لتهــدَمتْ ... عــلى أهلِهــا هــاتيكمُ الشُرُفــات
على باب « شيخ المسلمين » تكدَّسَتْ ... جِيــاعٌ عَلَــتْهم ذِلَّــةٌ وعُــراة
هــمُ القــومُ أحيــاءٌ تقــولُ كــأنَّهم ... عـلى بـابِ « شـيخ المسـلمين» مـوات
يُلَـمُّ فتـاتُ الخُبـزِ في الـتربِ ضـائعاً ... هُنــاك.. وأحيانــاً تُمَــصُّ نــواة

بيـوتٌ عـلى أبوابها البـؤسُ طـافحٌ ... وداخِلَهُـــنَّ الأنـــسُ والشَّـــهَوات

تحكَّـمَ باسـم الـدّينِ كـلُّ مـذَمَّم ... ومُرتكِـبٍ حقَّـتْ بـه الشُبُهات

ومـا الـدينُ إلا آلــةٌ يَشـهَرونها ... إلى غـــرضٍ يقضُـــونه وأداة

وخلفَهُـمُ الأسـباطُ تـترى ومِـنهُمُ ... لُصـوصٌ ومـنهمْ لاطـةٌ وزُنـاة

فهَـلْ قَضـتِ الأديـان أن لا تُـذيعَها ... عـلى النـاسِ إلا هـذه النَّكِـرات

يـدي بيـدِ المستضـعَفِينَ أُريهـمُ ... مـن الظُلْـم مـا تعيـا بـه الكَلِمات

أُريهمْ على قلبِ «الفُراتِ» شواهقاً ... ثِقـالاً تَشَـكَّى وطـأُهنَّ «فُـرات»

بنـتْهُنَّ أمـوالُ اليتـامى وحولَهـا ... يكـادُ يَبـينُ الـدمعُ والحسَرات

بقايـا أُنـاسٍ خلَّفوهـا مـوارداً ... تسـدِّدُ لهـوَ الـوارِثِينَ ومـاتوا

***

فلسطين الدامية

لـو استطعتُ نشرتُ الحزنَ والألما ... عـلى فِلسْـطينَ مسـوداً لها علما

سـاءت نهـاريَّ يقظانـاً فجائعُهـا ... وسـئن لـيليَ إذ صُـوِّرْنَ لي حلما

رمتُ السكوتَ حداداً يوم مَصْرَعِها ... فلـو تُرِكـتُ وشـاني مـا فتحـت فما

أكلما عصـفت بالشـعب عاصـفةٌ ... هوجاءُ نستصرخُ القرطاسَ والقلما ؟

هـل أنقَـذ الشام كُتابٌ بما كتبوا ... أو شـاعر صـانَ بغـداداً بما نظما

فـما لقلبـيَ جياشـاً بعاطفـةٍ ... لـو كـان يصدقُ فيها لاستفاضَ دما

حسـب العواطـف تعبيراً ومنقصـةً ... أنْ لـيس تضـمنُ لا بُـرءاً ولا سقما

مـا سرني ومَضـاءُ السـيفِ يُعـوزني ... أني ملكـتُ لسـاناً نافثـاً ضَرِمـا

دم يفـور عـلى الأعقـاب فـائرُهُ ... مهانـةٌ ارتضي كفـواً لـه الكلما

فاضت جروحُ فِلَسْطينٍ مذكرةً ... جرحاً بأنْدَلُسٍ للآن ما التأما

وما يقصِّر عن حزن به جدة ... حزن تجدده الذكرى إذا قَدُما

يا أُمةً غرها الإِقبالُ ناسيةً ... أن الزمانَ طوى من قبلها أمما

ماشت عواطفَها في الحكم فارتطمت ... مثلَ الزجاج بحد الصخرة ارتطما

وأسرعت في خطاها فوق طاقتها ... فأصبحت وهي تشكو الأيْنَ والسأما

وغرَّها رونقٌ الزهراء مكبرة ... أن الليالي عليها تخلع الظُّلَما

كانت كحالمةٍ حتى إذا انتبهتْ ... عضّتْ نواجذَها من حرقةٍ ندما

سيُلحقون فلسطيناً بأندلسٍ ... ويَعْطفون عليها البيتَ والحرما

ويسلبونَك بغداداً وجلقةً ... ويتركونِك لا لحماً ولا وضما

جزاء ما اصطنعت كفاك من نعم ... بيضاء عند أناسٍ تجحد النعما

يا أمةً لخصوم ضدها احتكمت ... كيف ارتضيتِ خصيماً ظالماً حكما

بالمِدفع استشهدي إن كنت ناطقةً ... أو رُمْتِ أن تسمعي من يشتكي الصمما

وبالمظالم رُدي عنك مظلمةً ... أولا فأحقر ما في الكون مَنْ ظُلِما

سلي الحوادثَ والتاريخَ هل عرفا ... حقاً ورأياً بغير القوةِ احتُرما

لا تطلُبي من يد الجبار مرحمةً ... ضعي على هامةٍ جبارةٍ قدما

باسم النظامات لاقت حتفَها أممٌ ... للفوضوية تشكو تلْكم النظما

لا تجمع العدلَ والتسليحَ أنظمةٌ ... إلا كما جمعوا الجزارَ والغنما

من حيث دارتْ قلوبُ الثائرين رأتْ ... من السياسةِ قلباً بارداً شبما

أقسمتُ بالقوة المعتزِّ جانبُها ... ولست أعظمَ منها واجداً قسماً

إن التسامح في الإسلام ما حصدت ... منه العروبة إلا الشوكَ والألما

حلتْ لها نجدة الأغيار فاندفعت ... لهم تزجي حقوقاً جمةً ودما

في حـين لم تعـرف الأقـوامُ قاطبـةً   عنـد التـزاحم إلا الصـارمَ الخـذما
أعطـت يـداً لغريـبِ بـات يقطعُهـا   وكـان يلثمُهـا لـو أنـه لُطِـما
أفنيتِ نفسَكِ فيها ازددتِ مِن كـرم   ألا تكفّـين عـن أعـدائك الكرمـا
لابَّـد مـن شـيم غُـرٍّ فـإن جلبـت   هلكـاً فلابـد أن تستأصـلي الشـيما
فيـا فِلَسْـطينُ إن نَعْـدمْكِ زاهـرةً   فلسـتِ أولَّ حـقٍ غيلـةً هُضِـما
سُـورٌ مـن الوَحْـدةِ العصماءِ راعَهُـمُ   فاسـتحدثوا ثُغْـرَةً جوفـاءَ فـانثلما
هـزّت رزايـاكِ أوتـاراً لناهضـةٍ   في الشرق فاهتَجْنَ منها الشجوَ لا النغما
ثـار الشبابُ ومـن مثلُ الشباب إذا   ريـعَ الحمـى وشُـواظُ الغَـيْرَةِ احتـدما
يـأبى دمٌ عـربيٌ في عـروقِهِمُ   أنْ يُصـبِحَ العـربيُّ الحـرُّ مهتضـما
في كـل ضـاحيةٍ مـنهم مظـاهرةٌ   موحـدين بهـا الأعـلامَ والكلـما
أفـدي الـذينَ إذا مـا أزمـةٌ أزَمَـتْ   في الشرق حُزنـاً عليهـا قصَّروا اللِمَـما
ووحـدَّتْ مـنهُمُ الأديـانَ فارقـةً   والأمـرَ مختلفـاً والـرأيَ مُقتَسَـما
لا يـأبهون بإرهـابٍ إذا احتـدَموا   ولا بِمَصْرَعِهِـمْ إن شـعبُهم سَـلِما

***

النزغة

أو ليلة من ليالي الشباب

كـم نفـوسِ شريفـةٍ حسَّاسـة   سـحقوهنَّ عـن طريـقِ الخساسـه
وطبـاع رقيقـةٍ قـابَلتهنَّ   الليـالي بغِلْظَـةٍ وشراسـه
مـا لضـعفٍ شـكوايَ دهـري فـما   أنكـرُ بـأسي وإن تحاميـتُ باسـه

غـيرَ أني أردتُ للـنجح مقياسـاً ... صـحيحاً فلـم أجـدْ مقياسـه!
وقـديماً مسَّـتْ شـكوكٌ عقـولاً ... وأطالـتْ مـن نابـهٍ وَسواسـه
استغلَّتْ شـعورَها شـعراءٌ ... لم تُنشـني ظرافـةٌ وكيَاسـه
وارتمـتْ بيْ إلى المَطـاوح نفـسٌ ... غمرتهـا انقباضـةٌ واحتراسـه
عـدَّتِ النبُـلَ رابحـاً واسـتهانتْ ... مـن نعـيم ولـذَّةٍ إفلاسـه
كلَّما أوشـكتْ تبـلُّ من الإخـلاصِ ... والصـدقِ عاودتْهـا انتكاسـه
تَعِـسَ المـرءُ حازِمـاً نفسَـه ... كـلَّ اللـذاذاتِ قانعـاً بالقداسـه
استفيقي لا بـدَّ أنْ تُشـبهي الـدَّهرَ ... انقلابـاً وأنْ تُحـاكي أُناسـه
لـكِ في هـذه الحيـاةِ نصـيبٌ ... اِغنميـهِ انتهـازةٌ وافتراسـه
فالليـالي بلهـاءُ فيهـا لمـن ... يُحسـن إبساسـةً لهـا إسلاسـه
مُخلَفـاتٍ حلبتِهـا وأُنـاسٌ ... حلَبوهـا درّارةً بسَّاسـه
كـلُّ هـذا ولسـتُ أُنكـرُ أنّي ... مـن لـذاذاتها اختلسـتُ اختلاسـه
ألـفُ إيحاشـةٍ مـن الـدَّهر قـد ... غطَّـتْ عليهـا في ليلـةٍ إناسـه
ليلـةٌ تُغضـبُ التقاليـدَ في النـاس ... وتُـرضي مشـاعراً حسَّاسـه
مـن ليـالي الشـبابِ بسَّـامةٌ ... إنَّ ليـاليَّ جُلّهـا عبَّاسـه
ومعـي صـاحبٌ تفرَّسـتُ فيـه ... كـلَّ خـيرٍ فلـمْ تخنـي الفَراسـه
أريحـيٌّ مـلء الطبيعـةِ منـه ... عـزَّةٌ وانتباهـةٌ وسلاسـه
خِـدْنُ لَهـوٍ إني أُحـبّ مـن الشـاعر ... في هـذه الحيـاةِ انغماسـه
عرَّقـتْ فيـه طيّبـاتٌ ويـأبى ... المـرءُ إلاَّ عروقَـه الدسَّاسـه
ولقد رُزْتُه على كـلّ حـالاتِ الليـالي ... فـما ذممـتُ مَساسـه
كان مقهى «رشيد» موعدنا عصراً ... وكنَّـا مـن سـابقِي أحلاسـه

مجلسٌ زانَهُ الشبابُ وأخلو ... « للزهاويِّ» صدرَه والرياسه

هو إنْ شئتَ مجمعٌ للدُّعاباتِ ... وإن شئتَ معهدٌ للدراسه

ثمَّ كان العِشاءُ فانصرف الشيخُ ... كسيحاً مودِّعاً جُلاّسه

وافترقنا نُريد« مَهَرانَ» نبغي ... وَرطةً في لذاذةٍ وارتكاسه

تارةً صاحبي يُصفِّقُ كأسي ... وأنا تارةً أُصفِّق كاسه

وجديرٌ أنْ يُمتِعَ المرءُ بالخمرةِ ... نفساً وأنْ يُثقِّلَ راسه

قبلَ أن تَهجُمَ الليالي عليه ... فتُعري من الصِّبا أفراسه

أتُراه ع ' حياةٍ قديراً ... بعدَ ما يُودِعونه أرماسه

فاحتسينا كأساً وأُخرى فدبَّتْ ... سَورةٌ لم تدعْ بنا إحساسه

وهَذينْا بما استكنَّت به النفسُ ... وجاشتْ غريزةٌ خنَّاسه

لا « الحسينُ الخا ـ ٠ يبلغُ شأوينا ... ولا « مسلمٌ »ولا ذو « النُواسه»

قال لي صاحبي الظريفُ وفي الكفِ ... ارتعاشٌ وفي اللسانِ انحباسه

أين غادرتَ « عِمَّةً » واحتفاظاً ... قلتُ إني طرحتُها في الكُناسه

ثم عُجنا لمسرح أسرجته ... كلُّ رَودٍ وضَّاءةٍ كالماسه

جدَّدوه بكلِّ فينانةٍ خضراءَ ... بالزهرِ عطرتْ أنفاسه

ولقد زادتِ الوجوهَ به حُسناً ... ولُطفاً للكهرباء انعكاسه

ثمَّ جَسُّوا أوتارَهم فأثرنَ ... اللهو أيدٍ قديرةٌ جسَّاسه

وتنادَوا بالرقصِ فيه فأهوى ... كلُّ لدنٍ للدنةٍ ميَّاسه

خُطةٌ للعواطف الهُوج فاقَتْ ... خُطّةَ الحربَ جذوةً وحماسه

أُغرمَ الجمعُ واستجاب نفوساً ... تتقاضاهُ حاجةً مسَّاسة

نـاقِلاً خطـوَه عـلى نغمـةِ العـودِ وطـوراً مرَّجفـاً أعجاسـه

وتلاقـى الصـدرانِ واصـطكَّتِ الأفخـاذ حتـى لم تبـقَ إلا لُماسـه!!

حرَّكـوا سـاكناً فهـبَّ رفيقـي لامسـاً باليـدينِ منـه لباسـه!!

ثـمَّ نـادى مُعربـداً لُيحيـيِّ الله مغنـاكَ وليُـدِمْ أعراسـه

وخرَجْنـا منـه وقـد نصـلَ الليـلُ وهـدَّتْ إغفـاءَةٌ حُرّاسـه

مـا لبغـدادَ بعـدَ هـاتيكمُ الضـجَّةِ تشـكو أحياؤهـا إخراسـه

واقتحمنـا بيتـاً تعـوَّد أنْ نطـرق في الليـلِ خُلسـةً أحلاسـه

وأخـذنا بكـفِّ كـلِّ مَهـاةٍ رنَّقَـتْ في الجفـونِ منهـا نُعاسـه

لم أُطِـلْ سـومَها وكنـتُ متـى يعجبنـي الشيءُ لا أُطيـلُ مِكاسـه!

قلـتُ إذ عيَّرتنـيَ الضـعفَ لمَّـا خـذلتني عنهـا يـدٌ فرّاسـه؟

لستُ أعيـا إنْ فـاتني أخـذيَ الشيء بعنـفٍ عـن أخـذهِ بالسياسـه

ثـمَّ كانـتْ دعابـةٌ فَمُجـونٌ فارتخـاءٌ فلـذةٌ فانغماسـه

وعلى اسم الشيطانِ دُستُ عَضوضاً نـاتئَ الجنبتَـينِ حلـوَ المداسـه!

لبَـداً تنهـلُ اللُبانـةُ منـه لا بحـزْنٍ ضَرسٍ ولاذي دَهاسـه!

وكـأنّ العبـيرَ في ضرَمِ اللـذَّةِ يُـذكي بنفحـةٍ أنفاسـه!

وكـأنّ الثِقْـلَ المـرجّحَ بـين الصـدرِ والصـدرِ يسـتطيبُ مراسـه

وكأنّ « البديعَ » في روعة الأسلوب يُمـلي « طِباقـه ! » و« جِناسـه»

واسـتجدَّتْ مـن بعـدِ تلـك أمـورٌ كلّهـنَّ ارتيابـةٌ والتباسـه

عرَّفتنـا معنـى السـعادةِ لمّـا أنْ وضـعنا حـدّاً بهـا للتعاسـه

بسَـمَ الـدهرُ برهـةً وتجـافى بعـدَها كـاشِراً لنـا أضراسـه

صـاحبي لا ترُعـكَ خِسَّـةُ دهـر «كـم نفـوسٍ شريفـةٌ حسَّاسـه»

ساعة مع البحتري
في سامراء

أسْـدَى إليَّ بـكَ الزَّمـانُ صـنيعا ... فحمِـدْتُ صـيفاً طيِّبـاً وربيعـا
أجللـتُ منظـرَكِ البـديع ومنظـرٌ ... أجللتـه لِمْ لا يكـونُ بـديعا
دَرَجَ الزمـانُ بهـا سريعـاً بعـد مـا ... ناشـدتُه ألا يمـرَّ سريعـا
قـرَّتْ بمرآهـا العُيـونُ وقرحـةٌ ... للعـينِ ألا تُـبصرَ المسـموعا
ونعمـتُ أُسـبوعاً بهـا وسـعيدةٌ ... سَـنَةٌ نعمـتُ خلالَهـا أسـبوعا
ألفيـتُ حسـن الشـاطئَيْنِ مرقرقـاً ... غضّـاً وخِصْـبَ الشـاطئينِ مَريعـا
وأضـعتُ أحلامـي وشرخَ شـبيبتي ... وطَلاقتـي فوجـدتُهُنَّ جميعـا
صـبحٌ أغـرُّ وليلـةٌ جذلانـةٌ ... بيضـاءُ تهـزأُ بالصـباح سُـطوعا
والبـدرُ بـالأنوارِ يمـلأُ دجلـةً ... زَهْـواً ويبعـثُ في النفـوسِ خُشـوعا
وتـرى ارتياحـاً في الضِّـفافِ وهِـزَّةً ... تعلـو الرِّمـالَ إذا أجـدَّ طُلوعـا
وجـرتْ عـلى الحصـباءِ دجلـةُ فِضَّـةً ... صُـهِرَتْ هنـاكَ فمُوِّعـتْ تمويعـا
وكـأنَّما سـبكوا قـواريراً بهـا ... مـضَّ السَّـنا فتصـدَّعتْ تصـديعا
وتـرى الصـخورَ عـلى الجبـالِ كـأنَّما ... لَبِسَـتْ بهـنَّ مـن الهجـير دُروعـا
دُورُ الخلائـفِ عافهـا سُـمَّارُها ... وتقطَّعَـتْ أسـبابُها تقطيعـا
درجـتْ بسـاحتها الحـوادثُ وانـبرى ... خَطْـبُ الزمـانِ لهـا فكـان فظيعـا
حتـى شـواطئُ دجلـةٍ منسـابةً ... تـأبى تُشـاهد منظـراً مفجوعـا
أبَنتُهـا مرئيَّـةٌ ولطالمـا ... غازلـتُ منهـا حسـنَها المسـموعا
ولقـد تُـذَمُّ جـلادةٌ في موقـفٍ ... للـنفس أجمـلُ أن تكـونَ جزوعـا

قصرُ الخليفـةِ جعفـرٍ كيـف اغتـذى   بيــد الحـــوادثِ فضَّـــةً مصـــفوعا

وكَـم اسـتقرَّ عـلى احتقـار طبيعـةٍ   لم تألُـــه التحطــــيمَ والتصـــديعا

ولقـد بَكَيـتُ ومـا البكـاءُ بِمُرجِـع   مُلكـــاً بشـــهوةِ مالكيـــهِ بيعـــا

زُرْ سـاحةَ السـجنِ الفظيـع تجـدْ بـهِ   مـــا يســـتثيرُ اللـــومَ والتقريعـــا

إن الَّــذينَ عــلى حسـاب سـواهُمُ   حلبـــوا ملّـــذاتِ الحيـــاةِ ضروعـــا

رفعوا القصورَ على كواهلِ شعبِهِمْ   وتجـــاهلوا حقّـــاً لـــه مشروعـــا

ساسـوا الرعيـةَ بـالغرورِ سياسـةً   لا يرتضـــيها مـــن يســـوسُ قطيعـــا

حتـى إذا مـا الشـعبُ حـرَّكَ باعـه   فـــإذا هـــمُ أدنـــى وأقصرُ بوعـــا

ووقفـتُ حيـثُ البحـتريُّ ترقرقـت   أنفاسُـــــه فشـــــفعتُهُنَّ دُموعـــــا

أكـبرتُ شـاعرَ جعفـرٍ.. وشـعورُهُ   يســـتوجبُ الإكبـــارَ والترفيعـــا

ولَمَسـتُ في أبياتِـه دَعـةَ الصِّـبا   ولداتـــهِ وا[illegible]ـــاطرَ المجموعـــا

ولـئن تشـابهتِ المَناسـبُ أو حكـى   مطبـــوعُ شـــعري شـــعرَهُ المطبوعـــا

فلكَـمْ تَخـالَفُ في المسـيلِ جـداولٌ   فاضَـــتْ معـــاً وتفجـــرَّتْ ينبوعـــا

عَبـثَ «الوليـد» بشرخ دهـرٍ عابـثٍ   وصَـبا فنـالَ مـن الصِّـبا مـا اسـطيعا

ونَـما رفيعـاً في ظـلالِ خلائـفٍ   في ظلِّهـــمْ عـــاش القـــريضُ رفيعـــا

لا عـن بيـوت المـال كـان إذا انتمـى   يُــقصَى ولا عـــن بـــابهم مـــدفوعا

قَـدَرُوا لـه قَـدْرَ الشـعورِ وأسرجـوا   أبياتَـــهُ وسْـــطَ البيـــوتِ شـــموعا

ضـيفَ العـراقِ نعمـتَ مـن خيراتـهِ   وَحِمـــدْتَ فيـــه قـــرارةً وهجوعـــا

إنْ تُعْقَـدِ الحَفـلاتُ كنـتَ مقـدَّماً   أو تُنـــبرِ الأمـــراءُ كنـــتَ قريعـــا

وأظُــنُ أنَّــكَ لـو نمتْـكَ ربوعُـهُ   لشـــكوتَ منـــه فـــؤادَكَ المصـــدوعا

ولكنــتَ كالشــعراءِ مــن أبنائــه   ممَّـــنْ تُجوهـــلَ قـــدرُهُمْ فأُضـــيعا

لك في « الَّتي » راشَتْ جناحك رِفقةٌ ... لـــولا جلادتُهـــم لمـــاتوا جوعـــا

***

جربيني..

جرِّبينــي مــنْ قبــلِ أنْ تزدَرِينــي ... وإذا مـــا ذممْتِنـــي فـــاهجرِيني

ويَقينـــاً ســـتندمينَ عـــلى أنَّـــكِ ... مـــن قبـــلُ كنـــتِ لمْ تعرفينـــي

لا تقـيسي عـلى ملامـح وجهـي ... وتقاطيعِـــه جميـــعَ شـــؤوني

أنـــا لي في الحيـــاةِ طبـــعٌ رقيـــقٌ ... يتنـــافى ولـــونَ وجهـــي الحـــزين

قبلـــكِ اغـــترَّ مـــعشرٌ قـــرأوني ... مـــن جبـــينٍ مكَّلـــلٍ بالغُضـــونِ

وفريـــقٌ مـــن وجنتـــينِ شَـــحوبين ... وقـــدْ فاتـــتِ الجميـــعَ عُيـــوني

أقرئيني منهـا ففيهـا مطـاوي الـنفسِ ... طُـــــراً وكـــــلُّ سرٍّ دَفـــــين

فـيهما رغبــةٌ تفــيضُ وإخــلاصٌ ... وشـــكٌّ مخـــامرٌ لليقـــين

فـــيهما شـــهوةٌ تثـــورُ وعقـــلٌ ... خـــاذِلي تـــارةً وطـــوراً مُعينـــي

فـــيهما دافـــعُ الغريـــزةِ يُغرينـــي ... وعـــدوى وراثـــةٍ تَزوينـــي

أنـــا ضـــدُّ الجمهـــور في العـــيشِ ... والتفكـــيرِ طُـــرّاً . وضـــدُّه في الـــدِّين

كـلُّ مـا في الحيـاةِ مـن مُتَـع العـيشِ ... ومـــن لـــذَّةٍ بهـــا يزدهينـــي

التقاليـــدُ والمـــداجاةُ في النـــاسِ ... عـــدوٌّ لكـــلِّ حُـــرٍّ فطـــين

أنجِـديني في عـالم تَـنهشُ « الـذُّئبانُ » ... لحمـــي فيـــه ولا تُســـلِميني

وأنـا ابـن العشريـن مَـنْ مرجِـعٌ لي ... إنْ تقضَّـــتْ لـــذاذةَ العشريـــن

ابسِـــمي لي تَبسِـــمْ حيـــاتي وإنْ ... كانـــتْ حيـــاةً مليئـــةً بالشُّـــجون

أنصِـفيني تُكفِّـري عـن ذُنـوبِ ... النـــاسِ طُـــرّاً فـــإنهمْ ظلمـــوني

اعطِفي ساعةً على شاعرٍ حرٍ ... رقيقٍ يعيشُ عيشَ السجين
أخذتني الهمومُ إلا قليلاً ... أدركيني ومن يديها خذيني
ساعةً ثم انطوى عنكِ محمولاً ... بكُرهٍ لظُلمةٍ وسكون
حيث لا رونقُ الصباح يُحيِّيني ... ولا الفجرُ باسماً يُغريني
حيثُ لا «دجلةٌ» تلاعبُ جنبيها ... ظِلالُ النخيلِ والزيِّتون
حيثُ صَحبي لا يملكونَ مُواساتي ... بشيءٍ إلا بأنْ يبكوني
مَتِّعيني قبلَ المماتِ فما ... يُدريكِ ما بعدَه ومَا يُدريني
وَهبي أنَّ بعدَ يوميَ يوماً ... يقتضيني مُخلَّفاتِ الدُّيون
فمَنِ الضامنونَ أنَّكِ في الحشرِ ... إذا ما طلَبتِني تجديني
فستُغرينَ بالمحاسنِ رُضواناً ... فيُلقيكِ بينَ حُورٍ وعِين
وأنا في جهنَّمٍ معَ أشياخ ... غواةٍ بِغيِّهمْ غمروني
أحرَجتني طبيعتي وبآرائِهم ... ازدَدْتُ بَلةً في الطين
بالشفيع «العُريان» استملكي ... خيرَ مكانٍ.. وأنتِ خيرُ مكين
ودعيني مُستعرضاً في جحيمي ... كلَّ وجهٍ مُذمَّمٍ ملعون
وستُشجينَ إذ ترينَ معَ البُزلِ ... القناعيسِ حيرةَ ابنِ اللبون
عن يساري أعمى المعرَّةِ ... و«الشيخُ» الزهاويُّ مُقعداً عن يميني
ائذَني لي أنزِلْ خفيفاً على ... صدركِ عذْباً كقطرةٍ من مَعين
وافتحي لي الحديثَ تستملحي ... خفَّةَ رُوحي وتستطيبي مُجُوني
تعرِفي أنني ظريفٌ جديرٌ ... فوقَ هذي «النهود» أنْ ترفعيني
مؤنِسٌ كابتسامةٍ حولَ ثغريكِ ... جذوبٌ كسحرِ تلكَ العيون
اسمحي لي بقُبلةٍ تمِلكيني ... ودعي لي الخَيارَ في التعيين

قرِّبيني من اللذاذةِ ألَمْسها ... أريني بداعةَ التكوين
أنزليني إلى « الحضيضِ » إذا ما شئتِ أو فوقَ ربوةٍ فضعيني
كلُّ مافي الوجودِ من عقباتٍ ... عن وصولي إليكِ لا يَثنيني
احمليني كالطفلِ بين ذِراعيكِ ... احتضاناً ومثلَه دَّلليني
وإذا ما سُئلتِ عني فقولي ... ليسَ بِدعاً إغاثةُ المسكين
لستُ أُمّاً لكنْ بأمثالِ « هذا » ... شاءتِ الأُمهاتُ أنْ تبتليني
أشتهي أنْ أراكِ يوماً على ... ما ينبغي مَن تكشُّفٍ للمصُون
غيرَ أني أرجو إذا ازدهتِ النفسُ ... وفاضَ الغرامُ أنْ تعذُريني
« اِلطمِيني »إذا تَجُنتُ فعمداً ... أتحرَّى المجونَ كي تَلْطمِيني
وإذا ما يدي استطالتْ ... فمِنْ شَعركِ لُطفاً بخُصلةٍ قيِّديني
ما أشدَّ احتياجةِ الشاعر ... الحسَّاسِ يوماً لساعةٍ مِن جنون

❊❊❊

إلى السعدون

فيم الوجومُ؟ وجومُكم لا ينفعُ ... نَفَذَ القضاءُ وُحمَّ ما لا يُدفَعُ
فيم الوجومُ؟ أبو عليٍّ قد مضَى ... وقد انقضىَ الخيرُ الذي يُتوقَّع
وقد اختفى رمزُ البطولة وانطوتْ ... تلكَ المحاسنُ والشمائلُ أجمَع
الشعبُ محتشِدٌ هنا يتسمَّعُ ... ماذا يقولُ الشاعرُ المتفجِّع
احذرْ لساني أن تكونَ مقالةٌ ... ليست تَليقُ به فإنكَ تُقطَع
يا سادتي أما اللسانُ فواهنٌ ... متلجلجٌ فَلْتُلْهِبَنْكُمْ أدمُع
يعتاقُ إبدعي ارتباكُ عواطفي ... فإذا مَلكتُ عواطفي فسأُبدِع

وستَحمَدون قصائداً مهما عَلَتْ قَدْراً فَقَدْر أبي عليٍّ أرفَعَ
أُمُّوا ضريحَ أبي عليٍّ واكشِفوا فيه الرؤوسَ وفي الشدائد فافزَعوا
وإذا ألَمَّتْ بالبلاد مُصيبةٌ فتوَّسلوا بزعيمها وتضرَّعوا
قولوا له يا مَن لأجل بلادِهِ هَدْراً مضى إن البلادَ تُروَّع
هذا الضريحُ ضريحُ أمةِ يَعرُبِ فيه خِيارُ خِصالِها مُتجَمِّع
إن كنتُ لم أسْجُدْ ولم أركَع فما قَدْري ركعتُ عليكَ أولا أركَع
فسَيركعُ التاريخُ فوقَك كلُّه وسيركَعُ الوَطنُ الذي بك يُمنَع
وسَيركعُ الجيلُ الذي شرَّفتَه وتمُرُّ أجيالٌ عليكَ وتَركَع
ولسوف تركَع نخوةٌ ورويَّةٌ وشهامةٌ وصراحةٌ وتَمنُّع
للموتِ فلسفةٌ وَقفتُ إزاءَها مُتخشِّعا وبرغم أنفي أخشَع
أيموتُ شَهْمٌ تستظل بخيره دنيا ويبقى خاملٌ لا ينفع
ناشدتُهُمْ وقد اعْتَلَيتُ حَفيره أأبو علي وَسْطَ هذا مُودَع
أو تهزأون بقدرِه ما هذه الأحجارُ ما هذي الصخورُ الأربَع؟
أهُنا ينامُ فتىً يُهابُ ويرتَجى أهُنا يعاف فَتىً يَضرُّ وينفَع
انهضْ فُدِيتَ «أبا عليٍّ» وارتجلْ بين الجمُوع قد استَتَمَّ المَجْمَع
واسمعْ تُشَرِّفْ باستماعِكَ قِيلَتي أسفاً وأنكَ مَيِّتٌ لا تَسمع
ماذا فَعَلتَ لقد أتَيتَ عظيمةً ينبو الأريبُ بها ويَعيَا المِصقَع
وافتْ مروِّعةٌ فهوَّنَ خطبَها وأتت أناساً هادئِينَ فرُوِّعوا
أعلِمتَ إذ أطلقتَها نارِيَّةً عما أنتَ بالوطن المفدَّى تصنَع
وإذ انتزَعْتَ زنادَهُ مُستَوريا عن أي ثُكلٍ للمُواطِنِ تُنزَع
يا مِدفعَ الأبطالِ أنَّك حاملٌ من كانَ ينهضُ حينَ يعجَزُ مِدفَع

مـن خـاضَ أمـواجَ السياسـةِ رافعـاً رأســـاً ورُبَّ مخاضـــةٍ لا تُرفَـــع
يــمشي إليهــا بالرويــةِ مــدركاً بالشِــبرِ مــا لا تَســتطيعُ الأذرُع
يكفيـك مـن أبنـاء شـعبِك غَـيرَةٌ حمـراءُ أن صـنَعوا الـذي لم يصـنَعوا
نِصــفانِ بَغــدادٌ فنِصــفٌ مَحشَرٌ ســاحاتهُ اكتضَّــتْ ونصــفٌ بَلقــع
مــتماوجُ الأشــباح حزنــاً مــا بــه إلا حشــاً دام ووجــهٌ أســفَع
مَرصــودةٌ ســتُّ الجهــات لســاعةٍ نكــراءَ محســودٌ بهــا المتطلِّــع
وتوجَّــعَ الملــكُ الهــمامُ ولم يكُــنْ إلا لأعظــم حــادثٍ يَتَوَجَّــع
وانقــضَّ فوقَــك كالعُقــابِ وأنَّــه لســـواكَ عـــن إلمامـــةٍ يترَفَّـــع
وهفــا فــؤادٌ كالحديــدِ وأســبَلَت عـــينٌ تُفــاخر أنهــا لا تــدمَع
ولقــد يَعِــزُّ عــلى المليــك وشــعبِهِ والمشرقـــينِ نجيعُـــك المتـــدَفِّع
لا يــرتضي الــوطنَ الــذي فَدَّيتـهَ بــالنفس أن تَــدمَى لكفــك إصبَع
هِبَــة العروبــة للــبلادِ أهكــذا مُســـتدمياً مـــتظلّماً تُســـتَرجع
تــاريخُ شَــعبٍ سُــوِّدَت صـفحاتُهُ فــأتى فبيَّضَـــهنَّ هـــذا المَصرعَ
هــذي الرجولــةُ ضُــيِّعَتْ ممنوحــةً واليــوم يُعــرَفُ قــدرُها إذ تُرفَــع
حصَدَت خصومُك حسرةً وخجالـةً حتــى لــودّوا أنهــم لم يزْرَعــوا
كانــت حياتُــك للــبلاد منافعــاً جُـــلَّى وأنــك في مماتــك أنفَــع
غــيرتَّ راهنــةَ الأمــور بطلقــةٍ مســتقبلُ الأوطــان منهــا يَلمَــع
يُنســى دويُّ مــدافع وعواصــفٍ وأزيزُهــا حتــى القيامــةِ يُســمَع
ووقَفــتَ أقطــابَ السياســة موقفـاً يرتــدُّ حيرانــاً بــه المتضــلِّع
يتســاءلون بــأي عُــذرٍ نختفــي عــن شــعبنا وبــأيِ وجــهٍ نَطلُــع

واسترجعوا أحكامَهم مرفوضَةً ... ناسٌ بحكمهمُ عليكَ تسرَّعوا
غَطَّى على المتبرعينَ مُبجَّل ... بحياتِه لبلادِه يتبَرع
قولوا لأشباه الرجالِ تصنعاً ... إلا تكونوا مثلهُ فتقنَّعوا
لا تُزعجونا بالتشدُّقِ إننا ... بسوى التخلص منكمُ لا نقنع
قد يدفع الدمُ ما يحيق بأهله ... فإذا صدقتُم بادعاءٍ فادفَعوا
أما كتابُك فهو أفضلُ ما وَعى ... واعٍ وخزيُ معاشرٍ إن لم يَعُوا
طِرْسٌ على التاريخ يَفخَر أنه ... من كلّ ما يَحوي أجلُّ وأرفَع
دستورُ شَعبٍ لا يُمَسُّ وشِرعةٌ ... هي فوقَ ما سنَّ الرجال وشرَّعوا
هذي الوصيةُ ذخرُهُ إن أعوزَتْ ... طيارةٌ وبنادقٌ ومُدرَّع
مَشَتِ الأنامِلُ هادئاتٍ فوقَها ... والموتُ يمشي بينَهنَّ ويُسْرِع
قرَّعت شعبَك أن يَعُقَّك مرحباً ... بأبي البلاد على العُقوق يُقرِّع
وشكوتَه أن ليسَ يسمعَ ناصحاً ... نمْ هادئاً إن البلادَ ستسمَع

***

المجلس المفجوع

يبكي عليكَ وكلُّهُ أوصابُ ... شَعبٌ يمثِّلُ حزنَه النُواب
غطَّت على سُود الليالي ليلةٌ ... وعلى المصائبِ كلِّهنَّ مُصاب
المجلِسُ المفجوعُ رُوِّع أهلُهُ ... وبكتْكَ أروقةٌ له وقِباب
قد جلَّلتْه وجلَّلتهُمْ رَهبةٌ ... فهل البلادُ يسودُها إرهاب
كادت تجِنُّ لفقدِ وجهِك ساحةٌ ... فيه ويُسألُ عن دخولِك باب
عبءٌ على الأوطانِ ذكرى ليلةٍ ... عن مثلِ مَصرع «مُحسنٍ» تَنجاب

عـــن مصرع في المجلِسَـــين لأجلــهِ وهمـــا الـــبلادُ بأسرِهـــا إِضراب
بالـــدمع يَســـألُ عـــن غيابـــك ســـائلٌ في المجلسَـــين وبالـــدموع يُجـــاب
هـــذي الثمانـــونَ التـــي هـــي جُـــلُ مـــا ارتضَـتِ الـبلادُ وضـمَّتِ الأحـزاب
مُتجلبيـــــــونَ ســـــــكِينةً وكآبـــــــة ومـــن الســـواد علـــيهم جِلبـــاب
متشـــنجون يخـــالهم مـــن راءهُـــم للحـــزن – أنهـــمُ عليـــه غِضـــاب
نـاجي لسـانَ النثـر قـمْ واخطُـب بهـم وأعِـنْ لسـان الشـعر يـا ميرابـو
هَـدِّأْ بنطقِـك رَوعَهـم قـد أوشـكت للحُـــزنِ أن تتمـــزقَ الأعصـــاب
ولقـــد أقـــولُ لـــرافعين أصـــابعاً ليســـت تُحِـــسُّ كأنهـــا أحطـــاب
رهـــنَ الإشـــارة تختفـــي أو تعـــتَلي وينـــالُ منهـــا السَـــلْبُ والإيجـــاب
مـــاذا نَـــوَيتمْ ســـادتي : هـــل أنـــتُمُ بعد الـرئيس – كعهـده – أخشـاب
هـــل تنهضـــونَ إذا اســـتُثيرتْ نخـــوةٌ أو تجمُـــدون كـــأنكم أنصـــاب
هـــل أنـــتُمُ – إن جـــدَّ أمـــرٌ ينبغـــي توحيـدَ شـملِكُمُ بـه – أحـزاب
يـــا أيهـــا « النـــوابُ » حســـبُكُمُ عُـــلا قـــولي لكـــم يـــا أيهـــا « النـــواب »
روحُ الـرئيس تـرفُّ فـوقَ رؤوسِـكم ارَعـــوا لهـــا مـــا تقـــتضي الآداب
ســترى حضـوراً غـائبينَ بفكـرهم ســترى الـذين بـلا اعتـذارٍ غـابوا
ســترى الــذين لــه أســاؤوا تُهمــة وإلى الــبلاد جميعهــا هــل تــابوا
ســيقولُ إن خَبُثَــت نوايــاً مــنكُمُ اخشَــوا رفــاقي أنْ يحِــلَّ عــذاب
لــتكنْ محاكمــةُ الخصــوم بريئــةً في قــاعِكم وليحسُــنِ اســتجواب
تــأبى المــروءةُ أن يُقــدَّسَ خــائنٌ أو أن يطـولَ عـلى الـبريءِ حسـاب
مـن أجـل أن ترعَـوا مبـادئَ « محُسـنٍ » لـــتكنْ أمـــامَكُمُ لـــه أثـــواب

متضرّجـــاتٌ بالـــدماء زكيـــةٌ فــيهنَّ للجــرح البليــغ خطــاب
فـيهنَّ مـن تلـك « الرَّصاصة » فَتحْةٌ هــي للتفــادِي إن وَعَيــتُمْ بــاب
لــيكُنْ أمــامَكُمُ كتــابٌ صــارخٌ فيــه ثــوابٌ يُرتجــى وعِقــاب
فيـه الوصـيةُ سـوف تحنـو رأسَـها عَجَبـاً بهـا الأجيـالُ والأحقـاب
أوحـى « الـزعيمُ » إلى الجزيـرةِ كلِّهـا أنْ لـيسَ يُـدركُ بـالكلام طِـلاب
يـا هــذهِ الأمــمُ الضِــعافُ تَروّيــاً لا تــنهضي صُـعُداً وأنـت زِغـاب
لا تقطعـــي ســـبباً ولا تتهَّـــوري نزقــاً إذا لم تكمُـــلِ الأســـباب
لا تقـــرَبي ظُفــرَ القــويِّ ونابَــه إن لم يكــنْ ظُفْــرٌ لــديك ونــاب
وإذا عتبــتِ عــلى القــوي فــلا يكــنْ إلا بــأطرافِ الحــرابِ عتــاب
فــإذا تركَــتِ لــه الخيــارَ فإنــه أشــهى إليــه أن يكــونَ خــراب
هــذا القصــيدُ « أبـا عــلي » كلُّـه حــزنٌ وكــل ســطوره أوصــاب
ثــق أنَّ أبيــاتي لســانُ عــواطفي ثــقْ أنَّ قلبــي بيــنَهن مُــذاب
الحــزن يملؤُهــا أســىً ومهابــةً ويُمــدُّها بــالروح منــه شــباب
منســابةً لطفــاً وبــين ســطورها حزنــاً عليــك مــدامعي تنســاب
مــاذا عســى تَقــوىَ عــلى تمثيلــه بمصــابِك الشــعراءُ والكتــاب
ضُـمّوا القلـوبَ إلى القلـوبِ دوامِيـاً ستكونُ أحسنَ ما يكـونُ كتـاب

⁂⁂

إلى الخاتون المسبل

قـل لِلْمِسِ الموفـورة العـرض التـي لبســتْ لحكــم النــاس خـيرَ لبـاسِ
لي قيلــةٌ تلقــى عليــك بمســمع وبمــحضرٍ مــن زمــرةِ الســواس

أن كـانَ سَرَّكِ في العـراق بـأن تـري ... ناســاً لـــه مضروبـــةً بأنـــاس

فلـكِ التعـزي عـن سياسـتكِ التـي ... عــادتْ عليــكِ بصــفقة الإفــلاس

خُطَـط وقفـتِ لها حياتَك أصبحت ... شـؤماً عليـكِ وأنـت في الأرمـاس

إن تهزئـي مـنهم فعـذركِ واضـح ... فهـم الـذين سَـقوْكِ أوبـأ كـاس

وهـم الـذين أرَتْكُـمُ وقفـاتُهُمْ ... لَطْـمَ الخـدودِ ونَتْـفَ شَـعْرِ الـراس

وهـم الـذين عِظـامُهم وعظـامُكمْ ... معروضـةٌ للنـاس في أكيـاس

لـو كـان فـيهم للخيانـةِ مطمـعٌ ... لعرفـتِ كيـف إقامـةُ « القُـدّاس»

لكـنّهنّ شناشــنٌ معروفـــةٌ ... لكُـمُ تليـق بعرقِـكِ الدسـاس

مـلء العـراق أماجـدٌ لـولاهمُ ... هـو مثـلُ بنيـان بغـير أسـاس

قـد أصـبحوا ولهـم عليـه دخالـة ... باللّظليمـةِ مـن قضـاء قـاسي

للحشر بـين حلـوقِكم وضـلوعِكم ... من فضـلِ مـا صـنعوا كحـزِ مـواسي

لا بـأس أخـداني فهـذا كلـه ... مـن أجـل أنكُـمُ شـديدو البـاس

***

الملك حسين

أرى الشـعبَ في أشـواقه كـالمعلَّقِ ... لَمـا حـدَّثوه عنـكَ يرجـو ويتَّقـي

يغـالط نفسـاً فيـكَ إن قيـلَ لابـثٌ ... يكـذِّبُ أنْ قـالوا سـيأتي يصـدِّق

صـبَتْ لـك أنحـاءُ العـراق وفتَّحَـت ... للُقيـاكَ صَـدرَ الوالِـهِ المتشـوِّق

وأجـدرْ بـأن يشـتاق مثلُـك مثلهـا ... وأنعِـمْ بـأن تحنـو عليهـا وأخلِـق

سَرَت بُـردُ الأشـواقِ تحمِـلُ طَيَّهـا ... تحيـاتِ خُلصـانٍ شـديدي التعلّـق

رطابـاً كأنفـاس النسـائم سَـحرةً ... عِـذاباً كـماء الرافـدين المصـفقَّ

وقـد سَـمَتْ الـزَوراءُ ترفَـعُ رأسَـها ... عـلى الأرض تِيهـاً مثـلَ نَسر مُحلِّـق
وتفخَـرُ أن نالَـتْ بتفضـيل أرضِـها ... عـلى سـائر الجـاراتِ حـظَّ الموَّفـق
فقـد نافسَـتْ بغـداد بطحـاء مكّـةٍ ... وقـد غـبرَّت بغـدادُ في وجـهِ جِلَّـق
وقـد حَسَـدَت بغـدادُ شَـتى عواصـم ... مـن الشرق لم تـنعُمْ بهـذا التفـوُّق
ولـو نَطَقـتْ قالـتْ هَلـمَّ لَمصـبح ... جميـلِ عـلى الشـطَّينِ مني ومَغْبـق
هلـمَّ فعنـدي مُشـتهى كـلَّ ماجـدٍ ... ومـن كـلِّ ذوق طيّـب فتـذَّوق
فحقّـقْ لهـا أمنيـةً فيـكَ تَسـتَعِضْ ... بهـا عـن أمـانٍ جمـةٍ لم تُحقّـق
وأدخـلْ عليهـا فرحـةً فهـي بَلْـدَةَ ... بهـا ثـارت الأتـراحُ ثـورةَ مُحنَـق
تمشّـت بهـا تعتاقُهـا عـن نُهوضِـها ... خطـوبُ الليـالي زَردَقـاً بعـد زَرْدَق
أبغـدادُ وهـي القحمـةُ السِـنِّ خِـبرةً ... تَلَهَّـى بألعـابِ كطفـلِ مُحمَّـق
توقّـعُ بـاليمنى صـكوكَ انعتاقِهـا ... وتُـومي لهـا اليسرى بأن لا تصدِق
وتَفشـلُ أسـبابٌ لترقيـع وحـدةٍ ... تمزِّقُهـا الأضـغانُ شرَّ مُمـزَّق
وشـعبِ تُمشّـيّه السياسـةُ مُكرهـاً ... على زَلَقٍ من حُكمها كيفَ يَرتقي
سـلامٌ عـلى شـيخ الجزيـرة كلِّهـا ... سـلامٌ عـلى تاريخِـه المتـألِّق
سـلامٌ عليـه يـوم شـطَّت رِكابُـهُ ... سـلامٌ عليـه يـومَ نحظَـى فنلتقـي
سـلامٌ عـلى عُمـرِ تَـقَضَّى بصـالح ... سـلامٌ عـلى مـا فـات منه ومـا بَقـى
أبـا فيصـلِ بعـضَ التعـزي فكـم رَمَـت ... شـهامةُ قـوم شـملَهمْ بـالتفرّق
وقبلَـك غمّـت عـزةٌ رَبَّ كنـدةٍ ... وشرَّد صـونُ العـرض رَبَّ الخَورَنـق
ومـا قَـدْرُ عُمـرِ المـرءِ إن لم يُـرَعْ بـه ... ومـا طيـبُ عـيشِ المـرء إن لم يُرَنَّـق
أبـا فيصـلِ إن الحيـاةَ ثقيلـةٌ ... عـلى غـير مـذمومينَ وغـدٍ وأحمـق
سـلِ القـومَ مـا معنـى المرونـةِ تختـبرْ ... تُسـتّرهم عـن خِسّـةٍ وتَمَلُّـق

وعــن ذمِّ محمــودٍ لفــرط مَنَاعــةٍ   وعـن حَمـد مـذموم لفـرطِ التحـذلُق

يســفُّون بــالأخلاقِ إذ يُطلقونهــا   عـلى كـلِّ مـا يَـزري بحُـرٍ مخلَّـق

أبـا فيصـل أشـجى التحايـا تحيـةٌ   تمازجهـا الـذكرى بـدمع مُرقـرُق

تحيـةُ مشـتاقٍ لـو اسـطاع نُهـزةً   تلقّـاكَ مـن غـر القـوافي بفيلَـق

أخـي عاطفـات لم يَشُـنها تكلُّـفٌ   وذي خُلُـقٍ لم يُمـتَهنْ بتخلُّـق

لقـد هـزّت الأشـواقُ قلبـاً عهِدتُـهُ   إلى غـيرِ أربـابِ العُـلى غـير شـيِّق

ونفسـاً عـلى أن لا تـزالَ أمينـةً   أخـذتُ عليهـا كـلَّ عهـدٍ وموثّـق

ولي فيـك قبـل اليـوم غُـرٌّ قصـائدٍ   كفاهـا سـمواً أنهـا بعـضُ منطقـي

مـن الـلاء غـذّاها «جريـر» بروحـه   ولاءَمَ شَـطرَيها نسـيج « الفـرزدق»

شربـنَ بـماء الرافـدين وطارَحَـت   بأسـجاعِها سـجعَ الحـمام المطـوَّق

ومـن قبـل كـانوا إن أرادوا انتقاصـةً   مـن الشِـعر قـالوا عنـه لم يتعـرَّق

فـإن لا تبـذَّ المفلقـينَ فإنّهـا   يـقصِّرُ عنهـا شـاعرٌ غـير مُفلِـق

سـهرتُ لهـا الليـلَ التّمام أجيـدُها   أغـوصُ عـلى غُـرِّ المعـاني فـأنتقي

وأحبِـبْ بهـا مـن مؤرقـاتٍ عزيـزةٍ   عـليّ وبي مـن مُسـتهام مـؤرَّق

فجئـتُ بهـا مبغـى أديـبٍ مقـدّرٍ   ومنعى حسودٍ موَغرِ الصدرِ أخرق

وجـاءوا بمـرذولِ القـوافي كـأنها   « مركبـةٌ أبياتهـا فـوق زِئبـق»

وحسـبكَ مـن خمس وعشريـن حجـةً   بها الشيخ ذو السبعين من حَنَقٍ شَقِي

يقـول وقـد غطّـى شُـعاعي بصيصَـه   ترّفـقْ وهـل لي طاقـةٌ بـالترفّق

فيـا أيهـا الشـعرُ الجميـل انحطاطـةً   بغـيضٌ إلى قلـب الحسـود تفـوُّقي

مكانَـك قِـفْ بي حيـثُ أنـتَ فحسـبُه   وحسبُك من شَـوط تقـدَّمتُ مـا لقـي

إذا قــال شرِّقْ لا تغــرِّبْ إطاعــة … وإن قـال غـرِّبْ فـاحترس لا تشرّق
وإن قــال رفِّـه عــن حيـاتي فرأفـةٌ … وإن قـال دع لي فرجـةً لا تضـيِّق
وعنـديَ مـن لفـظٍ جزيـلٍ وصـنعةٍ … لبـابٌ وطبـعٌ كالمُـدام المعتَّـق
خـوافٍ بشـعري حلَّقـت وقـوادمٌ … ومـا خـيرُ شـعرٍ لم يَطِـرِ فيُحلِّـق
إذا مـا تبـارَى والقـوافي بَحلْبْـة … صَرختُ به إن كنتَ شعري فأسِبق
ولم لا يسـيل الشـعرُ لُطفـاً ورقـةً … إذا كـان مـن فَـيض القريحة يستقي
يجـيء بـه النسـيجُ الرقيـقُ مُهَلْهَـلاً … كمُـوشِيِّ روضٍ أو كثـوبٍ منَمَّـق
ويُردفـهُ صـوبُ المعـاني فيزدَهـي … زَها الروضُ عن صوب الحيا المتدِّفق
وإن ضـاعفتَه مسـحةُ الحـزن رَونقـاً … فمن فضـلِ أشجان أخذْن بمخنِقي
فمـن يَتنكَّـرْ مـن همـوم فـإنني … لأنكِـر أن أعتـادَ غـيرَ التحـرُّق
وأنكـرُ نـفسي أن تُـرى في انبسـاطةٍ … وأُنكـر صـدري أن يُـرى غـيرَ ضـيق
أخِـفُّ إلى المـرآة كـلَّ صـبيحةٍ … أرى هل أشابَ الهمُّ بالأمس مفرِقي

****

في الأربعين

زانَ العروبـةَ هـذا المُفـرَدُ العَلَـمُ … وقـد تُخلِّـدُ في أفرادِهـا الأُمَـمُ
وقـد تَسـيلُ دمـاء جَمَّـة هَـدَراً … وقـد يُقَـدَّرُ مـن دون الـدماءِ دَم
حَظٌّ من الموتِ محسودٌ خُصِصتَ به … والمـوتُ كـالعيش مـابين الـورى قَسَـم
لـولا سـموٌّ مفـاداةٍ لمـا احتَفَلـتْ … هـذي المحافـلُ فياضـاً بهـا الألم
لـو كـانَ غُنْمٌ لهـا مـا هكـذا ازدَحَمـتْ … هـذي الجمـوعُ التـي للغُـرْم تَـزدَحِم
إن تَنْـتَفِضْ لا تجـد كـفٌّ لهـا سَـعَةً … أو تَنتقـلْ لا تجِـدْ أرضـاً لهـا قَـدَم

يــا أيُّهــا الســادةُ الأحــرارُ كلُّكــم للشَــعب إن أعوزَتْــه خِدمــةٌ خَــدَم
هــذي الضــحيةُ في تبجيلهــا عِظَــةٌ إن الــذي خَــدَمَ الأوطــانَ محتشِــم
إن الــبلادَ بمرصــاد ومــن سَــفهٍ أن تحســبوا النــاسَ طــراً لعبــةً لكُــم
إن تنصُروهــا فــإن الشَــعبَ منــتصرٌ أو تخــذِلوها فــإن الشــعبَ منــتقم
أو تُحتَقَــرْ « وســيوف الهنــد مُغمَــدةٌ فقــد نَظَــرتُم إليهــا والســيوفُ دَم»
حســبُ الظنــينِ بوجــدانٍ محاكمــةٌ بهــا تُزيَّــفُ أو تُستَوضَــحُ الــتُهم
حســب الفتــى بيــد التــاريخ مُحصــيةً ماقــد جَنَتــهُ يــدٌ أو مــا ادعــاه فَــم
فاســتغنِموا اللــذَّةَ العُظمــى مُخلَّــدةً في الســعي فاللــذةُ الــدنيا هــي الألَمَ
تبقــى مــن الشــهوة العميــاء ســوأتُها للمشــتهينَ ويفنَــى الحــرصُ والــنَهَم
هــل ابــنُ سَــعدونَ يُعفينــي ويَعــذِرُني وهــو الكــريم نَــماه مَــعشَرٌ كَرُمــوا
لم تــأتِني مــن بليــغ القــولِ قافيــةٌ إلا وأبلــغُ منهــا عنــدَه شِــيَمَ
مــن كــل مرهوبــةٍ صَــعْبٌ تَقَحمُّهــا كأنهــا البَحْــرُ هَــوْلاً حــين يَقــتَحم
عــبءٌ عــلى الشــعر أن تحصى بســاحتِه عــلى الرجــالِ مَســاعيهم إذا عَظُمــوا
وفي المفُــاداةِ للأوطــان مُعجِــزةٌ بهــا البَيــانُ وإن جــوَّدتُ يصــطدم
عســـى مُعَلَّقــةٌ غــرّاءُ ثامنــةٌ تُحصي مــآثرَكَ الغَــرّا وتَنــتظِم
يــا منظــراً يَشــتهِي فيــه العَمــى بَصَرٌ ويــا نَعِيّــاً عليــه يُجمَــدُ الصَــمَم
بــات العــراقُ عليــه وهــو مُرتجِــفٌ بــأسره لأمــانٍ وهــي تنهــدِم
في ذمــة الله حــزنُ الشــعب حــينَ رأى وديعــةَ الله عنــد الشــعب تُســتَلم
مألومــةٌ غــيرُ مشــكورٍ لهــا سَــهرٌ عــلى الحقــوقِ ولا مَرعيّــةٌ ذِمَــم
هــل رايــةُ الــوطنِ المفجــوع عالمــةٌ عــلى مَــن اشــتملتْ والمِدفَع الضَخِم

إن الـذي فيـكَ شـعبٌ هـدَّ جانبَـه ... وأمـةٌ قـد أُضـيعَتْ أيُّهـا العَلَـم
إن الـذي فيـك مرهـوبٌ إذا احترَبـوا ... يـومَ الخصـام ومـرضيٌّ إذا احتكَمُـوا
إن الـذي فيـكَ حتى خصـمهُ شـغِفٌ ... بـه وحتـى مـن الأعـداء مُحـترم
غُـرُّ الفِعـال إلى العَلْيـا دلائلُـه ... حتـى المـماتِ عليـه دلـهُ الكَـرَم
مُسـتأثِر بخِيـار الخَصـلتينِ إذا ... خَيَّرتَـه بـين مـا يُـردى ومـا يَصم
زَهـا الوجـودُ بـذاك الوجـهِ مفتخـراً ... واليـوم يفخَـر إذ يحظَـى بـه العَـدَم
يـا نبعـةً عوجـتْ دهـراً فـما انحطَمَـتْ ... مـا كنـتَ لـولا يـدُ الأقـدار تَـنحطِم
مـا نـاشَ كفَّـك مـن تيـاره بلـلٌ ... لّمـا تحـدّاك مـوجُ المـوت يلـتَطِم
أبقيتَهـا حُـرَّةً تمشي أناملهـا ... يَمـدُّهنَّ النُهـى والنُبْـلُ والهِمَـم
حتى إذا ما انتهت من حَشدِها جُمَلاً ... أخـفُّ مـن وقعهـنَّ الصـارمُ الخـذِم
فـيهنَّ يشـكو إلى الأمـلاكِ طـاهرةً ... روحٌ مـن البَشَر الأدنَـين مُهتضَـم
رميـتَ نفسَـك في أحضـانِه فَرحـاً ... وجلَّـلَ الشـعبَ يـومٌ حزنُـه عَمَـم
بـراءةٌ لـكَ عنـدَ الموسِـعيك أذىً ... تُبـينُ مالـك مـن حـقٍّ ومـا لهُـم
نَـمْ هادئـاً غـيرَ مأسـوفٍ علـى زَمـنٍ ... يشـقى بـريءٌ ويَهنَـا فيـه مـتَّهَم
قـد أخجـلَ الظـالمينَ النـاسَ مُحتشِمٌ ... مـن نفسِـه في سـبيلِ النـاسِ ينـتقم
أبـا علـي سـلامٌ كيـف أنـتَ؟ ... وهلْ علِمتَ من بعدِكَ الأقوامُ كيفَ هم
تَولَّـتِ الأربعـونَ السـودُ تاركـةً ... جَفنـاً قريحـاً.. وقلبـاً شـفَّه الـوَرَم
ولـو تقضَّـتْ علـيهم مثلهـا عَـدَدا ... مـن السـنين لمـا مَلّـوُا ومـا سَـئِموا
يُسـلي التقـادمُ عـن ثُكْـلٍ وعنـدهُمُ ... ثُكْـل عليـه يُعـينُ الجِـدَّةَ القِـدَم
جُـرْحٌ تَـذُرُّ عليـه غـيرَ راحمـةٍ ... كـفُّ السياسـةِ مِلْحـاً كيـفَ يلتـئم
تـأبَى ليومِـكَ أن تنسَـى ظَلامتَـه ... مظـالمٌ خَصـمُنا فيهـا هـو الحَكَـم

يُغـري بتهييجـه نقـضٌ يجـدُّ إذا ... مـا كـاد حبـلٌ مـن الآمـال ينـبرِم

باسم ابنِ سَعدونَ فَاضتْ حرقةٌ طُويَتْ ... دَهْـراً وأعلَـنَ شـجوٌ كـانَ يكتَـتِم

بـالحزنِ يَفتـتحُ الأقـوالَ قائلُهـا ... وبالسياسـةِ والأجحـافِ يَختَـتم

للثُكـلِ ثُـمَّ لأسـبابٍ لـه اجتَمَعـتْ ... مـلءَ النـواظر دمـعٌ والقلـوبُ دَم

وحسـبُ أبنـاءِ هـذا الشَعبِ موجدةٌ ... أن يَسـتَغِلّوا بـه البَلـوْى ويَغتَنِمـوا

مـاذا أقـولُ فـؤادي ملـؤُه ضَرَمٌ ... وهـل تُـوفِّي شُـعوري حقَّـه ،لكَلِـم

حراجـةٌ بالأديـبِ الحـرِّ موقفُـه ... حيـثُ الصراحـةُ بالإرهـابِ تَصطدم

بـينَ الشـعورِ وخَنـقٌ مُسـكِتٌ رَجِـمٌ ... في الرافـدين فـلا كُنّـا ولا الـرَحِم

هـذي المناصـبُ إن كانـتْ بهـا نِعَـمٌ ... للنـاس فهْـيَ عـلى آدابِنـا نِقَـم

للشـاعرينَ قُلـوبٌ في تململهـا ... هـي البَراكـينُ إذ تَهتاجُهـا الحِمَـم

لـواعجٌ هـي إنْ أبـديتَها شَرَرٌ ... يُصـلي اللسـانَ وإنْ أخفيتَهـا سَـقَم

رسـائلٌ لِي مـع الآهـاتِ أبعثهـا ... إذ لا اللسـانُ يؤدّيهـا ولا القَلَـم

فليشـهَدِ النـاسُ طـراً إنـني خَجِـلٌ ... وليشـهَدِ النـاسُ طـراً إننـي بَـرِم

وليسمع الناسُ شكوىَ من له اجتمعتْ ... غضاضـةُ العـيشِ والإرهـاقُ والـبِكَم

***

في أربعين السعدون

سَـلوا الجماهـيرَ التـي تَـبصرونْ ... مـاذا أتاحـتْ لكُـمُ الأربعـونْ

تخـبركُم حرقـةُ أنفاسِـهم ... كيـف – تقضَّـت – وانتفـاخُ العيـون

سَـلوهُمُ مـا بـالُكُمْ كلَّمـا ... عنَـتْ لكـم خـاطرةٌ تنحَبـون

أكـلُّ شيءٍ موجـبٌ للبكـا ... أكـلُّ شيء باعـثٌ للشـجون

ريعتْ قلوبٌ واستضيمتْ جفون ... واحتقروا أعزَّ ما يملكون

راضونَ ممتَّنون عن حالةٍ ... لا يرتضيها مَن به يحتفون

يبكون للشعرِ ولا يعرفون ... وللخطاباتِ ولا يسمعون

ما رقةُ الأشعارِ أبكتهُمُ ... لكنهم بالقلب يستعبِرون

مكدودةٌ أنفسُهُمْ حسرةً ... وبالبكاءِ المرِّ يستروَحون

وهكذا الدمع بريئاً يُرى ... وهكذا الحزنُ بليغاً يكون

أبكى وأشجى لوحةً أحكمت ... تصويرَها كفُّ الزمانِ الخؤون

مَغنىً على دجلةَ مستشرفٌ ... دامعةٌ ترتدُّ عنه العيون

احتلَّت الوحشةُ أطرافَه ... ورفرفَ الحزنُ به والسكون

أخلاه فرطُ العزِّ من ربِّه ... والعزُّ بابٌ مُشرَعٌ للمنون

أقولُ للقوم الغَيارى وقد ... أعوزَهُم كيفَ به يحتفون

أحسن من كلِّ اقتراحاتِكم ... مما تشيدون وما تنحِتون

قارورةٌ يُحفَظ فيها دم ... يعرفه الخائنُ والمخلصون

يلقَى بها تشجيعةً مخلصٌ ... وعبرةً مخجلةً مَن يخون

مِيتةُ هذا الشهم قد بيَّنتْ ... للقوم أنا غيرُ ما يدَّعون

وأننا ناسٌ أباةٌ متى ... نُرهق فمضطرُّون لا مُرتَضون

وأننا بالرُّغم من صبرِنا ... إن حانت الفرصةُ مستغنِمون

انتبهوا لا الحزنُ يُجديكُمُ ... شيئاً ولا استنزافُ هذي الشؤون

هاتوا بها نبني دليلاً على ... أنا على آثاره مقتفون

***

عناد

عِنادٌ من الأيام هذا التعَسّفُ ... تحاول منّي أنْ أُضامَ وآنفُ
وتتطلبُ أن يُستَلّ في غير طائلٍ ... لسانٌ فراتيٌّ المضاربِ مُرهف
وللنفسُ مِنْ أنْ تألفَ الذلَّ خُطَّةَ ... أجلُّ ومن أن تُرخص القول أشرف
فكان جزائي شرَّ ما جُوزي امرؤ ... عن العيشِ ملتاثِ الموارِدِ يعزف
تمرَّفْ إلى العيش الذي أنا مُرهقٌ ... به وإلى الحال التي أتكلَّف
تجِد صورةً لا يشتهي الحرُّ مثلَها ... يسوءُ وقوفٌ عندَها وتَعرُّف
تجد حَنقاً كالأرقم الصلِّ نافخاً ... وذا لَبِدٍ غضبانَ في القيد يرسف
أُنغَص في الزاد الذي أنا آكلٌ ... وأشْرَق بالماءِ الذي أترَّشف
كما قذفَ المسلولُ من لُبّة الحشا ... دماً أستثيرُ الشعرَ جمر وأقذف
وإنّي وإنْ مارستُ شَتى كوارثٍ ... إذا راحَ منها مُتْلِفٌ جاء متلف
فما حزٌّ في نفسي كغدرةِ غادرٍ ... له ظاهرٌ بالمُغرِيات مُغلَّف
وفرحةِ أقوام شجاهم تفوُّقي ... بأني عنهم في الغنى متخلِّف

***

سبيل الجَماهير

لو أنَّ مقاليدَ الجَماهير في يدي ... سَلكتُ بأوطاني سبيلَ التمرُّدِ
إذن عَلِمَتْ أنْ لاحياةَ لأمّةٍ ... تحاولُ أن تَحيا بغير التجدُّد
لوِ الأمرُ في كَفِّي لجهَّزتُ قوّةً ... تُعوِّدُ هذا الشعبَ ما لم يُعوَّد
لو الأمرُ في كفِّي لأعلنتُ ثورةً ... على كلِّ هدّام بألفي مشيِّد

علـى كُـلِّ رجعـيٍّ بـألفَي منُـاهضٍ ... يُـرى اليـوم مسـتاءً فيبكـي علـى الغـد

ولكنَّـي أسـعَى برجـلٍ مَؤوفـةٍ ... ويـا ربَّـما أسـطو ولكـنْ بـلا يَـد

وحـولِيَ برّامـونَ مَيْنـاً وكِذْبـةً ... متـى تَختَـبرهُم لا تَـرى غـيرَ قُعـدد

لعمرُكَ مالتجديدُ في أن يـرى الفَتـى ... يَـروحُ كـما يَهـوَى خليعـاً ويغتَـذي

ولكنّـه بـالفكر حُـرّاً تزَينـهُ ... تَجاريـبُ مثـل الكوكَـبِ المُتوقِّـد

مشَتْ إذ نضَتْ ثوبَ الجُمود مواطنٌ ... رأت طَرْحَـهُ حَـتماً فلـم تَـتردَّد

وقَـرَّتْ علـى ضَـيْم بـلادي تسـومُها ... مـن الخَسـف مـا شـاءَتْ يـدُ المتعبِّـد

فيـا لـك مـن شـعبٍ بَطيئـاً لخَـيرِه ... مَشَـى وحثيثـاً للعَمـى والتبلّـد

متـى يُـدْعَ للإصـلاح يحـرِنْ جِماحُـه ... وأن قيـد في حبـل الدَجالـةِ يَنْقـد

زُرِ السـاحةَ الغَـبراء مـن كـل منـزلٍ ... تجـد مـا يثـير الهَـمَّ مـن كـلِّ مَرقـد

تجـد وَكـرَ أوهـام.. وملقـى خُرافـةٍ ... وشَـتّى شُـجونٍ تَنتهـي حيـثُ تَبتـدي

هـم استسـلموا فاسـتعبَدتْهم عوائـدٌ ... مَشـت بِهـمُ في النـاس مشيَ المقيَّـد

لعمْـركَ في الشـعب افتقـارٌ لنهضـةٍ ... تُهـيِّجُ منـه كـل أشـأمَ أربـد

فإمـا حيـاةٌ حـرّةٌ مسـتقيمةٌ ... تَليـقُ بِشَـعبٍ ذي كيـان وسـؤدُد

وإمـا ممـاتٌ ينتهَـي الجهـدُ عِنـدَهُ ... فتُعـذَرُ فـاختر أيَّ ثَوْبيـك ترتـدي

وإلا فـلا يُرجـى نهـوضٌ لأمّـةٍ ... تقـوم علـى هـذا الأسـاس المهـدَّد

ومـاذا تُرَجّـي مـن بـلاد بشـعرة ... تُقـاد وشَـعب بالمضـلِّين يَهتـدي

أقـول لقـوم يجِـذبون وراءهُـم ... مسـاكين أمثـالِ البَعـير المعبّـد

أقـاموا علـى الأنفـاس يحتكرونهـا ... فـأيَّ سـبيلٍ يَسـلُك المـرءُ يُطـرد

ومـا منهـمُ إلا الـذي إنْ صَـفَتْ له ... لَياليـه يَبْطَـر.. أو تُكَـدِّرْ يُعربـد

دَعوا الشعبَ للإصلاح يأخذْ طريقَه ... ولا تَقِفـوا للمصـلحينَ بمَرْصَـد

ولا تَزرعــوا أشــواككم في طريقــه ... تعوقونـه مَـن يـزرع الشـوكَ يَحصِـد
أكـلَّ الـذي يشـكو النبـيُّ محمـدٌ ... تُحلُونــه باســم النبـــيِّ محمـــد
ومـا هكـذا كـان الكتـابُ منـزَّلا ... ولا هكــذا قالــت شريعــةُ أحمـد
إذا صِـحتُ قلـتُم لم يَحِنِ بعـد موعـد ... تُريـدون إشـباعَ البُطـون لمَوعـد
هـدايتَك اللهـمَّ للشـعب حـائراً ... أعِـنْ خُطـوات الناهضـين وسـدِّد
نبـا بلسـاني أن يجامـلَ أننـي ... أراني وإنْ جاملـتُ غـير مُحَمَّـد
وهـب أنني أخنَـتْ عـليَّ صراحتـي ... فهل عيشُ من داجَي يكون لسرمَد
فلسـتُ ولـو أنَّ النجـومَ قلائـدي ... أطاوع كـالأعمى يمـين متـدي
ولا قائلٌ: أصبحتُ منكم.. وقد أرى ... غـوايَتكم أوأننـي غـير مهتـدي
ولكنننـي إن أبصرِ الرشـد أئتمـرْ ... بـه ومتـى مـا أحـرزِ الغـي أبعـد
وهـل أنـا إلا شـاعر يرتجونـه ... لـنصرة حـقٍ.. أو للطمـةِ معتـدي
فـمالي عمـداً أستضـيمُ مـواهبِي ... وأورِدُ نفسـاً حُـرَّةً شرَ مـورد
وعنـدي لسـانٌ لم يُخّنـي بمحفِـلِ ... كماسَـيْف عمـروٍ لم يَخنُـه بمشْـهَد

***

سلمى على المسرح

العبــي فـالهَوى لَعِـبْ ... وابعثــي هِــزَّةَ الطَـرَبْ
مــثِّلي دوَرك الجميـلَ ... عـلى شرعــةِ الأدب
أحســني نُقلــةً وإن ... تَعِبَـت هـذه الرُكَـب
فعــلى وَقْــع خَطوِهـا ... يتنّــزى حشــىً وَجَـب
روِّحــي هــذه النفــوسَ ... فقــد شــفَّها التَعَـب

اجـــــذبيها إلى الرِضـــــا ادفعيهـــا عــــن الغَضَـــب

لاتغرَّنْـــــــكِ أوجــــــهٌ كطِـــلاء مـــــن الـــذَهَب

ثغــــــور تضـــــاحَكَت كانعكاســـــةِ اللَهَـــــب

فتّشـــــى عــــن دخائـــــلِ غُيِّبَـــت تشـــهدي العَجَـــب

كـــل هـــذا الهيـــاج مــــن أجـــل مـــرآكِ والصَـــخَب

ضـــاربُ العـــود مـــا دَرى أيَّ أوتـــــــــارِه ضَرَب

اعذرِيـــــــه فإنّـــــــه بَشَرٌ مثلُنـــــا اضــــطَرَب

واقـــبَلي القلـــبَ إنّـــه لـــك مـــن أضـــلُعي وَثَـــب

نَسَـــبٌ بَينَنـــا الهَـــوَى احفظـــي حُرمـــةَ النَسَـــب

رب يـــوم جـــذبت فيـــهِ لي الأنـــسَ فانجـــذَب

ولمســــتُ الشـــبابَ في رَيعِـــه بعـــد مـــا ذَهَـــب

حـــبُ « ســـلمى » فتـــىً رأى كـــلَّ مـــا يشـــتهى فحَـــبّ

شــــــاعرٌ بالحيـــــــاة لا يزدهَيـــه سِـــوى الطَـــرَب

أنـــتِ «ســــــلمى» إلى الحيـــاةِ وأفراحهـــا سَـــبَب

أنـــتِ«ســـلمى» أجَـــلَّ مـــن ألـــفِ عبـــدٍ لألـــف رَبّ

تـــتخلى الهمــــوم إذ تتجلـــين والكُـــرَب

ولهـــم باســـم أمـــةٍ ســــحقت غايـــة الأرب

أثقلـــوا ظهــــرهَ كـــما عـــضَّ بالغـــارب القَتَـــب

تركـــوا « الجـــذع » للـــبلاد واختصــــوا بالرطـــــب

افتحـــي لي سَـــلْمى يـــديك يُقَبِّـــلْ يـــديكِ صَـــبّ

أبعـــديني عـــن « السياســـة » والغـــشِ والنَصَـــب

ولكـــي نُحـــرق الجميـــع هَلُمـــــي إلى الحَطَـــــب
وإذا لم يكـــــن خـــــذي بعضـــهم إنهـــم خشـــب
ألِلى العـــــيش كلُّهـــــمْ أنـــا وحـــدي إلى العَطَـــب
أنـــا وحـــدي فـــيهم ترجلـت والكـل قـد ركـب
نهـــبَ الشـــعبُ كلَّـــه فهنيئـــاً لمـــن نَهَـــبُ
وهنيئـــاً لمـــن غـــزا وهنيئـــاً لمـــن سَـــلَب
وهنيئـــاً لمـــن « تنَّمـــرَ» أو خـــانَ أو كَـــذَب
إن كـــل الـــذي تـــرين مـــن « الجـــاه » و « الرُّتَـــب»
ومـــن « الـــنفخ » بالزعامـــة والاســـــم واللقَـــب
واصـطيادٍ بحجـــةِ «الـــوطن» الجـــائع الخَـــرِب
هـــو عُقبـــى تَقَلُّـــب القـــوم عـــاش الـــذي انقلَـــب
خسر الـــدّرةَ البطـــيء وفـــاز الـــذي حلـــب

***

تأبين الغراف الميت

عُمِـــرَتْ ديـــارُ شَراذم دُخّـــال أسـفاً عليـك وأنـتَ قَفـرٌ خـالِ
عُمِرَتْ ديار « الطارئين » ونُكِّستْ دورٌ شَراهـــا أهلهـــا بالغـــالي
بالروح يُزهقُها الغَيـورُ على الحمى والمـــالُ يبذلـــه عـــدوُ المـــال
بـدت البيـوتُ الخاويـاتُ حزينـةً محفوفـــةً بالشـــوكِ والأدغـــال
وكـــأنها شُرفاتهـــا مغـــبرَّة أشـــباحُ آلام وَقفْـــنَ حيـــالي
يـا عـابرينَ عـلى الطريـقِ تلفتـوا وتَـــبَصَّرُوا بتقلُّـــبِ الأحـــوال

هـذي البيـوتُ الموحشـاتُ عِراصـها   كانـت تُحَـطُّ بهـا عصـا التَّرْحـال
نُحـرَتْ هنـا كُـومُ النيـاق وأوقـدَتْ   نـارُ القِـرى للطـارق المِحـلال
هـذي الـديارُ ديـارُ كـلِّ سَـمَيْذَع   حـامٍ لحـوزةِ غابـهِ رِئبـال
هـذي الـديارُ ديـارُ كـل مُرَحِّـب   بالوافـدين مُشَـمِّر السربـال
ولقـد يُـرى في نِعمـةٍ محسـودةٍ   هـذا الـذي تَرثيـه في الأسـمال
هـذا المشرَّدُ كـان مَأمَـلَ طالـبٍ   ومنـاخَ أطـلاحٍ وخـدنَ عـوالي
أسـفاً يهـدُّ الجـوع منـكَ بطولـةً   يامعـدِنَ الأشـبالِ والأبطـال
يـا معـدِنَ الشَرِ الـذينَ تقسَّـموا   لسـماحةٍ ورَجاحـةٍ ونِـزال
ذُخِـرَتْ لأيـام السرورِ فلائـسٌ   نَزلـتْ عـلى الأوطـانِ شرَّ عِيـال
وبنـوكَ قـد ذُخِـروا ليـوم كريهـةٍ   وضريبـةٍ و مجاعـةٍ وِقتـال
تلـك السـواعدُ فعمـةٌ مفتولـةٌ   أرخَـتْ أشـاجعَها يـدُ الإقـلال
ولقـد وَقفـتُ عـلى مَصـبِّك وَقفـةً   لا ينمَحـي تَـذكارُها مـن بـالي
أمـا مسـيلُ المـاء فيـكَ فإنـه   يَـبَسٌ تعـاوَرَهُ مسـيلُ رِمـال
أعيـا لسـانَ القـولِ فـرطُ تَلجْلُـج   فيـه فسـاعدَهُ لسـانُ الحـال
خالسـتُ موقـفَ صـاحبي فوجدتُـه   وهـو الـرزينُ مهـيَّج البِلبـال
ولقـد يعـزُّ عـلى الشُـعور وأهلِـهِ   مـرأى الـبلادِ بمثـل هـذي الحـال
وفحصـتُ أطـرافي فكانـت كلُّهـا   تـوحي إلَيَّ معـرّة الإهْمـال
يا ساكني « الغراف » ما قدرُ الذي   يـأتيكُمُ مـن شـاعرٍ قـوّال
أو أبعـثُ الأمـلَ المـريحَ إلـيكُمُ   أنـا مـثلكُمْ متصـدِّعُ الآمـال
أنـا مـثلُكم أسـلمتُ كـلِّ عـواطفي   لليـأسِ يأخـذُها بكـلِّ مَجـال
في ذمـةِ التـاريخ مـا جُـرِّعتُمُ   مـن غُصَّـةٍ.. في ذمـة الأجيـال

قد قلتُ للنفَرِ القليلِ خِيارُهم ... لو كانَ ثمةَ سامعٌ لمقالي
هاتوا من الأعمال ما يقوى على ... تصديقِ بعضِ خوادِعِ الأقوال
أولا فإنَّ الشعبَ دوّى يأسُه ... اخشَوا عواقبَ يأسِه القتّال
ما يمنعُ الساداتِ أن يتفكروا ... بمصير أعبِدَةٍ لهُمْ ومَوالي
شعبٌ على شكلٍ تمشّى حكمُهُ ... أبداً برغم تخالُفِ الأشكال
وأمضُّ من قَحْط السنين بأمةٍ ... مشلولةِ الأعمالِ قحطُ رجال
شعبٌ أراد به الوقيعةَ خصمُهُ ... وبنوه فهو ممزَّقُ الأوصال
شُغِلَ الفراتُ بضيمه عن دجلة ... ونسى جنوبيّ العراق شمالي
وإذا سألتَ الرفقَ كان جوابُهُم ... ما للقلوبِ الموجَعاتِ ومالي

***

عتاب مع النفس

عتَبْتُ ومالِيَ مِن مَعتبِ ... على زَمَنٍ حُوَّلٍ قُلَّبِ
أُنلصِقُ بالدهر ما نجتوي ... ونختصُّ نحن بما نجتبي
كأنَّ الذي جاء بالمَخْبثاتِ ... غيرُ الذي جاء بالطَّيِّب
وما الدهرُ إلا أخو حَيدةٍ ... مُطلٌّ على شرَفٍ يرتبي
يُسجّلُ معركةَ الكائناتِ ... مثلِ المُسجّل في مَكتب
فما للزمانِ وكفّي إذا ... قَبضتُ على حُمةَ العقرب
وما للّيالي ومغرورةٍ ... تُجَشِّمُني خَطرَ المركب
بِنابيَ.. مِن قبلِ نابِ الزمان ... ومن قبل مخِلبه مخِلبي
تَفَرَّى أديميَ.. لم أحترِس ... عليه احتفاظاً ولم أحدَب

بنــاءٌ أُقــيمَ بجَهــد الجُهــود ... وَســـــهرةٍ أُمٍّ ورُغيـــــا أب

وأضْـفَتْ عليـه الـدروسُ الثِقـالُ ... لونــاً مـــن الأدب المُعْجِـــب

عَـــدوتُ عليـــه فهدَّمتُـــه ... كـأن لـيس لي فيـه مـن مطلـب

يــداي أعانــت يـدَ الحادثـات ... فَرُنِّـــقَ طـــوع بـــدي مشربي

أجِـــد وأعلـــمُ عِلـــمَ اليقـــين ... بـــأني مـــن الـدهر في ملعـب

وأنّ الحيـــاةَ حَصـــيدُ المـــات ... وأن الشروقَ أخـــو المغـــرب

وإني عـــلى قـــدْر مـــا كـــان ... بالفُجـاءاتِ مِـن قَسـوةٍ كـان بي

بَعـــثْنَ البَواعـــثَ يَصْـــطَدنَني ... وأبصرتُ مَنجـــى فلـــم أهـــرب

وثــــارتْ مُخّيلتـــي تَــدَّعي ... بــــأنَّ التَنــــزُّلَ مَرعـــى وبي

وأن الخيانـــةَ مـــا لا يجـــوزُ ... وأنَّ التقلّـــــبَ للثعلـــــب

وأنْ لــيس في الشرِّ مــن مغــنم ... يُعــادِلُ مــا فيــه مِــن مَثْلَــب

ولمــا أُخِـــذْتُ بهـــا وانثنيـــتُ ... نــزولاً عـــلى حُكمهـــا المُرهِـــب

ووَطَّنْــتُ نـفسي.. كــا تشـتهي ... عــلى مَطْعــم خَشِــنٍ أجْشَــب

مشـــى لِلمثالــــبِ ذو فِطنـــةٍ ... بقـــوَّةِ ذي لِبـــد أغلـــب

جَســـورٍ رأي أنّ مَـــن يَقـــتحمْ ... يُحكَّـــمْ..ومـــن يَـــنكمشْ يُنْهَـــب

وأفرغَهـا مـن صُـنوفِ الخِـداع ... والغـــشَّ في قالـــبٍ مُـــذْهَب

فرفَّــتْ عليــه رَفيــفَ الأقــاح ... في مَنبِــــت نَضرٍ مُعشِــــب

تُســـمَّى خَلائـــقَ محمـــودةً ... ويُـــدعَى أبـــا الخُلُـــقِ الأطيـــب

وراحَ ســـليماً مـــن الموبقـــات ... ورُحـــتُ كـــذي عاهـــةٍ أجـــرب

ولم أدرهِهـــا عِظَـــةً مُـــرَّةً ... بـــأني متـــى أحـــترِسْ أُغلَـــب

ولكـــنْ زَعمـــتُ بـــأن الزمـــانَ ... دانٍ يُســـفُّ مـــع الهيـــدَب

ويــوم لَبســتُ عليــه الحيــاةَ ســـوداء كاللَّيلـــة الغَيْهَـــب
أرى بَسـمةَ الفجـرِ مثـلَ البُكـاء وَشـــذْوَ البَلابـــل كالمَنْعـــب
وبِــتُّ عكوفــاً عــلى غُمَّتــي حريصــاً عــلى المنظـر المُكْـرِب
وَبعثـرتُ هاجعــةَ الــذكريات أُفَــتّشُ عــن شَـبَحٍ مُرعِــب
حَمَلــتُ همــومي عــلى مَنكِـبٍ وهــمَّ ســوايَ عــلى مَنكِــب
ولاشــيتُ نـفسيَ في الأبعــدين أُفكّــرُ فــيهمْ.. وفي الأقــرب
ولَمّــا فَطَنــتُ عــلى حالــة تَليــقُ بمنتحِــرٍ مُحــرِب..
نسـيتُ بـأني اقَترفْـتُ الـذنوبَ وانصَــعتُ أبحــثُ عــن مُــذنِب
أخـذتُ بمخنَـق هـذا الزمـان لم يفتكِـــرْ بي ولم يحسِـــب
ويــوم تَنَعَّمْــتُ مِــن لَــذَّةٍ متــى لم أُنعَّــمْ بهــا تــذهب
ولمّــا انطــوتْ مثــلَ أشـباهِها وكــلُّ مَســيلٍ إلى مَنصَــب..
تَخيَّلــتُ حِرصــاً بــأن الزمـان عــدوُّ اللُبانــةِ والمــأرَب
وأنّ الطبيعــةَ والكائنــاتِ مــا يَســتبينُ ومــا يَختبــي
تــألبنَ يَســلُبْني فُرصــةً مــن العُمْــرِ إنْ تنــأ لا تَقْـرُب
وأن الزمــانَ مشــى مُسرعــاً يُــزاحمُ مَوكُبــهُ مَــوكبي
وأن الكواكــبَ طُــرّاً ســعُدْنَ ولم يَشْــقَ منهــا ســوى كـوكبي
وأنيَ لــو كنــت في غَمــرةٍ مِــن الفكــر أو خــاطرٍ مُتعِــب
لقَلَّــلَ مــن خَطــوه جاهــداً كمشْــيَةِ مُثْقلــةٍ مُقــرب
ورُحــتُ أُشــبِّهُ مــا فــاتني مــن العــيش بالبــارق الخُلَّــب
مُغالَطَــةً.. إنّ شرَّ العَــزاءِ تعليــلُ نفســك بالمُكــذَب

وإني عـــلى أن هـــذا المــزاج رمـــانيَ بـــالمُرهِق المُنْصِــب
ورفـت ظـلال تشـيع القنـوط عـلى صـفحتي وجهـى المتعـب
وكنـتُ عـلى رُغـم عُقْـم الخـليِّ أهـوى حيـاةَ خـليٍّ غبـي
لأحِمـلُ.. للفُـرَص السـانحاتِ وللأرْيحيَّـة.. نفْـسَ الصـبي
طليقـاً مـن التَبِعـات الكثـارِ حُـرَّ العقيـدة والمـذهب
طَموحاً وأعـرفُ عُقْبى الطُموح فـلا بالـدَّعِيِّ ولا المُعْجَـب
تَمَتَّعْـتُ في رَغَـدٍ مُخصِـب وهُـذّبتُ في يَـبَسٍ مُجـدِب
وأفضَـلُ مـن رَوَحـاتِ النعـيم عـلى الـنفس مَسـغبَةُ المُـترِب
فـإنْ جِئـتُ بـالمُوجع المشـتكي فقـد جئـتُ بـالمُرقِص المُطـرِب
دَع الـدهرِ يـذهبْ عـلى رِسْـلِهِ وسِرْ أنـتَ وحـدكَ في مَـذهب
ولا تَحتفِـل بكتاباتـهِ أرِدْ أنـت مـا تشـتهي يُكتـب
فـإنْ وَجَـدَتْ دَرَّةً حُلـوةً يـداك.. فـدُونكَها فاحلِـب
فـإنَّ الحماقـةَ أنْ تَنثنـي مـع الـواردينَ ولم تشرَب
تَسَـلَّحْ بـما اسـطعتَ مـن حيلـةٍ إلى الـذئبِ تُعـزَى أو الأرنـب
وإنْ تَـرَ مَصـلحةً فاصـدقنَّ وإنْ لم تَجِـدْ طـائلاً فاكـذب
ولا بـأسَ بـالشرِّ فـاضرِبْ بـه إذا كـان لابُـدَّ عـن مَضرَبَ

****

الشاعر: ابن الطبيعة الشاذ

إذا خانتـكَ مَوهِبـةٌ فحـقٌّ سـبيل العـيشِ وَعْـرٌ لا يُشَـقُّ
ومـا سـهلٌ حيـاةُ أخـي شُـعورٍ مـن الوجـدان ينـبُضُ فيـه عِـرق

أحلَّتْـــهُ وداعتُـــه محيطـــاً | حَمَتْـه جـوارحٌ للصــيد زُرق
تفـيض وضـاحةً والعـيشُ غِـشٌّ | سـلاحك فيـه أن يعلـوك رَنْـق
وتحمـل مـا يجـلّ مـن الرزايـا | قُـواكَ وقـد تخـورُ لمـا يَـدِقّ
وقـد تقسـو ظـروف محوجـات | عليـك وأنـت مـن ورقٍ أرق
يظـن النـاسُ أنّـك عُنجهُـيٌّ | وأنـتَ وَهُـم بـما ظَنّـوا مُحِـقّ
قليـلٌّ عـاذروكَ عـلى انقبـاضٍ | أحـب النـاسِ عند النـاسِ طَلْـق
ووجـهٍ تُقطُـر الأحـزانُ منـه | عـلى الخُلَطـاء محمِلُـه يشِـقّ
شريكُـكَ في مِزاجـك مـن تُصـافي | لـه شِـقٌّ وطـوعُ يـديك شِـق
وقـبلاً قـال ذو أدَب ظريـفٍ | قِـرى الأضـياف قبلَ الـزاد خُلْـق
وعـذرُك أنـت آلامٌ ثِقـالٌ | لهـنَّ بعيشـةِ الأدبـاء لَصـق
أحـقُّ النـاس بـالتلطيف يغـدو | وكـل حياتِـه عَنَـتٌ وزَهْـق
تسـير بـك العواطـفُ للمنايـا | وعاطفـةٌ تسـوءُ الظُفـرَ حُمـق
وحتـى في السـكوت يُـرادُ حـزمٌ | وحتـى في السـلام يُـرادُ حِـذق
يريـد النـاسُ أوضـاعاً كثـاراً | وفيـك لمـا يُريـدُ النـاسُ خَـرق
خضـوعُ الفـرد للطبقـاتِ فَـرضٌ | وقاسـيةٌ عقوبـةُ مـن يَعِـقّ
نسـيجٌ مـن روابـطَ محكـماتٍ | شـذوذُ العبقريـةِ فيـه فَتْـق
وعنـدَكَ قـوَّةُ التعبـير عـما | تُحـسُّ.. وميـزةُ الشُعَراء نُطْـق
حياتُـك أن تقـولَ ولـو لهاثـاً | وحُكـمٌ بالسـكوت عليـك شَـنْق
فـما تـدري أتطلـق مـن عنـان | القريحـةِ أم تُسـفُّ فتُسـتَرَق
فـإن لم تُـرضِ أوسـاطاً وناسـاً | ولم تكـذِبْ وحُسْـنُ الشـعرِ صِـدق

ولم تقلِ الشريفُ أبو المعالي ... وتَعلَمُ أنه حمَقان مَذْق
ولم تمدحْ مؤامرةً وحُكماً ... بأنهما لميلِ الشَعب وَفق
دُفِعتَ إلى الرعاع فكان شتمٌ ... ورحتَ إلى القضاء فكان خَنْق
بقاءُ النوع قال لكلِّ فرد ... « أُحطُّ شمائلي عَدل ورِفق »
قلوب صِحابتي غُلْفٌ ووِرْدي ... لمن لم يعرف التهويش طَرْق
وصارمةٌ نواميسي وعندي ... لمن لا يستَحِقُ الوجدانَ سَحق
وإني لاحبٌ بالظلم سهلٌ ... ومنحدِرٌ لصافي القلب زَلْق
غريبٌ عالم الشعراء تقسو ... ظروفهم وألسنُهم تَرِق
كبعضِ الناس هُمْ فإذا استُثيروا ... فبينهم وبين الناس فَرْق
شذوذُ الناس مُختَلَق ولكنْ ... شذوذُ الشاعرِ الفَنّان خَلْق
وإن تعجَبْ فمن لَبِقٍ أريبٍ ... عليه تساويا سَطْحٌ وعُمْق
تضيق به المسالكُ وهو حُرٌّ ... ويُعوِزُهُ التقلُّب وهو ذَلْق
وسرُّ الشاعرية في دِماغٍ ... ذكي وهو في التدبير خَرْق
تَخبَّط في بسائِطهِ وحَلَّت ... على يَدهِ من الأفكار غُلْق
مشاهيرٌ وما طَلَبوا اشتهاراً ... مَشَتْ بُرُدٌ بهم وأُثيرَ بَرق
ومَرموقونَ من بُعدٍ وقُربٍ ... لَهمْ أُفُقٌ وللقمرين أُفْق
ومحسودونَ إن نَطَقوا وودُّوا ... بشَدق منهُمُ لو خِيطَ شَدْق
يُعينُ عليهُمُ رَشْقُ البلايا ... من التنقيد والشتمات رَشق
فإما جَنْبةُ التكريم منهم ... فبابٌ بعضَ أحيان يُدَقّ
متى تُحسِن مدائحَهُمْ يَجِلّوا ... كما اشتُريتَ لحُسن اللحن وُرْق
وإلا غُودِروا هَمَلا ضَياعاً ... كما بَعدَ الشرابِ يُعاف زِقّ

ورب مُضيَّع منهم هباءً ... يَشيدُ بذكرهِ غرب وشَرق
تَزيَّنُ في الندى له دوَاةٌ ... ويُعرَض في المتاحف منه رَق
فيا عجباً لمنبوذٍ كحَق ... يقدَّر من بديع نَثاه عِلْق
وفي شتى البلاد يُرى ضريحٌ ... عليه من نِثار الوَرد وَسق
يُجل رفات أحمدِه فرات ... وتَمسح قبرَ أحمدها دمشق
ومفرق ذاك شُجَّ فلم يُعقِّب ... وُروعٌ ذا وسد عليه رزق

***

إلى البعثة المصرَية

رُسُلَ الثقافةِ من مُضَرْ ... وَجْهُ العراق بكِم سَفَرْ
حَرَصَ القضاء عليكم ... وَرَعتْكُمُ عينُ القَدَر
جئتُمْ وهاطلةُ الغَمام ... معاً ورُحْتُم والقمَر
رشَّ السماءُ طريقَكم ... أيُحِبُّكم حتى المطر
في القلبِ منزلُكم ... وبين السَمع منا والبَصر
نحن الحُجولُ وأنتم ... في كل بارزةٍ غُررّ
ليل الجزيرة لم يكنْ ... لولا كمُو فيه سَحَر
يا سادتي إن العراق ... جميعُه بكُمُ ازدَهَر
والمحتفونَ بكم وإنْ ... كانوا ذوي كَرٍّ وفَرّ
وجميعُهُم أهلُ البلاد ... ولا يُقاسُ بِها نَدَر
فأجَلُّ من زُمَرٍ تَلَقَّتْكُمْ ... قد اختبأتْ زُمَر
وأجَلُّ ممن قادَهُمْ ... حبُّ الظهورِ مَن استَتَر

خَفيَت ذواتٌ جَمّةٌ ... وبَدَتْ لكم بعضُ الصُور
وأُزيحَ من ظَفِروا به ... ومشى إليكم من ظَفِر
ملءَ النوادي معجَبون ... بفضلِكِم ملء الحَجَر
كأنَّهُمْ لم يملِكوا ... حقّ الجلوس على السُرُر
غيرُ المناسِب أن يَمسَّ ... حريرَ سادَتنا الوَبَر
فإذا أرَدْتُم أن يُتاح ... لهم بصُحبتكم وَطَر
فضَعوا بقارعةِ الطريق ... لهُم بُيوتاً من شَعَر
وسيسُمعونكُمُ من الترحيب ... خاتِمَةَ السُوَر
وَضْع العراقِ خذوه من ... عذبَات أقلام أُخر
ولحفظِ حُرِيّاتِهِمْ ... من أن تُداسَ وتُحتَقَر
لَترُحْ لمصرَ سُعاتُكم ... ليَجتَكُمُ منها خَفَر
هم مُرهقون لأنَّهُمْ ... لا يصدَعون بما أَمَر
ومُضايَقون لأنَّهُمْ ... ما في عزائِمهم خَوَر
عندي مقالٌ يستَوي ... من لامَ فيه ومن عَذَر
سقَطَتْ على الأرض الثمار ... وجاءَكم يمشي شَجَر
ماذا أحدّثُكُمْ حديثَ ... القَلب من جَمْر أحَرّ
كلُّ المسائل مُرَّةٌ ... وسكوتُنا عنها أمَر
أعليكم يَخفَى وفي ... كلِّ الورى ذاعَ الخَبر
لستُمْ من القوم الذينَ ... يُخادَعون بما ظَهَر
حتى نغالِطكم ونزعمُ ... أنَّنا فوقَ البَشر
رُسلَ الثقافة من أجلِّ ... صفاتِكم بُعْدُ النَظَر

ولـــدأتُنا في كـــلِّ نَفــع
للسياســــــــةِ أو ضَررَ

غَطَّـــى علينـــا ســـادتي
وعلـــيكُمُ جِلـــدُ النَمِـــر

وعـــلى السَـــواء لنـــا كـــما
لكُـــمُ يُكـــادُ ويُـــؤتمَرَ

وعــــلى قيـــاسٍ واحـــدٍ
حُفِـــرتْ لكـــم ولنـــا الحُفَـــر

أنـــتُمْ لنـــا عِـــبرٌ وفـــيما
نحـــن فيـــه لكُـــمْ عِـــبَرَ

عــــن أي شيءٍ تَســـألون
فكـــلُّ شيء مُحتكَـــر

لم يخـــلُ دَرْب مـــن
عراقيـــلِ ولم يسَـــلَم مَمَـــرّ

وسَـــلُوا الخبـــيرَ فـــإنني
ممـــن بواحـــدةٍ عَثَـــر

حتـــى لقـــد أشـــفقت أن
يعتـــاقَ رحلـــتكم حَجَـــر

تهتاجُنـــا النعـــرات طائشـــةً
ويـــنجَحُ مـــن نَعَـــر

في كـــلِّ حَلـــق نغمـــةٌ
ولكـــلِّ أنملـــةٍ وَتَـــر

ويعـــاف مـــن لم يـــرض
أصـــحاب النفـــوذِ وينتهِـــر

تمشـــى ســـموم المُغرِضـــين
بسُـــوحنا مشيَ الخَـــدَر

يتقـــاذَفُون عقولَنـــا
وقلوبَنـــا لَعِـــبَ الأُكـــر

ولقـــد نُصـــفِّق للخطيـــب
ونحـــن منـــه عـــلى حَـــذَر

باســـم الـــبلاد يجـــل مـــن
جـــرَّ الـــبلادَ إلى الخَطَـــر

يـــا ســـادتي : لا ينتَهـــي
فـــيضُ الشـــعور إذا انفَجَـــر

ولكـــي أريحَكُـــمُ أجـــيءُ
لكـــم بشيء مُخـــتَصَر

إن السياســـــةَ لَم تبـــقِّ
عـــلى الـــبلادِ ولم تَـــذَر

وبـــرغم مـــا في الرافـــدينِ
مـــن المصـــائبِ والغِـــيَر

وبرغم أنا قد تزعَّمَ ... عندنا حتى البَقر
فهنا شبابٌ ناهضونَ ... عقوقُهم إحدى الكُبَر
كِتَلٌ تَحَفَّزُ للحياة ... يسوقُها حادٍ أغَر
تمشي على نُور الثقافة ... مشيَ موثوقِ الظَّفَر
فيها الشجاعةُ من عليٍّ ... والسياسةُ من عُمَر
وإذا أمَرتُم أن أسامرَكم ... فقد لذَّ السَمَر
عن نَهْضةٍ أدبية ... ما إن لها عنكُمْ مَفَر
لولاكُمُ ما كان للشعراء ... فينا من أثَر
قبر الأديبِ الألمَعيِّ هنا ... وفي مصرَ انتَشَر
الله يُجزي من أفاد ... ومن أعانَ ومن نَشَر
إني أسائلُكم وأعلَم ... بالجواب المُنتَظَر
هل تَقبَلون بأن يقالَ ... أديبُ مصرَ قد افتَقَر
أو أنَّ « شوقي » من ... حَراجة عيشِه كالمُحتَضَر
أو أنَّ « حافظَ » قد هوى ... فتجاوبونَ إلى سَقَر
حاشا فتلكَ خطيئةٌ ... وجَريمةٌ لا تُغتَفَر
« شوقي » يعيشُ كما يَليقُ ... بمن تَفكَّر أو شَعَر
وسطَ القصورِ العامراتِ ... وبين فائحةِ الزَهَر
برعايةِ الوطَن الأعَزِّ ... وغيرةِ المِلك الأبَر
وتحوطُ إبراهيمَ عاطفةُ ... الأمير من الصِغَر
أما هُنا فالشعر شيء ... للمتملِّح يُدَخَر
وعلى السواءِ أغابَ ... شاعرُنا المجوِّدُ أم حَضر

سَقَطُ المتاعِ وجودُه ... عند الضرورة يُدَّكَر
في كلِّ زاويةٍ أديبٌ ... بالخمول قد استتَر
وقريحةٌ حَسَدوا عليها ... ما تجودُ فلم تثر
وإلى اللقاءِ وهمُّنا ... أن الضيوف على سَفر
جَمَعَ الإلهُ مصيرَنا ... ومصيرَ مصرَ على قَدَر

***

الأوباش

جهِلنا ما يُراد بنا فقُلنا ... نواميسٌ يدبِّرها الخفاءُ
فلما أيقَظَتْنا من سُباتٍ ... مكائدُ دبَّرتها الأقوياء
وليس هناكَ شكٌّ في حياةٍ ... تدوسُ العاجزين ولا مِراء
لجأنا للشرائع باليات ... لتحمِينا وقد عزَّ احتماء
فكانتْ قوَّةٌ أخرى وداءُ ... رَجَونا أن يكونَ به الدواء
حثيثٌ سيرُهنَّ إلى ضعيفٍ ... تلقَّفُه وعنْ أشِرٍ بِطاء
تسيرُ وشأنَها حتى إذا ما ... تصدَّتْ قوَّةٌ فبها التواء
وقام السيفُ يُرهِب دفَّتيها ... تؤيِّدهُ ميولٌ وارتشاء
إذا لم تُرضِه منها سطورٌ ... تولَّتْ محوَ ما فيها الدِّماء
فيا أضحوكةَ السيفِ المُدَّمى ... تفايضَ مِن جوانبكِ الغباء
أتُصلِحُ ما الطبائعُ أفسدتَه ... قوانينٌ مفسَّخةٌ هُراء
وماذا غيَّرتْ نظمٌ وهذي ... حياتُكَ جُلُّ ما فيها شقاء
وما عُدِم الهناءُ بها ولكنْ ... تُنوزِعَ فيه فاحتُكِر الهناء

ولم تتفــــاوتِ الطبقـــــاتُ إلاّ لتـــنحصرَ الرَّفاهـــةُ والـــثَّراء
ومـا اختلفـت عصـورعن عصـورٍ نعـم غطَّـى عـلى الصُـوَرِ الطِّـلاء
فســوقُ الـرِّق لم يكسُـد ولكـن تبـــدَّلَ فيـــه بيـــعٌ أو شِراء
وقـد قامـتْ عـلى التشريـع سـوقٌ بهـا احتشــدتْ عبيــدٌ أو إمــاء
ولكـــنْ تحـــت أغطيـــةٍ ومـــاذا تـرى عـينٌ لـو انكشـفَ الغِطـاء
تـــرى أبـــداً رعايـــا أذكيـــاءً تسوسُـــهمُ رُعـــاةٌ أغبيـــاء
وأحـــراراً رجـــالاً أو نســـاءً تُســـخِّرهم رجـــالٌ أو نســـاءٌ
فتفتقـــرُ المواهـــبُ والمزايـــا وتنـــدَحرُ العزيمـــةُ والفَتـــاء
وتخمُـــد جـــذوةٌ لـــولا تـــردِّي نظامـــاتٍ لألهبهـــا الرَّجـــاء
يُزهِّـــد في المحامـــدِ طالبيهـــا يقـــينٌ أنَّ عُقباهـــا هبـــاء
فقـــد تـــأتي الفظيـــعَ ولا عقـــابٌ وقـــد تُســـدى الجميـــلَ ولا جـــزاء
وتتَّفـــقُ المجاعـــةُ والمزايـــا وتلتـــئِم المحاســـنُ والعـــراء
وفي التـــاريخ أتعـــابٌ كِثـــارٌ مضـــتْ هـــدَراً وطـــار بهـــا الهـــواء
وأعـــمالٌ مشرِّفـــةٌ ذويهـــا تـو لاَّهـــا فضـــيَّعها الخفـــاء
وأُخـــرى جـــرَّ مغنمَهـــا دنيٌّ فسرَّتـــه.. وصـــاحبُها يُســـاء
تكـــون وقاحـــةٌ فيـــود مـــرءٌ لـــو أنَّ مكانَهـــا كـــانَ الحيـــاء
فـإن وُجِـدَ الحيـاءُ سـطا عليـه فســـخَّرهُ أنـــاسٌ أذكيـــاء
مزاحمـــةٌ كـــأنَّ دهـــاءَ مـــرءٍ وطِيبـــةَ نفســـهِ ذئـــبٌ وشـــاء
وكـــلُّ محسَّـــنينَ إذا اســـتتمّا فخيرُهمـــا لشرِّهمـــا الفـــداء
وإن أشرَّ مـــا يلقـــى أريـــبٌ وأوجـــعَ مـــا يَحـــار بـــه الـــدَّهاء
نفـــوسٌ هـــدَّها شرفٌ ونبـــلٌ وأرهقهـــا التمنُّـــعُ والإِبـــاء

وقـد عاشـت إلى الأوبـاشِ تُعـزى ... وماتــتْ وهــي مُعدَمــةٌ خَــلاء
وأُخــرى في المخــازي راكســاتٌ ... كأصــدق مــا يكــونُ الأدنيــاء
مشـتْ في النـاسِ رافعـةً رؤوسـاً ... تنصِّـــبُها كـــما رُفـــعَ اللـــواء
فـلا الأرضـونَ قـد خُسِـفت بهـذي ... ولا هـــذي أغاثتهـــا الســماء
أتعـرف مـن هـم الأوبـاشُ « زَولا » ... يُـــريكهم ُكأحســـنِ مـــا يُــراء
يُـــريكهمُ أُناســـاً لم يُلَصَّـــقْ ... بهـــم غـــدرٌ ولم يُنكـــر وفـــاء
تطـيحُ بيـوتُهم حِفظـاً لبيـتٍ ... يضـمُّهم – وصـاحبَه – الإِخـاء
أتعــرفُ « لانتييــهِ » ومــا أتــاهُ ... مــن الشرفِ الــذي فيــه بــلاء
وهــل شرفٌ بــلا نكَــدٍ وضُرٍّ ... يُـــتمِّمُ خِلقـــةَ الشرف العنـــاء
تولَّــت « لا نتييــهِ » يــدُ الرزايــا ... وأنشــبَ فيــهِ مخلَبــه « القضــاء »
قضـــاء الله قلـــتُ وإنْ تُـــرِدْه ... قضـــاء حكومـــةٍ فهـــما ســـواء
ودَهْــورهَ الوفــاءُ ونعــمَ عقبــى ... الصـــداقةِ أنْ يــدهوركَ الوفـــاء
ومــنْ يــذهبْ بثروتــهِ ضــمانٌ ... لصـــاحبِهِ فقـــد حسُـــنَ الجــزاء
وقامــتْ صـيحةٌ مــن كــلِّ بــابٍ ... تراجَـــع ْ« لانتييــهِ » فـــلا نجــاء
ســتعلمُ أيــنَ أهــلُ المــرءِ عنــه ... وإخوتُـــــه إذا ذهـــبَ الثـــراء
وقــد صــدَقوا فــإنَّ يــديكَ تهــزا ... عــلى رجليــكَ إنْ نضــبَ الرخــاء
وقــد كــذِبوا فــ «بايــارٌ » لديــه ... وكــانَ لــه بــ « بايــار » العــزاء
وكــلُّ النــاسِ مــن قــاصٍ ودانٍ ... لمـــن واســـاكَ في ضـــيقٍ فـــداء
فجـــاءَ يَـــزين موقفَـــه لســـانٌ ... كحــدِّ الســيفِ أرهفــه المُضــاء
محامـــــاةٌ مشرِّفــــــةٌ وليســــــتْ ... محامـــاةٌ يُـــرادُ بهـــا الرِّيـــاء

صــديقٌ ضــامنٌ نجَـتْ صــديقاً ضــــمانتُه وقـــد عــــزَّ الأداء
ولــيسَ بمُنكــرٍ دفعــاً ولكـــنْ مُقاسَـــطةً يحتِّمهــــا اقتضــــاء
« فلانتييـــةٌ » لـــه شرفٌ وجـــاهٌ وأطفـــالٌ وأهــــلٌ أبريــــاء
ومعلمـــة تعـــيشُ بـــهِ مئـــاتٌ سـيُعوزِهُم – إذا سُــدَّ – الغــذاء
ولكــنَّ « القضــاء » أجــلُّ مِـن أنْ يُصـــدِّقُ مــا يقــولُ الأصـــدقاء
فأصــبح « لانتييــه » وكــلُّ مــا في يديــهِ مــن نَثــا الــدُّنيا جُفــاء
وبينــا « لانتييــه » يفــيضُ بؤســاً ويطفـــحُ بالشـــقاءِ لـــه إنـــاء
إذا «بالعـــدل» يكبِســـهُ.. لمــاذا ؟ لأن العــدلَ يكــبس مــن يشــاء ..
لأن « العــــدل » يُشـــغِلُه أنـــاسٌ هــمُ فــوقَ « المنصَّــةِ » أنبيــاء..
وهبْ ذهبت ضحايا « العدل » ظُلماً نفـــوسٌ مـــن تظنِّيـــه بُـــراء
فــلا لـــومٌ عليـــهِ وإنْ تلـــوَّتْ ســياطٌ فـــوقَهم أو فـــارَ مـــاء..
ســـيجلِدُهم إلى أنْ يُقنِعـــوه بـــأنهم أنـــاسٌ أبريــــاء..
فــإن هلكـــوا وخلْفَهـــمُ بيـــوتٌ خــوتْ مــن بعــدهم فلــه البقــاء

***

دمعَة على صديق

حَمَلَــتْ إليــك رســالةَ المفجــوع عـــينٌ مرقرقـــةٌ بفـــيضِ دمـــوعي
لاتبخَســوا قَــدْرَ الــدموع فإنهــا دفــعُ الهمــوم تَفــيضُ مــن يَنْبــوع
للـنفس حــالاتٌ يَلَــذُّ لهــا الأســى وتـــرى البكـــاءَ كواجـــبٍ مشروع
وأمضَّــها فقــدُ الشــبابِ مضرَّجــاً بدمائـــه مـــن كـــفِ غـــير قريـــع
أأبــا فــلاح هــل ســمعتَ مَنَاحَــةً وَصَـــلَتْ إلى أســـماع كـــلِّ ســـميع

قـد كنـتَ في مندوحـةٍ عـن مثلِهـا ... لـولا قضـاءٌ لـيس بالمـدفوع
أبكيـكَ للطبـع الرقيـقِ وللحِجـىَ ... أبكـي لحبـلِ شـبابِكَ المقطـوع
أبكيك لستُ أخُصُّ خلقاً واحداً ... لكـنما أبكـي عـلى المجمـوع
جَزَعـاً شـقيقيه فهـذا موقـفٌ ... يَشْـقَى بـه مـن لم يكـنْ بجَـزوع
إن التجلُّـدَ في المصـاب تطبُّـعٌ ... والحـزنُ شيءٌ في النفـوس طبيعـي
وإذا صـدقتُ فـإنَّ عـينَ أبـيكما ... قـد خَـبَّرَتْ عـن قلبِـه المصـدوع
شـيخوخةٌ مـا كـان أحوجَهـا إلى ... شـملِ تُسَرُّ بقربِـهِ مجمـوع
وبحَسْـبِ « أحمـدَ » لوعـة أنَّ ابنـهُ ... لـبس الغـروبَ ولم يَعُـدْ لطلـوع
لـو تـأذنون سـألتُهُ عـن خـاطرٍ ... مُبْـكٍ يَهُـزُّ فـؤادَ كـلِّ مَـروع
أعرفْـتَ في سـاعاتِ عُمْـرِكَ موقِفـاً ... بَعَـثَ الشُّـجونَ كسـاعةِ التـوديع
إني رأيـت القـولَ غـيرَ مرَّفـهِ ... لكـن رأيـتُ الصـمتَ غـيرَ بـديع
فأتتـك تُعْـرِبُ عـن كـوامنِ لـوعتي ... مقطوعـةٌ هـي آهـةُ الموجـوع

***

إلى جنيف..

لُقيـتَ عُقبـى الجهـدِ والأتعـابِ ... ونزلـت خـيرَ مَحِلـةٍ وجَنـاب
ورَحلْـتَ خـير مُـودَّعٍ عـن مـوطنٍ ... حاميـتَ عنـه.. وأُبـتَ خـيرَ إيـاب
ودفعـتَ للـدار الحصـينةِ أمـةً ... وقَفَـتْ سياسـتُها عـلى الأبـواب
ولأنـتَ خـيرُ لسـان صـدقٍ نـاطقٍ ... عنهـا إذا صَـمَتَتْ وخـيرَ كتـاب
غابَ الأسـود جِنيفُ سوفَ يَدوسُها ... أسـدٌ تقـدِّرُه أسـودُ الغـاب
رحْـبُ الفـؤادِ غـداً تُجِـلُّ مكانَـهُ ... أربـابُ أفئـدةٍ هنـاك رِحـاب

وهناك سوفَ تَرى النواظرُ مالئٌ كرسيَّهُ قُطباً من الأقطاب
ملءَ العيون سماتُ أصيدَ طافحٍ عزماً..وملءَ السمع فصلُ خِطاب
ومَلامحٌ مشبوبة هي وحدَها وكَفى.. دليلُ نجابةِ الأعراب
لله دَرُّك من خبير بارعٍ يَزنُ الأمورَ بحكمةٍ وصَواب
يُعنى بما تَلد الليالي حيطةً ويُعِدُّ للأيام ألفَ حساب
متمكِّنٌ مما يريد يَنالُهُ موفورُ جأشٍ هادئُ الأعصاب
يلتفُّ « كالدولاب » حول كوارثٍ حَشَدت عليه تدورُ كالدولاب
وإذا الشعوبُ تفاخَرَت بدُهاتها في فضِّ مشكلةٍ وحَلِّ صِعاب
جاء العراقَ مباهياً بسَمَيذَعٍ بادي المَهابة رائع جَذّاب
يُرضيك طول أناتهِ فإذا التوَى فهو القديرُ الفذُّ في الإغضاب
أملاعبَ الأرماح يومَ كريهةٍ في السلم أنتِ ملاعبُ الألباب
أعجبتُ منكِ بهمةٍ ورويَّةٍ وأقلُّ إعجابِ امرئ إعجابي
إن الذي سوّى دِماغَك خصَّه من كل نادرةٍ بخير نِصاب
لبّاسُ أطوار يَرى لتقلُّبِ الأيام مُدَّخِراً سِقاطَ ثياب
يمشي إلى السر العميقِ بحيلةٍ أخفى وألطَف من مَدَبَّ شراب
يبدو بجِلبابٍ فإنْ لم تَرضَه يَنْزَعْه مُنسلاً إلى جِلباب
قضت الظروفُ بما تُريد وغَلَّبتْ آراءُ مجتمِع القُوى غلاّب
وعرفتَ كيف تَرى السياسةَ خطةً عربيةَ الأوصاف والألقاب
مشيَّتها عشراً وئيداً مشيها باللطفِ آونةً وبالإرهاب
وكشَفتَ كلَّ صحيفة مستورةٍ وتركتَها عُرْياً بغير نِقاب
وقتَلتَ أصناف الرجال درايةً من مستقيم في خطاهُ وكابي

ومُعارِضٍ خَدَمَ البلادَ لغايةٍ ... شَرُفت وآخرَ خائنٍ كذاب
وكأنني بك إذ تقابلُ واحداً ... منهم.. تريه غفلةَ المتغابي
فإذا ادّعى ما ليس فيه أتيتَه ... فيما تُريد بمَحضَرٍ وكِتاب
لم تبقَ لولا فرطُ عزمِك ريبةٌ ... أن العراق يسير نحو تَباب
حتى وَقفْتَ به يمدُّ لهاتهُ ... تَعَباً من الأثقال والأوصاب
لا أدَّعي أنْ قد أتمَّ نموَّه ... من كان أمسِ بشكلِ طِفلٍ حاب
فلَتِلك ليست بالبعيد منالُها ... عن كلِّ شَعب طامح وثّاب
لكن أقولُ أريتَهُ مستقبَلا ... لا بالعَديم سَناً ولا الخلاّب
كالشُّهد أوّلَ ما تذوَّقَه فمٌ ... ما زالَ بين لُهاه طعمُ الصاب
فاليوم هاهو ذا بظلِّك يحتَمِي ... مثلَ احتماءِ العَين بالأهداب
أن تشكُ ما قاسيتَ من إجهادةٍ ... أو تَلقَ ما لاقيت من أتعاب
فلقد طَلَبتَ منالَ أمرٍ لم يكُنْ ... ليُنالَ إلا من رؤوس حِراب
اليومُ يومُ تَفاهم بالرَغم مِن ... أني أحِبُّ تَطاحُنَ الأحزاب
وسياسةٍ سلبيةٍ لو أثمَرَتْ ... فيها نجاحُ رغائبٍ وطِلاب
وخيانةٌ أن لا يقدِّرَ مخلِصٌ ... تدعو سياستُهُ إلى الإضراب
لكن إذا لم تَبقَ إلا مِيتة ... أو أختُها فسياسةُ الإيجاب
ما يأخذُ المصنوعُ حبلَ وريده ... ما بينَ ظُفْرِ عدوِّه والناب
إني هززتُكَ بالقوافي قاصداً ... بكَ خدمةَ التاريخ والآداب
لولا محيطٌ بِتُّ من نَزَعاته ... وتضارب الآراءِ كالمرتاب
أطنَبتُ في غصَصٍ لديَّ كثيرةٍ ... تبيانُها يدعو إلى الإطناب

لي حــقٌّ تمحــيص الأمــورِ كواحــدٍ ... مــن ســائر الشــعراء والكُتّــاب
فــإذا أصــبَتُ فخَصْــلةٌ محمــودةٌ ... وإذا زَلِلــتُ فلســتُ فاقــدَ عــاب
فلطالمــا حابَيــتُ غــير مصــارحٍ ... ولطالمــا صــارحتُ غــير مُحــابي
ولكم سَكَتُّ فلا مصارحةٌ ولا تمويهةٌ ... وقبَعْــــــتُ في أثــــــوابي
أبغــي المســائلَ محضــةً ويعــوُقني ... عــن ذلكــم ســببٌ مــن الأسباب
وبــلاءُ كــلِّ مفكِّــرٍ حزبيــةٌ ... تُلقــي عــلى الآراء ألــفَ حِجــاب

***

الحزبان المتآخيان

علــيكم وإن طــال الرجــاءُ المُعــوَّلُ ... وفي يَــدِكُمْ تحقيــقُ مــا يُتأمَّــلُ
وأنــتم أخــيرٌ في ادعــاءٍ ومَطْمَــعٍ ... وأنــتم إذا عُــدّ الميــامينُ أوّل
ومــاذا ترجــي أنفــسٌ لا يَسُرهُّــا ... سوى الشعبِ مسروراً وماذا تؤمّل
نفــوسٌ قــويماتُ المبــادئ حــرّةٌ ... عـلى رَغْـم مـا تلقـاه لا تتحـول
وألســنةٌ لُــدٌّ عــن الحــق ذُوَّدٌ ... كأحسنِ ما حامى الحقيقةَ مِقْول
وأقــلام كتــابٍ يُريــد انتقاصَــها ... مـن النَّفَـرِ المأجورِ للسبّ مِغْـزَل
وهل يستوي شاكي السلاح مؤيدٌ ... بحــقٍّ ومهتــوكُ الضريبــة أعــزل
وأدمغـــةٌ جبـــارةٌ يُلتجــى لهــا ... إذا انتاب محذورٌ أو اعتاضُ مُشْكل
ذخــيرةُ شــعبٍ مستضــام تَحُوطُــهُ ... وإن لم يكـنْ حِصْـنٌ لديـه ومَعْقِـل
أهابــتْ ملايــينٌ تَشُــدُّ أكفَّهــا ... بأفئــدةٍ مــن قرحــةٍ تتأكــل
تُناشِــدُكُمْ أن تأخــذوا ثــأرَ أُمّــةٍ ... أُصـيبَ لهـا في حبة القلبِ مَقْتل
وعنــدكُمُ تفويضــةٌ تعرفونهــا ... وفي يـدكُمْ منهـا كتـابٌ مُسَـجَّل

تآخى الفراتيون فيه وصافحت ... يَدَ الحلَّةِ الفيحاءِ بالعهد مَوْصل
وإنّا وإنْ جارت علينا كوارثٌ ... يَقِلُّ التَّعَزّي عندها والتّعلُّل
مضى العامُ والثاني بويلٍ وربما ... أتى ثالثٌ بالويل والموتِ مقبل
لَراجونَ أن تَصحُو سماءٌ مغيمة ... وينزاحَ عن أرض الفراتين قسطل
ولا بد أن ينجابَ ليلٌ وينجلي ... بأوضاحه يومٌ أغَرُّ مُحَجَّل
فإن تسألِ الأقوامَ عنا فإنّنا ... على حالةٍ خرقاءَ لا تُتَحمَّل
بلادٌ تُسامُ الجورَ حكماً وأمةٌ ... تُضام ودُستورٌ مُهانٌ مُعَطَّل
أعيذكُمُ أن يَستْثيرَ اهتمامَكُمْ ... دنيٌّ يداري لقمةً أو مُغَفَّل
وهلَ يرتَضي إغضابَ شَعْبٍ بأسره ... وإشماتَهُ إلا غويٌّ مُضلِّل
مساكين جرتها البطون لهوة ... بها كلُّ ما يُصمي الغيَارَى ويُخجِل
يدٌ رَكَسَتْ للزّندِ في كلِ حطّةٍ ... وأخرى من السُحْت المُحرَّم تأكل
فلا تعذلوهم في اختلاقٍ فإنهُمْ ... مفاليسُ من كذْبٍ ودّسٍ تَمَوَّلُوا
أرادوا لكم عيباً فرُدُّوا وخُيِّبوا ... ولم يجدوا قولاً بكم فتقوَّلوا
حرام عليهم أن يقولوا فيصدقوا ... وعار عليهم أنْ يقولوا فيفعلوا
إذا ما انبرى منكم أديبٌ محنَّكٌ ... تصدى له مستسخَفُ الرأي أخطل
وأُقسِمُ لو قالوا خذوا ألفَ واحدٍ ... مقابلَ فردٍ منكُمُ لم تبدّلوا
فما اسطعتَم فاسترجعوا الحكمَ منهم ... فإنَّهُمُ صيدٌ عليكُمْ مُحلَّل
ومروا عليهم واحداً بعد واحد ... كما مر يصطاد العصافير أجذل
رَأوا شرَها غنماً فلم يتعففوا ... ولذَّ لهم خزيٌ فلم يتسربلوا
وقد هان شرُّ لو أطاقوا تحملاً ... ولكنه لم يَبْقَ حتى التحّمل

وظنـوا بـأن اللهَ والشـعبَ غافـلٌ ... وهيهـاتَ لا هـذا ولاذاك يغفـل

سيعرفُ قَـدْرَ النّـاسِ مـن يَستَخِفُّهُ ... ويلمَسُ عُقبى الشرِ مَنْ يتوغـل

فقولـوا لهـم تعسـاً فقـد سُـدَّ مَخْرَجٌ ... يَفـرُّونَ منـه مـثلما سُـدَّ مَـدْخَل

وقد جاشَ صدرُ الشعبِ يَغلي حفيظةً ... عليكم كما يغلي على النار مِرجل

أروني جديـداً يَفْضـح الشـعرُ أمـرَه ... ففضحُ مساوي القوم شيءٌ مُحَصَّل

فقـد بـدتِ النّيـاتُ لا سَـتْرَ دَونهـا ... ولا حاجـبٌ إلا الكـلامُ المرعبـل

زخـاريفُ قـولٍ تعتليهـا ركاكـةٌ ... ويبـدو علـيهنّ الخنـا والتبـذل

إذا مسها القـولُ الصحيحُ تطايَحتْ ... كما مرَّ يَمشي في السنابلِ مِنْجَل

وألعـاب صـبيان تمـرّ بـمسرح ... يقـوم عليـه كـلَّ يـوم مُمثِّـل

عـلى أن مرضـاة القـوافي بـذمهم ... وأخـذهم حتـى بهجـو تنـزل

فـإن كـان لابـد الهجـاءُ وسـبةٌ ... يحُـطُّ بهـا قَـدْرَ الفـرزدقِ جَرْوَل

فبـين يـديكُمْ شـاعرٌ تعرِفونـه ... بأشـعاره أعـداؤهُ تَتَمثَّـل

تعاصـيه أطـرافُ الكـلام لغـيركم ... وتنصبُّ مثْلَ السيل فيكم وتَسْهُل

يَـرى حِطّـةً أن يَحْتمـي بسـواكُمُ ... شعورٌ وشِعرٌ ذو رُواءٍ مُسلْسَل

تَتيـهُ بكـم رَغـمَ الأنـوف وتَزْدَهـي ... حسانُ القوافي لا النسيجُ المهلهل

معارضـةٌ تُزْهـي الـبلادُ وتحفِـلُ ... بهـا وُيخَّـلى مَـنْ سـواها ويُخـذَل

تُنُضِّـمُها صِـيدٌ كُـماةٌ أشـاوسٌ ... يقـودُهُمْ شـهَمٌ يقـول ويفعـل

تـراهم مُطـاطينَ الـرؤوسَ بمحفِـلِ ... تَصـدَّرَ فيـه « الهاشـميُّ » المبجـل

إذا مـا مشـى بـزّ المفـارقَ مَفـرِقٌ ... بتـاج مـن النصرِ المبـين مُكلَّـل

تَـرنُّ النـوادي مـن مقـالٍ يَقولـه ... كما رنَّ في بيـتٍ يُهَـدَّمُ مِعْـوَل

وينقُلُـهُ بعـضٌ لـبعضٍ تَمـثُّلاً ... إذا انفَضَّ عنـه محَفِلٌ عـاد مَحْفِـل

ولم يفضلِ الآراء إلا لأنه ... يدبّرهُ رأسٌ حكيمٌ مُفَضَّل
وسيانِ قالوا خطبةً مضريةً ... «لياسينَ»أو قالوا تقدمَ جَحْفَل
له فِكرةٌ أنكى من السيف وقعةً ... وتدبيرةٌ من فَتْكةِ الموتِ أقْتَل
ورابطُ جأشٍ كالحديد وفوقَه ... من الهمّ والفكْرِ المبرّح كَلْكَل
وإنك من أن تقبلَ القومَ أفضلُ ... وإنَّهمُ مِنْ أن يُدانوك أنزل
تَقَدمٌ لها « ياسينُ » فالوضعُ محرجٌ ... إذا لم تخفِّفْ منه والداء مُعْضِل
وإنك لو قابلتَ ما مُتِّعَتْ به ... من الحكم بالهونِ الذي تتحمل
وما قدمتهُ من ضحايا عزيزةٍ ... نتائجُها هذا البلاءُ الموكل
أسالت دماً عينيك عُقبْى كهذه ... وهيّج منك الداءَ هذا المعدَّل

***

بشرى جنيف

مرحباً بالمتوج الغِطريفِ ... حاملاً للعراق بُشرى جَنيفِ
ناهضاً بالثقيلِ من عِبء هذا ... الوطن النكدِ عابِئاً بالخفيف
رجلُ الأمّة التي أنجبت ألف ... من بيت هذا الشريف
وأخو الوقفة الرهيبةِ والخطبة ... تدوي في المحِفلِ المرصوف
بلطيفٍ من التعابير يجري ... في مَدَبٍ من الكلام لطيف
لغة الضاد في فم الملِك الفذّ ... تباهي بحسنِها الموصوف
وإذا ما تفاضلوا فَضَلَ الجمعَ ... بأنقى مخارج للحروف
وربيط الجَنانِ والميتةُ الحمراءُ ... ترمي بها أكفُّ الحتُوف
ينقل الخطوَ فوقَ شِلوِ صديقٍ ... أو على مُخ صاحبٍ مقذوف

عالمـــاً أنَّ خــيرَ مــا ركــب ... المــرءُ إلى غايــة متــونَ الســيوف

وطريـقٍ مشـى بها في سبيلِ العُـرْبِ ... بالشـــوكِ والأذى مَحفـــوف

داخـلاً في مـآزق لـيس يخلـو المـرءُ ... في مثلهـــا مـــن التّعنيـــف

بهــرَ الساســةَ الــدهاةَ حصــيفٌ ... ذائـع الصـيتِ بـين كـلِّ حصـيف

لامــعٌ في صــفوفهمْ تقــع العَــينُ ... عليـه مـن دونِ مِـن في الصـفوف

لَمَســوا منــه في التصــافُح كفــاً ... لم يَـرَوا مثـلَ وقعِهـا في الكفـوف

خَـبَّرتْ فوقَها خطـوطُ السُـلامياتِ ... عـــن أيِّ مـــاهرٍ عِرّيـــف

عــن لطيــفٍ في ســاعَتيه مَهيــبٍ ... وأديـــبٍ في موقفَيـــه ظريـــف

وجَمــوع للحــالتين نســيم ... في ظــروفٍ وعاصــفٍ في ظُـروف

وأرتْهـم ملامـحَ العَـرب الماضـينَ ... سِــيما هــذا الطُــوالِ النحيــف

وجنـةٌ تَنطف السرورَ عليها مسحةٌ ... الهـــادئ الغيـــورِ الأســـيف

وجبـــينٌ كغُــرّةٌ البــدرَ فيــه ... أثــرٌ للهمــوم مثــلُ الكُســوف

لـو أطاقَـتْ فيـه الغضـونُ لقصّـتْ ... عـن عـراكٍ مـع الليـالي عنيـف

فهُــمُ واثقــونَ كــلَّ وثــوقٍ ... أنهــم واجــدونَ خــيرَ حَليـف

لم يعُقْــهُ أمــرُ العــراق وبُغيــا ... ثمــرٍ للنهــوض داني القُطــوف

والرزايـــا تعِــنُّ بــين تليــد ... مُعجــزٍ حلُّــه وبــينَ طَريــف

عــن أمــاني ســوريّةٍ وقلــوبٍ ... مــن بنيهــا تــرفُّ أيَّ رَفيــف

إن في عيبــة الملــوك عهــوداً ... هــو في رعــيهنَّ جــدٌّ عفيــف

عَبقــاتٍ بــذكر فيصــلَ أيــامَ ... دمَشــقٍ وعهــدِه المعــروف

ويكــاد اللبيــبُ يلمُــسُ حبــاتِ ... قلــوبِ عــلى نِقــاط الحُــروف

لا تلُــمْ سُــوريا إذا بكــت العهــدَ ... بجَفــنِ المولَّــهِ الملهــوف

إنهـــا ذكريـــاتُ أمٍّ رؤوفٍ فَجعوهـــا بواحـــدٍ مخطـــوف
مُتعَـب الـذهنِ بالسياسـة لا ينُسيه أثقالَهـــا جِمـــالُ المصـــيف
عكفتْ أنفسٌ هناك على الأفـراح والأنـــسِ بـــين خَمـــرٍ وهيـــف
تاركـا عـــبءَ الـبلادِ ثقـيلاً لغَيـــور عـــلى الـــبلاد عَطـــوف
مـن دُعـاة المـألوفِ مـا دام فيـه مظهـــرٌ لائـــقٌ بشَـــعبٍ أنـــوف
فـــإذا كـــانَ حِطـــةٌ وجمـــوداً فالعـــدوُّ اللـــدودُ للمـــألوف
وهـــو بـــين ذيـــن لا بِعَنـــودٍ في الـــذي يَبتغـــي ولا بعَســـوف
حـافِظٌ حُرمـةَ الأنـوف فـإن هـيجَ تَوَلَّـــتْ يـــداهُ رغـــمَ الأنـــوف
لا برخـوِ اليـدَين في نهـزه الفُرصـةَ إنْ ســـاعَدَتْ ولا المكتـــوف
آخِـذٌ بالـذي يعِـنُّ مـن الأمـرِ ويخشـــى مَغَبَّـــةَ التســـويف
يـــتركُ العُنـــفَ مـــا اســـتطاعَ قديرٌ أنْ يَروضَ النفوس بـالتَلطيف
لا أُحابيـــكَ ســـيدي وأُراني لســـتُ في حاجـــةٍ إلى التعريـــف
أنـتَ قَبْـلَ الجميـع تَعـرِفُ أني في شـعوري أجـري عـلى المكشـوف
سيدي ليس يُنكِرُ الشعبُ ما قمتَ بـــهِ نحـــوهُ مـــن المعـــروف
والمســـاعي التـــي تَجَشَّـــمْتَ فيهـــا ألـــفَ هـــولٍ وأَلْـــفَ أمـــرٍ مُخيـــف
إن مـــا بـــين حالتَيْـــهِ لَفَرقـــاً مثـــلَ مـــا بـــين مشِـــيةٍ وَوُقـــوف
وهـو يَجزيْـك بالجميـلِ مـن الفِعْـلِ جمـــيلاً مـــن الثنـــاء المنيـــف
قـدرت سَـعيَك الـبلادُ فجاءتـكَ أُلوفـــاً متلُـــوَّة بـــألوف
ولأسـرٍ يَـدوي الفضـاءُ هُتافـاً مـن مُحيِّـك فـوقَ كـلِّ رَصـيف
حيـث غصَّـت بفُرجـة النـاسِ بغـدادُ وغصَّـــت بيوتُهـــا بالضـــيوف

وتبـارَى الوفـودُ مـن كـل فَـجٍّ ... كـلُّ فـرد مُشـفَّعٌ برديـف
حـاملاتٍ إليـك تسـليمةَ الأهلـينَ ... مـن كـلِّ قريـةٍ أو ريـف
غـيرَ أنَّ الـبلادَ مـازال فيهـا ... أثَـرٌ للشَّـقاءِ غـيرُ طفيـف
زُمْـرَةٌ ضِـدُّ زمـرةٍ ولفيـفٌ ... تَعِـبُ الـنفسِ في انتقـاصِ لفيـف
وقـويٌّ باسـم الضـعافِ مجيـلٌ ... ظُفْـرَهُ في محـزِّ ألـفِ ضـعيف
وأكـفٍ شَـتَّى تـدبّرُ شـتّى ... لُعبَـةٍ مـن وراءِ شَـتَّى سُـجوف
ولأنْـتَ القـديرُ بـالرغم ممـا ... عِشْـتَ مـن جَمْعِنـا عـلى التـأليف
لـيس هـذا المـريضُ أوّلَ مـن عُـولِجَ ... مـن دائِـهِ العُضـالِ فَعُـوفي

***

الباجة جي في نظر الخصوم

كـيفما صَـوْرتَها فلـتكُنِ ... أنـا عـن تصـويرةِ النـاسِ غنـي
لا أُبـالي قـادِحي مِـن مـادِحي ... لِيَ في الوجـدان مـا يُقنِعنُـي
لسـتُ بالجامـدِ : إني شـاعرٌ ... هـزة الـروح تُـرى في بَـدنَي
ديـدني تصـويرُ مـا في خـاطري ... وأنـا مُغـرىً بهـذا الديـدنَ
أنـا مـن أجـل لِسـاني مُبـتَلى ... رغـمَ إحسـاسي – بعـيش خَشِـن
إنـما يرفَـعُ مـن مقطـوعتي ... كوُنهـا مـن خَصـمِك المضـطَغِن
مـن فتـى عَرَّضَـه موقفُـه ... منـك بـالأمس لشـتّى المِحَـن
كونُهـا مـن شـاعر مُطَـرَّح ... وفكـورٍ مُنصِـفٍ مُمـتَحَن
تاركـاً عـما قريـبٍ أهلَـهُ ... مسـتجيراً بإمـام الـيَمَن
فـإذا لم يهـوني كنـت امـرءاً ... عـاملاً في مـنجم في عـدَن

إنها أروَح لي مــن مَــوطنِ أنـا منـه في عُضـال مُـزمِن
أنـا أستحسِـن مـا لـيس أرى وأرى مـا لـيسَ بالمستحسَـن
يـا أبـا عـدنانَ هـذي فُرصـةٌ لفـؤادٍ بـالأذى محـتقِن
لا أُحابيـك ولكنّـي فتـىً أطلُـبُ الحـقَّ ولـو في كفَنـي
يشـهدُ التـأريخُ واللهُ معـاً أنَّـك الـذُخرُ لهـذا الـوطن
عـارفٌ أدواءَه مطَّلـعٌ بالخفايـا قـاطعٌ للفـتَن
فيـك: لـولا أمـةٌ جاهلـةٌ شَـبَّةٌ يـدنيك مـن «موسـولني»
بَطَـلٌ إنْ محَـنٌ جـارتْ ومـا أعـوزَ الأبطـالَ عنـد المحـن
وصريـحٌ لَسِـنٌ في مـأزِقٍ ذي احتيـاج لصريـح لَسِـن
لُحـتَ وضـاحاً علـى حـينَ مَشـى كلُّهـم تحـتَ قِنـاع أدكـن
بخُطـىً جبّـارةٍ واسـعةٍ وبعقـلٍ راجـح متَّـزن
يـومَ كـلُّ النـاسِ في تمـويهِهم مِثـلُ ضـبٍ جـاحرٍ في مَكمـن
فـرَغَ الدسـتُ الـذي كنـتَ بـه مـلءَ عـينِ المـرءِ مـلءَ الأذُن
سَـحَقَ الهـوجَ المهازيـلَ فتـىً لم يكـن في سَـحقِهم بـالمَرِن
وعـلى الحمقـى ثقيـلٌ وقعُـه مَـن بِغِـرٍّ أحمـقٍ لا يعتنِـي
وأراهـم قـوة لم يجـدوا مثلَهـا في هيكـل أو وَثَـن
لم يـروا فيـه – كـما في غـيرهِ خِـذْنَهم مـن مـاجنٍ أو مُـدمِن
لم يكـن بـالرخوِ في أخـذِهُمُ أخـذَ جبـارٍ ولا بـالمنثني
أتُراهـا أمِنَـت جرثومـةٌ لم تكـنْ مـن بطشـه في مـأمَن
نَقَـم الحسّـادُ إن لم يَلحقـوا شـأو مَـاشٍ خَببَـاً في سَـنَن

قـــائم بـــالأمرِ معتـــزٌّ بـــه | وعـــلى تـــدبيرِه مُـــؤتَمَن
ولـــو اســـطاعَت مجـــالاً كفُّـــه | قـــادَهُم كلَّهُـــمُ في عَطَـــن
اشـــهدي ياربـــةَ الشـــعر ويـــا | دولـــةَ الحـــقِّ عليـــه أمنِّـــي
إن عُقبـــى ظَفَـــرٍ تَلحَقُنـــي | مـــن طريـــق الـــدسِّ لا تُعجبنـــي
ودنيٌّ مـــن يُعـــادي خصـــمَه | مِـــن طريـــقٍ بـــالحزازات دَني
أشـــتَهي أنّي ولـــو في حُلُـــم | أُمســـكُ الأمـــرَ لأدنـــى زَمَـــن
ولقـــد يُلهـــبُ مـــن عـــاطفتي | أنَّ هـــذا زمـــنٌ لم يـــئِن
أودِعـــوني دَفَّـــةَ الحكـــم ولـــو | ســـاعةً آتِ بـــها لم يَكُـــن
أُرِكُـــم أيـــنَ يكـــونُ المـــرتشي | أُرِكُـــم كيـــفَ مصـــيرُ الأرعَـــن
أُرِكـــم قيمـــةَ ألفـــاظِ بهـــا | يَلـــبس الكـــذّابُ ثـــوبَ الـــوطني
آتيـــاً في السرِّ مـــا لا يَســـتوي | والـــذي يـــأتي بـــه في العَلَـــن
أُركـــم أنْ لـــيسَ لي مـــن قيمـــةٍ | غـــيرُ مـــا يوجِبُـــه لي مَعـــدِني
أُركـــم أنَّ الـــذي تخشَـــونه | لـــيسَ مـــن يَبكـــي عليـــه لـــوفَني
يـــا أبـــا عـــدنانَ هـــذا واجـــب | الأدَبِ المحـــضِ الصريـــح المُـــتقَن
إننـــي ألغيـــتُ في تســـجيله | كـــلَّ مـــا في خـــاطري مـــن دَرَن
ولقـــد تَعلَـــمُ مـــا يَلحَقُنـــي | مـــن أذىً مـــن بَـــثِّ هـــذا الشَّـــجن
غـــيرَ أني واجـــدٌ في مِثلـــهِ | لـــذَّةَ العاشـــق والمفتَـــتن
ومـــن العـــارِ عـــلى الشـــاعر | أنْ يحتَمـــي في شـــعرِهِ بـــالإحَن

***

يدي هذه رهن

يـدي هـذه رهـنٌ بـما يَـدَّعى فمـي ... لـئن لم يحكِّـمْ عقلَـه الشـعبُ ينـدم

هتفـتُ ومـا أنفـك أهتِـف صـارخاً ... ولـو حرّمـوا مسِّي ولـو حلَّلـوا دمـي

ولـو فتّشـوا قلبـي رأوا في صـميمه ... خلاصـةَ هــذا العــالم المتــألِّمِ

إذا تُـرك الجُمهـورُ يَـمضي لشـأنه ... ويسـلُك مـن أهوائـه كـلَّ مَخْـرِم

وتنتابُـهُ الأهـواء مـن كـلِّ جانـبٍ ... وترمـي بـه شـتى المهـاوي فيرتمـي

وتُــنْشَر فيــه كــلَّ يــوم دِعايــةٌ ... ويـنـدسُّ فيهـا كـلُ فكـر مسـمِّم

وتَـقضي عليـه فُرقـة مـن مسـدّر ... وتُنْهكُــه رجعيــةٌ مــن معمَّــم

ولم تلـدِ الـدنيا لـه مـن مـؤدِّب ... يهــذب مــن عاداتــه ومقــوِّم

فلا بد من عُقْبى تسوء ذوي النهى ... وتَــدمى بهــا ســبابةُ المتنــدِّم

ولا بـد أن يـمشي العـراقُ لعيشـة ... يشرَّفُ فيهــا أو لمــوت محــتَّم

أقــول لأوطــانٍ تمشــت جريئــةً ... يَمـدُّ خطاهـا كـلُّ أصـيدَ ضـيغم

وقرَّبهــا ممــا تحــاول أنهــا ... رأت في اكتسـاب العـزِّ أكـبر مغنم

ألا شـعلةٌ مـن هـذه الـروح تـنجلي ... عـلى وطـنِ ريـانَ بالـذُّل مُفْعَـم

خـذي كـلَّ كـذّاب فَسُـلِّي لسـانه ... ومُـرّي عـلى ظُفـر الـدنيِّ فَقَلِّمـي

ومُـرِّي عـلى هـذي الهياكـل أقبلـت ... عليهـا الجماهـير الرُّعـاع فحطِّمـي

وإن كـان لا يبقـى عـلى الحـال هـذه ... سـوى واحـد مـن كـل ألـف فـأنعم

فأحســنُ مــن هــذي التماثيـل ثُلّـةٌ ... تقــوم عــلى هــذا البنــاء المــرمَّم

فقـد لعِبَـت كـفُّ التذبـذب دورَهـا ... بــه واســتباحت منــه كــلَّ مُحــرَّم

وقـد ظهـرت فيـه المخـازي جليـةً ... يضــيق بهــا حتــى مجــالُ الــتكلُّم

وقـد صـيحَ نهبـاً بـالبلادِ ومُزِّقـت ... بظفُـرٍ وداسـوها بخُـفٍّ و مَنْسِـم

وإني وإن لم يبـق قـول لقائـل ... ولم يـتركِ الأقـوامُ مـن مـتردمً

فـلا بـدَّ أن أُبكيـكَ فـيما أقصُّـه ... عليـك مـن الوضـع الغريـب المذمَّم

ألا إن هـذا الشَّـعبَ شعبٌ تواثَبَتْ ... عليـهَ صروفُ الـدهر مـن كـل مجْثم

متيمٌ عـلى البْلـوى لِزامـاً إذا انـبرت ... لـه نكبـةٌ عظمـى تَهـون بـأعظم

يجـور عليـه الحكـمُ مـن متـآمرٍ ... وتمشي بـه الأهـواءُ مـن متـزعِّم

مسـاكينُ أمثـالُ المطايـا تسـخِّرتْ ... عـلى غـيرِ هـذي منهمُ وتَفَهُّـم

فلا الحكـمُ بـالحكم الصحيح المتمَّم ... ولا الشعبُ بالشـعب الـرزين المعلَّـم

تَحَدَّتْـهُ أصـنافُ الرزايـا فضـيَّقت ... عليـه ولا تضـييقَ فقـرٍ مخـيِّم

فقد أُتخمت شمٌّ « البُنوك » وأشرقت ... بـأموال نَهـابٍ فصـيحٍ وأعجـم

تُنُـوهِبْنَ مـن أقـوات طـاوٍ ضـلوعَه ... عـلى الجْـوع أو مـن دمـع ثكـلى وأيِّـم

يُبـاع لتسـديد الضرائـب مِلْحَـفٌ ... وبـاقي رِتـاجٍ أو حصـيرٍ مـثلَّم

ومـا رفـع الدُّسـتورُ حيفـاً وإنـما ... أتونـا بـه للنَّهْـب ألطـفَ سَـلَم

ستارٌ بـديعُ النسـج حيـكَ ليختفـي ... بهـا الشـعبُ مقتـولاً تضرَّجَ بالـدم

بـه وجـدت كـفُّ المظـالم مَكْمَنـاً ... تحـوم عليـه أنَّـةُ المـتظلِّم

نلـوذ بـه مـن صَـوْلة الظلـم كالـذي ... يفـرِ مـن الرَّمضـاءِ بالنـار يحتمـي

بضـوء الدسـاتير استنارت ممالـكٌ ... تخـبَّطُ في ليـل مـن الجْهـل مظلـم

وها نحن في عصر من النور نشتكي ... غَوايـةَ دُسـتور مـن الغِـش مبهم

هنالـك في قَصْرٍ أُعـدت قِبابـه ... لتـدخينِ بطّـالين هـوج ونُـوّم

تُصَـبُّ عـلى الشـعب الرزايـا وإنـما ... يَصُـبُّونها فيـه بشـكل مـنظَّم

مضت هَدرَاً تلـك الـدماءُ ونُصِّبَتْ ... ضِـخامُ الكـراسي فـوق هَـام محطَّـم

ولما استَتَمَّ الأمرُ وارتدَّ معشَرٌ ... خلاءَ أكُفٍّ من نِهاب مقسَّم
ورُدَّت على الأعقاب زَحفاً معاشرٌ ... تُحاولُ عَوداً من حِطام مركَّم
بدا الشر مخلوعَ القِناع وكُشِّفَت ... نوايا صدورٍ قُنِّعت بالتكتُّم
وبان لنا الوضعُ الذي ينعَتُونَه ... مضيئاً بشكل العابس المتجهِّم

***

المحرقة

أَحاوِلُ خرقاً في الحياةِ فما أجرا ... وآسَفُ أن أمضي ولم أُبقِ لي ذكرا
ويُؤلمني فرطُ افتكاري بأنَّني ... سأذهبُ لا نفعاً جلبتُ ولا ضُرّا
مضتْ حِججٌ عَشْرٌ ونفسي كأنها ... من الغيظ سيلٌ سُدَّ في وجهه المجرى
خبَرْتُ بها ما لو تخلَّدتُ بعدَه ... لَما ازدَدْتُ عِلماً بالحياةِ ولا خُبرا
وأبصرتُ ما أهوى على مثلِهِ العمى ... وأُسمعتُ ما أهوى على مثلِهِ الوَقْرا
وقد أبقتِ البلوى على الوجهِ طابَعاً ... وخلَّفَتِ الشحناءُ في كبِدي نَغرا
تأمَّلْ إلى عيني تجِدْ خَزَراً بها ... ووجهي تُشاهِدْه عن الناس مُزورّا
ألم تَرَني من فرطِ شكٍّ وريبةٍ ... أُري الناسِ حتى صاحبي نظراً شزرا
لبستُ لباسَ الثعلبيِّينَ مُكرهاً ... وغطَّيتُ نفساً إنَّما خُلقت نَسرا
ومسَّحتُ من ذيلِ الحَمام تملّقاً ... وأنزلتُ من عَليا مكانتهِ صقرا
وعُدتُ مليء الصدِّرِ حِقداً وقُرحةً ... وعادت يدي من كلِّ ما أمَّلَتْ صِفرا
أقولُ اضطراراً قد صبَرتُ على الأذى ... على أنني لا أعرِفُ الحُرَّ مُضطرّا
وليس بحُرٍّ مَن إذا رامَ غايةً ... تخوَّفَ أن ترمي به مَسلكاً وعْرا
وما أنتَ بالمُعطي التمرُّدِ حقَّه ... إذا كنت تخشى أن تجوعَ وأن تَعرى

وهل غيرَ هذا ترتجي من مَواطنٍ ... تُريد على أوضاعها ثورةً كبرى

مشى الدهرُ نحوي مستثيراً خطوبَه ... كأني بعينِ الدهر قيصرُ أو كسرى

وقد كانَ يكفي واحدٌ من صروفهِ ... لقد أسرفتْ إذ أقبلتْ زُمراً تترى

مشى لي كعاداتِ المخانيثِ دارعاً ... يُنازِل قِرْناً مُثخَناً حاسِراً صدرا

خليّاً من الأعوانِ لا ذُخرَ عندَه ... سوى الصبر أوحشْ بالذي صحبَ الصَّبرا

وما كانَ ذنبي عندَه غيرَ أنني ... إذا مسَّني بالخيرِ لم أُطِلِ الشكرا

ولم أتكفَّفْ باليسيرِ ولم أكنْ ... كمستأنِسٍ بالقُلِّ مستكثِرٍ نَزْرا

طموحٌ يريني كلَّ شيءٍ أنالُه ... وإنْ جلَّ قَدرْاً دونَ ما أبتغي قدرا

حلَبتُ كِلا شطرَيْ زماني تمعّناً ... فلم أحمَدِ الشطر الذي فَضَلَ الشطرا

شرِبتُ على الحالينِ بؤسٍ ونعمةٍ ... وكابدتُ في الحالينِ ما نغَّصَ السكرا

حُبيتُ بنَدمانٍ وخمرٍ فغاظني ... بأنيَ لا مُلكاً حُبيتُ ولا قصرا

ولو بهما مُتّعتُ ما زلتُ ساخطاً ... على الدهر إذ لم يَحْبُني حاجةً أُخرى

فما انفكَّ حتَّى استرجعَ الدهرُ حُلوَه ... وحتَّى أراني أنني لم أذُق مرّا

وجوزِيتُ شرّاً عن طُموحي فها أنا ... برغميَ لا خِلاًّ تَخِذتُ ولا خمرا

فإنْ يُشمِتِ الأقوامَ أخذي فلم أكن ... بأوّلِ مأخوذٍ على غِرَّةٍ غدرا

وإنْ تفترِسْني الآكلاتُ فبعدَ ما ... وثِقتُ بها فاستلَّتِ النابَ والظُفرا

وإن تُلهبِ الشكوى قوافيَّ حُرقةً ... وغيظاً فإني قادحٌ كبِداً حرّى

وكنتُ متى أغضبْ على الدّهر أرتجِلْ ... مُحرَّقةَ الأبياتِ قاذفةً جمرا

كشأنِ « زيادٍ » حين أُحرجَ صدرُهُ ... وضُويقَ حتى قال خُطبتَه البترا

أو المتنبّي حينَ قالَ تذمُّراً ... «أفيقا خُمارُ الهمِّ بغَّضني الخمرا»

وما زلتُ ذاك المرءَ يوسِعُ دهرَه ... وأوضاعَه.. والناسَ كلَّهمُ كفرا

تحولتُ من طبعٍ لآخرَ ضدِّه ... من الشيمةِ الحسناءِ للشيمةِ النكرا
وكنتُ وَديعاً طيبَ النفسِ هادئاً ... فأصبحتُ وحشاً والِغاً في دم نَمرا
فلَو دَبَّر الباغونَ للكيدِ خطةً ... رأوا أنَّني منهُمْ بَتدبيرِها أحرى
وَلو ملكَ قارونٍ ملكتُ دَفعتُه ... على كرهِ بعض الناسِ بعضَهم أجرا
وِشجَّعتُ ما أقوى يراعةَ كاتبٍ ... يُزيحُ بها عن كلِّ ذي عورةٍ سِترا
وَمجَّدتُ من بَثَّ الدعايةَ ضدَّهم ... ومن قالَ في تَسخيفِ آرائهم شعرا
وِلو حُمَّ لي أنْ أحكمَ الناسَ ساعةً ... وأن أتوَلى فيهُمُ النهيَ والأمرا
لمزَّقتُ وَجهاً بالخديعةِ باسِماً ... ولا شيتُ ثَغراً بالضَغينةِ مُفترا
وَقطَّعتُ كفَّيْ من يمدُّ يمينَهُ ... يَصافحني في حين تَطعنُني اليسرى
وَعاتَبتُ سراً من يضِلُّ لنفسه ... ومن ضلَّلَ الجمهورَ أخزيتهُ جَهْرا
رأيتُ من الإنسانِ يُطغيه عُجْبُه ... من الخزي ما تأباهُ وحشيَّةٌ تَضرى
إذا أُغرِيتْ هذي بأكلِ فريسةٍ ... فهذا بأنْ يلهو بتعذيبها مُغرى
أتعرفُ كم من أصيَدٍ مُتقٍ قهرًا ... وكم حُرَّةٍ تشكو ومَن حولَها الفقرا
لينعُمَ مَن إنْ عاشَ لم يُدرَ نفعُه ... وإنْ ماتَ لم يعرِف له أحدٌ قبرا
أتعرفُ ما يأتيه في السرِّ ناصبٌ ... على العينِ منظاراً على الناسِ مغترا
يُقلِّبُهُ بينَ الجموع دلالةً ... على أنه أذكى من الناس أو أثرى
وما ميَّزتْهُ عن سواه فوارقٌ ... سوى أنه قد أتقنَ الرَّقصَ والزمرا
وهذا الذي إحدى يديهِ بجيبهِ ... وأُخراهما تلهو بشاربه كِبرا
ولو فتَّشوا منه السَّبالينِ شاهدوا ... خلالَهما العاهاتِ محشورةً حشرا
وهذا الذي رغمَ النعيم وشرخهِ ... يُرى حاملاً وجهاً من الحقدِ مُصفرّا

وهذا الذي إنْ أعجبَ الناسَ قولهُ ... مشى ليُريهمْ أنه فاتحٌ مِصرا
وهذا الذي قد فخَّمتْه شهادةٌ ... خلاصتُها أنَّ الفتى قارئٌ سطرا
ويكفيكَ منه ساعةٌ لاختبارهِ ... لتعلمَ منها أنه لم يزل غِرّا
وهَبْ أنه قد أُلهِمَ العلمَ كلَّه ... وحلَّلَ حتى الجوهرَ الفردَ والذرّا
وكانَ « شكسبيرٌ » خويدمَ شعرهِ ... وكانت لُغى الأكوان تخدمُه نثرا
فهل كانَ حتماً أنني أنحني له ... وتصطكُ مني الركبتانِ إذا مرّا
ألمْ يدرِ هذا « الكوكب » الفذ أنه ... كما كان حُرّاً كان كلُّ امرئٍ حرّا
ذممتُ مُقامي في العراقِ وعلّني ... متى أعتزمْ مسرايَ أن أحمَدَ المسرى
لَعلي أرى شِبْراً من الغَدر خالياً ... كفاني اضطهاداً أنني طالبٌ شِبْرا

****

شباب يذوي

ذوى شبابيَ لم ينْعَم بسرّاءِ ... كما ذوى الغصنُ ممنوعاً عن الماءِ
سَدَّتْ عليَّ مجاري العيشِ صافيةً ... كفُّ الليالي وأجرتها بأقذاء
فمِنْ عناءٍ بَلّياتٍ نُهكتُ بها ... إلى عناء.. ومن داءٍ إلى داء
ستٌّ وعشرونَ ما كانت خُلاصتُها ... - وهي الشبابُ طريّاً - غيرَ غمّاء
وما الحياةُ سوى حسناءَ فارِكةٍ ... مخطوبةٍ من أحبّاء وأعداء
قد تمنعُ النفسَ أكفاءً ذوي شغفٍ ... وربّما وهبتها غيرَ أكفاء
ولا يزالُ على الحالينِ صاحبُها ... معذَّبَ النفسِ فيها بيِّنَ الداء
فإنْ عجِبتَ لشكوى شاعرٍ طرِبٍ ... طولَ الليالي يُرى في زيِّ بَكّاء
فلستُ أجهلُ ما في العيش من نِعم ... أنا الخبيرُ بأشياءٍ وأشياء

ولا أحبُّ ظلامَ القبرِ يغمُرني ... أنا المشبع بآمال وأهواء
وإنَّما أنا والدُّنيا ومحنتُها ... كطالبِ الماء لمَّا غَصَّ بالماء
أُريدُها لمسرّاتٍ فتعكِسُها ... وللهناءِ فَتثنيهِ لإيذاء
وقد تتبَّعتُ أسلافي فما وقعتْ ... عيني على غير مشغوفٍ بدُنياء
فإنْ أتتكَ أحاديثٌ مُزخرَفةٌ ... عن الذينَ رَوَوْها أو عن اللائي
يُشوِّهونَ بها إبداعَ غانيةٍ ... فتَّانة لم تكنْ يوماً بشوهاء
طوراً تُصوِّرُ حِرباء وآونةً ... كالأفعوان . وأُخرى كالرُّتَيْلاء
فلا تصدّقْ فما في العيشِ منقصةٌ ... لولا أضاليلُ غوغاءٍ ودهماء
ذَمَّ الحياةَ أُناسٌ لم تُواتِهُمُ ... ولا دَروا غيرَ دَرَّ الإبْلِ والشاء
وقلَّدَتْهُمْ على العمياء جمهرةٌ ... تمشي على غير قصدٍ خبطَ عشواء
ولو بدَتْ لهمُ الدُّنيا بزينتها ... لقابلوها بتبجيلٍ وإطراء
لم تكفِني نكباتٌ قد أُخذتُ بها ... حَتى نُكبتُ بأفكاري وآرائي
لي في الحياة أمانٍ لو جَهَرتُ بها ... قُوبلتُ من سَفْسطيَّاتٍ بضوضاء
ولو أتاني بِبُرهانٍ يجادلُني ... لقلتُ أهلاً على العينين مولائي
شِيدتْ قصورٌ على الأجراف جاهزةٌ ... بكلِّ ما تشتهيهِ أعينُ الرائي
فيهنَّ من شهواتِ النفس أفظعُها ... فيها غرائبُ أخبارٍ وأنباء
فيها اللَّذاذاتُ والأفراحُ عاصفةٌ ... بنفسِ ذاكَ المُرائي عَصفَ نكباء
حتى إذا قلتَ قولاً تستبينُ به ... لُطفَ الحياةِ بتصريح وإيماء
هاجوا عليكَ بإقذاع ومفحشةٍ ... وآذنوكَ بحربٍ جِدِّ شعواء
حُرِّيةُ الفكرِ ما زالتْ مهدَّدةً ... في « الرَّافدين » بهمَّازٍ ومشَّاء

وبـــالنواميسِ مـــا كانـــتْ مُـــفسَّرةً إلا لِصـــالح هيئـــاتٍ وأســـماء

***

الدم يتكلم بعد عشرٍ

قبـــل أن تبكـــيَ النُّبـــوغَ المُضـــاعا سُـــبَّ مـــن جـــرَّ هـــذه الأوضـــاعا

سـبّ مـن شـاء أن تمـوت وأمثالُـك همّـــاً وأن تروحـــوا ضَـــياعا

ســبَّ مــن شــاء أن تعــيشَ فلــولٌ حيــث أهــلُ الــبلاد تــقضي جياعــا

داوِني إنَّ بـــين جنبـــيَّ قلبـــاً يشـــتكي طـــولَ دهـــره أوجاعـــا

ليــت أني مــع الســوائم في الأرض شرودٌ يرعـــى القَتـــاد انتجاعـــا

لا تــرى عينــيَ الــديارَ ولا تســمعُ أذني مـــا لا تُطيـــق اســـتماعا

جُــلْ معــي جولــةً تُريــك احتقــار الشــعب والجهــلَ والشــقاءَ جِماعــا

تجِــدِ الكــوخَ خاليــاً مــن حُطــام الــدهر والبيــتَ خاويــاً يتــداعى

واستمع لا تجدْ سوى نَبضاتِ القلب دقّــت خــوفَ الحســاب ارتياعــا

فلقـــد أقبلـــت جُبـــاةٌ تســـومُ الحـــيَّ عنفـــاً ومهنـــةً واتضـــاعا

إنَ هـــذا الفـــلاّحَ لم يبـــقَ إلاّ العِـــرضُ منـــه يُجِلّـــه أن يباعـــا

بعـــد عشر مشـــت بِطـــاءً ثقـــالا مـــثلَما عاكســـت ريـــاحٌ شِراعـــا

عرّفَتْنـــا الآلامَ لونـــاً فلونـــا وأرتنـــا المـــماتَ ســـاعاً فســـاعا

اختبرنــا.. إنّــا أســأنا اختبــاراً واقتنعنـــا .. إنـــا أســـأنا اقتناعـــا

ونـــدِمنا فهـــل نكفّـــر عـــمّا قـــد جنينـــا اجتراحـــةً وابتـــداعا

لـــو ســـألنا تلـــك الـــدماءَ لقالـــتْ وهـــي تَغـــلي حماســـةً وانـــدفاعا

مـــلأ الله دُورَكـــمْ مـــن خيـــالي شـــبحاً مرعبـــاً يَهُـــزّ النخاعـــا

وغــــدوتمْ لهـــول مـــا يعـــتريكمْ   تُنكـــرون الأبصـــار والأســـماعا
تحســـبون الـــورى عقـــاربَ خضراً   وتَـــرَوْن الـــدُّروب مـــلأى ضِـــباعا
والليـــالى كلحـــاءَ لا نجـــمَ فيهـــا   وتمـــرّ الأيـــام ســـوداً سِراعـــا
ليـــتكمْ طِـــرتُمُ شَـــعاعاً جـــزاءً   عـــن نُفـــوس أطرتموهـــا شَـــعاعا
بالأمـــاني جذّابـــةً قُـــدتمُوها   للمنّيـــات فانجـــذبنَ انصـــياعا
وادعيـــتم مســـتقبلاً لـــو رآتـــه   هكـــذا لم تضـــع عليـــه ضُـــواعاً
أهـــذا هَرقْتُمـــوني وأضـــحى   ألـــفُ عـــرض وألـــف مُلـــكُ مُشـــاعا
أفوحـــدي كنـــتُ الشَّـــجاعةَ فـــيكمْ   أولا تملكـــون بعـــدُ شُـــجاعا
كـــلُّ هـــذا ولم تصـــونوا رُبوعـــاً   سِـــلتُ فيهـــا ولم تُجيـــدوا الـــدفاعا
إنّ هـــذا المتـــاعَ بخســـاً ليـــأبى الله   أن تفصِـــدوا عليـــه ذراعـــا
قـــلْ لمـــن سِـــلتُ قانيـــاً تحـــت   رجليـــهِ وأقطعتـــه القُـــرى والضـــيّاعا
خَـــبَّروني بـــأن عيشـــة قـــومي   لا تســـاوي حـــذاءك اللمّاعـــا
مشـــت النـــاس للأمـــام ارتكاضـــاً   ومشَـــيْنا إلى الـــوراء ارتجاعـــا
في ســـبيل الأفـــراد هُوجـــاً رِكاكـــاً   ذهـــب الشـــعب كلُّـــه إقطاعـــا
طعنـــوا في الصـــميم مـــن يـــركُن   الشـــعبُ إليـــه ونصـــبّوا القُطّاعـــا
شـــحنوهم مـــن خـــائنٍ وبـــذيءٍ   ومُريـــبٍ شـــحنَ القِطـــارِ المتاعـــا
ثـــمّ صبوهـــمُ عـــلى الـــوطن المنكـــوب   ســـوطاً يلتـــاع منـــه التياعـــا
خمَـــدت عبقريـــةٌ طالمـــا احتيجـــتْ   لتُلقـــي عـــلى الخطـــوب شُـــعاعا
وانـــزوت في بُيوتهـــا أدبـــاءٌ   حَطَمـــت خِيفـــةَ الهـــوان اليراعـــا
مـــلءُ دور العـــراق أفئـــدةٌ حَـــرَّى   تَشـــكّى مـــن الأذى أنواعـــا

وجهـــودٌ سُـــحِقن في حـــينَ ترجَّـــتْ منهـــا الـــبلاد انتفاعـــا
فكـأنَّ الأحـرار طـرّاً عـلى هـذي النكايـــات أجمعـــوا إجماعـــا
اثـأري أنفسـاً حُبسـن عـلى الضيم وكـــيلي لـــلشرّ بالصـــاع صـــاعا
واســـتعيني بشـــاعر وأديـــب وأزيحـــي عـــمّا تَـــرينَ القِناعـــا
لا يُـــراد الشـــعورُ والقلـــمُ الحـــرّ إذا كـــان خائفـــاً مُرتاعـــا
هيِّجـوا النـار أنهـا أهـونُ الشرّيـنِ وقعـــاً ولا تَهيجـــوا الطباعـــا
إنَّ هـــذي القـــوى لهُـــنَّ اجـــتماعٌ عـــن قريـــب يهـــدّد الاجتماعـــا
عصـفت قـوَّةُ الشـعوب بأرسـى أمـــم الأرض فـــاقتُلِعن اقتلاعـــا
أنـهِ هـذا الصراع يـا دمُ بـين الشعب والظلـــم قـــد أطلـــت الصراعـــا

***

سلمى أيضاً..
أو وردة.. بين أشواك

اسـلَمي لي سَـلمى وحسـبي بقـاكِ إنَّ فيـــه بقـــاءَ مـــن يَهـــواكِ
يســـتجدُّ الحيـــاةَ للمـــرء مـــرآك ويُحيـــى ذكـــرى الشـــباب غِنـــاك
جـــذبتني عينـــاكِ حتـــى إذا مـــا ألهَبَتْنـــي تحرَّكَـــت شـــفتاك
ولقـــد هانـــت الصـــبابةُ لـــو أنّـــي أتتْنـــي تَعِلـــةٌ مـــن لُمـــاك
وأرتْنـــي يـــداكِ يبتـــدران الـــرَّقصَ أضـــعافَ مـــا أرتْ قـــدَماك
تلتـوي هـذه كـما التَبسَ الخَـيْطُ وتلتَـــفُّ تلـــكَ كالشُـــبّاك
تعترينـــي خـــواطرٌ فيـــكِ أحيانـــاً فارتـــدُّ بـــاديَ الارتبـــاك
تتحّـــرى كفّـــاي تقليـــدَ كفيَّـــكِ وتحكـــي خُطـــايَ وقـــعَ خُطـــاك

فأنـــا في انقِباضـــةٍ وانبســـاطٍ   تـــارةً وانفراجـــةٍ واصـــطكاك
وانتقاضٍ طَوراً كما انتقض الطائرُ   مـــن وَقفـــةٍ عـــلى الأســـلاك
ويـراني مـن لـيس يـدري كـأني   بِيَ مـسٌ وقـد أكـونُ كـذلك
أنـــا أهـــواكِ لا أريـــدُ جـــزاءً   غـــيرَ علـــم بـــأنني أهـــواك
اطلُبيني بـين الجمـوع عـلى حـينِ   احتشـــادٍ مـــا بيـــنهم واشـــتباك
تعرفينـــي مـــن دونهـــم بسِـــماتي   والتفـــاتي وحـــيرتي وانهماكـــي
رُبَّ يـــوم فيـــه تصـــيَّدني الهـــمُّ   كـــما صـــيد طـــائرٌ بشِراك
وكـــأني أرى الحيـــاةَ بمســـودٍّ   زُجـــاج فكـــلُّ شيءٍ بـــاكي
مـلءَ نـفسي وغرفتـي يـتراءى   شَـبَحُ الهـمَّ لي ومـلءَ السِـكاك
لم تكـــن ســـلوةٌ لقلبـــي عـــمّا   أنـــا فيـــه إلا بـــأنّي أراك
قـــد شـــكوناكِ لا لـــذمٍّ ولكـــن   لـــيس يحلـــو الغـــرامُ إلا لشـــاكي
لي قلـــبٌ لـــو جـــاز نســـيانهُ   صـــدريَ يومـــاً لجـــازَ أنْ ينســـاك
يتنـــزّى طـــولَ الليـــالي ولا مِثـــلَ   تَنزيِّـــه إن جَـــرَت ذكـــراك
ويَرَى تـارة من اليـأس من لُقياكِ   مستســـــلماً بغَـــــير حـــــرَاك
أنـــتِ ســـلمى وُليِّـــتِ مُلكـــاً   فسوسـيه برفـقٍ بحَـق مـن وَلاّك
وهبَيــه عهــدَ اقتطــاع وكانــتِ   لـــك في الحكـــم أُســـوةٌ بسِـــواك
فـــارعَي لقلـــبَ حرمـــةً مـــثلما   تَـرعَيْن مُلكـا يُجْنـى مـن الأمـلاك
افتحـي لي بـابَ السرور فقـد سُـدَّ   وبـــابُ السرور لي شـــفتاك
واطـرُدي هـذه الهمـومَ وسَـلّي   حُـزن وجهـي بوجهـك الضـحّاك
في يَـديك الجميلتَـينِ إذا شـئتِ   ارتهـــاني ومـــن يَـــديَك فَكـــاكي

إن رأيتِ الحديثَ يمتازُ بالرقةِ	واللُطف فيكِ عمَّن عَداك
والقوافي يَلَذُّها السَمْعُ من دوزِ	قوافٍ تشدو بحسن سواك
فلأني أُجِلُّ حبَّك عن أنْ	يُتَلقّى إلا بقَلبِ ذاكي
ولأن الشعورَ يُوريهِ إبداعُكِ	وَرْيَ الزِنادِ بالاحتِكاك
إن هذا الجمالَ سَلمى غذاءُ الروُح	لولاهُ آذَنَتْ بهَلاك
وأرى مَن يلومُ فيه كمن يرشِدُ	ذا بُلغةٍ إلى الإِمساك
أو كساع يَسعى لتجفيف ماءِ النَهر	إشفاقةً على الأسماك
الرَعاعُ الرَعاعُ.. والجَدَل الفارغُ	إني من شَرّهم في حِماك
ضايقتْني حتى بإدراكي الحسنَ	نفوسٌ ضعيفةُ الإدراك
تقتضي الناس أنْ يكونوا صدى	الأهواءِ منها كما تكونُ الحواكي
قال لي صاحبي يزهِّدُني فيكِ	بهذي المُغالَطاتِ الركاك
لكَ فيها مُزاحِمون وما	خيرُ غَرام يكونُ بالاشتراك
قُلت: أخطأتَ لا أبالي وهَبْها	وردةً في منابِتِ الأشواك
أتُراني أعافُها ثم هَبْني	أنني في عواطِفي اشتِراكي
أنا هذا أنا وما كنتُ يوماً	في شُعوري ونَزعتي بمَلاك
ثم إني أجَلُّ من أن أُماشي	في مذاقي جماعةً وأُحاكي
أنا أهوى ما أشتَهيه ومن	لا يرتَضيني قامَتْ عليه البَواكي
أنا مذ كنتُ كنتُ ما بين نفسي	والسخافاتِ هذِه في عِراك

****

تائه في حياته!..

قَلَّ صبري على زمانٍ ألدِّ ... وخُطوبٍ ألبَسَتْنَي غيرَ بُردي

وتقاليدَ لا تطاقُ وناسٍ ... لا يُجيدون غيرَ لُؤم وحِقْد

آنست مَنْ معي قوافٍ حِسانٌ ... سوف تبقى أُنْسَ الشجيِّن بعدي

حملتْ همَّهُمْ ورُحْتُ غريباً ... عنهمُ حاملاً هموميَ وحدي

أفرَشوني شوكَ القتاد وخصُّوا ... بالرياحين كلَّ جِبْسٍ ووَغْد

وزَوَوْا كلَّ ما أودُّ احتكاراً ... وأتوني بكل ما لم أودّ

وأجالوا أفراسَهُمْ في مَلاهٍ ... ضربوا بينها وبيني بِسُدّ

ثم قالوا صفِ الحياةَ بلطفٍ ... رغمَ أنَّ الحياةَ تجري بضدي

كيف يسطيعُ رسمَ شَكلِ المسرّاتِ ... نزيلٌ في غرفة مثلِ لُحد

تائه في حياته ليس يَدري ... أيُّ بابٍ إلى السُّرورِ يُؤدّي

قد وصفتُ الشَّقاءَ أروعَ وَصفٍ ... من بلاءٍ وخبرةٍ مستَمَدّ

وأرَيْتُ الناسَ الحياةَ جحيماً ... قاذفاً أنْفُساً لطافاً بوقْد

فأروني رفاهةً ونعيماً ... لأُريكم تصويرَ جنةِ خُلْد

صدماتُ الزمانِ تُبْقي خدوشاً ... في أصَمٍّ من الجلاميدِ صَلْدْ

أفتنجو من هذه الغَيرِ السودِ ... خلايا دم وقطعةُ جِلد

أكلتْ قلبيَ الهمومُ وهدّت ... كلّ حولي واستنزفتْ كلَّ جهدي

فتراني وليس غيرُ اطِّلابٍ ... لكفافٍ من المطاليبِ عندي

بدلاً من تقلُّبي في نعيم ... سابغ الظلِّ ذي أفانينَ رَغْد

هذه العيشةُ الرفيهةُ لا عركُ ... زمانٍ ملآنَ بالنحس نكْد

مـا عسـى تبلُـغُ القناعـةُ مـن | نفـس طـروبٍ لغيرِهـا مسـتعِد
أيـن مـن تسـتثيرُ طبعـي بهـزاتِ | التصـابي منهـا وتقـدَحُ زنـدي
مـن تشـكي الغـرام والوجـدِ إني | ذو احتيـاج إلى غـرام ووجـد
قـد سـئمتُ الجفـافَ في العـيش | لا رشـفةُ ثغـرٍ ولا نعومـةُ خـدّ
وردةٌ مـن حديقـةِ الشـعرِ أُهـديها | إلى مطعمـي بقطفـةِ ورد
لـيس عنـدي أعـزُّ منهـا وحسـبي | أنـني خـيرُ مـا تملكـتُ أُهـدي
أشـتهي عُلْقـةً بحبـلِ غـرام | أوْجـدِيها ولـو بكـاذبِ وعـد
لسـت أدري فـربّما كـان نـحسي | في غرامـي وربّـما كـان سـعدي
غـيرَ أنيّ أُحـسُّ أنَ شـعوراً | تسـتفزينه بُقـربٍ وبُعـد
لا تَشِـحّي ولا تجـودي ولكـنْ | اتركيـني مـا بـين جَـزْرٍ ومَـد
ثـم قـولي هـاكَ الـذي تبتغيـه | ثـم لَمّـا أقـولُ هاتيـه رُدّي
لوحـةٌ ماِلهـا نظـيرٌ | وقوفُ العاشقِ الصبِ بينِ أخذٍ وردْ
لا لأجـلي لكـنْ لأجـلِ التّلهـي | بقـوافي حرّكـي بعـضَ وَجْـدي
أَولا تـرغبين أن يَتَغّنـى | بمعانيـكِ مُعْجَبـاً كـلُّ فـرد
رُبَّ جسـم يَـبْلى بـه عبقـريٌّ | لا يـرى عـن تَصْـويرِهِ مـن مَـردّ
حاشـدِ الـذهنَ بالصـبابةِ يـأتي | مـن ضُروبِ البيـان فيهـا بحشْـد
وتـراه عَفْـوَ القريحـةِ يَخْتـارُ | أناشـيدَ تُعْجِـزُ المتصـدِّي
سَـهُلَتْ فهـو مثـلُ سـيلٍ تَجـارى | في مسـيلٍ دَمْـثٍ يُعيـد ويُبـدي
يَلمِـسُ الشـيخُ في قوافيـه بُقيـا | أثَـرٍ مـن شـبابِهِ المسَـتَردّ
ويُعيـدُ الصِـبا إليـه ويلقـى | في مريـرِ الـذكْرى حـلاوةَ شُـهْد
فهـو يُسْـدي إلى الوجـودِ جمـيلا | وهـو لـولا الغَـرامُ مـا كـانُ يُسْـدي

ولقـد تَضْـمنُ البداعـةَ في الفـنِّ وتخليـــدهِ بضاضـــةُ زنـــد
مـــا عرفنـــا دعدّيـــةً تتصّـــبى كـــلَّ نَفـسٍ لـولا تحكُّـمُ دَعْـد
لا جفـافُ الحجـاز أضرمَ تلـك الـروحَ فيهـا ولا خشـونةُ نجـد
هـي إلهامـةٌ يَنِـزّ لهـا الحـبُّ عـلى الشـاعرينِ مـن غـير قَصْـد

***

عريانة

أنـتِ تـدرين أنني ذو لُبانَـهْ الهـوى يسـتثيرُ فيَّ المَجانَـهْ
وقـوافيَّ مثـلَ حُسـنك لمـا تَتَعـرَّينَ حـرّةٌ عُريانـة
وإذا الحـبُّ ثـار فيَّ فـلا تَمْنَـعُ أيَّ احتشـامة ثوَرَانـه
فلـماذا تُحـاولين بـأنْ أعلـنَ مـا يُنكِـرُ الـورى إعلانـه
ولمـاذا تُهيِّجـين مـن الشـاعِر أغفـى إحساسُـهُ بركانـه
لا تقـولي تجهُّـمٌ وانقبـاضٌ بُغْضـا منـه وجهَـه ولسـانه
فهـا ثـورةٌ عـلى الـدهر منّـي كجَـواد لا يـرتضي مَيدانـه
أنـا في مجلـسٍ يضـمُّكِ نشـوانُ سروراً كـأنني في حانـه
لـو تُحسيِّنَ مـا أحـسُّ إذا رجَّفْـتِ في الـرَّقص بطنَـك الخمصـانه
رجفـة لا تمـسُّ مـا بـين رفْغَيْـكِ وتُبقـي الصـدرَ الجميـلَ مكانـه
والـذراعَينَ كـلُّ ريانـةٍ فعـماءَ تَلْقـى في فَعمـةٍ رَيّانـه
والثُـدِيَّيْنِ كـلُّ رُمانـة فرعـاءَ تَهـزأ بأُختِهـا الرُمّانـه
عاريـاً ظهـرُكِ الرشـيقُ تحـبُ العـينُ منـه اتسـاقَهُ واتزانـه
مـا بـه مـن نحافـةٍ يُستَشَـفُّ العظـمُ منهـا ولا بـه مـن سَـمانه

خُصَّ بالمحض من بُلَهَنيةِ العَيشِ ... وأُعطي من الصبا عنفوانه

وتراه يجيء بين ظُهور ... الخُرَّدِ الغيدِ سابقاً أقرانه

إذ تميلين يَمنة ويَساراً ... مثلما لاعبت صَباً خيزرانه

عندما تبسمين فينا فتفترُّ الشفاهُ ... اللطافُ عن أقحُوانه

إذ يحار الراؤون في حُسنك الفتّانِ ... بل في ثيابك الفَتّانه

رُب جسم تُطرى الملاحةُ فيه ... ثم تَعدوه مُطرياً فُستانه

ما به من نقيصةٍ وكأنّ ... الثوب أضحى متمماً نُقصانه

إن كفاً قاست عليك لباساً ... مثلَ هذا مهّارةٌ شيطانه

عَرَفتْ كيف تَبرزين إلى ... الجمهُور فيه لتجِلبي أذهانه

ضيَّقت مُلتقى نهودكِ ... والكشْحَين منه وشمرَّت أردانه

وأشارت إلى اللعوبَيْن بالألباب ... منا بوردةٍ مُزدانه

ليت شعري ما السرُّ في أن بدت ... للعَين جَهراً أعضاؤُكِ الحُسّانه

واختفى عضْوُك الذي مازَه الله ... على كل ما لديك وزانه

الذي نال حُظوةً حُرِم الإنسانُ ... منها وخُصَّت الإنسانه

وتمنّى على الطبيعة شَكلا ... هو من خير ما يكونُ فكانه

وَمَحلاً خِصبا فحلَّ بوادٍ ... أنبتَ اللهُ حولَهُ ريحانه

لم يُرد من يَراه مُتعةَ نَفسٍ ... أن يُغَطّى ولم يُرِدْ كِتمانه

ككتابٍ كشَّفت عن صفحتيهِ ... ثم غطيَّت عَنوةً عُنوانه

أو غَدير جمٍّ المساربِ عذبٍ ... حَرمَّوه وحلَّلوا شُطْئَانه

هيكلٌ من هياكِل الله ... سُدَّ البابُ منه وكفنَّوا صُلبانه

جسمُك الغضُ مَنطقٌ يدحَض ... الحجّة لو لم تُسَتِّري بُرهانه

مــلءَ عينـــي رأيـــت منـــكِ مع الأخـرى غـرامَ البَنـاتِ يـا فتّانـه
رشـفةٌ قـد حُرِمْتُهـا منـك باتـت عنـد غـيري رخيصـةً مُسـتَهانه
إذ تلهَّـثْ بمَحـزِم منك بُغيا النفس مـن أن تسـتطيع منـكِ احتضـانه
وثنَـتْ كفَّهـا إلى مهـبِط الأشـواقِ منـــيّ فمَســـحَّت أركانـــه
معهـا « بعسـتِ » خفـةً ومُجونـا ومعـي « بِعستِ » عفّـةً ورزَانـه
لـــو كإتيـــان هـــذه لـــك آتي رجـــلا لم تحبِّـــذي إتيانـــه
أتُريـــدين أن أقـــولَ لمـــن لم يـدر مـا بيـنكُنَّ مـن إدمانـه
فتيات الهوى استبحن من اللذات مـــا لم يُبِحنَـــه فتيانـــه
أعروســـان في مكـــان وعِرِّيســـانِ كـــلٌ مـــنهم يُخَـــلَّى وشـــانه

***

حافظ إبراهيم

نَعـوا إلى الشِـعرِ حُـراً كـان يرعـاهُ ومَـنْ يَشُـقُّ عـلى الأحـرارِ مَنعـاهُ
أخنـى الزَّمـانُ على نـادٍ «زهـا» زَمنـاً بحـافِظٍ واكتسـى بـالحُزنِ مغنـاه
واستُدْرجَ الكوكَبُ الوضاءُ عن أُفُقٍ عـالي السَّـنا يُحْسِرُ الأبصـارَ مَرقـاه
أعْـــززْ بأنّـــا افتقَـــدناهُ فأعوزنـــا وجـهٌ طليـقٌ وطَبـعٌ خـفَّ مجـراه
وأنَّ ذاكَ الخفيـفَ الـروح يُوحشُـه بيـتٌ ثقيـلٌ عـلى الأحيـاءِ مَثـواه
ضـيفٌ عـلى رِمَـم شـتَّى طبائعُهـا مـا كـانَ يجمعُهـا حـالٌ وإيـاه
إنَّ الـذي هـزَّ كـلَّ النـاس تحضَرُهُ لم يبـقَ في النـاس منـه غـيرُ ذكـراه
نـأت رعايَتُنـا عنـه وفارقَتـا فِـــراقَ مُحتَشِـــم فلْيَرْعَـــهُ الله
حـوى الـتُّرابُ لِسـاناً كُلُّـهُ مُلَـحٌ مـا كـلُّ مُحـتَرِفٍ لـلشِّرِ يُعطـاه

للأريحيَّةِ مَنْشاهُ ومَصْدرُهُ   وللشَّجاوةِ والإيناسِ حَدّاه
جمُّ البَدائهِ سَهْل القولِ ريِّضُه   وطالما أعوزَ المِنطيقَ إبداه
جَلا القِراعُ الشبا منهُ ولطفَّهُ   طولُ التَّجارِبِ في الدُّنيا ونقّاه
تخيَّرَ الكَلِمَ العالي فَسلَّطَهُ   على القوافي فحَّلاها وحلاّه
ومَدَّها ببنَاتِ الفِكرِ مُرسَلةً   تَرَسُّلَ السَّيلِ أدناهُ كأقصاه
من كلِّ مَعنىً لطيفٍ زاد رونَقَهُ   إبداعُ « حافِظَ » فيهِ فهو تيَّاه
فلو يُطيق القريضُ النُطقَ قابلهُ   بالشكرِ عن حُسن ما أسدى فأطراه
عرائسٌ من بنات الفكر حاملةٌ   مِن حافظٍ أثَراً حُلواً كسِياه
وما الشُعورُ خيالُ المرءِ يَنْظِمهُ   لكنَّهُ قِطِعِاتٌ مِن سجاياه
أخو الحماسِ رقيقاً في مقاطعهِ   تكادُ تُلْمسُ نِيرانٌ وأمواه
وذو القوافي لِطافاً في تَسَلسُلها   ما شانَها عنَتٌ يوماً وإكراه
وابنُ السِنينَ نَقيَّاتٍ صحائفُها   أُولاه فائضةٌ حُسناً وأُخراه
فإنْ يكُنْ خُضِدت بالموتِ شوكتُهُ   أو نالَ وقعُ البِلى منهُ فعرّاه
فما تزالُ مَدى الأيام تؤنسُنا   نظائرٌ مِن قوافيهِ وأشباه
شِعرٌ تُحِسُّ كأنَّ النفسَ تَعشَقُهُ   أو أنَّها اجتُذِبَتْ بالسِحر جرّاه
زانَتْ مواقِفَهُ جُنديَّةٌ كُسيَت   من الرزانة ما لم تُكْس لولاه
مشى بمصرَ فلم يَعثُر بها ورمى   مُحتلَّ مِصرَ فلم يُخطِئْهُ مَرماه
رِيعَ القريضُ بفذٍّ كانَ يملؤهُ   مِن الجميلينِ مَبناهُ ومَعناه
يُعطي لكلِّ مَقام حقَّهُ ويَرى   حقّاً لسامعهِ لابُدَّ يَرعاه
قد يُوسِعُ الأمرَ تفصيلاً يُحتِّمُه   حالٌ وقد يَكتفي عنهُ بفَحواه
وقد يجيءُ بما لم يَجْرِ في خَلَدٍ   وقد يقولُ الذي لم تهوَ إلاّه

فَـمٌ مـن الـذهب الإبريـزِ مَنطِقُـهُ ... جـاءتْ تُعـزّي بـه الأشـعارَ أفـواه
اليـومَ يبكيـهِ دامـي القلـبِ طارَحَـهُ ... بـداميـاتِ قوافيـهِ فواسـاه
وضـيِّقُ الصـدرِ بالأيـام غالطَـهُ ... عـنِ الحيـاةِ ومـا فيهـا فعـزّاه
حَسْبُ الزمانِ وحِسبُ الناسِ مَنقصةً ... أن طالَ من حافظٍ في الشِعر شكْواه
مـا للزمـانِ ونفـسٍ ريـعَ طائُرهـا ... ألمْ تكـنْ في غِنـىً عنهـا رزايـاه
ضَـحيَّةَ المـوتِ هـل تهـوى مَعـاودَةً ... لِعـالمٍ كنـتَ قَـبلاً مِـن ضَـحاياه
يـا ابـنَ الكِنانـة والأيـام جـائرةٌ ... والـدهرُ مُغْرَمـةٌ بـالحُرِّ بَلْـواه
لُقِّيـتَ مِـن نكَـدِ الـدُّنيا ومحنتهـا ... مـا كنـتَ لـولا إبـاءٌ فيـكَ تُكفـاه
ما لـذَّةُ العـيشِ جَهلُ العَيشِ مَبدؤهُ ... والهـمُّ واسِـطهُ والمـوتُ عُقبـاه
يـا ابـنَ الكِنانـة مـاذا أنـتَ مُشـتَمِلٌ ... عليـه ممّـا سَـطا مَـوتٌ فغَطّـاه
سِـتّونِ عامـاً أرتْـكَ النـاسَ كُنهَهَمُ ... والـدهرَ جـوهرَهُ والعُمْـرَ مَغـزاه
وبَصّرتـكَ بأطبـاعٍ يَضـيقُ بهـا ... صـدرُ الحلـيم وتأبـاه مَزايـاه
بَـدا عـلى نَفثَـاتٍ منـكَ خالـدةٍ ... عـيشُ الأبـاة ونُعمـاهُ وغُمّـاه
وخَبَّرتنـا القـوافي عـن أخـي جَلَـدٍ ... صُـلبِ الإرادةِ يُعْيـي الـدهرَ مأتـاه
خـاضَ الزمـانَ وأبـلاهُ مُمارسـةً ... لم يَخْـفَ عنـه خبـيٌّ مِـن ثنايـاه
وعَـنْ مصـارَعةِ الـدُّنيا عـلى نَشَـبٍ ... الحَـالُ تُوجبـهُ والـنفسُ تأبـاه
وعن مواقـفَ تُـدمي القلـبَ غُصَّتُها ... لا المـالُ يَـدفعُ ذِكراهـا ولا الجـاه
وعـن أذايـا يهـدُّ الـنفسَ مَحمِلُهـا ... ويَسـتثيرُك جانيهـا ومَـرآه
إنّـا فَقـدناهُ فقْـدَ العـيَنِ مُقلتهـا ... أو فقْـدَ سـاعٍ إلى الهيجـاءِ يُمنـاه
ما انفَكَّ ذِكرُ الرَّدى يجري على فمه ... ومـا أمـرَّ الـرَّدى بـل مـا أُحـيلاه

ومَــنْ تُــبَرِّحْ تَكــاليفُ الحيــاةِ بــه ... ويَلْمِــسُ الــرَّوْحَ في مَــوتٍ تمنَّــاه
إنّي تعشَّـقتُ مِـن قَبـلِ المُصـابِ بـه ... بيتـاً لـه جـاء قبـلَ المـوتِ يَنعـاه
ودَّعتُـهُ ودُمـوعُ العـينِ فائضـةٌ ... والـنَّفسُ جياشـةٌ والقَلـب أواه

***

فيصل السعود

عـلى سَـعةٍ وفي طُنَـفُ الأمـان ... وفي حَبّـات أفئـدةٍ حـواني
بقـرب أخـيهِا كرمـاً ولطفـاً ... وثـائرة يُسَرُّ الرافـدانِ
فتـى عبـد العزيـز وفيـكَ مـا في ... أبيـك الشْـهم مـن غُـررِ المعـاني
لأمـرّ مـا تُحـس مـنِ انعطـافٍ ... عليـك ومـا تـرى مـن مهرجـان
تأمـلْ في السُّـهول وفي الـروابي ... ومختلِـف الأبـاطح والمغـاني
ألسـتَ تـرى ارتياحـاً وانطلاقـاً ... يلـوح عـلى خمائلهـا الحسـان
وفي شـتى الوُجـوه تـرى انبسـاطاً ... ولـو في وجـه مكتئـب وعـاني
وذاك لأن كـلَّ بنـي سُـعودٍ ... لهـم فضـل عـلى قـاصٍ وداني
وأنَّهُـمُ الملاجـئ في الرزايـا ... وأنَّهُـمُ المطـامحُ والأمـاني
وأنـك والـذي أوفِـدْتَ عنـه ... أبـاك مـلاذةُ الحـر المُهـانِ
تسوسـون الرعيـة بالتسـاوي ... بفـرط العـدْل أو فـرط الحنـان
فـلا مثـلَ الجنـاة يُـرى بـريء ... ولا بَـدَلَ الـبريء يُعـافُ جـاني
لكـم في ذمـة الأحـرار دَيْـنٌ ... وأكـرِمْ بالمـدُين وبالمُـدان
أبـوكَ ابـن السـعود أبـو القضـايا ... مشرفـةً عـلى مـرّ الزمـان
ولَمـحُ الكوكـب المُلْقـي شُـعاعاً ... عـلى شُـعَب الجْزيـرة والمَحـاني

ورمــــزُ العبقريـــةِ في زمـــان ... بـــه للعبقريـــة كـــلُّ شـــان

لهـــا كُتِـبَ الخلــودُ ومــا ســواها ... بـــرغم دعايـــة الـــداعين فـــاني

ولم أر مثلَـــــــهُ إلا قلـــــــيلاً ... مهِيبـــاً في الســـماع وفي العِيـــان

كــأني منــه بــين يَــديْ هِزبَــرٍ ... أخــي لِبَــدٍ عــلى بُعــدِ المكــان

أقــول الشــعر محتفظــاً وئيــداً ... كــأني خــائفٌ مــن أن يــراني

وقــى اللهُ الحِجــازَ ومــا يليــهِ ... بفضــل أبيك مــن غُصَـصِ الهــوان

ومتَّــعَ ذلــك الشــعبَ المــوقَّى ... بســبع ســنينَ شــيقةٍ سِــمان

عــلى حــينَ اصــطلى جيرانُ نجـد ... بجمـــر لظـــىً وســـمّ الأفعـــوان

وقــد رقّــت لهــا حتــى عِــداها ... لكـــابوس بهـــا مُلقـــى الجِـــران

أرادَتْـــه اضــطراراً لا اختيـــاراً ... ولـــيس لهـــا بدَفْعَتِـــه يـــدان

فليــت الســاهرين عــلى دَمــارٍ ... فــداءُ الســاهرين عــلى الكِيــان

ومــا سِــيانِ مشــتملون حَزْمــاً ... ومشـــتملون أحزمـــةَ الغـــواني

تُحــاك لــه الدســائسُ تحـت ليـل ... مــن الشــحناء داجــي الطَّيْلســان

عــلى يــد مصــطلينَ بــهِ غِضــابٍ ... عـــلى عليائـــه حـــرِدِي اللســـان

وحُسّـــاد لـــذي شرف مَهيـــب ... رَمَـــوْا منـــه بسُـــلٍّ واحتقـــان

مــن القــوم الــذين إذا استُجيشــوا ... ذكـــا لأُنـــوفهم أَرجُ الجِنـــان

مشــى للنــاس وضّــاحاً وجــاءوا ... إلـــيهم تحـــت أقنعـــة القِيـــان

فقــل لهُــمُ رويــداً لا يَطيشــوا ... ولا يَغُـــرُرْهُمُ فـــرطُ التـــواني

فبالمرصـــادِ صِـــلٌّ أرقمـــيٌّ ... شـــديدُ الـــبطش مرهـــوبُ الجَنـــان

يُــريهِمْ غفلــةً حتــى إذا مــا تمــادَوْا ... في اللّجاجـــــة والحِـــــران

مشــى لهــم كــأروع مــا تــراه ... حديــدَ النــاب محتشــدَ الــدُّخان

وقــال لشــيخهم إن شــئتَ ... ألا أراك ترفعــاً أفــلا تــراني

إذا لم تَقْــوَ أن تبنــى فحايــد ... وكــن شَــهمْا يقــدِّرُ صــنعَ بــاني

مَشَــيْتُمْ والملــوكُ إلى مجــالٍ ... بــه أحــرزتُمُ قَصَــبَ الرِّهــان

فجــاء مقــامُهُمْ عــنكم وضــيعاً ... مقــام الــزَج زلَّ عــن السِّــنان

فــلا تحسَــبْ بــأن دعــاةَ سُــوءٍ ... تحــرَّكُ مــن فــلانٍ أو فــلان

ولا شــتى زحــاريفٍ ركــاكٍ ... ولا شــتى أســاليبِ هِجــان

تَحَــوَّلَ عَــنْكُمُ مجــرى قُلــوب ... موجهــةٍ إلــيكم بِــاتزان

يسُرُّ النــاسَ أنَّ فتــىً كــريماً ... يُسَرَّكــما يعــاني مــا يعــاني

ترفــع يــا سرور عــن القــوافي ... فإنــكَ لَلْغنــيُّ عــنِ البيــان

وَهبنــي كنــتُ ذا حَصَرٍ عِيِيّــاً ... وهبنــي كنــت منحبسَ اللســان

فــما قــدْرُ العواطــف والنوايــا ... إذا احتاجــت لنقْلِــة تَرجَمــان

***

الأنانية

أرى الــدهر مغلوبــاً وغالبــا ... فـلا تَعتِبَنْ لا يسمعُ الدهرُ عاتبا

ولا تكــذبنْ مــا في البريــة راحــمٌ ... ولا أنـت فـاترُكْ رحمةً عنك جانبا

تمكّــنَ ذو طَــوْلٍ فأصــبح حــاكماً ... وجنّـب مـدحوراً فأصـبح راهبـا

وفاتــت أناســاً قــدرةٌ فتمســكنوا ... ولم يُخْلقـوا أُسـداً فعاشـوا ثعالبـا

إلى روح « مكيافيــل » نفــحُ تحيــة ... وصـوبُ غـمام يـترك القـبرَ عاشـبا

أبــان لنــا وجــهَ الحقيقــةِ بعــد مــا ... أقــام الــورى ســتراً وحاجبــا

ولو رُمتُ للعَوْرات كشفاً أريتُكُمْ ... من الناس حتى الأنبياءِ عجائبا
أريتكُمُ أنَّ المنافعَ صُوِّرتْ ... محامدَ والحرمانَ منها معايبا
أريتكُمُ أنَّ ابنَ آدمَ ثعلبٌ ... يماشيك منهوباً ويغزوك ناهبا
لحفظ «الأنانياتِ» سُنَّتْ مناهجٌ ... على الخلق صَبَّتْ محنةً ومصائبا
يجرُّ سياسيٌّ عليها خصومَه ... ويدرك دينيٌّ بهنّ المطالبا
فإن ترني مستصرخاً من مُلِمَّة ... على الناس إذ لم أخدع الناسَ صاخبا
فليس لأني ذو شعور وإنّما ... أردتُ على الأيام عوناً وصاحبا
هي النفس نفسي يسقط الكلُّ عندها ... إذا سَلِمتْ فليذهبِ الكونُ عاطبا
بلى ربما أهوى سواها لأنه ... يَجُرُّ إليها شهوةً ومآربا
ولو مُكِّنَتْ نفسي لأرسلتَ عاصفاً ... على الناس يَذروهم وفجَّرتُ حاصبا
فلو كنت دينيّا اتخذت محمداً ... وعيسى وموسى حجة وركائبا
تناهبتُ أموالَ اليتامى أحوزُها ... وأجمعُها باسم الديانة غاصبا
ومهدتُ لي عيشاً أنيقاً بظلها ... ومتعتُ نفسي منه ثم الأقاربا
ولو كنتُ من أهل السياسة لم أدَعْ ... سناماً لمن أرتابُ فيهم وغاربا
تخذتُ الورى بالظن أُحصي خطاهُمُ ... ورُحْتُ لدقاتِ القلوبِ محاسبا
ولم أرَ في الإثم الفظيع اقترفتُه ... سوى أنني أدّيتُ للحكم واجبا
فإن لم أُطِقْ تهديمَ بيتٍ مصارحاً ... أتيتُ فهدَّمتُ البيوتَ مواربا
لجأتُ إلى الدُّسْتُور في كل شدةٍ ... أفسّر منه ما أراه مناسبا
وجردتُهُ سيفاً أمضَّ وقيعةً ... من السيف هنديا وأمضى مضاربا
أكُمُّ به الأفواهَ حقاً وباطلاً ... وأخْنُقُ أنفاساً به ومواهبا

أُهــدّمُ فيــه مجلســاً ليَ لا أُريــدهُ وإن ضمَّ أحـراراً غَيـارىَ أطايبـا
وأبنــي عليــه مجلســاً ليَ ثانيــا أضيّع « ألكاكـاً » عليـه رواتبـا
أُحشّــد فيــه أصــدقائي وأسرتي كما ضمّ بيتٌ أُسرةً وصـواحبا
فـإن لم تكـن هـذي لجـأتُ لغيرهـا أخـفَ أذىً منهـا وألـينَ جانبـا
أُرشحُ من لم يعرفِ الشعبُ باسمه أباعـدَ عنـه لفّقـوا وأجانبـا
أُسخّرهم طـوراً لـنفسي وتـارةً أصُبّ على الأوطان منهم مصائبا
وأغريـت بـالتلطيف أسْحَرُ شـاعراً وأغـدقت بـالأموال أخْدَعُ كاتبـا
فهـذا يسمى الجـورَ حزمـاً وحكمـةً وذلـك يعتـدُّ المخـازي مناقبـا
ولـو كنـتُ فنانـاً ولـو كنـتُ عـاملاً ولـو كنـتُ أُمياً ولـو كنـت كاسبا
ولـو كنـت مهـما كنـت فـرداً فـإنني لأجهَـدُ في تحطـيم غـيريَ دائبـا
ولا أعـرف التـاريخَ يهتـاج سـاخطا عليّ ولا الوجـدانَ يرتـدُّ غاضبـا
فـما كانـت الأعـذار إلا لخامـلِ وما كنت إلا طامحَ النفسِ واثبا
دعـوني دعـوني لا تهيجـوا لـواعجي ولا تبعثـوا منـي شـجوناً لَواهِبـا

****

أحمد شوقي

طـوى المـوتُ ربَّ القـوافي الغُـرَرْ وأصـبحَ « شـوقي » رهـينَ الحُفَـرْ
وأُلقِـيَ ذاكَ الـتُّراثُ العظـيمُ لِثقـلِ الـتّراب وضـغطِ الحَجـر
وجئنـا نُعـزّي بـه الحـاضرين كـأنْ لم يكـنْ أمـسِ فـيمن حضر
ولم يُنـتج السُّـوَرَ الخالـداتِ مـن المُلحقـاتِ بـأمِّ السُّـوَر
مـن الـلأّءِ يهتـزُّ منهـا النـديُّ ويُطـربُ إيقـاعُهُنَّ السَّـمر

بـــرغم الشُــعورِ يشُــلُّ الــبِلى لســـانَكَ أو يعتريـــكَ الكـــدَر
وأن يقطـــعَ المــوتُ ذاك النشـــيدَ وأن يأكـــلَ الـــدودُ ذاكَ الـــوتَر
وأنّــا نعـــودُ بـــنفضِ الأكـــفِّ عنـــكَ وأنـــتَ العظـــيمُ الخَطَــر
فيــا لـــكِ مـــن عِـــبرةٍ يُســـتفزُّ منهـــا عـــلى كثـــرةٍ في العِـــبَر
زمـــــــانٌ وفيٌّ بميعــــــادهِ فظُلـــماً يقـــالُ ليـــالٍ غُـــدُر
كـــما يُقْـــرعُ « الجَـــرْسُ » للناشـــئينَ تـــأتي إلى النـــاس منـــه النُّـــذُر
ولكـــن يُريـــدُ الفتـــى أنْ يـــدوم ولـــو دامَ ســـادَ عليـــه الضـــجر
ويـــأبى التنـــازعُ طـــولَ البقـــاء وتأبـــاهُ بُقْيـــا نفـــوسٍ أُخـــر
وقـــد يُهلـــكُ النـــاسَ فـــردٌ يعـــيشُ حينـــاً فكيـــف إذا مـــا اســـتمر
فلّلـــهِ مـــن شـــارع لم يَعُقْـــهُ حكـــمُ الضرورةِ أو مـــا نـــدَر
ســـواءٌ صـــليبُ الصـــفا والزجـــاج كسراً بكـــفِّ القضـــا والقـــدَر
وبالـــدهرِ في النـــاسِ مثـــلُ الجُنـــون فلـــيس يُبـــالي بمـــنْ ذا عثـــر
وحـــتمٌ عـــلى الخفـــرِ الآنســـات والوحـــوش حشرجـــةُ المُحْـــتَضَر
تجـــيءُ إلى الصـــدرِ تحـــتَ الحريـــر كجيئتهـــا الصـــدرَ تحـــتَ الـــوَبر
وكـــلُّ الفـــوارقِ بـــينَ اللغـــاتِ وبـــينَ الطبـــاعِ وبـــينَ الأسَر
ســـيُوقِفها للـــردى زائـــرٌ ثقيـــلُ الـــورودِ بغـــيضُ الصَّـــدر
فيـــا صُـــفرةَ المـــوتِ إنَّ الوجـــوهَ تَســـاوى بهـــا صَـــلَفٌ أو خَفَـــر
تحَـــيرْتُ في عِيشـــةِ الشـــاعرين أتحْلـــو خُلاصـــتُها أم تَمُـــرّ
فقـــد جـــارَ « شـــوقي » عـــلى نفســـهِ وقـــد يقتُـــلُ المـــرءَ جَـــورُ الفِكَـــر
عـــلى أنّـــه لم يعِـــشْ خالـــداً خلـــودَ الجديـــدَينِ لـــو لم يَجُـــر

تتبَّعْتُ آثارَ « شوقي » وقد ... وقفتمْ على من يقصُّ الأثر

لقد فاتَ بالسبقِ كلَّ الجيادِ ... في الشعر هذا الجوادُ الأغرّ

ترسَّلَ لم يَرْتَبِكْ خَطوُهُ ... عناءٌ ولا نال منه البَهَر

« شَكِسْبيرُ » أُمَّتِهِ لم يُصِبْهُ ... بالعِيِّ داءٌ ولا بالحَصَر

كأن عيون القوافي الحسن ... من قبل كانت له تدخر

وإن أصدُقَنَّ « فشوقي » لهُ ... عيونٌ من الشعرِ فيها حَوَر

تعرَّضه من طلاءِ البيانِ ... ومن زِبْرِج اللفظ دربٌ خطِر

ولو خافَ مثلَ سِواه العُبُور ... لخابَ وزلَّ ولكنْ عَبَر

تمشَّى لمصطلحاتِ البديع ... مُندسَّةً في البيانِ النَّخِر

فأفرغها من قوافيهِ في ... قوالبَ مرصوصةٍ كالزُّبُر

ولاءم بين أفنينها ... وبين أفانين ما يبتكر

فجاءَتْ كأنْ لم تنَلْها يدٌ ... خلافَ يدِ الماهرِ المقتدِر

يُذلِّلُ من شارداتِ القريضِ ... ما لو سِواهُ ابتغاهُ لَفَر

ويستنزلُ الشِعَر عذبَ الرُّوءِ ... كصوبِ الغمامةِ إذْ ينحدِر

يُمَيِّزهُ عن سِواه الذَّكاءُ ... وطولُ الأناةِ وبُعدُ النظَّر

وتبدو الرجولةُ في شِعره ... منزَّهةً من صعيِّ أو صَعر

وفي كِبَرِ النَّفْس مندوحةٌ ... عن الكبرِ شأنُ الضعاف الكبر

ولم يتخبَّثْ بهُجْرِ الكلام ... ولم يتصيَّدْ بماءٍ عكر

وديوانُ « شوقي » بما فيه ... من صنوفِ البداعةِ روضٌ نضر

فبيتٌ يكادُ من الارتياح ... واللطفِ من رِقَّةٍ يُعتْصَر

وبيتُ يكادٌ من الاندفاع ... يقدحُ من جانبيهِ الشَّرَرَ

وبيتٌ كأنَّ «رُفائيلَ» قد كساهُ ... بكفَّيْهِ إحدى الصُوَر
تُحِسُّ الطبيعةَ في طيَّةِ ... تَكشَّفُ عن حُسنها المستتر
كأنَّكَ تسمعُ وقعَ النَّدى ... بتصويرِهِ أو حفيفَ الشَّجر
وبيتٌ ترى «مصرَ» أسيانةً ... تُناغي بهِ مجدَها المندثر
ففي مصرعٍ يومُها المبتلى ... وفي مصرعٍ أمسُها المزدهر
و«فرعونُ» إذ ينطوي مُلْكُهُ ... و «فرعونُ» في القبرِ إذ يَنْتَشِر
وديوانُ «شوقي» يُجِدُّ الشبابَ ... لتأريخِ أُمتَّهِ المُختَصَر
ولولا المغالاةُ قلتُ: انطوى ... بمنعاهُ عُنوانُها المُفْتَخَر
فيا نجلَ مصرَ وفَتْ برَّةً ... بذكراكَ «مصرُ» وأنتَ الأبَرّ
مثاتُ الصحائفِ مسودةٌ ... مُجلَّلَةٌ بمثاتِ الصُور
ظهرتَ بها وجناحُ البيانِ ... مهيضٌ وأسلوبُه مُحتقَر
بقايا من الكَلِمِ الباقياتِ ... تناقَلَها نفرٌ عن نفر
ولفظٌ هجينٌ ثوَتْ تحتَهُ ... معانٍ لِقلَّتِها تحتكر
وحسبُكَ من حالةٍ رثَّةٍ ... بفرطِ الجمودِ لها يعتذر
فكنتَ وعِلَّتها كالطبيبِ ... يُنْعِش جسماً عراهُ الخَوَر
تُعَلِّمُها أنَّ للعبقريِّ حكْماً ... مُطاعاً إذا ما أمر
وأنَّ القوافي عِبِدَّى لهُ ... يُفَرِّقُ أشتاتَها أو يَذَر
يصوغُ المعاني كما يشتهي ... ويلعبُ باللفظِ لعبَ الأكر
«عُكاظُ» من الشعرِ تحتلّهُ ... ويرعاهُ «حافظُ» حتى ازدهر
تلوذُ الوفودُ بساحَيْكُما ... وتأتيهِ من كلِّ فجٍّ زُمر

تُبَجَّـلُ فيـه مزايـا الشُّـعور — عـلى حـينَ في غـيرِهِ تُحتَقَـر
وتَنسـى الضـغائنُ في سـاحةٍ — بهـا كـلُّ مكرُمـةٍ تُـذَّكر
وأنـت كصـمامةٍ مُنـتضىً — و«حـافظُ» كـالأبلقِ المشـتَهَر
تمشَّـى بـإثْرِكَ في شِـعره — ومـاتَ وأعقبَتَـهُ بـالأثر
بقـدْرِ اخـتلافِكما في النُبـوغ — كـانَ اخـتلافُكما في العُمُـر
فـلا تَبعُـدا إن شـأنَ الزمـانِ — أنْ يُعقِـبَ الصـفوُ منـه الكَـدَر
عـزاءُ الكِنانـة أنَّ القـريضَ — تـأمَّرَ دهـراً بهـا ثـمَّ فَـر
بنجمـينِ كانـت تبـاهي السـما — ومـا في السـما مـن نجـوم كُثُـر
بشـوقي وحـافظَ كانـت متـى — تُنـازلْ بمعركـةٍ تَنـتصِر
فهـا هـي قـد عَريـتْ منهما — وهـا هـي مـن وحشـةٍ تَقْشَـعِر
فـلا تحسـبنْ أنَّ طـولَ البكـا — يـذودُ الأسـى أو نِثـارَ الزَهـر
خسرنـاكَ كنـزاً إلى مثلِـهِ — إذا أحْوَجَـتْ أزمـةٌ يفتقـر
ومـا كنـتَ مـن زمـنِ واحـدٍ — ولكـنْ نِتـاجَ قُـرونٍ عُقُـر
مضى بالعروبـةِ دهـرٌ ولمْ — يَلُـحْ ألمعـيٌّ ومـرت عُصُر
وإن النُبـوغَ عـلى مـا يُحـيطُ — بعـيشِ النوابـغ أمـرٌ عَسِر
يثـيرُ اهتمامـاً أديـبٌ يجـد — كـما قيـلَ نجـمٌ جديـدٌ ظهـر
قـرونٌ مضـتْ لم يسُـدَّ العـراقُ — مِـن المتنبـي مكانـاً شَـغَر
ولم تتبـدلْ سـماءُ الـبلادِ — ولا حـالَ منهـا الثَّـرى والنَّهـر
ولم يتغـيرْ عَـروضُ الخليـل — ولا العُـربُ قـد بُـدلّوا بـالتَتَر
ولكِـنَّها تُنْـتُجُ النـابهينَ — مـن الشـاعرينِ دواعٍ أُخَـر
فـإنْ فُقِـدَتْ لم يشـعَ الأريـبُ — إلا ليخبـو كلمـح الـبَصَر

القرية العراقية

رونقٌ شاع في الثَّرى وعلى الروضةِ لطفٌ من السَّما مسكوبُ
ما أرقَّ الأصيلَ سال بشفَّافِ شعاع منه الفضاءُ الرحيب
كلُّ شيءٍ تحت السماء بلونٍ شفقيٍّ موردٍ مخضوب
وكأن الآفاقَ تحتضِنُ الأرضَ بآصالِها إطارٌ ذهيب
مَتِّع العينَ إنَّ حُسناً تراهُ الآنَ من بعدِ ساعةٍ منهوب
والذي يخلَعُ الأصيلُ على الأرض بكفِّ الدُّجى أخِيذٌ سليب
منظرٌ للحقولِ إذ تُشرقُ الشمسُ جميلٌ وإذ يَحينُ الغروب
ولقد هزّني مسيلُ غدير مِنْ على جانبيهِ روضٌ عشيب
يُظهِر الشيءَ ضدُّه وتُجارى بسواها محاسنٌ وعيوب
وكذاكَ المرعى الخصيبُ يُحلّيه إلى الناظرينَ مرعىً جديب
ثمَّ دبَّ المَساءُ تَقدُمه الأطيارُ مرعوبةً وريحٌ جَنوب
وغناءٌ يتلو غناءً ورُعيانٌ بقُطْعانِهم تَضيقُ الدروب
يَحبِسُ العينَ لانتشار الدياجي في السَّما منظرٌ لطيفٌ مَهيب
شفَقٌ رائعٌ رويداً رويداً تحتَ جُنح من الظلام يذوب
وترى السُحبَ طيَّةً تِلوَ أُخرى قد أُجيد التنسيقُ والترتيب
وتراها وشعلةَ الشفقِ الأحمرِ تبدو أثناءها وتغيب
كرَمادٍ خلاَّهُ وانزاحَ عنه قبسٌ وسْطَ غابةٍ مشبوب
ثمَّ سدَّ الأفقَ الدُّخانُ تعالى من بيوتٍ للنارِ فيها شُبوب
منظرٌ يبعثُ الفراهة والأُنسَ لقلبِ الفلاّح حين يثوب

يعـرفُ اللقمـةَ الهنيئـةَ في البيـتِ … مُجـدٌّ طـولَ النهـار دَءوب
بُرهـةً ريـثما انـقضى سـمرٌ … تقطـرُ لطفـاً أطرافُـه وتَطيـب
واستقلَّ السريـرَ أو حُزمـةَ القشِّ … أريـبٌ نِضْـوٌ حريـبٌ تَريـب
سـكنَتْ كـلُّ نأمـةٍ واستقرَّتْ … واستفزَّ الأسماعَ حتَّـى الـدَّبيب
واحتـواهمْ كـالموتِ نـومٌ عميـق … وتغشَّـاهُمُ سـكونٌ رهيـب
ولقـد تَخـرِقُ الهـدوءَ شُـويهاتٌ … وديـكٌ يـدعو وديـكٌ يُجيـب
أو نـداءاتُ حـارسٍ وهـو في … الأشـباح لاحـتْ لعينـه مستريب
أو صـدَى « طَلقـةٍ » يبيـتُ عليهـا … أحـدُ الجـانبينِ وهـو حريـب
تـركَ الـزارعُ المَـزارعَ للكلـب … فأضـحى خلالَهـنَّ يجـوب
شـامخٌ كالـذي يُنـاطُ بـه الحكـمُ … لـه جَيئـةٌ بهـا وذُهـوب
كـانَ جُهـدُ الفـلاّح خفَّـف عنـه … جَهـدهُ فهـو مُسـتكِنٌّ أديـب
وهـو في الليـلِ غيرهُ الصبحَ وحشٌ … هـائجٌ ضـيِّق الفـؤادِ غَضـوب
فـاحصٌ ظُفْـرَه ونابيـهِ أحـلى … مـا لديـهِ أظفـارهُ والنُيـوب
إنَّـه عـن رِعايـة الحَقـلِ مسـئول … عـلى تـرك أمـره معتـوب
وكثـيراً مـا سرَّه أنَّـه بـات … جريحـاً ورأسُـه مشـجوب
لـيرى السـيّدُ الـذي نـاب عنـه … أنَّ حيوانَـه شُـجاعٌ أريـب
ولكـيلا يـرى مُسـامحةً … يَعـدِلُ منهـا لغـيره ويُنيـب
للقُريَّـاتِ عـالَمٌ مُسـتقِلٌّ … هـو عـن عـالَمٍ سـواه غريـب
يتسـاوى غـروبُهم وركـودُ الـنفس … منهم وفجـرهُم والهبُـوب
كطيـور السـماءِ همّهُـمُ الأوحدُ … زرعٌ يرَعْونـه وحبـوب
يلحظـون السـماءَ آنـاً فآنـاً … ضحكُهم طوعُ أمرها والقُطوب

أتُــرى الجــوَّ هادئــاً أمْ عَصــوفاً　　أتصــوبُ السـماء أمْ لا تصــوب
إن يـومَ الفلاّح مهـما اكتسى حُسـناً　　بغــير الغيــوم يــومٌ عصــيب
وهـو بـالغيم يخنقُ القلـب والأفـقَ　　جميـــلٌ في عينــه محبــوب
للقُـــرى روعـــةٌ وللقــرويِّين　　إذا صــابَ أرضــهم شُــؤبوب
تُـبْصِرُ الكـلَّ ثـمَّ حتـى الصَّـبايا　　فــوقَ سِــيمائهم هنــاءٌ وطِيــب
يُفــرِح البيــتَ أنَّــه سـوف تُمسي　　بقــراتٌ فيــه وعنــزٌ حَلــوب
ويـــرى الطفـــلُ أنَّ حصــتَّه　　إذْ يُخصـبُ الوالـدان ثـوبٌ قشـيب
أذكيــاءٌ عيــونُهم تسـبقُ الألسُــنَ　　عــــمّا ترومـــه وتنـــوب
والـذي يَسـتمدُّ مـن عـالم القريـةِ　　وَحيـــاً وعيشـــةً لَلبيـــب
مطمئنـــونَ يحلُمـــونَ بـــأنَّ الخـــيرَ　　والشرَّ كُلّـــــهُ مكتـــوب
لا يطـيرونَ مـن سرورٍ ولا حـزنٍ　　شَــعاعاً.. لأنــه محســوب
ولقـد يغضَـبون إذ ينـزلُ الغيـثُ　　شـحيحا والأرضُ عطشـى تلـوب
أتُــرى كــانَ يعــوِز اللهَ مــاءٌ　　لــو أتــتْ دِيمـةٌ علينـا سَـكوب
ثـمَّ يسـتفظعون إثـمَ الـذي قـالوا　　فينـــوونَ عنـــدهُ أنْ يتوبـــوا
فــإذا الشــمسُ فــوقهم فيقولــون　　أعُقبــــى إنابــــةٍ تعــــذيب
أفإيمانُنـــا بعيـــدٌ عــنِ الخــيرِ　　وُكفرانـــنــا إليـــه قريـــب
هكـذا يَرجِـعُ التقـىّ أمـامَ العقـلِ　　وهـــو المشـــكِّكُ المغلـــوب
قلـتُ إذ رِيـعَ خـاطري مـن مُحيطٍ　　كــلُّ مــا فيــه مــوحشٌ وكئيــب
لـيس عـدلاً تشـاؤمُ المـرء في الـدنيا　　وفيهــا هــذا المحــيط الطَـروب
مِــلءُ عينيـــكَ خضرة تســتسرُّ　　الـنفسُ منهـا وتُسـتطار القلـوب

عنـدَهم مثـلَ غـيرِهم رغبـاتٌ وعلـيهمْ كـما عليـه خطـوب

غـير أنّ الحيـاةَ حيـثُ تكـونُ المـدنيَّاتُ جُلّهـا تعـذيب

كلَّـما اسـتُحدثتْ ضروبُ أمـانٍ أعقبتهـا مـن البلايـا ضروب

وكـأنَّ السرورَ يُـومِض برقـاً مـن خِـلال الغيـوم ثـمَّ يَغيب

لا تـرى ثَـمَّ غـيرَ أن يـتركَ الحـبُّ شـحوباً وجهـاً عـلاهُ الشحوب

ثم لاشيء عن سنا الشمس ممنوعٌ ولا عـن طلاقـةٍ محجـوب

الهـواءُ الهبَّـابُ والنـورُ.. والخضرةُ تـأتي مـا لـيس يـأتي الطبيب

ثـمّ باسـم الحصـادِ في كـلّ حقـلٍ تتنـاجى حبيبـةٌ وحبيـب

قـال فـردٌ مـنهمْ لأخـرى وقـد هَـيَّجَ نفسـيهما ربيعٌ خصيب

طـابَ مَنشـا زروعِنـا فأجابـت إنَّ نشـئاً يرعـاهُ كُـفءٌ يطيـب

قال ما أصبرَ الحقولَ على الناسِ فقالـتْ ومـثلُهنَّ القلـوب

إنّ مـا تفعـلُ المناجـلُ فيهـا دونَ مـا يفعـلُ الشجا والوجيب

يـنهضُ الـزرعُ بعـدَ حصـدٍ وقـد يُجتـثُّ مـن أصـله فـؤادٌ كئيـب

يـا فـؤادي المكـروبُ بعثـرَكَ الهـمُّ كـما بُعثِـرَ الثـرى المكـروب

وعيـوني هـلاّ نَضبتِ وقـد ينضبُ مـن فـرطِ مـا يسـيل القليـب

عنـدَهم منطـقٌ هنالـكَ للحـبِّ جميـلٌ وعنـدَهم أُسـلوب

ولهـم في الغـرام أكْثَـر ممّـا لسـواهمْ مضـايقٌ ودروب

مُلَـحٌ خُصصِّـتْ لهـم ونِكـاتٌ ملـؤهنَّ الإبـداعُ والتهـذيب

ثَـمَّ تحـتَ السـتارِ ممتَلـكٌ بالحـبِّ عفـواً ومثلُـه مغصـوب

إنهـمْ يُـذنبونَ ثـم يقولـون محـالٌ أنْ لا تكـونَ ذُنـوب

نحـنُ نبـتُ الطبيعـةِ البكـرِ فينـا حسـناتٌ منهـا وفينـا عيـوب

بنتُنا وابنُنا معاً يرقُبانِ الزرعَ	والضرعَ والضمير رقيب
ليس ندري ما يفعلانِ	ولا نعلمُ عمَّا زُرّتْ عليه الجيوب
ما علينا ما غابَ عنَّا	فعندَ الله تُحصى مظاهرٌ وغيوب
غيرَ أنَّا ندري وكنَّا شباباً	نتصابى أنَّ الجمالَ جَذوب
والفتى ما استطاعَ مُندفِعٌ	نحو الصباباتِ والفتاةُ لَعوب
بالتصابي يُذكي الشبابُ ويغترُّ	كما بالرِّياح يُذكى اللهيب
ثمّ عندَ اللقاء يُعرفُ إن كان	هناكم « نجيبةٌ » أو نجيب
إنّ بعضَ الرجال يبدو أمامَ الحبِّ	صُلباً والأكثرون يذوب
والتجاريبُ علَّمتنا بأنّ المرءَ	غِرٌّ يُقيمه التجريب
ليس بِدعاً أن نَستريبَ ولكن	نتمنَّى ألاّ نرى ما يُريب
ليس فينا والحمدُ لله حتى الآنَ	بيتٌ « إناؤهُ مقلوب »
فإذا كانَ ما نخافُ فهرقُ	الدّم سهلٌ كما تُراقُ ذَنوب
منطقٌ للعقولِ أقربُ ممَّا	يدَّعيه أخو عَفافٍ مُريب
ولقد يرمزونَ « عنَّا » بأنَّا	كلُّ ما في محيطنا مَثلوب
فيقولون: قد تطيحُ من العارِ	بيوتٌ وقد تثورُ حروب
والخَنا سُبَّةٌ علينا ولكن	في القُرى كلُّ ناقصٍ مسبوب
عندنا كالفتى « الخفيفِ » لئيمٌ	وجبانٌ وغادرٌ وكذوب
يُخجِلُ الناسَ في القُرى أنَّ فرداً	من أولاءِ عليهمُ محسوب
إنَّه من خصائص المدنيَّاتِ	إليها شنارهُم منسوب
في القُرى يوسعوننا وصماتٍ	مُخجِلٍ أمرها « البداةَ » مَعيب

فيقولونَ كلُّ شيءٍ صريح عندنا ... عندكم خليطٌ مَشوب
شُوِّشَتْ منكم وسيطتْ سِماتٌ ... ولُغاتٌ ولهجةٌ وحليب
إنَّكم من نماذج العَربِ الساطِينَ ... ظُلماً عليهم تعريب
كجليبٍ من البضائع يأتيكم ... من العالمينَ وجةٌ جليب
هو منكمْ كالأهلِ في كلِّ شيءٍ ... وهو فينا عن كلِّ شيءٍ جنيب
إنَّكم تمدحونَ خُبثاً وعدواناً ... وغدراً كأنما المرءُ ذيب

***

صورة للخواطر

أنا إنْ كنت مُرهقاً في شبابي ... مُثقلاً بالهموم والأوصابِ
فمتى أعرف الطلاقةَ والأنسَ ... ألَّما أكونُ تحت التراب
خبَّروني فإنني من لُباناتي ... وعيشي رهينُ أمرٍ عُجاب
أيُّ حالٍ هذي.. وما السرُّ في ... تكوين خلقٍ بهذه الأعصاب
أبداً ينظرُ الحوادثَ والعالمَ ... والناسَ من وراءِ ضَباب
ليس شيءٌ من التجانس في نفسٍ ... نواسيَّةٍ وعيشٍ صَحابي
شمتتْ بي رجعيَّةٌ ألهبتها ... فكرةٌ حرَّة بسوطِ عذاب
وشكتني مسرَّةٌ وارتياحٌ ... وبكتني مُجانةٌ وتصابي
تدَّعيني لِما وراء ثيابِ البعض ... نفسٌ سريعةُ الإلتهاب
فتَراني وقد حُرِمت أُسلّي ... النفس عنها بلمس تلك الثياب
فإذا لم تكنْ تعوَّضْتُ عنها ... صُوراً من تخيّلاتٍ عِذاب
ولقد تخطر «المباذل» في بالي ... بشكلٍ يدعو إلى الاضطراب

أو بشــــكل يـــدعو إلى اســـتحياء　　أو بشـــكل يـــدعو إلى الإعجـــاب

فـتُراني مفكـراً هـل مواتـاة الـتراضي　　أحـــــلى مـــــن الاغتصـــــاب

وهـل « الفَعلـةُ » التـي خنـتُ فيهـا　　خَلَّتـــي والتـــي دعـــت لاجتنـــابي

والتـــي جِئتُهـــا أُكفّـــر عنهـــا　　بكتـــابٍ أردفتـــه بكتـــاب

كنـت عـينَ المصـيب فيهـا وكانـت　　فَعلـةٌ مثـلَ تلـك عـينَ الصـواب

بشر جـــاش بـــالعواطف حتـــى　　جذبتـــهُ جريمـــةُ الارتكـــاب

أم تُـــراني لبســـت فيهـــا عـــلى　　حـــين انـــدفاع منـــي لبـــاسَ ذئـــب

أتُراهـــــا نتيجـــــة الشرب أم　　أنيَ ظلـــماً ألصـــقتها بـــالشراب

***

أفروديت

ثُمَّ نادت « جالاً »

وكانت من الرقَّةِ ..

كالماءِ إذ يَهُزُّ الخَيالا

من بنَاتِ « الهنودِ »تعرفُ ما يُرضي الغواني ..!

وما يَزِينُ الجَمالا ..!

مَنْ أتى أمسَ ..؟

خبّريني..؟

ألا تدرِينَ ..؟

كلاّ .. فلستُ أُحصي الرِّجالا..!!

أجميلٌ فلم أُمتَّعْهُ

إذ نِمْتُ عميقاً ممَّا لقِيْتُ الكلالا؟

ومتى راحَ..؟

في الصباح..؟

ألا يرجعُ ؟

ماذا أبقى ..؟

أغادَرَ شيًا..؟

ناوليني أساوِري

فأتتْها بصُنَيْدِيقَ .. أودعتْهُ حُليًا

رفعتْ عندَها ذراعينِ

سُبْحانَ الذي يَخْلُقُ الجمالَ السَّويًا!!

إنَّ نفسي « جالا ».. تَفيضُ هناء

لو توصَّلْتُ أنْ أُميتَ حبيبا

مِن أُولاءِ الذين يلقَوْن داء

فيخالُونَ أنَّ فيَّ الطَّبيبا ..!!

يجهلون انتقامةً .. واشتهاء !

فيموتونَ تحتَ سوطِ عذابي

ثُمَّ أمشي عليهمُ مِشيةَ الطاووسِ

أحْثُو وجوهَهُمْ بالترابِ ..!

هؤلاءِ الذين أطلُبُ لا السَّاعينَ نحوي

جِسماً بغير فؤادِ ..!!

المَساكينُ ..! هُمْ بوادٍ .. ومَنْ يطْلُبُ صَرعى الحُبِّ المُميتِ

بوادي ..

***

سَفَهاً أنْ أُريدَ مِمَّنْ أُناديه ابتياعاً ..

تعلّقاً بجمالي ..

لستُ أرضى صَيْداً كأولاءِ ..يَلْتفُّ عليهم

حتى شِراكُ نِعالي ..!!

لم تكنْ هكذا السّنونَ الخوالي

حيثُ كانَ الغرامُ شيئاً بديعاً

إذ يجيءُ الأرضَ الإلهُ

يَزيدُ البَشَرِيَّاتِ حُرقَةً وَولُوعا

***

يا تُرى أينَ أستطيعُ اللقاء!

برجالٍ يُسخِّرونَ الرِّجالا

أيُّ غابٍ يحويهمُ .. وفراشٍ

فوقَهُ يُصبِحون أدنى مَنالا

أصلاةً يبغُونَ حتى يُثيروا ..رغباتي؟

فَلْتَصْعَدِ الصلواتُ ..

وَهَبيهِم ينأوْنَ عن رؤيةِ الأرضِ

هَبيهِمْ شاخوا .. هَبيهِم ماتوا ..!

أفَتُردى مثلي .. ولم تُرْوَ مِمَّنْ

تتلَظَّى لأجلهِ الرَّغَباتُ .

***

وتمشَّتْ مهتاجةً .. يتمشَّى العُجْبُ

والحسنُ في الدماءِ غزيرا

نحوَ حَمَّامِها تَرى مِن خلال الماءِ ..فيهِ

ما يَستثيرُ الغُرورا.!

جسمَها اللدْنَ .. والغدائرَ تنسابُ

كما أرْخَتِ العذارَى سُتوراً !

وخريرُ المياهِ في السمعِ كالقُبْلةِ ..حرّانةً

تَهيجُ الشُعورا..!

عبدَتْ نفسَها .. فداعَبَتِ النَّهدينِ بالشَّعْرِ

غِبطةً وحُبُورا..!

***

خرَجَتْ والنهارُ تنطفئُ الشُعلةُ منه

والليلُ يرخي السُدولا ..

تتهادى مُرتاحةَ البالِ ..لا تُعنى..

بأنْ لم تكن حَصاناً بَتولا !!

ومشَتْ نحوَها تَديفُ بذَوْبِ العِطرِ « جالا »

مِن فوقها المنديلا ..

وأمرَّتْ على المحاسنِ منها من نَتاجِ « الهندِ »

المُثيرَ الميولا ..

***

ثُمَّ قالت غنّي : فغنَّتْ ..

وهل أبدعُ مِن وصْفِ « أفروديتَ » غناء ..؟

آيةُ الفنِّ.. والبداعةِ يَلقى عاشقُ الفنِّ عندَها

ما يشاءُ ..

لكِ رأسٌ كدَوْرَةِ البدرِ .. غطتَّه منَ الشَّعْرِ

غَيْمةٌ سوداءُ..

يبتدي منه مُرْسَلاً « سَعَفُ النَّخْلِ » !

له عندَ أخْمَصَيْكِ انتهاءُ ..

أو كنهرٍ يجري بوادٍ

غروبُ الشمسِ أهداه ظِلَّه ..والمَساءُ

***

لكِ – كالبركتَيْنِ تحتَ ظِلالِ السرَّوِ رَقًا وأوغْلا

عينانِ ..!

لك – كالزَّهْرتينِ صُبَّتْ دماءٌ　　مِن غزالٍ عليهما

شَفتانِ !

لكِ كالخنجرِ المُغطَّى بذاكَ الدمِ مُخضوضِباً !

شقِيقُ لسانِ

لكِ نحرٌ كما تبلَّجَ للصُبْحِ عَمودٌ

ضَوَّى به المَشْرِقانِ

لكِ صدرٌ كسَلَّةِ الزَّهْرِ

بالنَّهدَينِ نَطَّت فُوَيْقَهُ زَهْرتانِ !

واستقامتْ كَمِثْلِ أعمِدةِ العاجِ

الذِّراعانِ منكِ والفَخِذانِ !

لكِ تلك المُدوَّراتُ ..! حُلِيٌّ مُبْهِرٌ

صُنْعُ مُعْجِزٍ فَنَّانِ

لكِ بَطنٌ كأنَّها مُخْمَلُ الدِّيباجِ !

أو « ثوبُ » أرْقَطٍ ثُعبانِ

رُزِقَتْ « سُرَّةً » كلؤلؤةِ الغَوّاصِ

قد رُكِّزَتْ على « فنجانٍ » !!

لكِ – مثلَ الهِلالِ مِن خَلّل الغابةِ يبدو –

« رَفع » رفيعُ مكانِ !!

وهُنا.. كَفَّتِ الوصيفةُ لا تسطيعُ قولاً

عَما يلي الرَّفْغَ منها

وانبَرَتْ « أفروديتُ » تُوحي إلى « جالا »

بحُسْنِ الذي تخبَّأ عنها !

هو في الشكلِ : مِثلُ قوقَعةِ الماءِ

وفي الحُسْنِ زَهْرةُ الجُلنَّارِ!!

مُلِئتْ زُبْدَةً.. وشَهْداً.. وعطرا هو كالكَهْفِ دافئاً.. !!

كالمغارِ !

رَطِباً !.. مَلجأُ الرّجالِ السِّفارِ

وهم سائرونَ للموتِ قَسْرا

فأتمت« جالا » :

أَجَلْ !

ومخيفٌ .. طافحُ الجَنْبَتين بؤساً وشرا

وجه « ميدوزَ » ! ساخطاً

يَلْعَنُ الناظَر في وجهه فيرتدّ صخرا!!

***

من صباها ..

مشى إليها خَيالُ

يَتغذّى به الهوى والدَّلالُ

وخيالٌ في مَهْدِهِ ما يَزالُ

وخيالٌ يَدِبُّ ..

رِخواً ضئيلا

وخَيالٌ أضفتْ عليه سُدولا

واستعاضت بالصمتِ عنه بديلا

وخيالٌ أردته..

شِلْواً قتيلا

فهو خصمٌ لزهوها قتّالُ

كلّما غرّها الصِبا والجمال

هاجَ من عيشها ادِّكاراً ذليلاً

وأحسّتْ حِمْلاً بذاك ثقيلا

ومن الذكرياتِ ....

رفّتْ ظِلالُ ..

***

وترامى من « الظِلالِ » عليها

ما يُثيرُ الصِبا..

ويُذكي الغراما ..

ويديف اللذات والآلاما

ويمّجان :

يقظة ومناما

ويعنّي بِثقْلها الأياما

وتَفَيّتْ « بغيمتينِ » ظلالا

يستبدان « مُكثةً » وانتقالا

فمن الشعر ما يُظِّل الغمامُ

ومن الذكريات ما يعتام

ومن الذكريات ما يستام

بسمةً.. أو كآبةً.. أو ذهولا

أو مُضِّياً على السُرى ..

أو قُفولا

***

ومن الذكرياتِ ما يتغنَّى

في قرار النّفوس ..

لَحناً فلَحنْا

ومَطافُ الخيالِ وهو المُعنّى

بانبعاث الأنغامِ ..

أُنساً وحُزْنا

يتحدّى قلباً ..

ويُرهفُ أُذنا

بصدىً كلّما تجدّد رنّا

ويعودُ الصّدى ...

فيذكي الجَنانا

ويعود الجَنانُ ..

يَبْغي بيانا

***

نَثَرَتْ شَعْرَها على كتَفِيَهْا

نثرةً خيرَ ما تكونُ لديها

واستدارت وَهْناً على عقبِيْها

فبدا جانبٌ ..

ولَوَّحَ ثاني ..

وأرتها المرآةُ لُمحَ بيانِ

عن خَيالين.. ثَمَّ يرتجفانِ

وبقايا ظِلَّيْنِ يَصطَرِعان

***

ثم لَمَّتْ فُضُولَه بيديها

فَمَشَتْ لَمَّةٌ على نَهدْيها

فتمشّى الضِرامُ في حَلْمَتيها

فأطلاّ ..

وثْباً من الذِروتينِ

مثلمَا صكَّ عاصِرٌ حبّتينِ !

***

وتمطت كأفعوانٍ تلوّى

فهو يَشوي بسّمِّهِ..

وهو يُشوَى

وهو يُروى بلدغةٍ ..

وهي تُروَى:

إذ ترى جسمَها المميتَ الفظيعا..

وشباباً غضّاً...

وخَلْقاً بديعا

وثماراً شهيةً ! وزُروعا ..

نُثِرَتْ فوقه! ..

وصدراً ونَحْرا

ومسيلاً منه تفجّر نهرا

ودماً فائراً يصبُّ سريعا

تاركاً أينما جرى يَنْبُوعا

كلُّ عِرقٍ منها ...

تفصّد خمرا

وهي تروى...

حِقداً وزهوا وغدرا

إذ ترى :

أنَّ حُرقةً ودموعا

وعذاباً فظّاً ..

وموتاً ذريعا ..

وصريعاً بها يواسي صريعا

طوعَ ما تستثيرُهُ العينانِ

عندما يأمُران أو يَنْهيَانَ

عندما يرويانِ إذ يحلُمان:

قِصَّةَ الحبِّ ... إذ تَلُفُّ البرايا

إذ ترى فيها دِماءَ الضحايا

بين « مُوقَيْهِما » ...

وفي « الإنسانِ » ..

***

وصباها... عارٍ من الذكرياتِ

ملهباتٍ جمرَ الهوى مذكياتِ

فهو قَفْرٌ من الأنيس خلاءُ ..

موحشاتٌ في وجوه الأصداءُ

لا يلبّي للروحِ فيه نداءُ ..

ويُدَوّي « للكَبْتِ » فيه ..

عُواءُ !

فهي حَيرى ...

تجوبُ منه قفارا

وهي مهما جارَتْ عليه اقتسارا

وتمَلَّتْهُ ليلَةً والنهارا

وهي مهما اجترّت « مُنىً » وادّكارا

لم تجد فيه ...

ما يَسُرُّ العذّارى!

غيرَ لمحِ من تِلكُمُ « الأُمسِياتِ »

إذ ليالي الجليل ...

رمزُ الحياةِ

عطراتٌ بمَدرْجِ الفَتَياتِ

في ضفاف« البحيرة » النشوانه

ترتمي في نميرها حرّانه

كل عذراء...

رَوْدةٍ معطافِ

يتسقطْنَ موقع الأصدافِ

وعليهنَّ من نميرٍ صافي

أيّ سترٍ مهلهلٍ ...

« كشافِ» ؟!

إذ حقولُ الجليلِ مرتمياتُ

بقدوم الربيع محتفياتُ

يتضاحَكْنَ في مَدَبّ الشُعاعِ

راجفاً فوقَها ارتجافَ « اليراع »

إذ غدا الجوُّ من أريج المراعي

خدرَ حسناءَ من بنات الغرام

سابحاً ..

في العطور و« الأنغام »

***

سامراء

ودَّعــتُ شرخَ صِــبايَ قبــلَ رحيلِــهِ ... ونَصَــلتُ منــه ولاتَ حَــينَ نُصــولِهِ

وَنفَضــتُ كفّــيَ مــن شــبابٍ مُخلِــفٍ ... إيراقـــهُ للعـــين مِثـــلُ ذبولـــه

وأرى الصِّــبا عَجِــلاً يَمُــرُّ وإننــي ... ســاعدتُ عاجلَــهُ عــلى تعجيلــه

سَــعُدَ الفتــى متقّــبلاً مِــن دهــره ... مقســـومَه بقبيحـــهِ وجميلـــه

وأظُنّنــي قــد كنــتُ أرْوَحَ خــاطراً ... بالخطــبِ لــو لم أُعــنَ في تأويلــه

لكــن شُــغِفْتُ بــأن أُقابــلَ بينــه ... أبــداً وبــين خِلافــه ومثيلــه

وَشَــغَلَتُ بــالي والمصــيبةُ أننــي | أجنـي فـراغَ العُمـرِ مِـن مشـغوله !
يــأسٌ تجــاوزَ حَــدَّه حتــى لقــد | أمسـيتُ أخشـى الشرَّ قبـلَ حُلولـه
وبَلُــدْتُ حتــى لا ألَــذُّ بمُفْــرح | حَّـذَرَ انتكاسـتهِ وخـوفَ عُدولـه!
إيــهٍ أحبَّــايَ الــذينَ ترعرعــوا | مـا بـين أوضـاح الصِّبا وحُجولـه
إني وإنْ غَلــبَ الســلُّو صَــبابتي | واعتضـتُ عـن نجـم الهـوى بأُفولـه
لتَشــوقُني ذكــراكُمُ ويهُــزُّني | طَــربٌ إلى قــالِ الشـباب وقِيلـه
أحبابَنــا بــينَ الفُــرات تمتَّعــوا | بــالعيش بــين مياهــه ونخيلـه
وتــذكَّروا كَلــفَ امـرئٍ متشـوّقٍ | منــزوفِ صــبرٍ بــالفراق قتيلـه
حــرّانَ مــدفونِ الميــولِ وعنَــدكم | إطفــاءُ غُلَّتِــه وبعــثُ ميولــه
حَييْــتُ « ســامَرّا » تحيَّــةَ مُعجَــبٍ | بــروُاءِ مُتَّسِــع الفِنــاء ظَليلــه
بَلــدٌ تسـاوَى الحسـنُ فيـه.. فليلُـهُ | كنهــاره وضَّــحاؤه كأصــيله
سـاجي الريـاح كـأنها حلَـفَ الصَّبا | أن لا يمُــرَّ عليــه غــيرُ عليلــه
طَلْـقُ الضـواحي كـاد يُـربي مُقفِـرٌ | منــه بنُزهتــهِ عــلى مأهولــه
وكفــاكَ مــن بلــدٍ جمَــالاً أنَّــه | حَـدِبٌ عـلى إنعـاش قلـبِ نزيلـه
عَجَبــي بزَهْــوِ صُــخوره وجبالــه | عَجَبــي بمنحَدرَاتــه وسُــهوله
بالمــاءِ منســاباً عــلى حَصــبائه | بالشَّــمسِ طالعــةً وراء تُلولــه
بالشــاطئِ الأدنــى وبَســطةِ رملِـهِ | بالشــاطئِ الأعــلى وبَــردِ مَقيلــه
بجمالــه.. والبــدرُ يَملــؤه ســناً | بجلالــهِ رهــنَ الــدُّجى وسُــدوله
بــالنهر فيّــاضَ الجوانــبِ يزدهــي | بــالمُطْرِبَينِ : خريــرهِ وصــليله
ذي جــانبَيْنِ فجانــب مُتطــامِنٌ | يقســو النســيمُ عليــه في تقبيلـه

بـــإزاءِ آخَـــرَ جـــائشٍ مـــتلاطمٍ يَرغــو إذا مــا انصــبَّ نحــوَ مَسيله

فصــلتهما « الجُــزُرُ » اللّطــافُ نواتئــاً كـــلٌّ تحفَّـــزَ مـــاثلاً لعديلـــه

وجرتْ على الماءِ القوارِبُ عُورضت بـــالجري فهـــي كر ســفٍ بكبولـــه

فـــإذا التَــوت لمســـيلهِ فكـــأنَّما تبغــي الوصــولَ إليــه قبــلَ وصــوله

وإذا نظــرتَ رأيــتَ ثَمَّـــةَ قارَبـــاً تَمتـــازُه بالضـــوء مِـــن قِنديلـــه

أو صـــوتِ مِجْـــدافٍ يُبِـــينُ بوقعـــه فـــوقَ الحصى عـــن شـــجوه وعويلـــه

ســـادَ الســـكونُ عـــلى العـــوالمِ كُلِّهـــا وتَجلبـــب الـــوادي رِداءَ خمولـــه

وتنبَّهـــتْ بـــين الصـــخورِ حمامـــةٌ تُصـــغي لصـــوت مُطـــارِحٍ بهديلـــه

وأشـــاعَ شـــجواً في الضـــفاف ورقّـــةً إيقـــاظُ نُـــوتيًّ بهـــا لزميلـــه

ولقــد رأيــتُ فُويــقَ دجلــةَ مَنظــراً الَشِــعرُ لا يقــوى عـــلى تحليلـــه

شَــفَقاً عــلى المــاءِ اســتفاضَ شُــعاعُه ذَهَبـــاً عـــلى شُـــطآنه وحُقولـــه

حتـــى إذا حكَـــم المغيـــبُ بـــدا لـــه شـــفقٌ يُحـــيطُ البـــدرَ حـــين مُثولـــه

فتحـــالفَ الشـــفقانِ هـــذا فـــائرٌ صُـــعُداً وهـــذا ذائـــبٌ بنزولـــه

ثُـــمَّ اســـتوى فِضّيُّ نُـــورٍ عابـــثٍ بالمـــائِجَيْنِ : مِياهـــهِ ورمولـــه

فـــإذا الشـــواطئُ والمســـاحبُ والرُّبـــى والشـــطُّ والـــوادي وكـــلُّ فُضـــوله

قمـــراءُ راقصـــةُ الأشـــعَّةِ جُلّلـــت بخفـــيٍّ سِرٍّ رائـــعٍ مجهولـــه

والجـــوُّ أفـــرطَ في الصـــفاءِ فلـــو جـــرى نَفَـــسٌ عليـــه لَبـــانَ في مصـــقوله

هـــذي الحيـــاةُ لِمثلهـــا يحنـــو الفتـــى حِرصـــاً وإشـــفاقاً عـــلى مأمولـــه

وإذا أسِـــفتُ لمؤسِـــفٍ فلأنَّـــه خِصْـــبُ الثَّـــرى يُشـــجيكَ فـــرطُ مُحولـــه

قـــد كـــانَ في خَفْـــضِ النَّعـــيم فبالغـــتْ كـــفُّ الليـــالي الســـودِ في تحويلـــه

بَـــدَتِ القصـــورُ الغـــامراتُ حزينـــةً مـــن كـــلِّ منهـــوبِ الفِنـــاءِ ذليلـــه

كـالجيشِ مهـزومَ الكتائـبِ فلَّـه ... ظَفَـرٌ ورَقَّ عـدوَه لفلولـه

« العاشـقُ » المهجـورُ قُـوّضَ رُكنُـهُ ... كالعاشـق الآسي لفقـدِ خليلـه

« والجعفـريُّ » ولم يـقصِّر رسـمُهُ ... البـاقي بـرغُم الـدَّهر عـن تمثيلـه

بـادي الشـحوبِ تَكـادُ تقـرأ لوعـةً ... لنعيمـه المسـلوبِ فـوقَ طلولـه

وكـأنَّما هـو لم يجِـدْ عـن « جعفـرٍ » ... بـدلا يُسَرُّ بـه ولا عـن جِيلـه

فُضَّـتْ مَجالسُـهُ بـه وخلَـوْنَ مِـن ... شـعر الوليـدِ بهـا ومـن ترتيلـه

إن الفحُـولَ السـالفينَ تعهَّـدوا ... عصرَ القـريضِ وأُعجبـوا بفحولـه

يتفـاخرونَ بشـاعرٍ فكـأنَّما ... تحصـيلُ معنـى الحُكْـم في تحصـيله

فجـزَوْهُمُ حُلـوَ الكـلام وطـرَّزوا ... إكليـلَ ربِّ المُلْـك مِـن إكليلـه

كـانوا إذا رامـوا السـكوتَ تـذكَّروا ... فَضـلَ المليـكِ الجـمَّ في تنويلـه

مـن صـائنٍ للـنفس غـيرِ مُـذيلها ... شُـحًا ومُعطـي المـالِ غـيرِ مُديلـه

وإذا شَـدَوا فكـما تغنَّـى طـائرٌ ... أثـرُ النعـيم يَبـينُ في تهليلـه

ولقـد شـجتني عَـبرةٌ رَقراقـةٌ ... حَيرانـةٌ في العـين عنـد دُخولـه

إني سـألتُ الـدهرَ عـن تخطيطـهِ ... عـن سَطحه عـن عَرضـه عـن طُولـه

فأجـابني : هـذي الخريبـةُ صـدرُه ... والبلقـعُ الخـالي مَجـرُّ ذيولـه

وَسَـلِ الريـاحَ السـافياتِ فإنَّهـا ... أدرى بكـلِّ فروعـه وأصـوله

وتعلَّمَـنْ أنَّ الزمـانَ إذا انتحـى ... شُـهُبَ السَّـما كانـت مـداسَ خُيولـه

مـدَّت بنـو العبَّـاس كـفَّ مُطـاوِلٍ ... فمشـى الزمـانُ لهـم بكـفِّ مَغولـه

واجتـاحَ صـادقَ مُلكهِـمْ لمـا طَغـوا ... بـدعيِّ مُلـكٍ كـاذبٍ مَنحولـه

وكـذا السياسـةُ في التقـاضي عنـدَه ... تسـليمُ فاضـلِه إلى مفضـوله

خُلِّـدْتِ سـامراءُ لم أوصِـلْكِ مِـن ... فَضْـلٍ حَشَـدتِ عـليَّ غـيرَ قليلـه
يـا فرحـةَ القلـبِ الـذي لم تتركـي ... أثـراً لِلاعـجِ همّـه ودخيلـه
وأفـاكِ مُلتهِـبَ الغليـلِ وراح عـن ... مغنـاكِ يَحمَـدُ منـكِ بـردَ غليلـه
أنعشـتِهِ ونَفَيْـتِ عنـه هواجسـاً ... ضـايقْنَه وأثـرتِ مـن تخييلـه
وصـدقته أمـلاً رآكِ لِمثلـه ... أهـلاً فكنـتِ وزدتِ في تأميلـه
هـذا الجميـلُ الغـضُّ سـوف يـردُّه ... شِـعري إليـكِ مُضـاعفاً بجميلـه
ولقـد غَلـوتُ فكـمْ بقلبـي خـاطرٌ ... عَجـزتْ مَعـاني الشـعر عـن تمثيلـه
وَلطيـفِ معنـىً فيـك ضـاقَ بليـدُها ... بذكّيـهِ ودقيقُهـا بجَليلـه
ولعـلَّ منقـولَ الكـلام محـوَّلٌ ... في عـالَمِ آتٍ إلى مَعقولـه
فهُنـاكَ يتَّسِـع الـتخلّصُ لامـرِئٍ ... مـن مُجمَـلِ المعنـى إلى تفصـيله

***

بديعة

هُـزِّي بنصـفِكِ واتركـي نصـفا ... لا تحـذَري لقَوامـكِ القصـفا
فبحَسْـبِ قـدِّكِ أنْ تُسـنِّدَه ... هـذي القلـوبُ وإنْ شـكتْ ضَـعفا
أُعجبـتُ منـكِ بكـلِّ جارحـةٍ ... وخصَصـتُ منـكِ جفونَـك الوَطفا
عشرونَ طرفـاً لـو نُجمِّعهـا ... مـا قُسِّـمتْ تقسـيمَكِ الطرفـا
تُرضـينَ مُقتربـاً ومُبتعِـداً ... وتُخـادعِينَ الصـفَّ فالصـفّا
أبديعـةٌ ولأنـتِ مُقبِلـةً ... تسـتجمعينَ اللُّطـفَ والظَّرفـا
ولأنـتِ إنْ أدبـرتِ مُبديـةٌ ... للعـينِ أحسـنَ مـا تـرى خَلْفـا
هُـزِّي لهـم رِدفـاً إذا رغِبـوا ... ودعـي لنـا مـا جـاورَ الرِّدفـا

مـلءُ العيـونِ همـا وخيرُهمـا ... مـا يمـلأُ العينـينِ والكفّـا
وكلاهمـا حسـنٌ وخيرُهمـا ... مـا خـفَّ محمِلُـه ومـا شفّا
هـذا يـرفُّ فـلا نُحِـسُّ بـهِ ... ويهزُّنـا هـذا إذا رَفّـا
وتصـوّري أنْ قـد أتـتْ فُـرَصٌ ... تـقضي بخطـفِ كلـيهما خطفـا
فبدفَّتَيـهِ ذاكَ يُبهضُنـا ... في حـينَ ذاكَ لرقـةٍ يخفـى
ونَكِـلُّ عـن هـذا فنَطْرَحُـهُ ... ونُحِـلُّ هـذا الجيـبَ والرفـا
ونـزوره صـبحاً فنلثِمُـهُ ... ونَضُـمُّهُ ونَشَـمُّهُ ألفـا
ونَبُلُّـهُ بـدم القلـوبِ وإنْ ... عـزَّتْ ونُنعِشُـهُ إذا جفـا

***

الشاعرية بين البؤس والنعيم

جَهِلْتُ.. أحظُّ المرءِ بالسعي يُقْتَنَى ... أم الحـظُّ سرٌّ حَجَّبَتْـهُ المقـادرُ
وهـل مثلَما قـالوا جـدودٌ نـواهضٌ ... تقـوم بأهليهـا وأخـرى عـواثر
فمـن عجـب أن يُمْنَحَ الـرزقَ وادعٌ ... ويُمْنَعَـهُ ثَبْـتُ الجَنـانِ مُغـامر
تفكّـرتُ في هـذي الحيـاةَ فراعنـى ... من الناسِ وحشٌ في التزاحُم كـاسر
ولا فـرقَ إلاّ أنَّ هـذا مـراوغٌ ... كثـيرُ مُـداجاةٍ وهـذا مجـاهر
وقـد ظـنَّ قـومٌ أنَّ في الشِـعر حاجـةً ... إلى فاقـةٍ تهتـزُّ منهـا المشـاعر
وأنَّ نَتـاجَ الرفـهِ أعْجَـفُ خامـلٌ ... وأنَّ نَتـاجَ البُـؤسِ ريّـانُ زاهـر
كـأنَّ شـعوراً بالحيـاة وعيشـة ... بهـا يشـتهى طَعْـمَ الحيـاةِ ضرائـر
ومـا إن يُـرى فكـرٌ كهـذا مُزَيَّـفٌ ... لـدى أمّـةٍ للفـنِّ فيهـا منـاصر
ولا أمـةٌ تحيـا حيـاةً رفيهـةً ... يَجـيشُ بهـا فـيما يُصـوّرُ شـاعر

ولكنّـــــهُ في أمّـــــةٍ مســــتكينةٍ طغـى الــذُّلُّ فيهـا فهـو نـاهٍ وآمـر
وآنسـها بـؤسُ الأديـبِ وأُعْجِبَـتْ بِشِـعرٍ عليـه مهجـةٌ تتنـاثر
وللحـزنِ هـزّاتٌ وللأُنْـسِ مِثْلُهـا يُخـالِفُ بعـضٌ بَعْضَـها ويُنـاصر
ومثـلُ قصـيدٍ جسَّـدَ الحـزنَ رائعـاً قصـيدٌ بتجسـيدِ المسراتِ زاخـر
نُسَرُّ بشِـعرٍ رقـرق الـدمعُ فوقَـه إذا عَصَرَ الـذهنَ المفكّـرَ عـاصر
وقـد فاتنـا أنّ الـذي نسـتلذُّهُ قلـوبٌ رقـاقٌ ذُوِّبَـتْ ومرائـر
ومـا أحـوجَ القلـبَ الـذكيَّ لعيشةٍ يَعِـنُّ بهـا فِكْـرٌ ويَسْـبَحُ خـاطر
ورُبَّ خصيبِ الذهنَ مَضَّتْ خَصاصةٌ بـه فهـو مقتـولُ المواهـبِ خـائر
وشـتّانَ فنّـانٌ عـلى الفـنِّ عـاكفٌ وآخـرُ في دوّامـةِ العَـيْشِ حـائر
وقـد يطـرق البـؤسُ النعـيمَ اعتراضـة كـما مَـرّ مجتـازاً غريـبٌ مسـافر
ولكـنّ بؤسـاً مُفْرِخـاً حَـطَّ ثِقْلَـهُ وألقـى عصـاه فهـو مـوتٌ مخـامر

***

وحي الرستمية

أكْـبَرْتُ ميسـورَ حـالٍ أستشِـفُّ بهـا إذ لم يكـن مـا أُرجّيـهِ بميسـورِ
وقـد رَضِـيت بكِـنٍّ أسـتكِنُّ بـه نـاءٍ عـن العـالَمِ المـنحطِّ مهجـور
ورُحْـتُ رغـم جحـودٍ عامـدٍ أشِرٍ للحـظِّ أُرجِـعُ حـالي والمقـادير
تعلـةً لم يكـنْ لي مـن تَخَيُّلِهـا بُـدٌّ وكـم خودِعَـت نفـسٌ بتبريـر
مـا زالـتِ المـدُنُ النكـراءُ تُوحِشُـني حتـى اتُّهِمْـتُ بإحسـاسي وتفكـيري
ذَمَمْـتُ منهـا محيطـاً لا يلائمنـي صـعْبَ التقاليـدِ مـذمومَ الأسـاطير
حتـى نزلـتُ عـلى غنّـاءَ وارفـةٍ بكـل مرتجـف الأطيـافِ مسـحور

أهـدَى لِيَ الريـفُ مـن ألطـاف جنّتِـه　　عرائشـاً أزعجتهـا وحشـةُ الـدور
طافـت عـليَّ فلـم تنكِـرْ مسـامرتي　　ولم أرُعْهـا بإيحـاشٍ وتنفـير
كـأنني.. والمـروجُ الخضرُ تنفَحُنـي　　بالموحيات «ابنُ عمرانٍ» على الطور
تُلقـي الهجـيرَ بأنفـاسي تُرَقِّقُـه　　لطفاً وتكسِرُ من عُنف الأعاصير
وتسـتبيك بحشـدٍ مـن روائعهـا　　مـوفٍ عـلى كـلِّ منظـوم ومنثـور
وحـيٌ يَجِـلّ عـن الألفـاظ مـا نشرت　　طلائـعُ الفجـرِ فيهـا مـن تباشـير
كـم في الطبيعـة مـن معنـى يُضـيّعُه　　عـلى القـراطيس نقـصٌ في التعـابير
هنـا الطبيعـة نـاجتني معـبِّرةً　　عـن حسـنها بأغاريـد العصـافير
وبـالحفيف مـن الأشـجار منطلقـاً　　عَـبْرَ النسـيم وفي نفـح الأزاهـير
ومنـزلي عُـشٌّ صـيداح أقـيمَ عـلى　　خضراءَ غارقـةٍ في الظـل والنـور
هنـا الخيـالُ كصـافي الجـوِّ منطلـقٌ　　صـافي المُـلاءَةِ ضـحّاكُ الأسـارير
وقـد تفجَّـر يُنبـوعُ الجـمالِ بهـا　　عـن كـل معنىً بـديع القصـدِ مـأثور
حتـى كـأنّ عيـونَ الشـعر يُعوِزُهـا　　وصـفُ لـدقائقِ مـن هـذي التصـاوير
فـما تُلِـمُّ بهـا إلاّ مقاربـةً　　ولا تحـيطُ بهـا إلاّ بتقـدير
وجـدت ألْطَـفَ مـا كانـت مخالطـةً　　نـقَّ الضـفادع في لحـن الشـحارير
وقـد بـدا الحقـلُ في أبهـى مظـاهره　　بسـاطَ نـورٍ عـلى الأرجـاء منشـور
وأرسـل البـدرُ طيفـاً مـن أشـعّتِه　　كـان الضـمينَ بإنيـاس الـدياجير
واستضـحك الشـط مـن لـئلاء طلعتـه　　كأنـه قِطَعِـاتٌ مـن قـوارير
واسترقص القمرُ الروضَ الذي ضحكت　　ثغـورُه عـن أقـاح فيـه ممطـور

***

عبادة الشر !..

دع النُبــــلَ للعـــــاجز القُعْـــــدَدِ ... ومـــا اسـطعتَ مـن مَغـنم فـازْدَدِ
ولا تُخْــــدَعَنَّ بقـــولِ الضِـــعافِ ... مـــن النـــاس أنّــك عَــفُّ اليــد
وأنـــك في العـــيش لا تقتفـــي ... خطـــا الأدنيـــاءِ ولا تقتـــدي
سفاســفُ تضــحك مــن أمرهــا ... صرامـــةُ ذي القـــوةِ الأيِّـــد
فـــلا تغـــد طوعـــاً لأمثالهـــا ... متـــى مـــا تُغـــرَّرْ بهـــا تَنْقَـــد
ولا تَبْـــقَ وحــــدَكَ في حِطّـــة ... ومهـــما يكـــن ســـلمٌ فاصـــعد
فإنــك لــو كنــت محــضَ الإبــاء ... ومحـــضَ الشـــهامة والسُّـــودَد
وأصْـــدَقُ في القـــول مـــن هُدْهُـــدٍ ... وأخشـــنُ في الحـــق مـــن جلمـــد
وأعطيـــتَ في الخلـــق طُهـــرَ الغـــام ... وفي الفضـــل منزلـــةَ الفرقـــد
شريفـــاً تشـــير إليـــك الأكـــفُّ ... وتُنْعَـــتُ بـــالعَلَم المُفْـــرَد
لمـــا زاد حظُّـــك مـــن عِيشـــة ... عـــلى حـــظّ ذي العاهـــةِ المُقْعَـــد
إليـــكَ النصـــيحةَ مـــن مُصْـــطَلٍ ... بنـــار التجـــارب مُستَحْصِـــد
ســتطلُبُها عنــد عــضّ الخطــوب ... عليـــك بأنيابهـــا الحـــرّد
رِدِ العـــيشَ مـــزدحمَ الضِـــفَّتَيْنِ ... مـــن الغِـــشّ ملـــتحمَ المَـــورد
مليـــاً بـــذي قـــوة يَسْـــتقي ... وذي عِفّـــةٍ مستضـــام صـــدي
وجُـــلْ فيـــه أروغَ مـــن ثعلـــبٍ ... وأشـــجعَ مـــن ضـــيغم مُلْبِـــد
وكـــن رجـــلَ الســـاعةِ المجتبَـــى ... مـــن اليـــوم مـــا يرتجـــى في غـــد
وإلا فإنّـــــك مـــــن منكـــــد ... مـــن العـــيش تمشي إلى أنكـــد
ذلـــيلاً متـــى تمـــضِ لا يُبتـــأسْ ... عليـــك وإن تبـــقَ لا تُنْشَـــد

وأنـت إذا لم تمـاش الظـروفَ ... علـى كـل نقـص حريـبِ ردي
إذا مـا مخضـتَ نفـوسَ الرجـالِ ... مـن الأقـربين إلى الأبعـد
وأوقفـتَ نفسـك للمـدعين ... سـموّ المقاصـدِ بالمرصـد
تيقنـتَ أن الـذي يـدّعون ... مـن المجـد لـلآن لم يُولَـد
هـم النـاسُ لا يفضُلون الوحـوشَ ... بغـير التحيُّـلِ للمقْصِـد
فـلا تـأتِ سـاحةَ هـذي الـذئابِ ... تُنازِلُهـا بفـم أدرد
وخـذ مخلبـاً لـك مـن غَـدْرَةٍ ... ونابـاً مـن الكِـذْبِ فاستأسـد
ولا تتـديَّنْ بغـير الرّيـاءِ ... وغَـيْرَ النفـاق فـلا تعبُـد
وصـلِّ عـلى سـائرِ الموبقـاتِ ... صـلاةَ المُحـالِفِ للمسـجد
ومـا اسـطعت فـاقطع يـد المُعْتَـدَي ... عليـه وقبّـلْ يـدَ المُعتَـدي
ومجّـدْ وضـيعاً بهـذي الهِنـات ... تحـدّى مكانـةَ ذي المَحتِـد
ونفسَـك في النفـع لا تبلُهـا ... وعَقْلَـكَ في الخـير لا تُجهِـد
يغطّـي عـلى شَرَفِ المنتَمـى ... ويسـحق مـن عـزّة المَوْلِـد
ويـقضي عـلى مُطْـرِفِ المكرُمـات ... ويـأتي عـلى الحَسَـب المُتلـد
مهارشـةَ الواغـلِ المـدّعي ... وتهويشـةَ المُغْـرِضِ المُفسِـد
أقـول لـنفسي وقـد عربـدتْ ... رجـالٌ لغاياتهـا عربـدي
ولا تحْسَـبيني في مـأزقِ ... قليـلَ الغَنـا ضـيِّقَ المَنْفَـد
وهيهـاتَ لا تـدركين المنـى ... بسـيرِ أخـي مَهَـلٍ مُقْصِـد
وإنـكِ إن لم تـواني الحيـاةَ ... بـنفس المُخـاطِرِ تُسـتَعْبَدي
ولا بـدّ أن تقحمـي مقحمـاً ... وإلا فـلا بـد أن تُطْـرَدي

فحِصّـــــةُ مســــتحفزٍ مجـــرم لأشرفُ مـــن حِصّـــةِ المجتـــدي
رأيــت المغــامر في موقـــف بـــه يفْتَـــدي نفسَـــهُ المفتـــدي
تناوَلُـــهُ الألْسُـــنُ المُقْـــذِعات ويعصِـــفُ بالشـــتم منـــه النـــدى
وحيـداً كـذي جَـرَبٍ مـزدَرىً يـــروح هضـــيماً كـــما يغتـــدي
ولم يَطُـلِ العهـدُ حتـى انجلـت كـــوارثُ مـــا هـــنّ بالسرمـــد
فكـان الأمـيرَ وكـان الـزعيمَ وكـــان مثـــالَ الفتـــى السّـــيد
وكـان المبَّجـلَ عنـد المغيـب وكـــان المقَـــدَّمَ في المشـــهد
يَلَـذُّ لكـلِ فـم ذكْـرُهُ متـى يجْـــرِ في مَحْفِـــلِ يُحْمَـــد
وكـــان وأمثالُـــه عـــبرةً عـــلى ضـــوئهايهتدي المهتـــدي

***

رابطة الآداب

نَهَضْـتُمْ بهـا جمعيـةً يُرْتَجَـى بهـا هـدى كَتْلـةٍ فـيها تُحـاولُ خابطَـهُ
عسـى أن تُنـيروا للشـبابِ طـريقَهمْ وأنْ تُنْعِشوا روحاً من اليأس قانطه
إذا فَشِـلَتْ كـلُّ الـروابطِ بيننـا فرابطـــةُ الآدابِ أمـــتنُ رابطـــه

***

إلى «الباجة جي» في نكبته

ألا إنـما تَبغـي العُـلى والمكـارمُ مـن الله أن يَبْقـى لهـنَّ «مُـزاحمُ»
فتـى الدولـةِ الغـراءِ تَعْلَـمُ أنَّـهُ عليهـا إذا نـام الخليـونَ قـائم
وذو الحكم مرهوباً على المُلكِ ساهرٌ وفـيما يصـونُ الحكْـمَ والمُلْـكَ حـازم

وذو الخُلُقِ الضّافي يَخالُ مرّفهاً ... وفي الصدر أمواجُ الأسى تتلاطم
يَبيتُ على شوكِ القَتادَ وَينْطوي ... على مَضَضٍ حتى تُرَدَّ المظالم
عليمٌ بآدابِ السياسةِ تَنْجلي ... لِفِطْنَتِهِ أسرارُها والطلاسم
ضمينٌ إذا ما الجوُّ غامَ بطارئ ... جليلِ بأن تَنْزاحَ عنه الغمائم
على وجهِهِ سِيماءُ أصيدَ أشوسِ ... وفيه من النفس الطَّموح علائم
جَهيرٌ يرى الأقوامُ عندَ احتدامِهِ ... إذا أغضبوهُ كيْفَ تدأى الضَراغم
وفي العنفِ فَهوّ الأبْلَقُ الفرد مَنْعَةً ... وفي اللِّينِ فهو المصحبُ المتفاهم
لقد مارس الأيام ذو خبرةٍ بها ... ذكيٌّ لحالاتِ الزمان مُلائم
وما هو إن خيرٌ تحداهُ طائشٌ ... ولا هو إن خيرٌ تعدّاهُ نادم
ومرتقبٌ للشرِ والشرُّ غائبٌ ... ومسْتَحْقِرٌ للشرّ والشرُّ قادم
على ثقةٍ أنَّ الحياةَ تَراوُحٌ ... نسائمُها جوّالةٌ والسمائم
وماشِ إلى قلبِ الحقودِ بِحيلةٍ ... يُداوي بها حتى تُسَلَّ السّخائم
وقد عَلِمَ الأقوامُ أنَّ مُزاحماً ... من الشعبِ مخدومٌ وللشّعبِ خادم
ولما اعتلى دَسْتَ الوزارة ... وُطّدَتْ بهمتِهِ آساسُها والدعائم
عفيفُ يدٍ لا يَحْسَبُ الحُكمَ مَغْنَما ... ولو شاء لم تَعْسُر عليه المغانم
ترفعَ عن طرْقِ الدنايا فمالَه ... سوى المجدِ والقلبِ الجريءِ سلالم
لقد سرّني أنَّ الزّمانَ الذي سطا ... عليكَ بحربٍ عاد وَهْوَ مُسالم
وأن ظروفاً ضايَقَتْكَ عوابساً ... أتتك تُرَجّي العفْوَ وَهْيَ بواسم
وقد أيقَنَتْ إذ قاوَمَتْكَ كوارثٌ ... بأنّكَ لا تُسطاعُ حينَ تُقاوم
وَجَدْتُك خشن المسّ تأبى انحلالةً ... وتَنْحَلُّ في البلوى الجلودُ النواعم

تلقيت يَقْظانَ الفؤادِ حوادثاً ... يُروَّعُ منها في التَّخَيُّلِ حالم
وقد كنتَ نادَمْتَ الكثيرَ فلم تَجِد ... على حينَ عَضَّتْ كُرْبةٌ مَنْ تُنادِم
وقد كانتِ الزلفى إليكَ تَزاحُماً ... فأصْبَحَ في الزُّلفى عليكَ التزاحُمُ
ولم تُلْفِ لما استيقظ الخطبُ واحداً ... منَ المانحيكَ الوُدَّ والخَطْبُ نائم
وأنت عَضَدْتَ الملك يَومَ بدا له ... يُهدِّدُهُ قَرْنٌ من الشرّ ناجم
تكفَّلْتَهُ مُسْتَعْصِماً بكَ لائذاً ... وليس له إلاكَ واللهُ عاصم
ولم أرَ أقوى منكَ جأشاً وقد عدَتْ ... عليكَ العوادي جمّةً تتراكم
وأُفردتَ مِثْل السيفِ لا مِنْ مُساعِدٍ ... سوى ثِقةٍ بالنفس أنَّكَ صارم
ولّما أبَى إلا التَّبلُّجَ ناصعٌ ... من الحق لم تقدِرْ عليهِ النمائم
ولم يجدِ الواشون للكيدِ مَطْمَعاً ... لديكَ ولم يَخْدِشْ مساعيك واصم
خرجْتَ خروجَ البدر غطَّتْ غمامةٌ ... عليه وسرُّ المجدِ أنَّكَ سالم
فللتُّرْبِ أفواهٌ رمتْكَ بباطلٍ ... ولا سَلِمَتْ أشداقُها والغلاصم
وحُوشِيتَ عن أيّ اجترام وإنّما ... تُدَبَّرُ من خَلْفِ الستارِ الجرائم
وصَقْرٍ تحامَتْهُ الصقورُ وراعها ... من النظر الغضبانِ موتٌ مُداهم
لقد أحكمت منه الخوافي خؤولةٌ ... ومتّت إلى الأعمام منه القوادم
فتى «الحلةِ» الفَيْحاءِ شَدَّتْ عُروقَهُ ... بناتُ الفراتِ المنجِباتُ الكرائم
فجئن بأوفى من تُحَلُّ له الحُبا ... وأمتنَ مَنْ شُدَّتْ عليهِ الحيازم
وطيد الحجى لم تستجدّ له الرُّقَى ... صغيراً ولم تَعْلَقْ عليه التمائم
وداهية أعلى العراقَ بمجلسٍ ... تصافِحُهُ فيه دُهاةٌ أعاظم
يمثل شعباً يستعدُّ لنهضةٍ ... يُرَدُّ عليها مجدُهُ المتقادم
وألطفُ ميزاتِ السياسيِّ أنّه ... أديبٌ بأسرارِ البلاغةِ عالم

يؤّيـدهُ ذهْـنٌ خصـيبٌ ومنطـقٌ ... متـينٌ كهُـدابِ الـدِمَقْسِ ونـاعم

ورنانـةٍ في المحْفِـلِ الضَّـخْم فـذّةٍ ... تَناقَلُهـا عـن أصـغريهِ الـتراجم

بعيـدة مرمـى مسـتفيضٍ بيانُهـا ... يجيء بها عفـواً فتَـذْوي العواصـم

ومحتمـلِ للحـقِ مسـتأنسٍ بـه ... يُرَجّيـهِ مظلـومٌ ويَخْشَـاهُ ظـالم

يَسُـدُّ طريـقَ الخَصْـم حتـى يـردَّهُ ... إلى واضـح مـنْ حُكمِـهِ وَهْـوَ راغـم

وقد أرضت المظلوم والظلمُ مُغْضَـبٌ ... مواقِفُـهُ المسـتعلياتُ الحواسـم

وإنَّ بـلاداً أنجبتْـكَ سـعيدةٌ ... وشـعباً تَسـامَى عِـزُّهُ بـك غـانم

****

أنغام الخطوب

مـا أحـوجَ الشـاعرَ الشـاكي لمُغضِبَةٍ ... وميزةُ الشاعرِ الحساسِ في الغضـبِ

أمّـا القـوافي فأنغـامٌ تُوَقّعُهـا ... يـدُ الخُطُـوبِ إذا مـا هيَّجَـتْ عصبي

أصِـخْ لتلحـينِ روحـي وهـي ناقمـةٌ ... فـما يهـزُّك لحـنُ الـروح إن تَطِـب

شـجتْك كربـةُ أبيـاتٍ وجـدتَ بهـا ... عـلى كآبتهـا تفريجـةَ الكُـرَب

ثقافـةُ الشـعبِ قـل لي أيـن تَنشُـدها ... أفي الصـحافةِ مزجـاةً أم الكُتُـب

هـذي كـما انـدفعتْ عشـواءُ خابطـةٌ ... وتلـك فـيما حـوت « حمالةُ الحطـب»

أمـا الشـعورُ فـإنّي مـا ظَفِـرْتُ بـه ... في مجلـسِ العلـم أو في مَحْفِـلِ الأدب

لا ثـورةُ الـنفسِ في الأشـعارِ ألمُسُـها ... إلا القليـلَ ولا التـأثيرُ في الخطـب

بـاكون مـا حُرِّكَـتْ في الـنفس عاطفـةٌ ... وضـاحكون ولاشيءٌ مـن الطـرب

مُسَـخّرون بـما تـوحي الوحـاةُ لهـم ... كـما تُهَـزُّ دواليـبٌ مـن الخشـب

لو عالج المصلحون «الجوعَ» ما فَسَدَتْ ... أوضاعُنا.. هذه الفوضى من السغب

شعبي وما أتوقّى من مصارَحَةٍ ... عارٌ على يعربٍ كُلٌّ على العرب
ألهاه ماضيه عن تشييدِ حاضره ... وعن لبابِ المساعي قِشْرَةُ النَّسَب
عشنا على شرفِ الأجداد نَلصقُهُ ..... بنا كما عاش قُطَّاعٌ على السَّلَب
قامت تُرَوِّجُ آداباً عَفَتْ عُصَبٌ ... ما أبعدَ الأدبَ العالي عن العُصب
هُزَّ القلوبَ بإحساسٍ تَفيضُ به ... ثم ادعُ حتى صخوراً صمةً تُجب
شانت أديباً وحطَّتْ عالماً فَهماً ... مشاحناتٌ على الألقابِ والرُّتَب
قالوا « أعدْ » لركيكٍ غيرِ مُنْسَجِم ... لو في يدي قلتُ عدّ القولَ وانسحب
حتى صديقٌ عن التقليدِ أرفَعُهُ ... مصاخبٌ إذ سوادُ الناسِ في صَخَب
دومي قوافيّ طولَ الدّهْرِ خالدةً ... إن صحَّ أنّكِ أوتادٌ من الذهب
أوْلا فبيني أدالَ اللهُ من أثرٍ ... تنالُ منه يدُ الأعصارِ والحِقَب

***

قتل العواطف

أغْرَى صِحابي بتقريعي وتأنيبي ... طولُ اصطِباري على همٍّ وتَعذيبِ
أيسْتُ من كلِّ مطلوبٍ أُؤمِّلُهُ ... وأصبحَ الموتُ من أغلى مطالبي
إذا اشتهيتُ فزادي غيرُ مُحْتَمَلٍ ... وإن ظَمِئْتُ فورْدي غيرُ مشروب
جارتْ عليَّ الليالي في تقلُّبها ... وأوهَنَتْ جَلَدي من فَرْطِ تقليبي
عَوْداً وَبَدْءاً على شرٍّ تُعاوِدُهُ ... كأنّني كرةٌ لِلّعْبِ تلهو بي
يا مُضغةً بين جنبيَّ ابتُليتُ بها ... لا كنتِ من هدفٍ للشرِّ منصوب
ومن مثارِ هموم لا انتهاءَ له ... ومن مَصَبٍّ عناءٍ غيرِ منضوب
وقد رددتُ رزايا الدهرِ أجْمَعَها ... إلى سِجلَّيْنِ محفوظٍ ومكتوب

مـا بـين مُكْتَشَـفٍ بالشـعرِ مُفْتَضَـحٍ ... وبـين مُخْتَـزَنٍ في القلـب محجـوب

إني عـلى الـرّغْم ممـا قـد نُكِبْـتُ بـه ... فقـد يحـزّ فـؤادي لفـظُ منكـوب

شـكت إليّ القـوافي فـرطَ ما انتبـذَتْ ... وكنـتُ أراهـا خـيرَ مصـحوب

وعـاتَبَتْني عـلى الهجـرانِ قائلـةً ... أكنتُ عِنْدَكَ من بعـض الألاعيب!

تلهـو بهـا وإذا مـا شـئتَ تَطْرَحُهـا ... موقوفـةً بـين تَبعيـدٍ وتقريـب

كم ساعدتْك على الجُلّى وكم دَفَعَتْ ... هواجساً عن فؤادٍ منكَ « متعوب »

سَجَّلْتُها آهـةً حـرَّى وكـم ذهبـتْ ... طيَّ الريـاح سُدىً آهـاتُ مكـروب

فقلـتُ حسـبي الـذي ألهـتكُنّ بـه ... من لاعجٍ في حنايا الصدرِ مشبوب

ومـن قـوافٍ بـذَوْبِ الـدَّمْع نشـأتُها ... ومن قصيدٍ لفرطِ الحُزْنِ منسوب

لو اكتسى الشعرُ لوناً لاقتصرتُ على ... شعرٍ بِقاني نجيع القلبِ مخضوب

وما اشتكائي إلى الأشعارِ من مُضَضٍ ... إلا شـكيَّةَ محـروبٍ لمحـروب

إنّ الأديـبَ وإنَّ الشـعرَ قَـدْرُهُما ... مطـرَّحٌ بـين منبـوذٍ ومسـبوب

لم يبـقَ مـنْ يسـتثيرُ الشِـعْرُ نَخوَتَـهُ ... ومـن يُحَرِّكُـهُ لُطْـفُ التراكيـب

أعـلى مِـنَ الشّـعرِ عنـدَ القـوم منزلـةً ... نَفْـخُ البطـونِ وتَطْريـزُ الجلابيـب

ورُبَّ قافيـةٍ غـرّاءَ قـد ضَـمِنَتْ ... أرقَّ معنـىً تَـرَدَّى خَـيْرَ أُسْـلُوب

مـن اللـواتي تُغَـذِّيهنَّ عاطفـةٌ ... جياشـةٌ بـين تصـعيدٍ وتصـويب

هـززتُ فيهـا نيـاطَ القلـبِ فـانتثرت ... بهـا شـظايا فـؤادٍ جـدٍّ مشـعوب

رهنتُهـا عنـد فـجِّ الطَّبْـع محـتقنٍ ... بغـيرِ صُـمِّ العـوالي غـيرِ مجـذوب

ظننتُنـي صـادقاً فـيما ادَّعَيْـتُ بهـا ... حتـى انـبرى لـؤمُ جانيهـا لتكـذيبي

أرخَصّـتُها وهـي علـقٌ لا كِفـاءَ لَـهُ ... ورُحْـتُ أصْـفِقُ فيهـا كَـفَّ مغلـوب

تشكو اغتراباً لَدَى من ليسَ يَعْرفُها ... كما شكَتْ طبعَ رامِيها بتغريب
عفواً فلولا اضطرارُ الحالِ يُلجئني ... لكنتُ أنفَسَ مذخورٍ ومكسوب
قالوا استفدتَ من الأيام تَجرِبةً ... والموتُ أرْوَحُ من بعضِ التّجاريب
تُعْفي الشدائدُ أقْواماً بلا أدَبٍ ... وتبتلي غيرَ مُحتاج لتأديب
ما كان مِن قبلِها عُودي بذي خَوَرٍ ... للعاجمينَ ولا قلبي بمرعوب
ولا ذُعِرْتُ لشرٍّ غيرِ مُنْتَظَرٍ ... ولا نزقتُ لخيرٍ غيرِ محسوب
يا خيرَ موهبةٍ تزكو النفوسُ بها ... بعداً فإنك عندي شرُّ موهوب
يُرضِي الفتى عَيْشُهُ ما دامَ يَغمُرُهُ ... بالطيباتِ ويُغْريهِ بتحبيب
حتى اذا رَمَتِ الويلاتُ نِعَمَتَهُ ... ونَغَّصَتْها بتقويضٍ وتخريب
سمَّى مُعاكسةَ الأيام تَجْربَةً ... وراح يَخْدَعُ نَفْساً بالأكاذيب
والعيشُ بالجهلِ أو بالحِلم إن خَبُثَتْ ... مِنْهُ الحواشي فشيء غيرُ محبوب

****

ليلة معها

لا أكذبَنّكِ إنّني بَشَرٌ ... جَمُّ المساوي آثِمٌ أشِرُ
لا الحبُّ ظمآناً يُطامِنُ مِن ... نفسي وليس رفيقيَ النظَر
ولكم بَصُرْتُ بما أضيقُ به ... فوددْتُ أنّي ليس لي بصر
أو أنني حجر وربّما ... قد بات أرْوَحَ منّيَ الحَجَر
لا الشيءُ يُعْجِبُهُ فَيَمْنَعُهُ ... فإذا عداه فكلّهُ ضَجر
ولكم ظَفِرتُ بما بصرتُ به ... فحَمِدْتُ مرأى بعدَهُ ظفَر
شفتاي مُطْبَقَتانِ سيدتي ... والخُبْرُ في العينينِ والخَبَر

فاستشــهِدِي النظــراتِ جاحِمَــةً ... حمـــراءَ لا تُبْقـــي ولا تَــذر

ولرغبـــة في الـــنفس حـــائرة ... مكبوتــــة يتطــــايرُ الشرر

إنـــا كلينــا عارفـــان بـــها ... حَــوَتِ الثّيــابُ وضَــمَّتِ الأُزُر

وبنـــا ســـواءً لا حيـــاءَ بنـــا ... الجـــذوةُ الخرســـاءُ تســتعر

فعـــلى مَـــا تَجتهـــدين مُرْغَمَـــةً ... أن تَشْـــتري مـــا لـــيس يَنْسَـــتِر

كـذب المنـافقُ . لا اصـطبارَ عـلى ... قـــدٍّ كَقَـــدِّكِ حـــينَ يُهْـــتَصَر

ومُغَفَّـــلٌ مـــن راح يُقنِعُـــه ... منـك الحـديثُ الحلـوُ والسـمر

يُـوهي الحجـى ويُـذيبُ كـلَّ تُقـىً ... مـــن مُدّعيـــهِ شـــبابُك الـــنَّضِر

ويَـــرُدُّ حلـــمَ الحـــالمين عـــلى ... أعقابِـــهِ التفتـــيرُ والخَفَـــر

الـــنَّفْسُ شـــامخةٌ إذا ســـعُدَتْ ... بـــك ســـاعةً والكـــونُ مُحْتَقَـــر

وفـداء « محتضـن » سـمحتِ بـه ... مـــا تفجـــع الأحـــداثُ والغـــير

حلـــم أخـــو اللـــذاتِ مفتقـــد ... أمثالُـــــهُ وإليـــــه مفتقِـــــر

وســـــويعة لا أســـــتطيعُ لهـــا ... وصـــفاً فـــلا أمْـــنٌ ولا حَـــذَر

يـــدها بناصـــيتي ومِحْزَمُهـــا ... بيـــدي فمنـــتَصِرٌ ومنـــدَحِر

فلـــئن غَلَبْـــتُ فَخَـــيْرُ متَّسَـــدٍ ... للشـــاعرِ الأعكـــانُ والسُرَر

ولـــئن غُلِبْـــتُ فغـــالبي مَلَـــك ... زاهٍ بـــهِ المغلـــوب يفتخـــر

لا شـــامت أن قـــدرة عرضـــت ... بـــل صـــافحٌ عنـــي ومغتفـــر

أمســـكتُ « نهـديها » وأحسَـــبُني ... أشْـــفَقْتُ أن تتـــدحرجَ الأُكَـــر

عنـــدي مـــن اســـتمتاعةٍ صُـــوَرٌ ... ومِـــنَ التَّغـــنُّج عنـــدَها صُـــوَر

قالـــت وقـــد باتَـــتْ تطـــاوعُني ... فـــيها أُكَلِّفُهـــــا وتـــــأتَمِر

أمعانيـــاً حاولـــتَ تَنْظِمُهـــا تختـــارُ مـــا تَهْـــوى وتَبْتكِـــر
إني وردتُ « الحـــوضَ »ممتلئـــاً شَـــهْداً يفـــوحُ أريجُـــهُ العَطِـــر
ولقـــد صـــدرتُ ولـــيس بي ظَمَـــأٌ لله ذاكَ الـــــوِردُ والصَّـــــدَر
وإذا صـــــدقتْ فإنـــــه بـــــدَنٌ لأطايـــــب اللـــــذاتِ مُخْتَـــبَر
يـــا زهـــرةً في ربيعهـــا قُطِفَـــتْ كـــأرقِّ مـــا يفتَّـــقُ الزَّهَـــر
نِعْـــمَ القضـــاءُ قضى بمرتشَـــفٍ لي مـــن « لمـــاك » وحبّـــذا القَـــدَر
مـــا إنْ أخَصِّـــصُ منـــكِ جارحـــةً كـــلَّ الجـــوارح منـــكِ لي وطـــر
يُـــزرْي بفلســـفةٍ مطّولـــةٍ والعلـــمُ شيءٌ فيـــــك مُخْـــــتَصَر
« ومعبـــد » لم يبـــل منهجـــه بالســـالكيه ولم يَلُـــحْ أثَـــر
إني لآسَـــفُ أنْ يجـــورَ عـــلى خـــدّيكِ خـــدٌّ كلُّـــهُ شَـــعَر
وعـــلى إهـــابِ منـــكِ ممتلـــئٍ مَرحَـــا إهـــابٌ مِلـــؤُهُ كَـــدَر
هـــذا الحريـــرُ الغَـــضُّ مَلْمِسُـــهُ حَيْـــفٌ يُخَـــدِّشُ حَنْبَـــهُ الـــوبر
عينـــي فِـــدى قَـــدَمَيْكِ ســـيّدتي عينـــاكِ قـــد أضـــناهُما السَّـــهَر
لا أكتفـــي بـــالروحِ أُزْهِقُهـــا عُـــذراً إليـــكِ فكيـــف أعتـــذر
قلـــبٌ تجمَّعَـــتِ الهُمُـــومُ بـــه نَفَّسْـــتُ عنـــه فهـــو مزدهِـــر
ضـــنكُ المنافـــذِ لا مكـــانَ بـــه لَمَسَرَةٍ واليـــــومَ ينـــــتشر
لَـــوْ لَمْ تُحَلِّيـــه عـــلى ســـعةٍ مـــن رُحْـــبِ صـــدركِ كـــانِ يَنْفَجِـــر
سَـــحَرٌ زمـــاني كلُّـــهُ لَهِـــوَى ليـــلِ بقربِـــك كلُّـــه سَـــحَر
وأرى ليـــاليَّ الطِـــوالَ بهـــا شَـــبَهٌ ففـــي ســـاعاتِها قِصَر

***

عقابيل داء

عقابيــــلُ داءٍ مــــا لَهُـــنَّ مطبَّـــبُ ووضـعٌ تغشَّـاهُ الخَنـا والتذَبـذُبُ

ومملكــــةٌ رهـــنُ المشـــيئاتِ أمرُهـــا وأنظمــــةٌ يُلهـــى بهـــنَّ ويُلْعَـــب

وناهيـــكِ مِـــن وضـــع يعـــيشُ بظّلـــه كـما يتَمنَّـى مَـن يخـونُ ويكـذِب

وقـرَّ عـلى الضـيم الشـبابُ فلـم يَثُـرْ وأخلـدَ لا يُسـدي النصـيحةَ أشـيب

كـأنْ لم يكـنْ في الرافـدينِ مُغـامرٌ وحتـى كـأنْ لم يبـقَ فيـه مجـرِّب

أعُقْمـــاً وأُمَّـــاتُ الـــبلادِ ولـــودةٌ وإنَّــكِ يــا أُمَّ الفــراتينِ أنجـب

وما انفكَّ يُزهى منكِ في الصِّيدِ أصيدٌ ويَلْمَـعُ في الغُلْـبِ الميـامينِ أغلـب

إذا قيـلَ مِـن أرضِ العـراق تطَّلعَـتْ عيـونٌ لـه وانهـالَ أهـلٌ ومرحـب

يُحكِّـمُ في الجُـلَّى أغـرُّ مُشَّـهَرٌ ويحْتـاجُ في البلـوى عـذيقٌ مرَجَّـب

فـما لـكِ لا بـينَ السـواعدِ سـاعدٌ يُحَـسُّ ولا بـينَ المناكـبِ مَنكِـب

تنـادتْ بويـلٍ في ديـارِكِ بومـةٌ وأعلـنَ نَحْسـاً في سـماكِ مُـذَنَّب

وأُلْبِسْـتِ مـن جَـورٍ وهضـم ملابسـاً أخو العزِّ عنها وهـو عريـانُ يرغـب

تكـاثرت الأقـوالُ حَقـاً وبـاطلاً وقـالَ مقـالَ الصـدقِ جلْـفٌ مُكذَّب

وشُـكِّكَ فـيما تدَّعيـه تظنِّيـاً ولـو أنَّـه شـحمُ الفـؤادِ المـذَوَّب

وبـاتَ سـواءً مـن يثـورُ فيغـتلي حماسـاً ومـن يلهـو مُزاحـاً فيلعـب

فـما لـكَ مـن أمـرينِ بُـدٌّ وإنـما أخفهـما الشرُّ الـذي تتجنـب

سكوتٍ على جمرِ الغضـا مـن فضـائح تُمَثَّـلُ أو قـولٍ عليـه تُعـذَّب

تخفَّـتْ أُبـاةٌ حـين لم يُلْـفَ مركـبٌ نزيـهٌ إلى قصـدٍ مـن العيشِ يُركـب

فـلا العلـمُ مرجـوٌّ ولا الفَهـمُ نـافعٌ ولا ضـامنٌ عـيشَ الأديـبِ التـأدُّب

ومُدَّخَرٌ سوطُ العذابِ لناهضٍ ... ومُدَّخَرٌ للخاملِ الغِرّ مَنْصِب
أقولُ لمرعوبٍ أضلَّ صوابَه ... تَردّي دساتيرٍ تُضِلُّ وتُرْعِب
ألا إن وضع النهى والأمر عندنا ... غريب وأهل النهى والأمر أغرب
تداوِلَ هذا الحُكْمَ ناسٌ لوَ أنَّهم ... أرادُوهُ طيفاً في منام لَخُيّبوا
ودعْ عنكَ تفصيلاً لشَتّى وسائلٍ ... بها مُلِّكُوا هذي الرقابَ وقرِّبوا
فأيسَرُها أنْ قد أُطِيلَ امتهانُهم ... إلى أنْ أدَرُّوا ضَرعَها وتحَلَّبوا
وأعجبُ ما قد خلَّفتْهُ حوادثٌ ... قليلٌ على أمثالهنَّ التَّعَجّب
سكونٌ تَغشَّى ثائرينَ عليهمُ ... يُعَوِّلُ أنْ خطبٌ تجرَّمَ أخْطب
عتابٌ يحُزُّ النفسَ وقعاً وإنه ... لأنزهُ من صوبِ الغوادي وأطيب
عليكُمْ لأنَّ القصدَ بالقولِ أنتمُ ... وليسَ على كلّ المسيئينَ يُعتب
هَبوا أنَّ أقواماً أماتَ نفوسَهُم ... وألهاهُمُ غُنْمٌ شهيٌّ ومكسَب
قصورٌ وأريافٌ يَلَذُّونَ ظِلَّها ... وجاهٌ وأموالٌ ومَوطيٌّ ومَركب
يخافونَ أنْ يَشْقوا بها فيؤاخَذوا ... إذا كشفوا عمَّا يَروَن وأعربوا
فما بالُ محروبينَ لم يحلُ مَطعمٌ ... لُهم فيُلهيهمْ ولم يصفُ مَشْرَب
خَلِيَّينَ لا قُربى فيُخشَى انتقاصُها ... لديهمْ ولا مالٌ يُبَزُّ فيُسْلَب
سلاحُ البلادِ المرهفُ الحدِّ مالَه ... نَبا منهُ في يوم التَّصادُم مضرب
على أنَّني إذ أُوسِعُ الأمرَ خِبْرَةً ... يلوحُ لِيَ العذرُ الصحيح فأصْحِب
همُ القومُ نِعم القومُ لكنْ عراهمُ ذهولٌ ... ذهولٌ به تُصْبي الغَيارى وتُخلَب
تَغوَّلَ منهم حزمَهُم إلْبُ دهرِهم ... عليهم وقد يُوهي القويَّ التألّب
وكلّ شُجاع عاونَ الدهرَ ضدّه ... مرّ جيهمُ فهو المضامُ المغلَّب
قليلونَ في حين الرزايا كثيرةٌ ... وطيدونَ في حينِ الأساليبُ قُلَّب

جريئـونَ لكـنْ للجـراءةِ موضـعٌ   وعاقبـةٌ إنّ العواقـبَ تُحْسَـب
يُلاقـون أرزاءً يَشُـقّ احتمالُهـا   وليس بميسـورٍ عليهـا التّغلّـب
فهـاهم كمَـنْ سُـدَّ الطريـقُ أمامَـه   وضـلَّله داج مـن الليـلِ غَيْهَـب
عـلى أنّهـم لا يهتـدُونَ بكوكـبٍ   وقد يُرشِدُ الحَيرانَ في اللّيل كوكب
إلى الأمـم الـلاّتي اسـتَتَمَّتْ وُثوبَها   تَشَـكّى اهتِضـاماً أُمّـةٌ تَتوَثّـب
إذا خلصَـتْ مِـن عَثْـرةٍ طوَّحـتْ بهـا   عَـواثرُ مَـن يُؤخَـذْ بها فهـو مُحْرَب
وإنْ فاتَهـا وحـشٌ صَـليبٌ فـؤادُه   تعَرَّضَ وحشٌ منه أقسى وأصلَب
يُعـينُ سِياسـياً عليهـا تفـرُّقٌ   وَيـنصُرُ رَجعيّـاً عليهـا تَعصّـب
أُريـدَ لهـا وجـهٌ يُزيـلُ قُطوبَهـا   فزيـدَ بهـا وجـهٌ أغـمُّ مُقطَّـب
وَرُبّـتما لاحـتْ عـلى السـنِّ ضِـحكةٌ   لـه تَنفُـثُ السـمَّ الزعـافَ وتَلصِـب
يُـرى أبـداً رَيّـانَ بالحِقْـدِ صَـدرهُ   كـما شـالَ لِلّـدغ الـذنابَينِ عَقـرب
وتلـكَ مـن المُسـتَحْدثِ الحُكـم عـادةٌ   يَـرى فُرصـةً منه اقتِـداراً فـيضرِب
ومـا جِئـتُ أهجـوهُ فلـمْ يبـقَ مَوضعٌ   نَزيـهٌ لـه بـالهجو يُـؤتى فيُثْلَـب
ولكنـه وصـفٌ صَـحيحٌ مُطـابقٌ   يجـيءُ بـه رائـي عَيـانٍ مُجـرّب
تُشَرَّدُ سُـكّانٌ لسُـكنى طـوارئ   وتُؤَخـذُ أرضٌ مـن ذويهـا فتوَهـب
ووالله لـولا أنّ شَـعباً مُغَلَّبـاً   يُلَـزُّ بَقرنيـهِ كمِعـزى ويحلَـب
لمـا عَبِـثَتْ فيـه أكُـفٌّ جَذيمـةٌ   ولمْ يَعْلُـهُ هـذا الهجـينُ المهلَّـب
ولكـن رَضـوا مـن حُـبّهمْ لـبلادِهمْ   بـأنَّهُمْ يَبكُونهـا حـينَ تُنكَـب
فيـا لـكَ مِـن وضـع تعاضـلَ داؤهُ   تُشـاطُ لـه نَفْـسُ الأبيِّ وتُلهـب
ولله تَـبريحُ الغَيـارى بحالـةٍ   كـما يَشـتهيها أشـعبيٌّ تُقَلَّـب

يُنَفِّذُ ما تَبغي وتَنهى « عقائلٌ » وتَعزِلُ فينا « غانياتٌ » وتَنصِب
كأندلُسٍ لَمَّا تَدَهْوَرَ مُنْكُها مُكَنّى جُزافاً عِندنَا ومُلَقَّب
ورُبَّ وسام فوقَ صدرٍ لو أنَّهُ يُجازَى بحّقٍ كانَ بالنعلِ يُضرَب
نشا ربُّهُ بينَ المخازي وراقهُ وِسامٌ عليها فهو بالخزي مُعْجَب
أفي كلِّ يوم في العراقِ مؤمَّرٌ غريبٌ به لا الأمُّ منه ولا الأب
ولم يُرَ ذا بَطْشٍ شَديدٍ وغِلظَةٍ على بَلَدٍ إلا البعيدُ المُجنَّب
أكُلُّ بَغيضٍ يُثقِلُ الأرضَ ظِلُّهُ وتأباهُ يُجبى للعراقِ ويُجْلَب
وحُجَّتُهم أن كانَ فيما مضى لنا أبٌ اسمهُ عندَ التواريخ يَعْرُب
عِديدُ الحَصى أبناؤهُ ولِكلِّهم مَجالٌ ومَلهىً في العراقين طَيِّب
وقد أصبحوا أولى بنا من نُفُوسِنا لأنَّهمُ أرحامُنا حينَ نُنْسَب
فأمَّا بَنُوه الأقربونَ فما لهم نصيبٌ به إلا مُشاشٌ وطَحْلب
فيا أيُّها التاريخُ فارفُضْ مَهازِلاً سَتَرْفُضها أقلامُنا حين تُكتَب
وقُلْ إنَّني أُودِعتُ شتَّى غَرائبٍ ولا مثلَ هذي فهي منهُنَّ أغرَب

***

الذكرى أو

دمعة تثيرها الكمنجة

يا مستثيراً دمعةً صَمدتْ لطوارئِ الدّنيا فلم تَثُرِ
إنَّ التي صَعُبَتْ رياضتُها أنزلتَها قسراً على قَدَر
وأسَلْتَها وهي التي عَجَزَتْ عن أن تُسيلَ فوادحَ الغِيَرَ
ردتْ نداءَ كوارثٍ عَظُمَتْ ودعا فلبَّتْ مَنطِقَ الوَتَر

هــل عنــد أنْمُلَــةٍ تُحَرِّكُهــا بــالـلطفِ إنَّ الــدمعَ بــالأثر

وهــل الــدموعُ ودفعُهــا وطــرٌ للنــاسِ تَــدْري أنَّهــا وطــري

مــا انفكّــتِ البلــوى تُضــايِقُني حتــى شَرَيْــتُ النفــعَ بــالضرر

وَوَجَــدْتُني بالــدمع مبتهجــاً مثــلَ ابتهــاج الــزرع بــالمطر

غطّــى العيــونَ فلــم تَجِـدْ نَظَـراً دمــعٌ أعــزُّ عــليّ مــن نَظَــري

يــا دمعــةً غــراءَ غاليــةً يَفْـديكِ مـا عنـدي مـن الغُـرَر

مــن قــابلاتِ حكــمَ مُنْتَقِــدِ وشــجارِ مفتَخــرٍ ومحتَقَــر

لغــة العواطــفِ جــلَّ مَنْطِقُهــا عــن أن يُقــاسَ بمنطــقِ البشر

فتّشــتُ عنــكِ فلــم أجِــدْ أثــراً حتــى ظننــتُ العيــنَ مــن حجـر

ومَرَيْــتُ جَفْنــي مَــريَ ذي ثِقَــةٍ ورجعــتُ عنــك رجــوعَ مُنْـدَحِر

وغــدوتُ أحْسُــدُ كــلَّ مكتئــبٍ ذي محجَــرٍ بالــدمع مُنْفَجِــر

كــم أزمــةٍ لــو كنــتِ حــاضرةً فَرَّجْتِهــا بمســيلِك العَطِــر

لــو كنــتِ عنـدي مـا ثَقلـتُ عـلى كــأس الشراب ومجلــس السَّــمر

لغســلتُ جَفْنــاً راح مــن ظمــأٍ مُتَلَهبــاً مُتَطــايِرَ الشَّرر

أنــا بانتظــارِكِ كــلَّ آونــةٍ علــماً بــأن الحــزنَ مُنْتَظِــري

طــال احتباسُــكِ بــين مُخْتَنَقــي ومحــاجري والآنَ فانحــدري

كنــتِ الأمينــةَ في مخابئهــا وأراكِ بعــدَ اليــوم في خطــر

وإذا امتنعــتِ عــليّ فــاقتنعي أنَّ « الكمنجــةَ » خــيرُ مُعْــتَصَر

ســيلي فــلا تُبقــي عــلى غُصَــصِ رانــتْ عــلى قلبــي ولا تــذَري

واستصــحبي جَزَعــا يلائِمُنــي وخــذي اصــطباري إخْــذَ مُقْتَــدر

فلقد أضرَّ بَسحتي جَلَدي ... فملامحي تُربي على عمري

كم في انكسار القلب من حِكَم ... لا عاش قَلْبٌ غيرُ مُنْكَسِر

هذي الطبائعُ لا يُطَهِّرُها ... مثلُ اصطلاءِ الهمِّ والكدر

وَلَرُبَّ نفسٍ بان رَوْنَقُها ... جراءَ حُزْنٍ غير مُنْتَظَر

مُسَّ الكمنجةَ يَنْبَعِثْ نَفَسٌ ... يمتدُّ في أنفاسِ مُحْتَضَر

في طوع كفكَ بَعْثُ عاطفتي ... وخَلاصُها من رِبقةِ الضّجر

وأزاحني عن عالَمٍ قَذِرٍ ... نَحْسٌ لآخَرَ زاهرٍ نَضِر

بالسمع يَفْدي المرءُ ناظِرَهُ ... وأنا فديتُ السَّمْعَ بالبصر

يا قلبُ – والنسيانُ مَضْيَعَةٌ – ... هذا أوانُ الذِّكْر فادَّكِر

هذي تواقيعٌ مُحَلِّقَةٌ ... بك في سماءِ تَخَيُّلٍ فَطِر

واستعرضِ الأيام حافلةً ... مكتظَّةً بتَبايُنِ الصُّوَر

أذْكُر مسامَرَةً ومجْتَمَعاً ... مزدانتين بقُبلَةِ الحَذر

مطبوعتين بقلبِ مثريةٍ ... بالمغريات وقلبِ مُفْتَقِر

متفاهمين فما نبل وجل ... لوقوع ذنبٍ غير مغتَفَر

أذْكُرْ تَوَسُّدَها ثنيَّتَها ... وسنانةً محلولةَ الشعر

معسولةَ الأحلام ذاهبةً ... بِخَيالِها للمدارج الصِّغَر

أذْكر يداً مرّتْ على بَدَنٍ ... هي منهُ حتى الآن في خدُر

وزيارة والنفس آمنةٌ ... وزيارةٌ والنفس في ذعر

ولُيَيْلَةً بيضاءَ خالدةً ... منها عرفت لذائذَ السفر

ثم اعطفِ الذكْرَى إلى جهةٍ ... أُخرى تُرعْ بعوالمِ أُخَر

تُذْهلْ لمغتصَبٍ على مَضَضٍ ... أمسى يقلَّبُ في يَدَيْ أشِر

بَـدَنٌ بـلا قلـبٍ لـدى أَثِـرٍ ... عـاتٍ عـلى الشَّـهَواتِ مُقْـتَصِر
ثمـرٌ بـلا ظـلٍ لـديك كـما ... في أسرِهِ ظـلٌّ بـلا ثمـر
كـم مثـلِ قلبِـك ذاهـبٌ هـدَراً ... لـتحكُّماتِ الـدين في الـبشر

***

ثورة النفس

سـكُت وصـدري فيـه تغـلي مراجـلُ ... وبعـض سـكوتِ المرءِ للمـرءِ قاتـلُ
وبعـضُ سـكوتِ المـرءِ عـارٌ وهُجْنَـةٌ ... يحاسَـبُ مـن جرّاهُمـا ويُجـادَل
ولا عجـبٌ أنْ يُخْـرِسَ الوضـعُ ناطقـاً ... بـلى عجـبٌ أنْ يُلْهَـمَ القـولَ قائـل
جـزى الله والشـعرُ المجـوَّدُ نَسْـجُهُ ... بأنكـد مـا تُجْـزَى لئـامٌ أراذل
مخـامِرُ غـدرٍ طوَّحَـتْ بي وعـودُهُ ... فـغُررتُ والتفَّـتْ عـليَّ الحبـائل
وكنـتُ امـرَءاً لي عاجـلٌ فيـه بُلْغَـةٌ ... سـدادٌ ومرجُـوٌّ مـن الخـير آجـل
رخيـاً أمـينَ السربِ محسـودَ نِعمـةٍ ... تَـرِفُّ عـلى جنَبـيَّ منهـا مبـاذل
فغُـودرتُ منهـا في عَـراءٍ تَلُفُّنـي ... مَفـاوِزُ لا أعتادُهـا ومجاهـل
طُمـوحٌ إلى الحتـفِ المـدبَّر قـادني ... وقد يُزهِقُ النفسَ الطُموحُ المُعاجِل
كَرِهْـتُ مـداجاةً فرُحْـتُ مشـاغبا ... ولم يُجدِني شَغْب فرُحْتُ أُجامـل
وأغْرقْـتُ في إطـراءِ مـن لا أهابُـه ... وسـاجلت بـالتقريع مـن لا يسـاجَل
وأصْحَرْتُ عـن قلبـي فكـان تكالُـبٌ ... عـليّ لإصـحاري وكـان تواكُـل
نـزولاً عـلى حكـم وحفظـاً لغايـة ... يكـون وسـيطاً بيـنهن التعـادُل
ومـا خِلْتُنـي عبئـاً علـيهم وأنهـم ... يريـدون أن يُجتَـثَّ مـتنٌ وكاهـل
ولمـا بـدا لي أنـه سـدُّ مَخْـرَج ... وقـد أُرتِجَ البـابُ الـذي أنـا داخـل

وأجلَتْ صدورٌ عن قلوبٍ خبيثةٍ ... ولاحت من الغدرِ الصريح مخايل

رجعت لعُشٍّ مُوحشٍ أقبنتْ به ... على الهمومُ الموحشاتُ القواتل

وكنتُ كعُصفورٍ وديع تحاملت ... عليه من الستِ الجهاتِ أجادِل

ورَوَّضْتُ بالتوطينِ نفساً غريبةً ... تراني وما تبغيه لا نتشاكل

وقلتُ لها صبراً وإن كان وطؤهُ ... ثقيلاً ولكن ليس في الحزن طائل

وكَظْمُ الفتى غيظاً على ما يسوؤه ... من الأمر دربٌ عبَّدته الأماثل

ولِلعْقلِ من معنى العقالِ اشتقاقُه ... إذا اقتِيدَ إنسان به فهو عاقل

وكنتُ ودعوايَ احتمالا كفاقدٍ ... حُساماً وقد رَفَّت عليه الحمائل

حبستُ لساني بين شِدْقَيَّ مُرغماً ... على أنه ماضي الشَّبا إذ يناضل

وعهدي به لا يُرسلُ القولَ واهناً ... ولا في بيانٍ عن مرادٍ يعاضل

وبيني وبينَ الشعرِ عهدٌ نكثتُه ... ورثَّتْ حبالٌ أُحكِمَتْ ووسائل

وجهّلتُ نفسي لا خمولا وإنما ... تيقنت – أن السيّدَ المتجاهل

وما خلت أني في العراق جميعِه ... سأفقِدُ حراً عن مغيبي يسائل

سَتَرْتُ على كَرْهٍ وضِغْنٍ مَقاتلي ... إلى أن بدتْ للشامتينّ المقاتل

أهذا مصيري بعد عشرين حِجَّةً ... تحلت بأشعاري فهن أواهل

أهذا مصيرُ الشعرِ ريّانَ تنتمي ... إليه القوافي المغدقاتُ الحوافل

سلاسلُ صِيغتْ من معانٍ مُبَغَّضٍ لها ... الذهبُ الأبريزُ وهو سلاسل

ومن عجبٍ أنّ القوافِي سوائلا ... إذا شُحِذَتْ للحَصْدِ فِهي مَناجل

وهنَّ كماءِ المُزْنِ لطفاً ورقةً ... وهنَّ إذا جدَّ النضالُ مَعاول

فأمّا وقد بانت نفوسٌ وكُشِّفَتْ ... ستائرُ قوم واستُثِيفَّت دخائل

ولم يبق إلا أن يقالَ مساومٌ ... أخو غرضٍ أو ميّتُ النفسِ خامل

فلا عذرَ للأشعار حتى يردَّها إلى الحق مرضيٌّ الحكومةِ فاصل
لأمِّ القوافي الويلُ إن لم يَقُمْ لها ضجيجٌ ولم ترتجَّ منها المحافل
سأقذِفُ حُرَّ القولِ غيرَ مُخاتِل ولا بدّ أن يبدو فيُخْزَى المُخاتل
لئن كان بالتهديم تُبْنى رغائبٌ وبالخبط والتكديرِ تصفو مناهل
وإن كان بالزلفى يؤمَّلُ آيسٌ وبالخُطَّةِ المُثلى يُخيَّبُ آمل
فَلَلْجهلُ مرهوبُ الغرارين صائبٌ ولَلْحِلْمُ رأيٌ بَيّنُ النقصِ فائل
ولَلْغَرَضُ الموصومُ أعلى محلةً من المرءِ منبوذاً علته الأسافل
أرى القومَ من يقذع يُقرَّبْ إليهِمُ ومن يَجْتَنِبْ يَكْثُرْ عليه التحامل
على غيرِ ما سنَّ الكرامُ وما التقت عليه شعوبٌ جمةٌ وقبائل
فلا ينخدعْ قومٌ بفرط احتجازةٍ تَخَيَّلَ أني قُعْدُدٌ متكاسل
فإني لذاكَ النجمُ لم يخبُ نَوُؤه ولا كَذَبَتْ سيماؤُه والشمائل
وما فَلَّتِ الأيام مني صرامةً ولا زحزحت علمي بأنيَ باسل
ولكنني مما جناه تسرُّعٌ توهمت أنَّ الأسْبَقَ المتثاقل
وإنّي بَعْدَ اليوم بالطيش آخذٌ وإني على حكم الجهالةِ نازل
وإني لوثابٌ إلى كل فرصةٍ تعِنُّ وعدّاءٌ إليها فواصل
بخيرٍ وشرٍ إن ما أدرك الفتى به سُؤْلَه فهو الخدينُ المماثل
وأعلَمُ علماً يقطعُ الظنَّ أنَّه لكلِ امرئٍ في كلِّ شيْءٍ عواذل
فإنْ لم يقولوا إنَّه مُتعنِّتٌ عَنُودٌ يقولوا مُصْحِبٌ متساهل
تخالُفَ أذواقٍ وبغياً وإثْرَةً ومن آدم في العيش كان التّقاتُل
فما اسطعتَ فاجعلْ دأبَ نفسِكَ خَيرَها ولا تُدخِلَنَّ الناسَ فيما تحاول

فـما الحـرّ إلا مـن يُشـاورُ عَقْلَـهُ وأمُّ الـذي يستنصِـحُ الغـيرَ ثاكـل
نَصـيحُكَ إمـا خـائفٌ أو مغـرَّرٌ كـلا الـرجلينِ في الملـماتِ خـاذل
وبيـنهما رأيٌ هـو الفصـلُ فـيهما ومعنـىً هـو الحـقُّ الـذي لا يجـادَل
عـلى أنهـا العقبـى – فباطـلُ نـاجح يَحِـقُّ وحـق العـاثرِ الجَـدِّ باطـل

***

لعبة التجارب

هـو الحُكـم – إن حقَّقـتَ – لُعبـةٌ يُسَـمُّونَ ترقيعاتـهِ بالتجـارِبِ
فتجرِبـةٌ للحكـم خَلـقُ موظـفٍ وتجرِبـةٌ للشـعبِ تخـريجُ نائـب
وإنَّ بـلاداً بالتجـارِبِ هُـدّمت وضُـيّعَ أهلوهـا لإحـدى العجائـب
وأعجـبُ منـه أن يُمنِّـي رجالُهـا نفوسَـهمُ خـيراً بعقبـى المصـائب
تُعطَّـلُ أربـابُ المواهـبِ ريـثما يُـتمَّمُ تخـريجُ الضِّـعاف المواهـب
ولـو جَرَّبـوا أهـل المناصب وحـدَهم لهـانَ.. ولكـنْ جُربّـوا في المناصـب
مـن الظلـم أن تـأتي قصـيدةُ شـاعر لتُصـلِحَ حـالاً أو مقالـةُ كاتـب
فـما دامَ حُكـمٌ للتجـارب راهـن فلـيس لنـا غـيرُ انتظـارِ العواقـب
ولكـنَّ دأبَ الشـاعِرينَ تحـرُّشٌ ومـن عـادةِ الكُتـابِ خلـقُ المتاعـبّ
دعـوا القـومَ أحـراراً يـؤدُّونَ واجبـاً ولا تحسَـبِوا سـهلاً قيامـاً بواجـبّ
ولا تحسـبوا سـهلاً بنـاءَ دوائـرٍ وتوقيـع أوراقٍ وتوزيـعَ راتـب
غـزا الجهـلُ أرض الرافـدْينِ فحلَّهـا كثـيرَ السَّرايـا مُسـتجاشَ الكتائـب
طليعـةُ جيـشٍ للمصـائبِ هـدَّدتْ كرامتَـهُ والجهْـلُ رأسُ المصـائب
ومـا خـيرُ شـعب لسـتَ تعثـرُ بينـه عـلى قـارئٍ مـن كـلِّ ألـفٍ وكاتـب

تمشَّـــى يجــرُّ الفَقْـــر ردفـــاً وراءهُ … وأتعِسْ بمصحوبٍ وأتعِسْ بصاحب
وراحـا عـلى الجُمهـور ضـيفينِ ألفَيَـا … مُناخـاً جمـيلاً بـين هـذي الخرائـب
فكـــان لِزامـــاً أنْ تحـــوزَ عصـــابةٌ … تفيـتْ بظـلِّ الجـاه أعـلى المراتـب
وكـــان لزامـــاً أن تـــتمَّ ســـيادةٌ … عليـه لأبنـاءِ « الـذوات » الأطايـب
وكـــان لزامـــاً أن تُقـــادَ جموعُـــه … حفـاةً عـراةً مهطعـينَ « لراكـب »
وكـــان لزامـــاً أن تحـــاكَ دســـائسٌ … لـه تحـت أسـتار الخِـداع الكـواذب
وكـــان لزامـــاً أن تعطَّـــل صـــنعةٌ … وأن يُصبحَ التوظيفُ أغلى المكاسب
مشى الشعـ [illegible] ـكَ القُوى واهنَ … الخُطى كواهلُه قد أُثقِلتْ بالضرائب
وقـد حِيـلَ مـا بـين الحيـاةِ وبينـهُ … فللمـوت منـه بـين عَـينٍ وحاجـب
وكُمَّت به الأفواه عن كشف سوءَةٍ … كـأنْ لم يكـن مـن ثَـمَّ عتـبٌ لعاتـب
وأوجـعُ مـا يُصـ [illegible] الغيـورَ مقْـاصرٌ … أطلَّـتْ عـلى مجحـورةٍ في الزرائـب
يَبِـينُ عـلى الحيطـان شرخُ نعيمهـا … وتغمُرهـا اللـذاتُ مـن كـلِّ جانـب
وتحيـي ليـالي الـرّقْص فيهـا خليعـةٌ … تكشَّف عن سوق الحسان الكواعب
ويجبـى إليهـا خمرُهـا مـن مشـارقٍ … يجـــادُ بهـــا تقطيرُهـــا وَمغـــارب
وتلـك مـن الإدقـاع تتَّسـد الثـرى … يلاعـــبُ جنبيهـــا دبيـــبُ العقـــارب
وقـد ذيـدَ عنهـا الـزادُ رَفهـاً لآكـلٍ … وحُـرّم فيهـا المـاء صـفواً لشـارب
وإنيَّ في إرضـــائيَ الشِـــعرَ حـــائرٌ … وإني لمـــأخوذٌ بهـــذا التضـــارب
فقـد يُعجِـز التفكـيرَ ذكـرُ محاسـنٍ … وقـد يُخجـل القرطـاسَ ذِكـرُ المثالـب

***

وادي العرائش

يـومٌ مـن العُمْـرِ في واديـكِ مَعـدودُ ... مُستوحِشـاتٌ بـه أيّـاميَ السُّـودُ

نزلـتُ سـاحتَكِ الغنَّـاءَ فانبعثَـتْ ... بالـذكرياتِ الشَّـجيَّاتِ الأناشـيد

واجتَـزتُ رغـمَ الليالي بـابَ سـاحرةٍ ... مـرَّ الشـبابُ عليـه وهـو مسـدود

قامَـتْ قِيامتُـه بالحُسْـنِ وانـتشرتْ ... فيـه الأهـازيجُ والأضـواءُ والغيـد

مـا وحـدَهُ غـرَّدَ الشـادي لِيرْقِصَـهُ ... المـاءُ والشـجرُ المهتـزُّ غِرِّيـد

واد هـو الجَنَّـةُ المحسـودُ داخلُهـا ... أو أنَّـه مـن جِنـان الخُلـدِ محسـود

ثقـي « زحيْلـةُ » أنَّ الحسْـنَ أجمَعَـهُ ... في الكونِ عن حُسناكِ المطبوع تقليد

أنـتِ الحيـاةُ وعمـرٌ في سـواكِ مضى ... فـإنما هـو تبـذيرٌ وتبديـد

أقسـمتُ أُعطـي شـبابي حـقَّ قيمتـهِ ... لـو أنَّ مـا فـاتَ منـه اليـومَ مـردود

وكيـفَ بي ونصـيبُ المـرء مُـرْتَهَنٌ ... بـه ومَغْنَمُـهُ في العُمْـرِ محـدود

لم يـأتِ للجَبَلَـينِ العـاطفَيْنِ عـلى ... واديـكِ أبهـى وأنقـى منـهُ مولـود

زَفَّـتْ لـه مُتَـعُ الـدُّنيا بشـائرَه ... واسـتقبلَتْهُ مِـن الطـيرِ الأغاريـد

أوفى عليـه يَقيـهِ حَـرَّ هـاجرةٍ ... سُرادِقٌ مـن لطيـفِ الظـلِّ ممـدود

بـالحَوْرِ قـامَ عـلى الجنبـينِ يحْرُسُـهُ ... مُعَـوَّذٌ مـن عُيـونِ النـاسِ مرصـود

تنـاولَ الأفْـقَ معتـزّاً بقامتـهِ ... لا ينثنـي فَـنَنٌ منـه ولا عـود

يقـولُ للعاصـفاتِ النـازلاتِ بـهِ ... إليـكِ عنـيّ فغـيرُ « الحَوْرِ » رِعديـد

صُـنْعُ الطبيعـةِ بالأشـجارِ وارفـةً ... لَـهُ وبـالنَّهرِ الرّقـراقِ تحديـد

خَصَّـتْهُ بـاللُطفِ منهـا فهـو مُنْبَعِـثٌ ... ورُبَّ وادٍ جَفتْـهُ فهـو مـوؤود

طـافَ الخيـالُ عـلى شَـتَّى مظـاهرهِ ... واسـتوقَفَتْني بـهِ حتَّـى الجْلاميـد

تَنَجَّـرَ الحجـرُ القـاسي بـهِ وبـدا   في وَجْنَـةِ الصَّـخرةِ الصَّـماءِ توريـد
تجـري الميـاهُ أعاليـهِ مُبعَثـرَةً   لهـا هُنالـكَ تصـويبٌ وتصـعيد
حتـى إذا انحـدَرَتْ تبغـي قَرارتَـهُ   تَضيـقُ ذرعـاً بمجراهـا الأخاديـد
اسـتقبلَتْها المجـاري يَسْتَجِمُّ بهـا   زاهـي الحصى فَلْـهُ فـيهنَّ تمهيـد
فهُـنَّ في السـفحِّ عَتْـبٌ رقَّ جـانبُهُ   وهـن يزفُـرْنَ فـوقَ الصـخرِ تهديـد
مـا بـينَ عَـيْنٍ وأُخـرى فـاضَ رَيِّقُهـا   أنْ تُلْفَـتَ العـينُ أو أنْ يُعطَـفَ الجْيـد
هـذي « المسـيحيَّةُ » الحسـناءُ تـم عـلى   شرع « المسـيح » لهـا بالمـاءِ تعميـد
كأنَّهـا وعُيـ ـُ المـاءِ تَغْمُرُهـا   مُسـتْنزَفُ الـدَّم مِـن عِرْقَيْـهِ مفصـود
بُشرى بأيلول شَهرِ الخْمرةِ اجتَمَعَتْ   عـلى العـرائشِ تَلْـتَمُّ العناقيـد
لله درُّ العَشِـيَّاتِ الحِسـانِ بهـا   يُسْرِجْـنَ ظُلمتَهـا الغِيـدُ الأماليـد
لُطْـفُ الطبيع ـِ سـودٌ يتّمِمُـهُ   جمـعٌ لطيـفٌ مـن الجنسَـيْنِ محشـود
في كـلِّ مُقهـىً عشـيقاتٌ نـزلنَ عـلى   « وادي الغـرام » وعُشَّـاقٌ معاميـد
تـدورُ بيـنهُمُ الأقـداحُ لا كَـدَرٌ   يعلـو الحـديثَ ولا في العـيشِ تنكيـد
الرَّشْـفَةُ النـزرُ مـن فـرط ارتيـاحِهِم   كـأسٌ مُفايَضَـةٌ والكـأسُ راقـود
خَـوْدَ البِقـاع لقـد ضُـيّعْتِ في بَلَـدٍ   تنَـاثَرتْ فوقَـهُ أمثالُـكِ الخُـود
أُسـلوبُ حُسْـنكِ مُمتـازٌ فـلا عَنـتٌ   في الـروح منـهُ ولا في السَـبْكِ تعقيـد
نهـداكِ والصـدرُ « ثـالوثٌ أُقدّسُـه   لـو كـانَ يُجمَـعُ تثليـثٌ وتوحيـد
الخَمْـرُ ممزوجـةً بـالرِّيقِ راقصـةٌ   والكـأسُ مـرَّتْ بثغـرٍ منـكِ عِربيـد
لو يُستجاب رجائي ما رجوتُ سوى   أنّي وشـاحٌ عـلى كَشْـحيكِ مـردود
جـارَ النِطـاقُ عليهـا في حكومتـهِ   فـالرِّدفُ مُنـتعِشٌ والخَصْرُ مجهـود

وأعلَنَتْ خيرَ ما فيها مَلابسُها مُنَمَّقاتٌ عليهنَّ التجاعيد
وكشَّفَتْ جَهْدَ ما اسطاعَتْ محاسنَها ولم تدَعْ خافياً لولا التقاليد
ما خَصرُها وهو عُريانٌ تتيهُ بهِ أرقُّ منه إذِ الزُّنّارُ مشدود
أمّا البديعانِ من عالٍ ومُنْخَفِضٍ فِداهما كلُّ حُسْنٍ أُعطِيَ الغيد
فقد تجسَّمَ هذا غيرَ محتَشِمٍ من فرطِ ما ضَيَّقتهُ فهو مشهود
ونطَّ ذيّاك مرتجّاً تقولُ بهِ رِيشُ النعام على الوِرْكَيْنِ منضود
إيّاكَ والفتنةَ الكبرى فنظرتُها مسحورةٌ كلّها همٌّ وتسهيد
إذا رَمَتْكَ بعينَيْها فَلبِّهِا واعلَمْ بأنَّكَ مأخوذٌ فمصفود
وإنّما الحبُّ زَحليٌّ فلا صِلةٌ ولا صدودٌ ولا بُخْلٌ ولا جود
يا موطِنَ السِحرَ إنَّ الشِعر يُنعِشُه فيضٌ من الحُسْنِ في واديكَ معهود
خيالُهُ من خيالٍ فيكَ مأخذُهُ ولطفُ معنىً من معناكَ توليد
اهتاجني موعدٌ لي فيك يجمعُني كأنّني بالشَّباب الطَّلْقِ موعود
وريعَ قلبيَ من ذكرى مُفارَقَةٍ كأنّني من جِنانِ الخُلْدِ مطرود
لا أبعدَ اللهُ طيفاً منكَ يؤنسني إذا احتوتنيَ في أحضانها البيد

***

تحية الحلة

عفواً إذا خانني شعري وتبياني فلُطفُكُم لا أوفّيهِ بشُكْرانِ
وقد يُهوِّنُ عند المرء زلتَه إحساسُه أنه ما بينَ إخوان
غطارفَ الحلةِ الفيحاءِ أنكُمُ في كل مَكرمُةٍ فِرسانُ ميدان
وليس إحسانُكمُ نحوي بمبتَدع هنا منابتُ ألطافٍ وإحسان

للعُـرْبِ سـفرُ نقابـاتٍ مُضـيَّعةٍ ... بـاقٍ لـديكم عليـه خـيرُ عُنـوان
ملامـحٌ عرَبيّـاتٌ مُخـبِّرةٌ ... بـأنكُم خـيرُ منسـوبٍ لقَحطـان
أتيـتُ ربـةَ أشـعاري أُناشـدُها ... عَوناً على الشعر أو صَفحاً عن الجاني
ورُحـتُ منهـا عـلى وَعـدٍ بمغفـرة ... إنْ لم يُسـدِّدْ خطـايَ اليـومَ شـيطاني
وجئـتُ مَحفِلَكُـم أمشي عـلى ثقـةٍ ... مـن ربّةِ الشعر عنـدي صَكُّ غُفـران
أبنـاءَ بابـل للأشـعار عنـدَكُمُ ... عِـمارةٌ لم يشـيِّدْ مثلَهـا بـانِ
ودولـةٌ برجـال الشـعر زاهـرةٌ ... معمـورةٌ بمقـاطيع وأوزان
أقمتمُوهـا عُصـوراً في رعـايتِكم ... لم تَخـلُ مـن آمـرٍ مـنكُم وسُـلطان
طـوعَ الأكُـفِّ دواويـنٌ مشـهَّرة ... وفي الزوايـا مُضـاعٌ ألـفُ ديـوان
هنـا نَمَـتْ عـذَبَاتُ الشـعر وارقـةً ... غصـونُها قبـل سـوريّا ولُبنـان
وعـنكُمُ أخَـذَتْ مِصرٌ مسـاهِمةً ... في مُعجِـبٍ من طريف القـول فَنْـان
ومـن شـعور الفـراتِينَ قـد نَهِلَـت ... أرضُ العـراق وعبَّـتْ أرضُ بَغـدان
لكننـي مسـتميحٌ عفـوَكم كَرَمـاً ... إذا عَتَبـتُ علـيكم عَتْـبَ غضبـان
وإن نكِـرتُ علـيكم سـيرَ متَّئـدٍ ... وإن طَلَبـتُ إلـيكم سـيرَ عَجـلان
وإن أردت لكـم شِـعراً يُجَـسُّ بـه ... نَـبْضُ السياسـةِ مـن آنٍ إلى آن
يكـون منهـا بمرصـادٍ يقابلهـا ... وجهـاً لوجـهٍ عـلى حـدٍ وميـزان
وفي العواطـف أمـواهٌ مُرَقْرَقـةٌ ... وتـارةً هـو تسـعيرٌ لنـيران
شـعراً تُعـالَج أبـوابُ الحيـاة بـه ... يكـونُ عـن كـل مـا فيهـا كـإعلان
نَسَـجتُمُ بُـردةً للشـعر ضـافية ... أتقنـتُمُ لُحمَتَيهـا أيَّ إتقـان
ماشـتْ عصـوراً طِوالاً وهـي زاهيـةٌ ... نُـوراً للملـك وتزيينـاً لتيجـان

ولــو أردَتُــم لكانَــتْ زينــةً لكُــمُ بهــا يُفــاخَرُ مــا كرَّ الجديــدان
أتــاكُمُ عــالَمٌ ثــانٍ فكــانَ لكــم أن تُبرزوهــا بشــكل مُونِــقٍ ثــان
وكــان يكفــيكُمُ حِفظــاً لرَونقِهــا أنْ تأخــذوها بأصــباغ وألــوان
لا أدَّعــي أننــي أولَى بتكرِمــةٍ وأننــي فــوقَ أصــحابي وأقــراني
ولا أُعــرضُ أني طــائشٌ فرحــاً وأن تَــذكَّرتمُوني بعــد نِســيان
لكــنما سرَّني أن الفــراتَ بــه يُقــامُ أولُ تكــريم لفنّــان
ناشــدتُكم بالحَمِيّات التــي دفعــت بكــم لــذكرِيَ والإعــلاءُ مــن شــاني
وبالمزايــا الفُراتِيّــات هــذَّبها جــورُ الطُغــاةِ وكــم فضــلٍ لطُغيــان
ألا اجتهَــدْتُم بــأن لا تتركــوا لَبِقــاً أونابغــاً عبقريــاً طــيَّ كــتمان
قد يَبعَثُ الشاعرَ الحَساسَ مزدهراً تقــديرُ عاطفــةٍ منــه ووجــدان
وقــد تَبــوخُ عــلى الإهمــال مَوهِبــةٌ لــو أُلْهِبَــت لــرأيتُم أيَّ بَركــان
أنــا الــدليلُ عــلى قَــولٍ أردتُ بــه أن لا يكــونَ لــه غَــيري كبُرهــان
تناوشــتْني مــن الأطــراف ناهشــةٌ لحمــي عصــابةُ أضــباع وذُؤبــان
كالتْ لِيَ الشَتْمَ ما شاءَت مكارمُها ســمحاءَ مــن دون تطفيــف ونُقصــان
وحســبُكُم وعلــيكُمْ شرحُ مُجمَلــه إن لم يكــن شــتمُ إنســانٍ لإنســان
وإن صَــدَقتُ فــما للقــوم من غَــرَضٍ إلا إماتــةُ حِــسٍ فيَّ يقظــان
ولم أجــدْ مــا يُنَسّــيني مَضاضــتَها إلا عواطــفَ خُــلاّنٍ وخُلْصــان
وإننــي إنْ رَمَتْنــي أعــينٌ خُــزُرٌ فــإنَّ أعيــنكُم بــالّلطفِ تَرعــاني
في الشــعر شَــحْذٌ لعَزْمــاتٍ ومُحتَسَــبٌ لطارئــاتٍ وتــرويضٌ لأذهــان
خذوا بها ضمَّت « الفيحاءُ » من غُرَرٍ مُخلَّــداتٍ ومــا ضَــمَّ « الغَرِيّــان »
ونوِّهــوا باســم أهليهــا لتَســمَعَهم ولــو عــلى الــرغم منهــا – صُــمُّ آذان

ودَرَّسوا نشْأكم من شِعرِهم قِطَعاً ... مُصوِّراتٍ لأفراح وأحزان
هنا بـ « بابلَ » قام الفنُّ تُسنِدُه ... حضارةُ المُلكِ من أزمانِ أزمان
هنا مَشَى الفذُّ « بانيبالُ » مُزدَهياً ... في موكِبٍ بغُواةِ الفنِ مُزدان
تَرجَّلَ المُلْكُ إكراماً له ومَشَتْ ... خواشعاً – ساسةٌ غُرٌّ – كرُهبان
مُقَدِّرين من النحّات موهبةً ... هي النُّبُوّةُ من وحي وإيمان
من هاهنا كان تحضيرٌ لأنظمةٍ ... في المشرِقَينِ وتمهيدٌ لأديان
تشريعُ بابلَ هزَّ الناسَ روعتُه ... من قبلِ أن يعرِفوا تشريعَ يونان
للآنَ يُحتاجُ في إصلاح مملكةٍ ... نظامُ دولةِ آشورٍ وكِلدان
هنا « حمورابِ» سنَّ العدلَ معتمداً ... به على حفظِ أفراد وعمران
شكراً جزيلاً لأفواهٍ تُعطِّرُني ... بكل مُمتَدَح الأسلوبِ حَسّان
ريانةً بمُذابِ العاطفاتِ أتَتْ ... تسعى لقلبٍ من الإخلاص رَيان
ولو تمكَّنتُ قدَّمتُ الفؤادَ لكم ... لكنَّ تقديمَ إحساسي بإِمكاني

***

معرض العواطف

أبرزتُ قلبي للرماة معرَّضا ... وجلوت شعري للعواطف مَعرِضا
ووجدتُني في صفحةٍ وعقيبها ... متناقضًا في السُخْط مني والرضا
أبرمتُ ما أبرمتُهُ مستسهلاً ... أن حانَ موعِدُ نقضِه أن يُنقَضا
ونزلتُ منه على الطبيعة منزلاً ... ألفيتُني فيه على جَمر الغَضا
متجانياً عن خير مَن أبغَضتَهُ ... ولشرِّ من أحببتُه مُتعرِّضا
ومدَحْتُ من لا يستحقُّ وراقَ لي ... تَكفيرتي بهجائِه عما مَضى

ووجـدتُني مُستصـعِباً إطـراءَ مَـن أطريتُـه بـالأمسِ طَوعـاً ريِّضـا
وحَمِدت أني عبدُ قلبي ما اشتهَى أن ينثنـي بـوِدادِه أو يُمحَضـا
وحمدت من هـذا اللسان سُكوتَه حتـى يُحرِّكَـه الفـؤادُ فينبضـا
فوَّضـتُه وحَمَلـت ألـفَ مصـيبة مـن أجـل أن راح الفـؤادُ مفوَّضـا
نافقـتُ إذ كـان النفـاق ضريبـةً متحرِّقـاً مـن صَـنعتى مترمِّضـا
ولكـم قَلِقـتُ مسـهَّداً لمواقـفٍ حَكَمـت علـيَّ بـأن اُداري مُبغِضـا
ولَعَنـت ربَّ الشـعر فـيها اختـار لي وبها قَضى.. ولَعَنـت أحكـامَ القَضَـا
وصَـدَعت فيهـا بالصراحـة مَـرةً زمـراً تُجـوِّدُ ان تقـولَ فتُغمِضـا
ولقـد حَـذَوت بأصـغَريَّ ليُمليـا مـا يطلُبـان عـلى الـيراع ويَفرِضـا
غَلَـبَ السرورُ فشعَّ رونـقُ بعضِـها وخبـا رُواءُ الأخرَيـات فغُيِّضـا
واسـوْدّ بالنِيـات سـوداً خـاطرٌ ومَشَى على البعضِ الصفاءُ فبيَّضا
وخـلا فجفَّ من العواطف بعضُـه وزهـا بهـا بعـضٌ فـرفَّ وروَّضـا
وأتـى عـلى عفـوٍ فصـحَّ نسـيجُه بعـضٌ وبعـضٌ بـالتكلف أمرَضـا
وضَحِكت من تشبيهِ ما استعجَلتهُ بالسَقْط أعجله المخاض فأجهَضَـا
ووجـدتُ في أثنائهـا رَجعيَّـةً طَفَحَـت وكنـت لها العـدوَّ المُبغِضـا
ولكـم تبينـت الجمـودَ مُجسَّـماً في بعـض مـا قـد قلتُـه مستنهضـا
ولقـد حَسِـبت مُصـارحاً مُتخلِّعـاً في مؤنسـاتٍ قلـتُهن مُعرِّضـا
فـوددتُ لـو أنّي اسـتقيتُ تَرفُّهـاً فيهـا استَقَيتُ مـن المجـونَ تَبرُّضـا
وأنِفـت مـن هـذي الطبيعـة حـرةً يعاتقُهـا التـدليسُ أن تتمخَّضـا
وخِشـيتُها مكبوتـةً لتحفُّـزٍ كالليـثِ أرهَـبُ مـا يُـري أن يربِضـا
وعَجِبـتُ ممَّن لسـتُ أبلـغُ شـأوَه في الموبقـات تـوغُّلاً وتعرُّضـا

عَبَّرتُ في الإغماض عن شهواته ... ومضى عفيفاً مُنكِراً أن أُحمِضا
وكشفتُ عن هذي الطبائع ثوبَها ... وبسطتهنَّ حريصةً أن تُقبَضا
فإذا بها الحشرات تسكن جيفةً ... مستورةً والخزيُ أن تَتَنفَّضا
ورأيتها ملأى بكل رذيلةٍ ... تجري مع العرق الخبيث تحرُّضا
فإذا استثار الشعرَ بعضُ صفاتها ... شوهاءَ أوجعَها البيانُ وأمعَضا
واستثقلت كشفي لهُنَّ ولذَّ لي ... كوني على ما استَثْقَلَتْه مُحرَضا
ووجدتُ في هَتكِ الرياء مخاضَةً ... وحَلفت أبرحُ ما استطَعت مخوِّضا
وأعادَت الذكرى إليَّ أليمةً ... لما انبريتُ بجمعِها مستعرِضا
فهنا التي أطريتُ فيها خُلَّباً ... كَذِباً خُدِعِتُ ببشره إذ أومَضا
أعطيتُه قلبي يفيضُ عواطفاً ... حتى إذا عَلقَت حبالٌ أعرَضا
واستامَني للمرجفين دريئةً ... يهدي إليها شامتا أو مُغرِضا
حتى إذا كشَّفتُ عن غَدَراته ... قالوا تقلَّبَ ناقداً ومقرِّظا
وهنا التي فاضت بجرح ناغرٍ ... مَضَت السنونَ الجارحاتُ وما مضى
وهنا التي فتَّشتُ عن شَبحٍ لها ... فإذا به مثل الخِضاب وقد نضا
سيسوء بعضاً ما أرى إثباتَه ... ويسُرُّ بعضاً ما أرى أن يُرفَضا
ومزيَّتي وهي الوحيدة أنني ... جاريتُ طبعي في الكثير كما اقتضى
وجعلتُ آخرَ ما يمرُّ بخاطري ... تفكيرتي أن يُجتَوى أو يُرتَضَى
ولعلَّ أحسنَ ما به من صالح ... عن شرِّ ما فيه يكونُ معوَّضا
وهناكَ دَينٌ للبلاد قضاؤُه ... حتمٌ عليَّ.. وقد أعيشُ فيُقتَضى

***

الفرات الطاغي

طغَى فضوعف منه الحسنُ والخَطَرُ وفاض فالأرضُ والأشجارُ تنغمِرُ

وراعت الطائرَ الظمآنَ هيبتُه فمرَّ وهو جبانٌ فوقَه حذِر

كأنما هو في آذيِّه جَبَلٌ على الضفاف مُطلٌّ وهي تنحدر

رَبُّ المزارعِ والملاّحِ راعَهما بالحول منه عظيمُ البطش مقتدِر

باتت على ضَفَّتيه الليلَ تحرُسُه غُلبُ الرجال لما يأتيه تنتظر

راحو أُسارى مطأطين الرؤوسَ له وراح طوعَ يديه النفعُ والضرر

مَشَى على رِسْلِه لا الخوفُ يَردَعُه ولا عن الفِعلة النكراءِ يعتذِر

ومر يَهزَأ من أيدٍ تقاومه تسعَى لتحكيم أسداد وتبتدِر

فكلُّ ما بلغَ الإنسانُ من عَنَتٍ قُوى الطبيعةِ تأتيه فينـدحِر

وما « الفراتُ » بمسطاعٍ فمختَضَدٍ ولا بمستعبَد بالعُنفِ يُقتَسر

كم من معاركَ شنَّ الفنُ غارتَها على « الفرات » ولكنْ كانَ ينتصر

نَموذَجٌ « للأنانيينَ » ليس له ولا عليه أفازَ الناسُ أم خسِروا

في حينَ باتَ جميعُ الناس يُرهبُهم في كل ثانيةٍ عن سَيره خَبَر

ملءُ القلوب خشوعٌ من مهابتِه وملءُ أعينهم من خوفِه سَهر

وراح شُغْل النوادي عن فظاظته يُجرى الحديثَ وفيه ينقضي السهر

ورُوِّعَ السمعُ حتى بات من ذَهَل يود سَمعُ الفتى لو أنه بَصَر

واستُبطِئت عن نَثَا أخباره بُرُدٌ واستُنهِضَ البرقُ يُستقصي به الخَبَر

هو « الفرات » وكم في أمره عَجَبٌ في حالتيهِ وكم في آيِه عِبَر

بينا هو البحرُ لا تُسطاع غضبتُه إذا استشاطَ فلا يُبقي ولا يَذرَ

إذا بـه واهـنُ المَجـرى يعارِضُـه عـودٌ ويمنعـه عـن سـيره حَجَـر
طَمَى فـردَّ شـبابَ الأرض قاحلـةً بـه وعـادت إلى رَيعانهـا الغُـدُر
وأشرفـت بقعـةٌ أُخـرى ألَّم بهـا علـى المهات فأمسَـت وهـي تُحتَضر
وودَّعَ الزارعـون الـزرعَ وانصرفـوا للـماء مـا زَرَعـوا منـه ومـا بَـذَروا
من كـان بـالأمس يعلـو وجهَـهُ فرحٌ بـما يُرجّيـه غطّـى وجهَـه كَـدَر
وقطَّبـت بعـد تهليـل أسرَّتُـه وبـان فـوق خُطـاه الضـعفُ والخَـوَر
صُـبَّت عليهـا بلايـاه ونقمتُـه أما « القصورُ » فلا خـوفٌ ولا حذَر
طافت عليه حنايا الكـوخ واقتُلِعَتْ مضـارِبُ البيـت منـه فهـي تنتشـر
غـط الهـديرُ فغضَّـت منـه ثاغيـةٌ ورددت ثغيّهـا مـن خلفِهـا أُخـر
واستحكمت ضجةٌ من كـل ناحية جـاءت إليهـا بمـوتٍ عاجـلٍ نُـذُر
ورُبَّ طالبـةٍ بالمـاء راضَـعَها ورب عاريـةٍ بالمـاء تـأتزر
وصفحةٍ مـن بـديع الشـعر منظـرهُ طـامي العُبـاب مُطِـلاً فوقـه القَمَـر
وقـد بـدت خضرةُ الأشـجار لامعـةً مغمـورةً بسـناه فهـي تزدهِـر
ومـن عـلى ضَـفَّتيه انصـاعَ منغمـرا في الماء نصفٌ ونصف فوقَه الشَجر
باتـت عـلى خَطَـرٍ نـاسٌ بثورتـه وراح يؤنُسـنا في المنظـر الخَطَـر
وهكـذا النـاسُ يُغـريهم تخـيُّلُهم حتـى يجيئـوا إلى البَلْـوى فيختـبروا
كـما أتـى الحـربَ فنـانٌ ليرسُـمَها في حـينَ آخـرُ يُصـلى جسـمَه الشرَر
روحٌ جـرت لم يُـردْ نَفعـا بهـا بـدنٌ وعسـجدٌ سـال إلا أنـه هَـدَر
هـذا المشـيَّدُ للعُمـران ريِّقَـه في الرافـدين بـه العُمـرانُ ينـدثر
كـان العـراقُ سـواداً مـن مزارعـه عـلى بنيـهِ يفـيءُ الظـلُ والثَمَـر

تَفيض خيراً على الأقطار غلّتُه ... موفورةً لسنين الجوع تُدَّخر

ووزّع الماءَ عدلاً في مسايله ... فكلُّ ناحيةٍ يجري بها نَهَر

باسم « الفرات » وتنظيمٍ له خُلقتْ ... دوائرٌ لم يَبِنْ من سعيها أثَر

أغفَت طويلاً ولما هاجَ هائجُه ... جاءته بعد فواتِ الوقتِ تبتدِر

وهاهو الماءُ موتٌ في زيادته ... وفي النقيصةِ مسروقٌ فمُحتكَر

***

حالنا أو في سبيل الحكم ..

لقد ساءَني علمي بخُبثِ السرائرِ ... وأنّي على تطهيرها غيرُ قادرِ

وآلمني أني أخيذُ تفكُّرٍ ... بكلِّ رخيص النفسِ خِبٍّ مُماكِر

تمشَّتْ به سَوءاتُ شعبٍ تلاءَمَت ... وسوءاتُه واستُدرِجَتْ بالمظاهر

وها أنا بالنيّات سوداً معذَّبٌ ... تعاودُني فيهنَّ سودُ الخواطر

وألمحُ في هذي الوجوهِ كوالِحاً ... من اللؤم أشباحَ الوحوش الكواسر

وتوحِشُني الأوساطُ حتى كأنّني ... أُعاشِرُ ناساً أُنهِضوا من مقابر

تصفَّحتُ أعمالَ الورَى فوجدتُها ... مخازِيَ غطَّوها بشَتى الستائر

وفتَّشتُ عما استحدَثوا من مناقِبٍ ... تُروِّجُ من أطماعهم ومفاخِر

فكانت حساناً في المظاهرِ خُدْعة ... على أنها كانت قِباحَ المخابر

مشى الناسُ للغايات شتى حظوظهم ... وآمالهم من مستقيم وجائر

وغطَّى على نقصِ الضعيف نجاحُه ... وراح القويُّ عرضةً للعواثر

وقد حوسب الكابي بأوهَى ذنوبِه ... ولم يؤخَذِ الناجي بأمّ الكبائر

وراحـت أسـاليبُ النفـاق مَفـاخراً ... سـلاحاً قويـاً للضـعيف المُفـاخر
وحُبِّـبَ تـدليسٌ وذُمَّـت صراحـةٌ ... فـلا عـيشَ إلاّ عـن طريـقِ التـآمر
وألَّـفَ بـين الضـدِ والضـدِ مغـنمٌ ... وفرَّقَـتِ الاطـماعُ بـين النظـائر
مُحيطٌ خَـوَتْ فيـه النفـوسُ وأفسِـدتْ ... طبـاعُ أهاليـه بعـدوْى التجـاور
هَوَت نبعةُ الأخلاق جـراءَ مـا اعتَدَتْ ... عـلى الشـعب أطـماعُ السَّراةِ الأكـابر
وقـد صِـيح بـالإخلاص نَهْبـاً فـلا تَـرَى ... سـوى بـؤَر التضـليلِ جِسراً لعـابر
وبـاتَ نصـيبُ المـرءَ رَهنـاً لِمـا يَـرَى ... أولـو الأمـرِ فيـه مثـلَ لِعـبِ المقـامر
فإمـا مُكَّـبٌ للحضـيض بوجهـه ... عـلى أنـه سـامي الـذرى في المفـاخر
وإمـا إلى أوجٍ مـن المجـد مُرتَـقٍ ... عـلى سُـلَّمٍ مـن موبقـاتٍ فـواجر
ولم يبـقَ معنـى للمناصـب عنـدنا ... سـوى أنهـا ملـكُ القريـبِ المصـاهِر
وإن ثيـابَ النـاس زُرَّت جميعُهـا ... عـلى عاهـةٍ إلاّ ثيـابَ المـؤازر
تُسـنُّ ذيـولٌ للقـوانين يُبتَغـى ... بها جَلْبُ قـوم « للكـراسي » الشـواغِر
وقـد يُضـحِكُ الـثكلى تنـاقضُ شـارع ... قوانينُـه مـأخوذةٌ بالتنـاحر
أُهينَـتْ فلـم تُنـتَجْ قريحـةُ شـاعرٍ ... وضـيِمَتْ فلـم تَنشَـط يراعـةُ نـاثر
وهـيمَنَ إرهـابٌ عـلى كـل خَطـرةٍ ... تَـرَدَّدُ مـا بـين اللَّهـى والحنـاجر
لقـد مـلَّ هـذا الشـعبُ أوضـاع ثُلَّـةٍ ... غـدت بينـه مثـلَ الحـروفِ النـوافر
ومـا ضرَّ أهـلَ الحكـم أنْ كـان ظلُّهـم ... ثقـيلاً عـلى أهـل النُهـى والبصـائر
فحسـبُهمُ هـذي الجماهـيرُ تقتَفِـي ... خُطـى كـل مقتـادٍ لهـا مـن مناصر
وحسـبُهمُ أن يسـتجدُّوا « دعايـة » ... تُعـدِّدُ مـا لم يعرفـوا مـن مـآثر
وأوجـع مـا تَلقَـى النفـوس نكايـةً ... مَعِـزّةُ أفـرادٍ بـذلِّ أكـاثر

لكي ينعُمَ الساداتُ بالحكم ترتوي ... بقاعٌ ظِماءٌ من دماءٍ طَواهر

وكي لا ترى عينٌ على البَغي شاهداً ... تُغيرُ عمداً ناطقاتُ المحاضر

وأهوِنْ بأرواح البريئين أُزهِقَت ... وأموالِهم طارت هباً من خسائر

وكانت طباعٌ للعشائر ترتجى ... فقد لُوِّثَت حتى طباعُ العشائر

وكان لنا منهم سلاحٌ فأصبحوا ... سلاحاً علينا بين حين وآخر

وإنك من هذي الشنائعِ ناظرٌ ... إلى مُخزياتٍ هن شوكٌ لناظر

إذا ما أجَلْتَ الطَرْف حولَك وانجلت ... بعينيك يوماً مُخَبئاتُ الضمائر

وكشفت عن هذي النفوس غطاءها ... وأبرزتَها مثل الإماءِ الحواسِر

وفتَّشتَ عما في زوايا الدوائر ... وغربَلْتَ ما ضمَّت بطونُ الدفاتر

رجعتَ بعينٍ رقرَقَ الحزنُ ماءَها ... وأُبْتَ بقلب شاردِ اللُّبِّ حائر

وأيقنتَ أنّ الحالَ حالٌ تعسَّرَت ... على كلِّ طَبٍّ بالطبائع ماهر

وقد يملأُ الحرَّ المفكرَ حرقةً ... تفكُّرُه يوماً بعُقبى المصاير

ولا أملٌ إلاّ على يدِ مُصلحٍ ... حَقودٍ على هذا التدهوُرِ ثائر

وإن عيوباً جلْبَبَ الكِذبُ كُنْهَهُ ... فغَطَّينَ أضعافَ العيوبِ السوافِر

ولا تحسبنَّ الشعرَ سهلاً مهبُّه ... بهذي المساوي بين بادٍ وحاضر

فإن عظيماً أن يخلِّدَ شاعرٌ ... مخازيَ جيل بالقوافي السوائر

سنُضحكُ قرّاءَ التواريخ بعدنا ... ونبدو لهم فيهن إحدى النوادر

وسوف نُريهم للمهازل مَرسَحاً ... نَروح ونغدو فيه هُزأةَ ساخر

فإن ترني أُذكي القوافي بنَفثَةٍ ... أُراني على كِتمانها غيرَ صابر

فإني برغم العاصفات التي ترى ... أُقاسي رُكوداً لا يَليق بشاعر

رجعتُ لنفسي أستثيرُ اهتمامَها ... وأُلزِمُها ذنبَ الصريح المجاهر

وأُثقلها بالعَتْب إن كان لي غنى — عن الشرِّ لولا حبُّها للمَخاطر
وساءلتُها عما تُريد من التي — تُرشِّحها للمُهلكات الجوائر
أأنتِ بعَورات النفوس زعيمةٌ — مُوَكَّلة عنها بِعَدِّ الجرائر
وما أنتِ والغرمَ الذي راح مَغنَماً — لقد غامر الأقوامُ فيه فغامري
خذي وِجهةً في العيش يُرضيك غيُّها — ولا تستطيبي منه قِعدَة خائر
وإن شذوذاً أن تُثيري وتصدَعي — شَذاةَ مُحيط بالمداجاة زاخر
وأحسن مما تدَّعين صلابةً — سماحُ المحابي وانتهازُ المساير

***

عاشوراء

هي النفس تأبى أن تذِلَّ وتُقهَرا — ترَى الموتَ من صبرٍ على الضيم أيسَرا
وتختارُ محموداً من الذِكرِ خالداً — على العيش مذمومَ المغَبَة مُنكَرا
مشى ابنُ علي مِشيةَ الليث مُخدِراً — تحدَّته في الغاب الذئابُ فأصحَرا
وما كان كالمعطي قِياداً محاولاً — على حينَ عضّ القيدُ أن يتحررا
ولكنْ أَنوفاً أبصَرَ الذُّلَّ فانثنى — لأذيالهِ عن أن تُلاثَ مُشمِّرا
تسامىَ سموَّ النجم يأبى لنفسه — على رغبة الأدنَينَ أن تتحدَّرا
وقد حلفتْ بيضُ الظُبا أن تنوَشه — وسمرُ القَنا الخطيِّ أن تتكسَرا
حدا الموتُ ظعنَ الهاشميينَ نابياً — بهمْ عن مقرٍّ هاشمي مُنَفَّرا
وغُيِّبَ عن بطحاء مكة أزهَرٌ — أطلَّ على الطَف الحزينِ فأقمَرا
وآذَنَ نورُ « البيت » عنه برِحلة — وغاصَ النَدى منه فجفَّ وأقفرا
وطاف بأرجاء الجزيرة طائفٌ — من الحزن يوحي خِيفةً وتطيُّرا

ومرّ على وادي القُرى ظِلُّ عارضٍ ... من الشُؤْم لم يلبث بها أن تَمطَّرا
وساءَلَ كلٌّ نفسَهُ عن ذُهوله ... أفي يقَظةٍ قد كانَ أم كان في كَرى
وما انتفضوا إلا وركبُ ابنِ هاشمٍ ... عن الحج « يومَ الحج » يُعجله السُرى
أبت سَورةُ الأعراب إلا وقيعةً ... بها انتكَصَ الإسلام رَجْعاً إلى الوَرَا
ونُكِّسَ يومَ الطفّ تاريخُ أمة ... مشى قبلَها ذا صولةٍ متبخِترا
فما كان سهلاً قبلَهم أخذُ موثق ... على عَرَبيّ أن يقولَ فيغدِرا
وما زالت الأضغانُ بابن أميَّةٍ ... تراجِعُ منه القَلبَ حتى تحجرا
وحتى انبرى فاجتَثّ دوحةَ أحمدٍ ... مفرِّعةَ الأغصان وارفةَ الذرى
وغطَّى على الأبصار حقدٌ فلم تكن ... لتَجهَدَ عينٌ أن تَمُدَّ وتُبصِرا
وما كنتُ بالتفكير في أمر قتلهِ ... لأزدادَ إلا دهشةً وتحيُّرا
فما كان بين القوم تنصبٌّ كتبُهمْ ... عليه انصبابَ السيل لما تحدَّرا
تكشَّفُ عن أيدٍ تُمَدُّ لبيعةٍ ... وأفئدَةٍ قد أوشكَت أن تَقَطَّرا
وبينَ التخلّي عنه شِلواً ممزَّقا ... سوى أن تجيءَ الماءَ خِمسٌ وتُصدِرا
تولى يزيدٌ دَفَّةَ الحكم فانطوى ... على الجمر من قد كانَ بالحكم أجَدرا
بنو هاشمٍ رهطُ النبيِّ وفيهُمُ ... تَرعرَعَ هذا الدينُ غَرساً فأثمَرا
وما طال عهدٌ من رسالة أحمدٍ ... وما زالَ عودُ الملك ريّانَ أخضَرا
وفيهِمْ حسينٌ قِبلةُ الناس أصيدٌ ... إذا ما مَشَى والصِيدُ فاتَ وغبَّرا
وغاض الزبيريين أن يبصِروا الفتَى ... قليلَ الحِجى فيهم أميراً مُؤمَّرا
ففي كل دارٍ نَدوة وتجمُّعٌ ... لأمرٍ يُهم القومَ أن يُتدَبرا
وقد بُثَّت الأرصادُ في كل وِجهةٍ ... تخوف منها ان تُسَرَّ وتُجهَرا
وخَفُّوا لبيت المال يستنهضونَهُ ... وكان على فضِّ المشاكل أقدَرا

وقد أدرك العُقْبى مَعاوي وانجلَتْ ... لعينيه أعقابُ الأمور تَبصُّرا
وقد كان أدرىَ بابنه وخصومِه ... وأدرى بأنَ الصَيدَ أجمعُ في الفرا
وكان يزيدٌ بالخمور وعصرِها ... من الحكم ملتَفَّ الوشائج أبصَرا
وكانَ عليه أن يشُدَّ بعَزمه ... قُوَى الأمر منها أن يَجِدَّ ويسْهَرا
فشمَّر للأمرِ الجليلِ ولم يكن ... كثيراً على ما رامَه أن يشمِّرا
هو الملك لا علق يباع فيشترى ... لتصبر نفس عنه أو تصبرا
ولكنَّه الشيءُ الذي لا معوِّض ... يعوِّضُ عنه إن تولَّى وأدبَرا
وقلَّبها من كل وجه فسرَّه ... بأن راءَها مما توَّقع أيسَرا
فريقينِ دينياً ضعيفاً ومُحَنقاً ... ينفِّسُ عنه المالُ ما الحِقد أوغرا
وبينهما صِنفٌ هو الموتُ عينُهُ ... وإن كانَ معدوداً أقلَّ وأنزَرا
وماماتَ حتى بيَّنَ الحزمَ لابنه ... كتابٌ حوى رأساً حكيماً مفكرا
وأبلَغَه أنْ قد تَتَبَّع جهدَه ... مواطنَ ضَعفِ الناقمين فحذَّرا
وإن حسيناً عثرةٌ في طريقه ... فما اسطاعَ فليستغنِ أن يتعثَّرا
وأوصاه شرّاً بالزبيريِّ منذِرا ... وأوصاه خيراً بالحسَين فأعذَرا
لوَ أن ابن ميسونٍ أرادَ هدايةً ... ولكن غَويٌّ راقَهُ أن يُغرِّرا
وراح « عبيدُ الله » يغتلُّ ضعفَه ... وصُحبَتَهُ حتى امتطاه فسيَّرا
نشا نشأةَ المستضعفينَ مرجيًّا ... من الدهر أن يُعطيه خَمراً وميسِرا
وأن يتراءى قرده متقدِّماً ... يجيءُ على الفُرسان أم متأخِّرا
وأغراه حُبّاً بالأخيطلِ شعرُهُ ... لو اسطاعَ نَصرانيةً لتنصَّرا
وقد كان بين الحزنِ والبِشر وجهُه ... عشيَّةَ وافاه البشيرُ فبشَّرا

تـــردَّى عـــلى كـــره رداءَ خِلافـــةٍ ... ولم يُلـقِ عنـه بعـدُ للخمـرِ مِئـزرا
وشــــقَّ عليـــه أن يصـــوِّر نفسَـــه ... عـلى غـير مـا قـد عُـوِّدَت أن تُصـوَّرا
وأن يُبــتَلى بــالأمرِ والنهــي مُكرَهــا ... وأن يَجمـع الضِــدَّين سُـكراً ومِنـبَرا
إذا سَـلِمت كـأسٌ يُـروِّحُ مُغبّقـاً ... عليـه بهـا السـاقي ويغـدو مبكِّــرا
وغنَّتـهُ مـن شـعر «الأخيطـلِ» قَينَـةٌ ... وطارَحَهــا فيهــا المُغنّـــي فــأبهَرا
فكـــلُّ أمـــور المســـلمينَ بســـاعةٍ ... مـن المجلِسِ الزاهـي تُبـاع وتُشـتَرى
وشـاعَتْ لـه في مجلِس الخمـر فَلْتَـةٌ ... مــن الشِــعر لم تَسـتَثْنِ بَعثـا ومَحشَرا
وقــد كــانَ سَــهلاً عنـدَه أن يقولَهـا ... وقــد كــانَ ســهلاً عنـده أن يُكفَّــرا
عــلى أنــه بــالرَغم مــن سَـقَطاته ... وقــد جــاءه نَعــيُ الحسـين تــأثَّرا
فــما كــان إلا مثــلَ قــاطعِ كفِّـــه ... بــأُخرى ولمــا ثَــابَ رشْــدُهُ تَحسَّرا
وأحسَـــب لـــولا أنَّ بُعـــدَ مســـافةٍ ... زَوَت عنه ما لاقَى الحسينُ وما جرَى
ولـــولا ذُحـــولٌ قـــدمت في معـــاشِرٍ ... تقاضَــوا بهــا في الطَـفِّ دينـاً تـأخَّرا
لزُعـــزِع يـــومُ الطـــف عـــن مُســتقَرِّه ... وغُـــيِّرَ مـــن تاريخــه فتَطَـــوَّرا
أقـــول لأقـــوامٍ مضَـــوا في مُصـــابه ... يســومونه التحريــفَ حتــى تغيَّرا
دعــوا رَوعــةَ التــاريخ تأخــذْ مَحَلَّهـا ... ولا تجهـــــدوا آياتِـــــه أن تُحـــوَّرا
وخلــوا لســانَ الــدهر ينطــقْ فإنّــه ... بليـــغٌ إذا مـــا حـــاولَ النطـــقَ عَـبَّرا

***

أول العهد

أوَّل العهــــــدِ بــــــالَّتي حَمَّلتنــــــي ... شــــططاً في الهـــوى وأمـــراً فِريّـــا
وَضْـــعُ كفّـــي في كفّهـــا تتلظَّـــى ... مِـــن غـــرامٍ كمَـــنْ يُنـــاوِل شَـــيّا

رجفَــت رَجفْــةً قــرأتُ التشــهّد ... فوقَهـــا واضــــحاً بليغـــاً قويّـــا

ثـــم قالـــت بطرفهـــا بعـــدَ لأيٍ ... عــن طريــقٍ سـهلٍ وصَـلْتَ إليّـا!

وهـــيَ ســـمراءُ في التقــاطيع منهــا ... يجِــــدُ الحــــالمونَ شِــــبعاً ورِيّـــا

يـنفحُ العَطـر جِلـدُها ويسـيلُ الـدِفءُ ... في عِرْقهـــــا لذيـــــذاً شـــــهيّا

لـو قـرأتَ الخـطَّ ! الـذي واسَـطَ ... النهـدينِ يسـتهدفُ الطريـقَ السـويّا!

لتَمَشَّــــيْتَ فوقَـــــه بــــالتمنّي ... ووصــلت الكنــزَ الثمــينَ الخفيّــا

وتصـــــبَّاكَ منتهـــــاهُ تصـــــبّي ... عـــالَمٍ آخــــرٍ تقيّـــاً نَقيّـــا

***

الصَبر الجَميل

ذمَـمْتُ اصـطبارَ العـاجزينَ وراقنـي ... عـلى الضُرِّ صـبرُ الواثـبِ المتطلّـعِ

لـــه ثِقَـــةٌ بـــالنفسِ أنْ ســـتقودُه ... لحـــالٍ يرجّـــي خيرَهـــا أو لمصرع

ومـا الصـبرُ بـالأمرِ اليسـيرِ احتمالُـه ... وإن راحَ ملصـوقاً بـه كـلُّ مُـدَّعي

ولا هـــو بـــالشيء المشرِّفِ أهلَــه ... إذا لم تكــنْ عُقبــاه غــيرَ التوجّــع

ولكنَّـه صـبرُ الأسـودِ عـلى الطَّـوى ... تغطّـــي عليـــه وثبـــةُ المتجمِّــع

يحَـــكُّ طبـــاعِ آبيـــاتٍ وطُـــوَّعٍ ... وبَلـوى نفـوسٍ طامحـاتٍ ووُضَّـع

يُعنَّـــى بـــه حُـــرٌّ لإحقـــاقِ غايـــةٍ ... ويَخْـــرُجُ عنـــه آخـــرٌ للـــتضرُّع

فـإنْ كنـتَ ذا قلـبٍ جـريءٍ طبيعـةً ... عـلى نكبـات الـدهر لا بـالتطبّع

فبـورِكَ نسْـجُ الصَّـبرِ درعـاً مضـاعفاً ... وبوركْـتَ مـن ذي مِـرَّةٍ متـدرِّع

***

الشاعر الجبار

وُلِدَ الالمعيُّ فالنجمُ واجِمْ باهتٌ من سُطوع هذا المُزاحِمْ

أتُرى عالمَ السموات ينحطُّ جلالاً عن واطئات العوالم

أم تظُن السماء في مهرجانٍ لقريب من الملائك قادم

أم تُرى جاءت الشياطينُ تختصُّ بروح مشكك متشائم

كيفما شاء فليكنْ إن فكراً عبقرياً على المَجرة حائم

قال نجمٌ لآخرٍ : ليت أبي لثرى الكوفةِ المعطر لاثم

ولبيتٍ أناره عبقريٌ لم ينوَّر بمثله الأُفقُ.. خادم

ليت أني بريقُ عينيه أو أني لنور القلب المشعِ مقاسم

أيها «الكوكبُ الجديدُ» تخيرْني إذا ارتحت بسمةً في المباسم

ولقد قال ماردٌ يتلظى في جحيمِ على البرية ناقم

أزعجتْ جوَّنا روائحُ من خبثٍ وضَعفٍ على الثرى متراكم

لا أرى رسم بُرثُنٍ بين أظلافٍ عجافٍ كثيرةٍ ومناسم

أفنسلُ المَلاك هذا وما كان ملاك موكلاً بالجَرائم

أفهذا نسلُ الشياطينِ والشيطانُ لم يَرْبُ في دُموع المآتم

إنَّ فيه أمراً عجيباً مخيفاً ضعفَ مستَغشَم وقسوةَ غاشم

لو ملكنا هذي اللُّحومَ لكانت للذُباب المنحطِّ نِعمَ الولائم

وأُرانا نحتاج خَلقاً كهذا عاصفاً ثائراً قويَّ الشكائم

فَلْنرجّف أعصابهَ وهو يقظانُ ونزعجْ أحلامه وهو نائم

ولْنُوَجْههُ قبْلةً لا يلقّى عندها غيرَ حاقدٍ أو مخاصم

ولْتُثَـــرْهُ لـــيملأ الكـــونَ عُنفـــاً ... نفـسٌ يُلهـبُ المشـاعر جـاحم

أيهـــا المـــاردُ العظـــيمُ تقبّـــلْ ... ضَرَمـاً تستشـيطُ منـه الضرائـم

وســـأهديكَ إن تقبلـــتَ منـــي ... مِعـولاً مـن لظـىً فإنـك هـادم

وســـلامٌ عليـــك يـــوم تُنـــاوِي ... لـؤمَ أطماعِهـمْ ويـومَ تهـاجم

بُشِّر المنجـبُ « الحسـين » بمولـودٍ ... عليـه مـن الخلـود علائـم

سـابح الـذهن .. حـالم بالمشـقاتِ ... شريـد العينـين بـين الغمائـم

وانـبرت عبقَـرٌ تزجّـي مـن الجـنّ ... وفـوداً مزهـوةً بالمواسـم

وأتـى الكـونَ « ضـيفهُ » بـدويَّ ... الرعـد يلقـاه لا بسـجع الحمائِـم

عالمـاً أنَّ صـوت خَلْـقٍ ضـعيفٍ ... غـيرُ كـفءٍ لمثـل هـذي الغلاصِـم

فارشـاً دربَـهُ بشـوك مـن الفقـرِ ... وجمـرٍ مـن ضِـغنةٍ وسـخائِم

قـائلاً :هـذه حـدودي تخطاهـا ... عظـامٌ إلى أمـورٍ عظـائِم

ربـما يفُـرشَ الطريـقُ بنثـر الزَهـر ... لكـن للغانيـات النَـواعم

قُبَـل الأمهـات أجـدرُ مـا كانَـتْ ... بوجـهٍ مُلـوَّح للسـمائِم

يـا صـلـيباً عـوداً تحدَّتـه أنيـابُ ... الرزايـا فـما اسـتلانَ بعـاجِم

ورأي المجـدَ خـيرَ مـا كـان مجـداً ... حـينَ يُسـتَلُّ مـن شُـدوق الأراقِـم

شـامخٌ أنـتَ والحـزازاتُ تنهـارُ ... وبـاقٍ وتضـمحلُّ الشـتائِم

وحيـاةُ الأبطـالِ قـد يُعْجِـز الشـاعرَ ... تفسـيرُها كحَـلِّ الطَلاسـم

ربَّـما استضـعَفَ القـويُّ سَـديدَ الـرأيِ ... يأتيـه مـن ضـعيفٍ مُسـالِم

أيُّ نَفْـس هـذي التـي لا تعُـدُّ ... العمـرَ غُـنْماً إلا بظِـلِّ المَغـارِم

تَطـرَحُ الخفـضَ تحـت خُـفِّ بَعـيرٍ ... وتَـرى العـيشَ نـاعماً غـيرَ نـاعِم

وتَلَذُّ الهجيرَ تحسَب أنَّ الذلَّ يجري … من حيثُ تجري النسائم

وترى العزَ والرجولةَ وصفينِ … غريبَينِ عن مُقيم ملازِم

كلُّ ما تشتهيهِ أن تَصحب الصارمَ … عَضْباً وأن تَخُبَّ الرواسِم

هكذا النابغونَ في العُدْمِ … لم تُرضِعْهُمُ الغُنْجَ عاطفاتٌ روائِم

ونبوغُ الرجال أرفعُ من أنْ يحتويه … قَصْرٌ رفيعُ الدَعائِم

إنما يَبعَث النبيَّ إلى العالَمِ … بَيتٌ مُهَفْهفُ النورِ قاتِم

« كندةٌ » أينَ ؟ لم تُبقِّ يَد الدهرِ … عليها ولا تَدُلُّ المَعالم

لم تخلف كفُّ الليالي من … الكوفَةِ إلا مُحَرَّقاتِ الركائِم

أحصيد دور الثقافة في الشرقِ … ألا يستبينُ منهُنَّ قائِم

أين بيتُ الجبار باق على … سمعِ الليالي مما يَقول زمازِم

« جُعف » منسيَّةٌ أفاض عليها الشعرُ … ما كانَ في « أُمَيِّ » و « هاشم »

لست أدري « أكوفة » المتنبي … أنجبته أم أنجبته العواصِم

غير أن النُبوغَ يَذوي وينمو … بين جوٍّ ناب . وجوٍّ ملائِم

« حَلَبٌ » فتَّقَت أضاميمَ ذِهنٍ … كان من قبلُ « وردةٌ » في كمائِم

أيُّ بحر من البيان بأمواجِ … المعاني فياضةٌ متلاطِم

كَذَبَ المدَّعونَ معنىً كريماً … في قوافٍ مُهلهلاتٍ ألائِم

وَهبِ اللفظَ سُلَّماً فمتى … استحسنتِ العينُ واهياتِ السلالم

حجةُ العاجزين عن منطق الأفذاذِ … يُخفون عجزَهم بالمزاعِم

روعةُ الحرب قد خلَعتَ عليها … روعةً من نسيجك المتلاحِم

شعَّ بين السطور ومضُ سِنانٍ … ثم غَطَّت عليه لَمعةُ صارِم

وصهيل الجياد تعثر بالفرسانِ … في السمع منه مثل الغماغم

ما «ابن حمدان» إذ يقودُ من الموتِ ... جيوشاً تُزجَى لموتِ مُداهِم
بالغ ما بلَغْتَ في وصفك الجيشَيْن ... إذ يقدحانِ زندَ الملاحِم
إذ يضمُّ القلبُ الجناحَ فترتدّ ... الخوافي مهيضةً والقوادِم
وفراخ الطُيور في قُلَل الأجيال ... تَهدي لها الظنونَ الرواجِم
لك عند الجُرْدِ الأصائلِ دَيْنٌ ... مستَحقُّ الأداءِ في النَسل لازِم
كم أغرٍّ «مُحَجَّلٍ» ودَّ لو يُهديكَ ... ما في جَبينه والمعاصِم
واجتلينا شعرَ الطبيعة في شعرك ... تَفْتَرّ عن ثُغورٍ بواسِم
شِعْبُ «بَوّان» لا تخيُّلُ فنّانٍ ... غَنَّى عنه ولا ذِهنُ راسِم
متعةُ الشاعرِ المفكرِ يقظانَ ... ومَسْرى خيالِه وهو حالِم
لا تعفَّيْتَ من «مَمَرٍّ» كريم ... خلَّدَتْكَ المُحسَّناتُ الكرائِم
إيه خصمَ الملوك حتى يُقيموا ... لك أمثولةَ النظيرِ المُزاحِم
عَضُدُ الدولة استشارَك بالإعزازِ ... واللُطف يا عدوَّ الأعاجِم
رُحتَ عنه وأنت خَوفَ اشتياقٍ ... لسِواه على فُؤادِكَ خاتِم
إن ذاك الوَداعَ كان نذيراً ... بحِمامٍ دلَّتْ عليه عَلائِم
فلتُحيِّ الأجيالُ مغناكَ بالريحانِ ... وَلْتَلْثِمْهُ وهي جَواثِم
رَمْز قَوميةٍ بَنَتْهُ البَوادي ... مُشمخرَّ البِناء ثَبتَ الدعائم
بدويَّ المُناخ أرهفَ منه الحسَّ ... جوٌّ مُشَعْشَعٌ غيرُ غائِم
لدِمشقٍ يَدٌ على الشِعرِ بيضاءُ ... بما زيَّنَتْ له من مَواسِم
وسلامٌ على النُبوغ ففيما ... تَسْقُطُ الذكريات وهو يُقاوِم

***

المازني وداغر

«رفائيلُ» دارُك قد أشَرقَتْ
بأسعدَ داغرَ والمازِني

فقَذٌّ يناضلُ عن أمةٍ
وفَذٌّ لآدابها حاضِن

وإني لمستأذنٌ أسعداً
بما قد يشِقُّ على الآذِن

إذا ما خَصَصْتُ فتى مازنٍ
بضربٍ من الكَلِمِ الفاتِن

فإنّ السياسةَ قد حَجَّبتْ
فتى مصرَ بالبرقُعِ الداكِن

وطبعُ السياسيِّ جمُّ الغُموض
فلا بالصريح ولا الداهن

أأسعدُ إنَّ حديثي إليكَ
حديثُ مقيمٍ إلى ظاعِن

حديثُ أخ لك مستأنسٍ
للطفِ مسامِره راكن

أخاف السياسةَ خوفَ اللديع
من أرقمٍ نافخ شاحِن

وما زال جدعٌ بليغُ الوضوح
منها يَلوحُ على مارني

فقبلَك طاوعتُ من أهلِها
صديقاً إلى مَصرَعي قادني

أرانيَ مظهرَ ذي نخوةٍ
كفيلٍ بما أرتجي ضامن

وأسلَمَني عند جِدِّ الخطوبِ
كأني قلتُ له عادِني

فما كنتُ بالمصطفي
وُدَّه ولا كنتُ للنفس بالصائِن

وها أنا أرزحُ في كَلكَلٍ
مُنيخ على نَفسَي رائِن

فعُذراً فما أنا إذ أتّقي
رجالَ السياسة بالمائن

غموضُ السياسة يبدو عليك
في مظهر الهادئ الساكن

على حينَ قد وَضَح المازني
وضوحَ السماوات للكاهن

نظرتُ بعينيكَ إذ يشرُدان
ووجهِك ذي الدَّعَة الآمِن

فـأنكرت قولـك : مـا صـاغَنى قبيحـاً سـوى عبـثِ المـاجن
وطالعـتُ آثـارَك الناطقـاتِ بـما فيـك مـن جـوهرٍ كـامِن
وظـاهِر لفـظٍ رقيـقِ الـروُاءِ لطيـفٍ يَـدُلّ عـلى البـاطن
لقـد شـبَّه العُـربُ حسـنَ البيـانِ والشـعر في الـزمنِ البـائِن
يـبَرْدِ النَمـير وصَـفو الغـديرِ يمـرّان بالعـاطشِ السـاخِن
وأحسِـنْ بتشـبيه قـومِ بُـداة تعـيش عـلى طـرق آسـن
فحاولـت تشـبيهها بالجديـدِ يُؤخَـذُ مـن وضـعنا الـراهن
بكـأسٍ تَـرُدّ شرورَ الجـمام لـذي سَـفرٍ مُتعَـبٍ واهـن
وذائـبِ زَهـرٍ عـلى سَلْسَـلٍ يصـبُّ عـلى رَهَـلٍ بـادِن

***

الزهَاوي..

على رغـم أنـف المـوت ذكُـرك خالـدُ تـرِنُّ بسَـمع الـدهر منـكَ القصـائدُ
نُعيـتَ إلى غُـرّ القـوافي فأعولَـتْ عليـك مـن الشـعر الحسـانُ الخرائـد
وللعلـم فياضـاً فهاجَـتْ مصـادرٌ عُنيـتَ بهـا بحثـاً وجاشَـتْ مـوارد
وفلسـفةٌ أطلعـتَ في الشـعر نُورَهـا هـي اليـومَ ثَكْلى عـن جميـلٍ تُناشـد
حَلفـتُ يمينـاً لم تَشُـبْها اختلاطـةٌ وقلبـي عـلى دعـوى لسـانيَ شـاهد
لقـد كنـتَ فخـراً للعـراق وزينـةً تُـزانُ نواديـه بهـا والمعاهـد
وكنت على خِصبِ العراقّي شاهداً إذا أعوزتنـا في التبـاهي شَـواهد
وكنـت أرقَّ النـاس طبعـاً ونُكتـةً وألطـفَ مـن دارَتْ عليـه المقاعـد
وأنـت ابتعثـتَ الشـعرَ بعـد خُمولـه فخـوضُ الشـعر بعـدك راكـد

ثـــوى اليـــومَ في هـــذي الحفـــيرة عـــالِمٌ بأسرارهـــا لله بالعقـــل ناشـــد

أقـامَ عـلى العلـم الصـحيح اعتقـادَه عَـــدوٌّ لا شـــباح الخُرافـــات طـــارد

وكـــان نقيـــاً فكـــرةً وعقيـــدةً عزيـــزاً عليـــه أن تَســـفَّ العقائـــد

يؤكـــد أن الـــدينَ حُـــبٌّ ورحمـــةٌ وعـــدلٌ وأن اللهَ لا شـــكَ واحـــد

وأن الـذي قـد سـخَّر الـدينَ طامعاً يتـــاجرُ باســـم الله لله جاحـــد

ثـوَى اليـومَ في هـذي الحفـيرة شـاعرٌ عـلى الظلـم محتجٌّ عـن العـدل ذائـد

وشيخوخةٍ مدّت عـلى الكـون ظلَّهـا تكـــافحُ عـــن آرائهـــا وتجالِـــد

أبـا الشـعر.. إنَّ الشـعر هـذا محلُّـه فقد نصَّت الأسماءُ والجمع حاشِد

وهذي جيوشُ العلم والشعر تبتغي لهـا قائـداً فـذاً فهـل أنَـت قائـد

فـأين قصـيدٌ قـد نظَمـتَ فريـدَهُ وأيـنَ مـن الشـعر البـديعِ الفرائـد

وأيـن النكـاتُ المؤنسـاتُ كأنهـا حـدائقُ تُسـقى بالنـدى وتعـاوِد

وأيـن العيـونُ اللامعـاتُ زكانـةً رغائبُ تبـدو تبـدو فوقهـا ومقاصـد

جميـل أعـانَ الرافـدينِ بثالـثٍ مـن الشـعر تَنميـه بحـورٌ رَوافـد

وكـان حيـاةً للنفـوس ورحمـةً تُغـاثُ بهـا هـذي النفـوسُ الهوامـد

تطاوعُـه غُـرُّ المعـانى كأنهـا وصـائفُ في زِيناتهـا وَولائـد

أقـولُ لـرهطِ الشـعر يبغـون باعثـاً عليـه تُثـير الشـعرَ هـذي النضـائد

هلمُّـوا إلى قـبر الزهـاويِّ نقتـنصْ بـه نَفَسـاً مـن روْحـه ونُطـارِد

وإن خيـالاً يمـلأُ الشـعرَ رَهبـةً سـكونٌ عـلى قـبرِ الزهـاويِّ سـائد

وحجُّـوا إلى بيـتٍ هـو الفـنُّ نفسُـه أنارَتْ « فَنيسُ » ساحَه و « عُطارد»

فـإن بيـوتَ الشـاعرين مناسـكٌ وإن قبـورَ النـابغين معابـد

أبـا الشـعر والفكـرُ المنبِّـهُ أمـةٌ عزيـزٌ علينـا أنـكَ اليـومَ راقـد

وأن الـذي هـزَّ القلـوبَ هوامـداً وحرَّكَهـا في الـتُّرب ثـاوٍ فهامـد

وأن فـؤاداً شـع نـوراً وقـوَّةً هـو اليـوم مسـودُّ الجوانـب بـارد

فهل أنت راضٍ عن حياة خبرتَها ممارسـةً أمْ أنـت غضـبانُ حـارِد

أضـاعوك حيـاً وابتغـوك جنـازةً وهـذا الـذي تأبـاه صـيد أماجـد

***

أنا !..

مـا حطَّمـتْ جَلَـدي يـدُ النُـوَبِ لكــنْ حَطَّمــتِ النوائــبُ بي

قـل للخطـوبِ إليـكِ فابتعـدي ألَمســتِ بي ضَــعفاً لتقــترِبي

هتفــت لي الأهــوال تطلُبنــي فــبرزتُ حــراً غــيرَ منتقِــب

أنــا صــخرةٌ مــا إن تخــوِّفُني هــذي الريــاحُ الهــوجُ بالصَــخَب

إن الليــالي حاوَلَــت ضَرعَــي فوجــدْنَني مُــتعسِّرَ الحَلَــب

وحَمِــدْنَ غَــرْبَ شَــكيمةٍ عَسِرَتْ عــن أن تُنــال بعُنــف مغتصِــب

ومهــدِّدي بــالشرِّ يُنــذرني إن لم أُطِعْــه بســوءِ مُنقلَــب

أخْجَلتُــه بالضِــحك أحسَــبهُ كمُخــوِّفٍ للنَبــع بــالغَرَب

أدنيتــه مــن صــدر مضــطلع بــالسر لــلأرزاء مرتقــب

قلـتُ اطَّلِـعْ فلقـد تـرىَ عَجَبـاً فيــه فقــالَ وأعجَــبَ العَجَــب

إني أرىَ قلبـاً يـدورُ عـلى جَـيش كمــوجِ البحــر مُضــطرِب

ومُناشِــدي نَسَــباً أمُــتُّ بــه لم يــدرِ مــا حَسَــبي ومــا نَسَــبي

عنـدي مـن الأمـواتِ مفخـرةٌ شــمّاء مُريبــةٌ عــلى الطَلَــب

لكـن أنِفـتُ بـأنْ يعيـدَ فمـي للنـاس عهـدَ الفَخـر بالعَصَـب

حسبي تجاريبٌ مَهَرتُ بها ... وإلى البلايا السودِ مُنتسَبي
وبذي وتلك كِفايتي شَرَفاً ... يُرضِي العُلا ويَسُرَّ قبرَ أبي
هذا التعنُّتُ في تَبصُّرِه ... متوقّداً كتوقُّد اللَهَب
إذ لا يلائمُ مَعدِني بَشَرٌ ... ما لم يكُنْ من معدِنٍ صُلُب
الفَضلُ فيه لَمَلْبَسٍ خَشِنٍ ... عُوِّدتُه ولَمطعَم جَشِب
ولوالدٍ وُرِّثْتُ من دَمِه ... محضَ الإباء وسورةَ الغَضَب
عندي من الجَبَروت أصدقُه ... أُبديه للمتُجبِّرِ الكَذِب
لا أبتغي خصمي أُناشده عَفْواً ... ولو أطوي على سَغَب
حربٌ لذي صَلَفٍ وذو أدب ... سهلُ القِياد لكلِّ ذي أدَب
ولقد أرى في مدح مُنتَقِصي ... لرغيدِ عيش أحسَنَ السَبَب
ليُحِلَّني من بَعد مَسغَبةٍ ... في ذي زُروع مُعشِبِ خَصِب
فتلوحُ لي نَفسْي تهدِّدُني ... أشباحُها بالويلِ والحَرب
فأعودُ أدراجي أرى سَعَةً ... وعِمارةً في عُشِّيَ الخَرب
إني بلَوتُ الدهرَ أعذَبَه ... وأمَرَّه الروَح والنَصَب
فوجدتُني أدْنى إلى ضَجَر ... لكليهما وأحبَّ للوَصَب
ما بَينَ جنبَّي اللذينِ هُما ... قَفَصُ الهموم ومَجمَع الكُرَب
قلب يَدُقُّ إلى العَنا طرَباً ... ويحن مشتاقاً إلى التَعَب
وأخ تلائمُني مشاربُه ... وطباعُه في الجدِّ واللَعِب
أنكَرتُ ضَعفاً في شكيمتِه ... ومرونةً تدعو إلى الرِيَب
فطرَحْتُه أخشَى على شَمَمي ... عَدوى ليانٍ منهُ مُكتَسَب
ودفنتُه لا القَلبُ يُنشده ... أسفاً ولا دَمْعي بمنسَكِب

يا بدر داجيَة الخطوب ..

هتفوا فأسنَدَتِ اليدانِ ضلوعي وشَرِقتُ بالحسراتِ قبلَ دُموعي
وأصَخْتُ سَمعاً للنُعاة وليتَني من أجل يومِكَ كنتُ غيرَ سميع
قالوا تماثلَ للشِفاء بِشارةً سَكَنت لها روحي وأُفرِخَ رُوعي
وحَمِدْتُ أن المجدَ غيرَ مبُاحةٍ ساحاتُه والبيتُ غيرَ صَديع
حتى إذا طارَتْ بأجنحة الهنَا والبشرِ نفسُ مُغرَّرٍ مخدوع
أبَتِ القوارِعُ أن تُميلَ طريقَها عني فعدت لسِنِّيَ المقروع
خلعَ الرجاءَ وحل يأسٌ عابسٌ جهمٌ مُحِلٌّ مُنافسٍ مخلوع
وتقهقرَتْ زُمَرُ الأماني وانجَلَتْ عَرَصاتُها عن مُثخَنٍ وصَريع
فإذا بآمالي وما خادعنَني كمؤمِّلٍ سَفَهاً سرابَ بَقيع
وإذا بقلبي يستفيضُ نجيعُه وإذا بعيني تَستَقي بنجيع
كنا نشكِّكُ في البُكاء وصدقِه إذ كانَ أكثرهُ بغيرِ شَفيع
ونَرىَ الصيانَةَ للدمُوع رجُولةً حتى يُرَى سببٌ إلى التضييع
فالآنَ تصدُق دمعةُ الباكي إذا نَزَلتْ عليك وأنَّةُ الموجوع
والآنَ ينزِل كلُّ طالبِ حاجةٍ في قفرةٍ ليست بذاتِ زُروع
والآنَ تفتقِدُ البلادُ مُحنَّكاً يُحتاجُ في التنفيذِ والتشريع
والآن تَلتَمسُ العيونُ فلا ترى أثراً لوجهٍ رائعٍ ومُريع
يا قبرُ من لم يَمتَهِنْ بضَراعةٍ بادٍ عليك تضرُّعي وخُشُوعي
يا بدرَ داجيةِ الخطوبِ ونورِها أعزِزْ بأنَّكَ غبتَ لا لِطلوع
خلّفتَ بغداداً عليك حزينةً تستقبِلُ الدنيا بوجهِ هَلوع

تتجاوبُ الأسلاكُ في جَنبَاتِها ... بوميضِ بَرقٍ للنَعِيِّ سَريع

ضَغَطَت هُنا كفٌّ على أزراره ... تُنبي بخطبٍ في العراقِ فَظيع

شَكَتِ السياسةُ فقدَ مُضطلِعٍ بها ... فذٍّ بحلِّ المُشكلات ضَليع

والساسةُ الأقطابُ بعدَك أعوَلَت ... عن فقدِ قوّام بهم وقَريع

مارستُ أصنافَ الرجال درايةً ... من تابعٍ منهم ومن مَتبوع

ونفَدتُ للأعماقِ من أطباعهم ... إذ كنتُ بالأشكال غير قَنوع

فاخترتُ لي من بينهم مجموعةً ... ووجدتُك المختارَ في المَجموع

لله درُّك من بِناء طبيعةٍ ... من كلِّ أجزاءِ العُلا مصنوع

مستشرفٍ يُعشِي العيونَ شُعاعُه ... مُوفٍ على من رامَه مَرفوع

كنتَ الشُّجاعَ طبيعةً وسجيةً ... إذ ينهضُ الجبناءُ بالتشجيع

كنتَ المقيمَ على التجارِبِ رأيَه ... ويقيمهُ غِرٌّ على المَسموع

كنتَ الرزين إذا الحلُوم تطايَرتْ ... وأُعيرَ أهلُ الصبرِ ثوبَ جَزوع

وإذا الخطوبُ استحكَمَتْ حلقاتُها ... شنعاءُ تحصِب من تَرى بشَنيع

كنت السَميذَعَ تنجلي بشُداته ... ظلُماتُ مُسودِّ الرُواق هزيع

صَقْرٌ يضيق مَطارُه بجناحه ... حتى يخالُ الجوَّ غيرَ وسيع

متفرِّدٌ يربو على أقرانه ... بأعزِّ سَمتٍ في السماءِ رَفيع

ردَّتْ مخالبَها إليه فردَّها ... حُمْراً مُقلَّمةً من التقريع

نصَبَ القضاءُ لصيده أشراكَه ... فهَوَى وكلُّ محلِّقٍ لوُقوع

البيت بيتي أُسرِجتْ ساحاتُه ... بشموعِ ممتدِحيه لا بشموعي

فإذا أُسِيت فحرقةٌ لقبيلةٍ ... نكِبَت بأسيافٍ لها ودُروع

أين المصابيحُ الذين كأنهم ... زُهْرُ النجوم بغَيبة وطُلوع

مـن كـل رَكّـاضٍ إلى غاياتِـه رَسْـلاً بسرّ حـدوده مـدفوع

ومُفـوَّهٍ كالفحـل عنـد هـديره فَـذِّ البيـان يفـيضُ مـن يُنبـوع

هـذي القُبـور قصـيدةٌ مفجوعـةٌ غنِيـت قوافيهـا عـن التقطيـع

لم تـرمِ بي قَـدَمي هنـا إلاّ جَـرَت مـن ذِكريـاتِ السـالفينَ دمـوعي

وكـأنني بشخوصـهم في مَحضرٍ دانٍ.. بعيـدٍ سـائغٍ ممنـوع

شـيئانِ تفتقـرُ الـبلادُ إلـيهما خِصبُ الرجـال بهـا وخِصْبُ ربيـع

ملـك الجميـع حيـاة فـذٍّ واحِـدٍ كـان المصـابُ بـه مُصـابَ جميـع

****

المآسي في حياة الشعراء

رَبَـأتُ بـنفسي أن تظـل كـما هيـا تُرَجِّـي سرابـاً أو تخـافُ دواهيـا

وأكـبرتُ أني لا أزالُ دريئـة يجـرب فيهـا المُغرضـون المراميـا

نظـائرُ ممـا أحكـم الغـدرُ نسـجَها تـذكِّرُني مـا كنـتُ بـالأمس ناسـيا

تجاريـبُ لم أنعُـم بعُقبـى احتمالِهـا عـلى أن عنـدي غيرَهـا مـا كفانيـا

فلم ألـف مـن خيرٍ ونُصـح مُعوِّضـاً لأحمـدَ عـن شَرٍّ وغـدرٍ جوازيـا

كَفَـى مُخـبراً بي أن تكـونَ مطـامحي مبـاهجَ أقـوام تجـيءُ ورائيـا

ولم أرَ إلا أننـي غـيرَ منطـوٍ عـلى خِسّـة لمـا ابتغيـتُ الـدواعيا

إذا مـا أدَرت الفكـر فـيما أرومُـه ومـا أبتغيـه أن يكـون مثاليـا

وفي حالـةٍ أُرغِمـتُ أن أصـطلي بهـا مُحَلِّـقَ نفـسٍ عـاثرَ الجـد كابيـا

رئَيـتُ نفـوسَ الشـاعرين طموحـةً أريـدُ لهـا أن تسـتَذلَّ جوائيـا

عجِبْتُ لشـعبٍ يُنجبُ الفَـرد نَابغاً حريقاً حصيفاً واثب النفس واعيا

يريـد لـه نهجـاً مـن المجـد لاحِبـاً ... وعصراً بـه يشـأى العصـورَ الزواهيا

يُزيـل الشـباب الرِخـوَ عـن مُستقَرِّهِ ... ويدفعــه دفــعَ الأتيِّ الجواريــا

ويرهــق بــالتفكير نفســاً عزيــزةً ... ليُعتِــقَ رِقّــاً أو ليُرشــدَ غاويــا

ويسـتنهض الأرواحَ غُفـلاً مـؤثِّلاً ... قوادِمَــه مــن شــعره والخوافيــا

لــه كــلَّ يـوم قطعـةٌ مـن فـؤادِهِ ... يُســاقطها للناشــئين قوافيــا

ولا سـائلٌ عـن ليلـه كيـف باتـه ... ولا كيف لاقى الصبحَ أسودَ داجيا

تشكّى الطموحَ من مُحيطٍ أجاعـه ... فأطعمتُــه غُــرَّ القــوافي دواميــا

ومـا هـي بالشـكوى ولكـن أثـارة ... وقـد يُحسَـب الليـثُ المزمجرُ شـاكيا

لعَنْتُ الضـميرَ الحرّ لعنـةَ غاضـبٍ ... رأي الغُــنْم محمــوداً فـذمَّ التفاديـا

لقـد كنـتُ عـما اصـطلي في كِفايـة ... لــو أنيَ كنــتَ المسـتغِلَّ المُحابيـا

وقـد كنـت في بحبوحـة لـو عَدِمتُـه ... شـعوراً حبـاني العُـدمَ فيها حبانيـا

لعمــريَ أني سَــوف اخــتطُّ خُطّــة ... تُضــاعف دائــي أو تكــونُ دوائيـا

وســوفَ أُري الأيــام نقمــةَ حاقــدٍ ... إذا مــا تقاضــاها أســاءَ التقاضـيا

ومــا أبتغــي رَدَّ العــوادي منيخــةً ... عـلى يـدِ مـن يُزجِـي إليَّ العواديـا

ولكــن بكــفٍّ علَّــمَ الزنــدُ كفَّهـا ... مُقارعَــةً أو يســقطُ الزنــدُ واهيــا

ألا هـل أراني مُرسِـلاً في شـكيمتي ... صُرَّف كفّـي كيـف شـاءت عنـانيا

إذنْ لاستشَفَّ النـاسُ نفسـاً تجلببتْ ... غبـاراً يغطـي أقـتمَ الـريشِ بازيـا

وجــدتُ دواءً في الصراحــة ناجعــاً ... إذا افتَقَــدتْ نـفسي طبيبـاً مُـداويا

وقــد كــان سِــلمٌ في التغــابي ... وراحةٌ بقلبـي لـو أنّي أطَقتُ التغابيا

حباني العراق السمحُ أحسنَ ما حبا ... بـه شـاعراً للحـق والعـدل داعيـا

وجاء كمااستمطرتُ في الصيف مزنةً ... وعيشاً كـما اسـأرتُ في الكـأسِ باقيـا

وعيشاً إذا استعرضته قلت عنده ... « كفى بك داء أن تَرىَ الموت شافيا»

وأوعدني بعد المهاتِ احتفاءةً ... يجوِّدُ فيها المُنشدون المراثيا

وحَفْلاً ترى فيه أكُفّاً تعجَّلَت ... ظِهائيَ تستسقي عليّ الغواديا

وتلك « يد » أعيا لساني وفاؤها ... فأوصيتُ أولادي بها وعياليا

وإن « فراتاً » للكفيءُ بشكرها ... إذا مِتُّ فليردُدْ عليها العواديا

مَضَت زَهرةُ العمر التي يحسبونَها ... هي العمرُ لا عُوداً مع الشيب ذاويا

وراجعت في هذا السجل فصولَه ... أقلِّبُ أياماً به ولياليا

أحاسِب نفسه كيف ألفتْ يبيسة ... ضروعاً سقت وغداً وغِرّاً وجافيا

وعما أفادت من بلادٍ تكالَبَتْ ... على الغُنم..وارتدَّت سِباعاً ضواريا

ألم تجِدي والدهرُ نشوانُ طالِعٌ ... على الناس بالأفراح إلا المآسيا

يقصُّون أحـ[illegible] الحياة تمتُّعاً ... وأنتِ تقصيِّن الحياة أمانيا

ولّما أبَتْ عُذراً يقوم بحالها ... مَضَت تدَّعي إن لم تُجَلبَبْ مخازيا

محاذيرُ يسترضي المغرِّرُ نفسَه ... بها ويُخلِّيها جَسورٌ تحاشيا

ولا خيرَ في بَغي تحاول نيلَها ... إذا لم يُنهِكْ بيِّنَ البطش عاتيا

ولم يَعدُ في قصدي ولا سدَّ مذهبي ... ولم تنلها الصبرَ الممِلِّ اعتزاميا

لئن كرهتْ مني الحضارةُ ناقِماً ... فقد حَمِدتْ مني البداوةُ باديا

صَبوراً على بأسائِها لا يخالُها ... أشدَّ أذى من أن يُداري أعاديا

ولكنَّني آسَي لأخلاق عصبة ... تعُدُّ المزايا الطيباتِ مساويا

ترى كل مَرهوبِ الشَذاة عدوَّها ... وكلِّ رخيٍّ العودِ خِلاًّ مُصافيا

وهذا بلاء يُمطر الشرَّ منذراً ... وهذا وباءٌ يَجرف الشَعب غاشِيا

العَدل..

لعمـــرُك إنَّ العـــدلَ لفـــظٌ أداؤُهُ ... بســـيطٌ ولكـــن كنهُـــه مـــتعسِّرُ

تخيَّلَـــــه عقــــلٌ نشـــيطٌ أرادَه ... دلـــيلاً لقـــومٍ في الحيـــاة تعثَّـــروا

يــفسِّرُهُ المغلــوبُ أمــراً مناقضـــاً ... لمـــا يرتأيـــهِ غالـــبٌ ويـــفسِّر

ولمـــا رآه الحـــاكمون قذيفـــةً ... تُضعضِـــعُ مـــن أهـــوائهم وتـــدمِّر

ولم يجـــدوا مَندوحـــةً عـــن قَبولـــه ... لإرضـــاءِ مخـــدوعينَ بالعـــدل غَـــرروا

أتَـــوه بتـــأويلاتِهم يُفســـدونه ... قـــوانينَ باســـم العـــدل تَنهـــى وتـــأمُر

لقـــد كـــانَ أولى بالرفـــاهِ وبـــالغِنى ... ذكـــيُ فـــؤادٍ جـــائع يتضـــوَّر

وقـــد كـــان أولى بالحفـــاءِ وبـــالعَرى ... وبـــالجوعِ هـــذا الأبلـــهُ المتبخـــتِر

***

تحرك اللحد

كِلُـوا إلى الغَيـبِ مـا يـأتي بـه القَـدَرْ ... واستَقبلوا يـومَكُمْ بـالعزمِ وابتـدروا

وصَـدِّقُوا مُخـبِراً عـن حُسْـنِ مُنْقلَـبٍ ... وآزِرُوه عســـى أنْ يَصْـــدُقَ الخَـــبَرُ

لا تَترُكـوا اليـأسَ يَلقـى في نُفوسـكم ... لَـــه مَـــدَبّاً ولا يأخُـــذْكُمُ الخَـــوَر

إنَّ الوســـاوِسَ إنْ رامَـــتْ مَســـارِبَها ... سَـدَّ الطريـقَ عليهـا الحـازِمُ الحَـذِر

تَـذكَّروا أمـس واسـتوُحوا مَسـاوئَهُ ... فقـــدْ تكـــونُ لَكُـــمْ في طَيِّـــه عِـــبَر

مُـــدُّوا جَمـــاجِمَكمْ جِسراً إلى أمـــلٍ ... تُحـاوِلونَ وشُـقُوا الـدربَ واخْـتَصِروا

وأجمِعـوا أمـرَكُم يَـنْهَضْ بسـعيِكُمْ ... شَـــعبٌ إلى هِمَـــمِ الســـاعينَ مُفْتَقِـــر

إنَّ الشـبابَ سِـنادُ المُلْـكِ يَعضُـدُهُ ... أيَّـــامَ تُوحِـــدُهُ الأرزَاءُ والغِـــيَر

أتـتْكُمُ زُمـرةٌ تحـدو عزائِمَهـا … مـا خَلَّفـت قَبلها مـن سيّئ زُمَـر
ألفتْ على كلِّ شبرٍ من مَسالكها … يلـوحُ ممـا جَنـى أسـلافُها أثـر
مُهمـةٌ عظُمـت عـن أنْ يقـوم بِهـا … فـردٌ وأن يتحـدَّى أمرَهـا نفـر
مـا إن لكُـم غـيرَهُ يـومٌ فـلا تَهنـوا … وقـد أتـتكم بـها تخشـونه نُـذُر
طالـتْ عَمايـةُ ليـلٍ ران كَلْكَلُـه … عـلى البلادِ وإنَّ الصُبْحَ يُنتظـر
وإنـما الصُبحُ بـالأعمال زاهيـةً … لا الوعـدُ يُغري ولا الأقوالُ تنـتَشِر
وأنتَ يا بن « سليمانَ» الذي لَهِجتْ … بـها جَسرتَ عليه البـدوُ والحضر
الكابتُ الـ... أزماناً عـلى حنَـقٍ … حتـى طغـى فرأينـا كيفَ ينفجـر
والضـاربُ الضربـةَ لصَـدمتِها … لحـمُ العُلـوج عـلى الأقـدام ينتثـر
هـل ادَّخـرتَ لهـذا اليـوم أهبَتـه … أم أنـت بالأجـل الممتَّـدِ مُعتـذر
أقـدَمتَ إقدامَ ... الخـوفُ يمنعُـهُ … ولا يُنَهنِهُـهُ مِـن تَصـميمهِ الخطـر
وحَسْـبُ أمـرِك توفيقـاً وتوطئـةً … أنَّ الطُغـاةَ عـلى الأعقـابِ تَنـدحر
دبَّـرتَ أعظـمَ تـدبيرٍ وأحسـنَه … تُـتلى مـآثِرُهُ عُمـراً وتُـذَّكر
فهـل تُحـاوِل أن تُلقـي نتائِجـه … يـأتي القضـاءُ بها أو يَـذْهب القَـدَر
وهـل يَسُرُك قـولُ المُصـطلين بـه … والمُسـتغِلين أنَّ الأمـرَ مبـتَسَر
وأنَّ كُـلَّ الـذي قـد كـانَ عِنـدَهم … عـلى التبـدل في الأسـماءِ مُقْـتَصر
وهـل يَسُرُك أن تخفـي الحُجُـولُ بـه … ما دامَ قـد لاحتِ الأوضاحُ والغُرَر
أُعيذُ تلك الخُطى جَبَّارةً صُعِقَت لها … الطواغيـتُ وارتَجَّـت لهـا السُرُر
أنْ يَعـتري وقْعَهـا مـن رَبكـةٍ زَلـلٌ … أو أن يثـبِّط مـن إقـدامها الحَـذَر
مـاذا تُريـد وسـيفٌ صـارِمٌ ذَكـرٌ … يحمـي الثغـورَ و أنـتَ الحيَّـة الـذَكر

والجيشُ خلفَك يُمضي مِن عزيمتهِ — فَرطُ الحماسِ ويُذكيها فتَستعِر
أقدِمْ فأنتَ على الإقدامِ مُنطَبِعٌ — وأبطُشْ فأنت على التنكيل مُقتدر
وثِقْ بأن البلادَ اليومَ أجمعَها — لما تُرجيِّه مِن مسعاك تَنتظِر
لا تُبقِ دابِرَ أقوام وتَرْتَهم — فَهم إذا وَجدوها فُرصَةً ثأروا
هُناك تنتظِرُ الأحرارَ مَجزرةٌ — شنعاءُ سوداءُ لا تُبقي ولا تَذَر
وثَمَّ شِرذِمةٌ ألفَتْ لها حُجُباً — من طُولِ صَفح وعَفوٍ فهي تَستَتر
إنّي أُصارِحك التعبيرَ مُجترئاً — وما الصريحُ بذي ذَنبٍ فَيعتذر
إن السماءَ التي أبديتَ رَونَقها — يومَ الخميس بدا في وَجهها كَدَر
تَهامَسَ النفَرُ الباكون عَهدَهُم — أن سوفَ يرجِعُ ماضيهم فَيزدِهر
تَجري الأحاديثُ نكراءً كعادتِها — ولم يُرَعْ سامرٌ مِنهُم ولا سمر
فحاسبِ القومَ عن كلِّ الذي اجترحوا — عما أراقوا وما اغتلوا وما احْتكروا
للآن لمْ يُلغَ شبرٌ من مَزارعِهم — ولا تَزحزح مِما شيَّدوا حَجر
ولم يزل لهمُ في كلِّ زاويةٍ — مُنوِّهٌ بمخازيهم ومُفتَخر
وتلكَ لِلحرَّ مأساةٌ مُهيِّجةٌ — يَدمى ويدمعُ منها القلبُ والبصَر
فضيِّقِ الحبلَ واشدُدْ مِن خناقِهُمُ — فَربَّما كانَ في إرخائه ضَرر
ولا تَقُلْ تِرَةٌ تبقى حَزازتُها — فَهُمْ على أيِّ حالٍ كُنتَ قد وُتِروا
تَصوَّرِ الأمرَ معكوساً وخُذْ مَثلاً — مما يَجرُّونه لو أنهم نُصِروا
أكانَ للرِفقِ ذِكرٌ في مَعاجِمهمْ — أم كانَ عن « حِكمةٍ » أو صحبةَ خَبَر
والله لاقتِيدَ «زيدٌ» باسم « زائدةٍ» — ولأصطلى « عامرٌ » والمبتغى « عُمَر »
ولا نمحى كلُ رَسم من مَعالمكُم — ولاشتَفَتْ بِكُم الأمثالُ والسِيَر
ولا تزالُ لهم في ذاكَ مأرُبةٌ — ولا يزالُ لهم في أخذِكُم وطَر
أصبحتُ أحذرُ قولَ الناس عن أسفٍ — من أن يروا تِلكمُ الآمالَ تَندَثِر

تَحــرَّكَ اللَحــدُ وانشــقَّت مُجــدَّدةً ... أكفــانُ قَــوم ظنَّنــا أنَّهــم قُــبِروا

***

شباب ضائع

ذَخَــرتُ لأحــداثِ الزّمــانِ يَراعــا ... يُجيـــد نِضــالاً دونَهـــا وقِراعـــا
وأعددْتُـــه للطارئـــاتِ ذَخــيرةً ... يُـــزيحُ عـــن الشرِّ الكمـــينِ قناعـــا
وألفيتُنــي في كــلِّ خطــبٍ يَنُوبُــه ... أُدافــعُ عنــه مــا اســتطعتُ دِفاعــا
ومــا في يــدي إلاّ فــؤادي أَنَرْتــه ... لِيُلْقــي عــلى سُــودِ الخطــوبِ شُــعاعا
وكلّفْــتُ نــفسي أنْ تُحَقِــقَ سُــؤْلَها ... سِراعــاً أو المــوتَ الــزؤامَ سراعــا
ومــــا ذاك إلا أن قلبـــاً حملتـــه ... عــلى الهــول يــأبى أن يطــير شــعاعاً
وهـــل أنـــا إلاّ كـــالمؤدّي رســـالةً ... رأى كَتْمَهـــا حَيْفـــاً بهـــا فأذاعـــا
أهبـــتُ بشـــبانِ العـــراقِ وإنَّـــما ... أردتُ بشـــعري أن أهـــيجَ ســـباعا
أنفْــتُ لهــذا الــنشءِ بينــا نُريــده ... طــويلاً عــلى صــدّ الكــوارثِ باعــا
يَــدِبُّ إلى البلــوَى هــزيلا كأنــه ... ربيـــبُ خُمـــولٍ نَشْـــأةً ورَضـــاعا
فــما استَنْهضــتْ منــه الرزايــا عــزائماً ... ولا أحْكَـــمَ التجريـــبُ منـــهُ طباعـــا
فــلا هــو بالجَلْــدِ المُطيــقِ احتمالهــا ... ولا بالشُّـــجاع المســـتميتِ صراعـــا
فكــم زعــزع مــا حرّكَــتْ منه ســاكناً ... وكـــم فُـــرَصٍ عنّـــت لـــه فأضـــاعا
لقــد طبــقّ الجهــلُ الــبلادَ وأطْبَقَــت ... عــلى الصّــمتِ شــبانُ الــبلادِ جَماعــا
وإنَّـــك لا تَـــدري أنشـــئا مهـــذباً ... تَســـوقُ الرزايـــا أم تســـوقُ رعاعـــا
بـــمصرَ ومصرٌ مـــا تـــزال طريـــدةً ... شرى الظلـــمُ منهـــا مـــا أراد وباعـــا
دويُّ شــبابٍ أرْجَــفَ الجــورُ وقعَــه ... وزعـــزعَ مـــن بُنيانِـــهِ فتـــداعى
لنــا كــلُّ هيئــاتِ الشــبابِ تَصَــنُّعاً ... وأزيـــائهم تمويهـــةً وخِـــداعا

وليس لنا إلاّ التطاحنُ بيننا عِراكاً على موهومةٍ ونزاعا

هَلُمّوا الى النشء المثقّفِ واكشِفوا حجاباً يُغطّي سَوءةً وقناعا

تروا كلَّ مفتولِ الذراعين ناهداً قصيراً إذا جدَّ النّضالُ ذِراعا

وكلَّ أنيقِ الثوبِ شُدَّ رباطُه إلى عُنُقٍ يُعشي العيونَ لَمَاعا

يموعُ إذا مسّ الهجيرُ رداءه كما انحلَّ شَمْعٌ بالصِلاء فماعا

تراه خليَّ البالِ أن راح داهناً وأن قد ذكا منه الأريجُ فضاعا

وليس عليه ما تكامَلَ زيُّه إذا عَرِيَ الخَلْقُ الكثيرُ وجاعا

وأن راحَ سوطُ الذُّلِ يُلهِب أمةً كراهِيَةً يستاقُها وطَواعا

ولم تُشجِهِ رؤياً وسمعاً قوارعٌ يسوء عياناً وقعُها وسَماعا

وربَّ رءوسٍ بَرْزَةٍ عشّشت بها خُرافاتُ جهلٍ فاشتكَيْنَ صُداعا

وساوسُ لو حقّقتَها لوجدتَها من المهدِ كانت أذؤباً وضباعا

بها نوّمَتْنا الأمهاتُ تخوّفاً وما أيقظتنا الحادثاتُ تِباعا

ومُرّوا بأنحاءِ العراقِ مُضاعةً وزوروا قرىً موبوءةً وبقاعا

تروا من عِراقٍ ضاع ناساً تسوءكم عراةً حفاةً صاغرين جياعا

وإنَّ شباباً يرقبُ الموتَ جائعاً متى اسطاعَ عن حوْضِ البلاد دفاعا

وإنَّ شباباً في التبذل غاطساً متى كان درعاً للبلاد مَناعا

غَزَتْ أمم الغربِ الحياةَ تُريدُها وما زُوِّدَت غيرَ الشبابِ متاعا

رأى شعبه مُلكاً مُشاعاً لخيره فأصبح مُلكاً للبلاد مشاعا

إذا أصحرتْ للخطب كان شبابُها حصوناً منيعاتٍ لها وقلاعا

فقرَّبتِ الأبعادَ عزماً وهمّةً وأبدلَتِ الدهرَ المطاولَ ساعا

ونحن ادّخَرْنا عُدّةً من شبابِنا هزيلاً ومنخوبَ الفؤاد يراعا

إذا ما ألَمّت نكبةٌ ببلادهِ مضى ناجياً منها وحلّ يفاعا

زوى الشعبُ عنه خيرَه ورفاهَه فلو سِيمَ فَلْساً بالبلاد لباعا
يرى في الصناعاتِ احتقاراً ويزدهي إذا طَمْأنَ التوظيفُ منه طماعا
وها نحن في عصرٍ يَفيضُ صناعةً نرى كلَّ من حاك الحصيرَ صناعا
نقاوِمُ بالعود البوارِجَ تلتظي ونعتاضُ عن حدّ البخارِ شِراعا
كَرُبْتُ على حالٍ كهذي زريَّةٍ أقول لأحلام حلمتُ وَداعا
على أنّني آسٍ لعقلٍ مهذَّبٍ وقلبِ شُجاعٍ أن يَروحَ ضياعا
وَجَدْتُ جباناً من وَجدْتُ مُهذَّباً وَجَدْتُ جهولاً من وَجَدتُ شُجاعا

***

في السجن

ماذا تُريدُ من الزمانِ ومن الرغائبِ والأماني
أوَكلّما شارفتَ من آمالِكَ الغُرِّ الحسان
ورعتكَ ألطافُ العنايةِ بالرفاهِ وبالأمان
أُغْرِمْتَ بالآهاتِ إغرامَ الحنفيةِ بالأذان
إن كنتَ تَحسُدُ من يحوطُ البابَ منه حارسان
فلديكَ حراسٌ كأنّكَ منهُمُ في معمعان
وموكلون بما تُصرِّفُ في الدقائقِ والثواني
أُسكنتَ داراً ماله في الصيت والعظموت ثاني
ما إن يباحُ دخولُها إلا لذي خَطَرٍ وشان
دارٌ يُشيرُ لها صديق أو عدوٌّ بالبنان
أهوى عليها ألفُ باكٍ وادّعاها ألفُ باني
وُقّيتَ فيها رَغمَ أنفِكَ من خبيئاتِ الدِنان

وحُفظْتَ فيها من غرور المال ... أو سِحْرِ الحسان
حجبوك عن لحظِ العيونِ ... تأنقاً لك في الصيّان
مثل المعيديّ السَّماعِ ... به أحب من العِيان
وعلامَ تَحْسُدُ من تلهّى ... بالمثالث والمثاني
أوَليس خشخشةُ الحديد ... ألَذَّ من عزفِ القِيان
يشدو بها من أجل هوك ... ألفُ مكروبِ وعاني
أوزانُ شعرِك بعضُ ... أوزانٍ حوتها باتزان
ماذا تريد من الزمان ... أُعطيتَ ما لم يُعْطَ ثاني
أُعطيتَ من لطف الطبيعة ... أن يُشِعَ النيران
صبحاً وإمساءً وأن يوحي ... إليك الفرقدان
سبِّحْ بأنعُمِهِمْ فأنت بفضل ... ما أولَوْك جاني
صكّ الحديدِ على يديكَ جزاءُ ... ما جَنَتِ اليدان
ياعابثاً بسلامة الوطن ... العزيز وبالأمان
ومفرقاً زُمَرَ اليهودِ ... طوائفاً كلاًّ لشان
ما أنت والكاشير والطاريف ... من بقرٍ وضان
إن الصحافةَ حرةٌ لكن ... على شَرطِ الضمان
سبِّحْ بأنعُمِهِمْ وإنْ عانيت ... منهم ما تعاني
إن لم تُفدْكَ عقوبةٌ ... فعسى تُفيدُ عقوبتان
أوْ لَمْ يُفِدْك مطهر ... فلقد يُفيدُ مطهران

***

ذكرى الهاشمي

وفّـاك مـا يُـقْضَى مـن التكـريمِ ... بَلَـدٌ يـوفّي حـقَّ كـلِّ زعـيمِ
الـبصرةُ الفيحـاءُ ضـاق خِناقُهـا ... ومشـتْ بقلـبِ مقـرّح مكلـوم
عَطَفَتْ على الذكرى الأليمةِ عطفةً ... نمّـت عـلى شَـجَنٍ هنـاك ألـيم
ياسـين إنّ هضـيمةً مـا ذقتَـهُ ... غـدراً ولم تـكُ قبـلُ بالمهضـوم
ما كنتَ بالرجلِ الذي يمشى لـه ... خَـتَلاً كمِشـيةِ قـانصٍ لظلـيم
أسَـفاً فكـلُّ عظيمـةٍ غلاّبـةٌ ... مغلوبـةٌ بمقـدَّرٍ محتـوم
يكفيـك فخـراً أن تُكـادَ بمثلهـا ... مسـتورةً خَفيـتْ عـلى التنجـيم
جُبنـاً وعَجْـزاً أنْ تُقابَـل جَهـرةً ... شـأنَ المُغـارِمِ في اطّـلاب غـريم

هـذا مقـامٌ لا يليـقُ بمثلـه ... قـولٌ فطـيرُ الـرأي غـيرُ حكـيم
فمـن الحَراجـةِ أن يُبَـدِّلَ زِيَّـهُ ... مـن كـان مرتـدياً ثيـابَ خصـوم
خوفَ الغلو وليس من يُزْجي الثنا ... لخصـيمه في محنـةٍ بمَلـوم
قـد كنـتَ فـذاً في الرجـال نبـوغُهم ... وقـفٌ عـلى التبجيـل والتعظـيم
وجهـادُهُمْ خـيرُ الجهـاد لأمـة ... تُهـدى إلى نَهْـج أغَـرَّ قـويم
وسياسـة هـي ملـكُ شـعبٍ قولُـه ... فصـلٌ لـرفضٍ كـان أو تسـليم
سـايرتُ حكمـكَ نـاقماً لم أدّرعْ ... حزبـا ولم أزحَـفْ بظـلِّ زعـيم
حاشـا ولم أهتِـفْ لغـيرك داعيـا ... أو أن أخُـصَّ سـواك بالتقـديم
لكـن طمـوحٌ لـيس يَـرْضي أهلَـهُ ... أن تسـتمرَّ سياسـةُ الترمـيم

كنا نرى المعوجّ من أوضاعنا ... في حاجةٍ قصوى إلى التقويم

ونُحِسُّ أنّا بالغون أشُدَّنا ... ومعلّلون تَعِلةَ المفطوم

ونرى شتاتَ جهودِنا وصفوفنا ... ليست على شيءٍ من التنظيم

ووعودَ من يتحضّنون شؤوننا ... ملأى من التخدير والتنويم

نبغي المزيدَ وتقتضينا ساسةٌ ... أن نرتضي بنصيبنا المقسوم

ونراك جباراً يكونُ لفكره ... في المعضلات مردُّ كلِّ جسيم

ولقد يكون العذرُ أنا طُمَّحٌ ... ولقد تكون وأنت غيرُ ملوم

أما مُقامُك فهو غيرُ منازعٍ ... ومدى حجاك فليس بالمكتوم

سايرتُ حكمَك ناقماً ووجدتُني ... بإزاء شهمٍ في الخصام حليم

رحبٍ بنقد خصومه متفتح ... بالبشر آونةً وبالتفهيم

يُعطيهِمُ نَصَفاً ويعلمُ أنه ... رجلٌ يَسوس وليس بالمعصوم

ياسين إن خسارةً أن يغتدي ... ذاك الدماغُ الفذُّ محضَ رميم

وفجيعةٌ أن نبتغيك فلا ترى ... لجلاء جوٍّ بالبلاد مَغيم

يا درعَ مملكةٍ متينٍ نسجُها ... وحسامَ مُلْكٍ ليس بالمثلوم

إن العراقَ وقد نُعيت موكِّلٌ ... مما دهاه بمُقْعِدٍ ومقيم

إنا فقدنا يومَ فقدِك كوكباً ... ما إن تعوِّضُ عنه غُرُّ نُجوم

لله طِبُّك في السياسة إنه ... رَوْح الوَنَى ودواءُ كلّ سقيم

كم فترة دهتِ العراقَ عصيبةٍ ... فرّجتها بدهائك المعلوم

لله درُّك أيَّ زعزعٍ عاصفٍ ... فيها تدبّرُهُ وأيَّ نسيم

تعلوك سيماءُ الخليِّ جلادةً ... ولقد تكونُ نموذجَ المهموم

كنتَ الحفيظَ على السياسة داعماً ... ركنَ المُفاوضِ أيّما تدعيم
قسطاسَ حكمٍ كان حلمُك وحده ... نِعْمَ الضمانُ عن انزلاقِ حُلوم
فيما يولّد حرُّ رأيك تَتّقي ... نزواتِ رأيٍ يستجدّ عقيم
كم موقفٍ معصوصبٍ متلابس ... جَلّى وكم داءٍ به محسوم
كنت المضيءَ سبيلَ كلِّ عَميّةٍ ... تَيْهاءَ تعتورُ البلادَ بهيم
صُلبَ العقيدةِ لا يردُّك حادثٌ ... في كل ما تَبْني عن التصميم
وإذا البلادُ تفرّقت آراؤها ... شِيعاً بلا نَهْجٍ لها مرسوم
أطلعتَ رأيك بينها فتطايحت ... لك عن مكانِ السيدِ المخدوم
كنا إذا ضاق الخِناقُ وحَشْرَجَتْ ... نَفَسٌ بغيظٍ حانقٍ مكظوم
وبدا لنا الدستورُ وهو مُخلَّعٌ ... عريانَ غيرَ تسترٍّ مزعوم
لذنا بياسينٍ فكانت قوةٌ ... جبارةٌ في وجه كلِّ غَشوم
واليومُ نخشى أن يَضيعَ توازُنٌ ... في الكِفَّتَيْنِ وأنت غيرُ مقيم

***

إلى الشباب السوري

حيِّ الصفوفَ لرأبِ الصدعِ تجتمعُ ... وحيِّ صرخةَ أيقاظٍ بمن هجعوا
إنَّ الشبابَ جنودَ الله أَلَّفهمْ ... في الشام داعٍ من الأوطانِ مُتَّبع
مَشوا على خَطوهِ تنحطُّ أرجلُهمْ ... كما اشتهى المثلُ الأعلى وتَرتفع
دِمَشقُ لم يُبق منكِ الدهرُ باقيةً ... إلاّ الذي في توَقي غيرِهِ ضَرَع
ولو أردتُ بكِ التقريع عن مِقَةٍ ... لقلتُ : أنفُكِ رغمَ العزِّ مُجتدع
فما انتظارُكِ مَيْتاً لا ضميرَ لهُ ... حزماً فلا الخوفُ ذو شأنٍ ولا الطمع

نُبِّئْتُ في الغُوطةِ الغنّاءِ عاصفةٌ ... تكادُ تجتثُّ ما فيها وتَقتلِع
مرَّتْ على بردى فالتاثَ مَوردهُ ... وبالغياضِ فلا حُسنٌ ولا مَرَع
فقلتُ : لاضيرَ إنْ كانت عجاجتُها ... عن غضبةِ البلدِ المسلوبِ تنقشع
وهل سوى مُتَعٍ زالتْ ستخلِفُها ... مُخَلَّداتٍ حِساناً خُرَّداً مُتَع
أمَّ البلادِ التي ما ضيم نازِلُها يوماً ... ولم يَدْنُ منها العارُ والهَلع
محميَّةً بالأصمِّ الفردِ تحرُسُه ... غُلْبُ الرِّجالِ على الآجالِ تقترع
مثلَ النسورِ إذا ما حلَّقوا رهبوا ... والموتُ ملءُ خوافيهم إذا وقعوا
الحاسِرونَ كنبعِ السروةِ احتفَلوا ... بالنازلاتِ فلا التاثوا ولا ادَّرعوا
والرابضونَ كآسادِ الشرى فإذا ... رأيتَ المنايا كيف تندفع
لا ينطقونَ الخَنا حتى إذا اقتَتلوا ... فمنطِقُ الفتكِ منهم منطقٌ قَذَع

دِمَشقُ يا أمُّ إنَّ الرأيَ مُحتَفِلٌ ... والعزمَ مُحتشَدٌ والوقتَ مُتسِع
قولي يُجبْ شاحِنُ الأضلاعِ مرتقِبٌ ... واستصرخي ينتفضْ غَيرانُ مُستمع
وأجمعي الأمرَ .. نُجمِعْ لا يُفرِّقنا ... أأنتِ أمْ نحنُ فيما ينبغي تَبع
وطوعَ أمرِكِ أجنادٌ مجنَّدةٌ ... إلى العُروبةِ بعدَ الله تنقطع
يُغنيكِ عن وصفِ ما يَلقونَ أنهمُ ... خوفاً عليكِ ولمَّا تُفجعي فُجِعوا
وقد يكونُ قريباً أنْ ترى « حلبٌ ... خيلَ العراقِ قُبيلَ النجعِ تنتجع
قُبّاً شوازبُ لا تُلوى شكائمُها ... ولا يرينُ على تقريبها الضلَع

ثقي دِمَشقُ فلا حدٌّ ولا سِمةٌ ... ولا خطوطٌ – كلعبِ الطفلِ – تُبتدع
تُقصيكِ عن أرضِ بغدادٍ ودجلتها ... أمَّا الفراتُ فنبعٌ بيننا شَرع

إذا الجزيــرةُ روَّت منــه غُلَّتهــا ... روَّى الغليــلَ الفراتيــونَ وانتقعــوا

جرى على الكأسِ والأنباءُ مُفجِعةٌ ... دمعٌ هـو القلـبُ نحـوَ العـينِ يَنـدفع

وارتـاحَ للبـثِّ خِـدنٌ كـادَ يَخنقـه ... ذكـرى دمشـقَ ومـا تلقـى ومـا يَقـع

فقلـتُ : ليـتَ فرنسـا هـا هُنـا لـترى ... كيـف القلـوبُ علـى الأرزاءِ تَجتَمـع

هــذي مبــاهجُ بغــدادٍ ونشــوتُها ... وجداً عليكِ . فكيـف الحـزنُ والهلـع

دارتْ دمشقُ بما اسطاعتْ فما قدرت ... عـلى سياسـةِ خـبّ داؤهـا الجشَـع

كانت أناةٌ فلم تَنجع .. ولا جنَـفٌ ... وكـانَ ريـثٌ فلـم ينفـعْ .. ولا سرَع

بعـدَ الثلاثـينَ عامـاً وهـي رازحـةٌ ... حسرى .. تطلَّـعُ للـماضي وترتجـع

كانــت محافِـلُ بـاريسٍ لهـا سـنَداً ... واليـومَ منهـا يحِـين الحَـينُ والفـزع

اليــومَ ضــاقتْ بشـكواها وآهتِهـا ... وأمـسِ كانـت عـلى عـثمانَ تتسـع

حتـى كـأنْ لم يكـنْ للعُـربِ مطَّلـبٌ ... ولا اسـتقلَّ بحمـلِ القـومِ مضـطلِع

ولا مشــتْ بُــرُدٌ والمـوتُ يحملهـا ... ولا ســعتْ رُســلٌ والمــوتُ يتَّبــع

ولا المشــانقُ في أعوادِهــا ثمــرٌ ... غـضٌّ مـنَ الـوطنِ المفجـوعِ يُقْتطـع

لـئن تكـن خُـدَعٌ سـاءتْ عواقبهـا ... فكــم أنــارتْ طريقـاً مُظلِـماً خُـدَع

كانــتْ دُروســاً لســوريا وجيرتِهـا ... مـن فـرطِ مـا طبَّقوهـا فـيهمُ برعـوا

يـا ثـورةً قـرَّبَ الظلـمُ اللِّقـاحَ بهـا ... سـيلمسُ المتجِّنـي شرَّ مـا تضـع

قـالوا : السياسـةُ شرعٌ مـا بـه نصـفٌ ... فهــل تكــونُ جنونــاً مــا بــه وَرَع

وهــل يُريــدونَ بعــدَ اليـومِ تجربـةً ... وفي تــذكُّرِ مــا قــد فــاتَ مُرتَــدَع

قلـبَ العُروبـةِ هـل بُشرى نُسرُّ بهـا ... أنَّ السُّــويداءَ بُــرْءٌ مــا بــه وجــع

واللاذقيــةُ هــل ربٌّ يقــوم بهـــ ... أم ربُّهـــا العَلَــمُ المحبــوبُ يرتفــع
وفي الجزيـرةِ هـل زالـت وساوسُـها ... وهـــل توَّحـــدتِ الآراءُ والشِّـــيَع

يــا جنَّــةَ الخُلــدِ لــو لم يـؤذِ نازلهــا ... ضـيفٌ ثقيـلٌ عليهـا وجهُـه بَشـع
بـادي المخالـبِ وحـشٌ لم يلـدهُ أبٌ ... لكنَّـــه في ديـــارِ الغـــربِ مُختـــرَع
دمَشـــقُ إنَّ معـــي قلبـــاً أضـــيقُ بـــه ... يكـادُ مـن خلجـاتِ الشـوقِ ينخلـع
جـمَّ النـزيِّ .. إلى مغنـاكِ مُتَّجِـهٌ ... كأنـــه مـــن رُبـــاكِ الخُضْرِ مُنتـــزَع
نــاغي خيالُــكِ أطفــالى فيقظـتُهم ... وطيفُـــكِ مغنـــاهم إذا هجعـــوا
« فـراتُ أشـبهُ كـلِّ النـاسِ بي ولعـاً ... فـــيما أُحِـــبُّ تبنَّـــاهُ بـــكِ الوَلـــع

***

يوم فلسطين

هبـــت الشـــامُ عـــلى عادتهـــا ... تمـــلأ الأرضَ شـــباباً حَنِقـــا
نادبـــاً بيتـــاً أبـــاحوا قُدْسَـــهُ ... في فِلَسْـــطينَ وشـــملاً مِزَقـــا
بَـــرَّ بالعهـــد رجـــالٌ أُنُـــفٌ ... أخـــذ الشـــعبُ علـــيهم مَوْثقـــا
شرَفـــاً يـــومَ فِلســـطِينَ فقـــد ... بلـــغ القِمَّـــةَ هـــذا المرتقـــى
ألـــبس الملـــكَ رداءً وازدهـــت ... روعـــةُ التـــاريخِ منـــه رَوْنقـــا

اســـمعي يـــا جِلَّـــقٌ إن دمـــاً ... في فِلَسْـــطينَ هضـــيماً نطقـــا
عربيـــاً ســـال مـــن أفئـــدةٍ ... عربيـــاتٍ تلظـــت حُرَقـــا
صـــبغ الأرضَ وألقـــى فوقهـــا ... مـــن فـــداءٍ وإبـــاءٍ شـــفقا
تَحْمِـــلُ الـــريحُ إلى أرجائهـــا ... مـــن زكّيـــاتِ الضـــحايا عَبَقـــا

اســـمعي يـــا جلـــقٌ إن دمـــا ... في فِلَسْـــطينَ ينـــادي جِلَّقـــا
اســـمعي : هـــذا دمٌ شـــاءت ... لـــه نخـــوةٌ مهتاجـــةٌ أنْ يُهْرقـــا
شـــدَّ مـــا احتاجـــت إلى أمثالـــه ... أمـــمٌ يُعوِزُهـــا أن تُعْتَقـــا
شـــاهدٌ عـــدلٌ عـــلى الظلـــم ... إذا كَـذَبَ التـارِيخُ يومـاً صـدقا
احمـلي مـا اسـطَعْتِ مـن حبّاتـه ... واجعليهـــا لعيـــونٍ حَـــدَقا
يســـقطُ الطفْـــلُ عـــلى والـــده ... وارداً مـــــوردَه معتنِقـــــا
وتمـــر الأمُّ غضـــبى ســـاءها ... في ســـباق مِثلِـــهِ أن تُســـبَقا
نَسَـــقٌ للمـــوت لم نســـمعْ بـــه ... ليتنـــا نَعْـــرِفُ هـــذا النســـقا
هكـــذا تُعْلِـــنُ صرعـــى أمـــةٍ ... أن شـــعباً مـــن جديـــدٍ خُلِقـــا

****

شاغور حمانا

عـــاودتُ بعـــد تغيُّـــبٍ لُبنانـــا ... ونزلـــتُ رَحْـــبَ فِنائـــه جَـــذلانا
ودَرَجتُ أقتنصُ الشباب خَسِرتُـه ... ذا رِبحـــةٍ ورَبِحتـــه خسرانـــا
فوجـدتُ رَيْعـان الجـمالِ ولم أسَـأ ... أني أضـعـت مـن الصـبا ريعانـا
ووجـدتُ في مـرح الحيـاة طفـولتي ... وشـــبيبتي وكهـــولتي سِـــيّانا
ونقضـتُ بيني والكـوارثِ مَوثِقـاً ... وأخـذت مـن عَنَـتِ الزمـان أمانـا
وأقَمـت مـن يَـومي لأمسيَ حـاجزاً ... وضَرَبـت سَـداً بينَنـا النِسـيانا
وطلَبـتُ عـونَ قريحتـي فوجـدتُها ... ســـمحاءَ تبـــذُل خيرَهـــا مِعوانـــا
وأثـــرتُ هاجعـــةَ القـــوافي لم تجـــد ... في الراقـــدين لركضـــة ميـــدانا
قـام الجفـافُ بعـذرها واسـتامَها ... خِصـــبُ الجبـــال مرونـــةً وليانـــا

وأريتها حَمّانة فرأتْ بها ... مَلَكاً يمُدُّ الشعرَ لا شيطانا
وأردتُها تَصِفُ الحياة رقيقةً ... وجليلةً وتُجيدها إتقانا
فشكَتْ إلى لُغىً تضيقُ حروفُها ... عن أن تُسيغ السجعَ والأوزانا

شاغورُ حمانا ولم يَرَ جنةً ... من لم يشاهدْ مرةً حمانا
مرْجٌ أرادتْه الطبيعةُ صورةً ... منها على إبداعها عُنوانا
فحبتْه بالمُتَع الروائعِ كلِّها ... ورَمَت عليه جمالَها ألوانا
المنتقاةَ من الحياة طبيعةً ... والمصطفاة من البلاد مكانا
والخافقاتِ ظلالُها عن سَجسَج ... يَشفي الغَليل ويُثلجُ الظمأنا
والغامراتِ عيونُها ودِيانَها ... وجبالَها وبقيعَها الفينانا
والغارقاتِ مروجُها في سُندُسٍ ... خُضرٍ تَفوح من الشَذا أردانا
وادٍ تَلَفَّت ناشئاً فإذا به ... بين الجبال تكفَّلَته حَنانا
وإذا بها بمياهه وغِياضِه ... جاءَت تحوِّطُ مَرْجه بستانا
انظر إلى الجبل الأصمِّ بزرعِه ... متبختراً وبضرعِه رَيّانا

لامستِ بالشك اليقينَ وزعزعَتْ ... مرآكِ نفساً تنشُدُ الإيمانا
أمِنَ الجنان وخمرها لكِ صورةٌ ... أم صوِّرَت عنكِ الجنانُ جنانا
عاودتُ ماءَكِ ناهلاً وحسبتُني ... عاودتُ بعدَ تعفُّفٍ إدمانا

يا أختَ لا مرتين أرهفَ جوُّك ... الإحساسَ منه ولطَّفَ الوجدانا
هذي الينابيعُ الحسانُ تفجَّرتْ ... منها ينابيعُ البَيان حِسانا
الخالداتُ خلودَ شمسك طلقةً ... والساميات سموَّ هضبِك شانا

والباعثاتُ من العواطف خيرَها ... إيناسةً وأرقَّها أحزانا

وحيٌ تنزَّلَ والندى ورسالةٌ ... هَبَطتْ وأضواء النجوم قِرانا

في ساعةٍ أزَليةٍ بهباتِها ... شأت الوحاة وبَزَّتِ الأزمانا

يا أيها النهرُ الذي بخريره ... وَعَتِ العصورُ نشيدَهُ الرنّانا

يا أيها الجبلُ المَهيبُ بصمته ... مترهِّباً يستلهمُ الأكوانا

يا أيها الشجَرُ الذي بحفيفِه ... وفَّى الحياة ونورها شُكرانا

ما ضرَّ أنك ما مَلَكتَ لسانا ... ولأنت أفصحُ مَنطِقاً وبيانا

شاغور حَمّانا أثارَ بلُطفه ... قِممَ الجبال وأرقَصَ الوديانا

فرشت له صُمُّ الصفا أذيالها ... وتفتحّت ثَغَراتُها أحضانا

ومَشَى عليها مالكاً أدراجها ... متشوقاً لمسيله عَجْلانا

غنيت به غُرُّ الضِفاف فخورةً ... وزَهَا به يَبَسُ الثَرى جذلانا

وكسا الحشائشَ رونقاً لم تُعطَهُ ... وجلا رُواءُ نميره العيدانا

وبدا الحَصَى اللمّاعُ في رَقراقه ... دُرراً غواليَ تزدهي وجُمانا

تَرَكَ الجبالَ وعُريَها وهَجيرَها ... وتقمَّصَ الأشجارَ والأغصانا

ورمى الخيالَ بمعجزٍ من حُسْنِهِ ... في حالتَيه كاسياً عُرْيانا

واستقبلته على الضِفاف بلابلٌ ... نَشْوى تُغَنِّي مثلَه نَشْوانا

مُتَلوِّياً يُعطيك في لَفتاته ... بين المسارب تائهاً حيرانا

ألقت عليه الشمسُ نُوراً باهتاً ... زان الظلال رقيقةً وازدانا

وارتد إبّان الظهيرة غائماً ... كالفجر يُعلن ضجةً إيذانا

أوغَلْـتُ في إحراجِـه وكـأنني أصبحت أولَ مـرَّةٍ فنّانـا
وكـأنني فيما أُحـاولُ هـاربٌ حَـذِرٌ مخافـةَ أن يَـرَى إنسانا
ووجـدتُ نفسي والطبيعـة ناسيـاً مـاذا يضـمّ العالمـان سـوانا
ورميـتُ أثقـال المطـامحِ جانبـاً ووجـدت عـن خُـدُعاتِها سُـلوانا
وحسِبت عصفوراً يُلاعب ظلَّـه في المـاءِ يـنعمُ راحـةً وأمانـا
واستسلمتْ نفسي لأحلامِ الصبا ولَمَسْـت طيـف خيالهـا يقظانـا
ومَزَجْتُ بين الذكريات خليطـةً فوجـدتُني متلـذِّذاً أسـيانا
وتسـلَّلتْ بـالرَغم مني مـرَّةً صُـورُ الحقـائق تبعـثُ الأشـجانا
فـإذا الخيـال المحضُ يلمعُ زاهيـاً وإذا الحقيقـةُ تُطفـئ اللمَعَانـا

***

ناجيت قبرك

في ذِمَّـةِ الله مـا ألقَـى ومـا أجِـدُ أهـذِهِ صَـخرةٌ أمْ هـذِه كبِـدُ
قدْ يقتُلُ الحُـزنُ مَنْ أحبابهُ بَعُـدوا عنـه فكيـفَ بمـنْ أحبابُـهُ فُقِـدوا
تَجري على رِسْلِها الدُنيا ويتبَعُها رأيٌ بتعليـلِ مَجراهـا ومُعتقَـد
أعيـا الفلاسـفةَ الأحـرارَ جهلُهـمُ مـاذا يُخبِّـي لهـمْ في دَفَّتيـهِ غـد
طالَ التَمحْـلُ واعتاصـتْ حُلـولهُم ولا تـزالُ عـلى مـا كانـتِ العُقَـد
ليـتَ الحيـاةَ وليـت المـوتَ مَرحَمَـةٌ فـلا الشبـابُ ابـنُ عشريـنٍ ولا لبَـد
ولا الفتـاةُ بريعـانِ الصِبا قُصِفَتْ ولا العجـوزُ عـلى الكّفـينِ تَعتمِـد
وليتَ أنَّ النسورَ استُنزفَتْ نَصفاً أعمارُهـنَّ ولم يُخصَـصْ بهـا أحـد
حُيِّيـتِ أُمَّ فُـراتٍ إنَّ والـدةً بمثـلِ مـا أنجبَـتْ تُكنـى بهـا تَلِـد

تحيَّـةً لم أجِـدْ مـن بـثٍّ لاعِجِهـا | بُـدّاً وإنْ قـامَ سـدّاً بيننـا اللَّحـد
بـالرُوح رُدِّي عليهـا إنّهـا صِـلةٌ | بـينَ المحِبـينَ مـاذا ينفـعُ الجَسـد
عزَّتْ دموعيَ لـو لمْ تَبعثي شَجَناً | رَجعـت مِنـه لحـرِّ الـدمع أبـترِد
خَلعتُ ثوبَ اصطِبارٍ كانَ يَستُرُني | وبـانَ كِـذبُ ادِعـائي أنَّنـي جَلِـد
بكَيتُ حتَّى بكا من لـيسَ يعرِفُني | ونُحـتُ حتَّـى حكـاني طـائرٌ غَـرِد
كـما تَفجَّـرَ عَينـاً ثـرَّةً حجَـرٌ | قـاسٍ تفَجَّـرَ دمعـاً قلبـيَ الصَـلد
إنّـا إلى الله قـولٌ يَسـتريحُ بـهِ | ويَستوي فيهِ مَن دانوا ومَن جَحدوا

مُـدِّي إليَّ يَـداً تُمْـدَدْ إليـكِ يـدٌ | لابُدَّ في العيشِ أو في الموتِ نتَّحِد
كُنَّـا كشِـقَّينِ وافي واحـداً قـدَرٌ | وأمـرُ ثـانيهما مِـن أمـرِهِ صَـدَد
ناجيـتُ قَـبرَكِ استوحي غياهِبَـهُ | عـنْ حـالِ ضيفٍ عليهُ مُعجَلا يفد
وردَّدَتْ قفـرةٌ في القلـبِ قاحِلـةٌ | صَـدى الـذي يَبتغـي وِرْداً فـلا يجِد
ولَفَّنـي شَـبَحٌ مـا كـانَ أشـبَهُهُ | بجَعْدِ شَـعرِكِ حـولَ الوجـهِ يَنعْقد
ألقيـتُ رأسيَ في طيَّاتِـه فَزِعـاً | نظـير صُـنْعِيَ إذ آسـى وأُفتـأد
أيّامَ إنْ ضاقَ صَدري أستريحُ إلى | صَـدرٍ هـو الـدهرُ مـا وفى ومـا يَعِـد
لا يُـوحشِ اللهُ رَبعـاً تَنـزِلينَ بـهِ | أظُـنُ قـبرَكِ رَوضـاً نـورُه يَقِـد
وأنَّ رَوْحـكِ رُوحٌ تأنَسِـينَ بهـا | إذا تملمـلَ مَيْـتٌ رُوْحُـهُ نكَـد
كُنَّـا كنبَتـةِ رَيحـانٍ تخطَّمَهـا | صِرٌّ فأوراقُهـا مَنزوعَـةٌ بَـدَدَ
غَّطى جناحاكِ أطفالي فكُنتِ لهُمْ | ثغـراً إذا استيقَظوا عِينـاً إذا رقَـدوا
شّتى حقوقٍ لها ضاقَ الوفاءُ بها | فهـلْ يكـونُ وَفـاءٌ أننـي كمِـد
لم يَلْـقَ في قلبِهـا غِـلٌّ ولا دَنَـسٌ | لـهُ محـلاً ولا خُبْـثٌ ولا حَسـد

ولم تكُـنْ ضرةً غَـيرَى لجِارَتِهـا تُلـوى لخِـيرٍ يُواتيهـا وتُضْـطَهد
ولا تَـذِلُّ لخطـبٍ حُـمَّ نازِلُـهُ ولا يُصَـعِّرُ مِنهـا المـالُ والولـد

قالوا أتى البرقُ عَجلاناً فقلتُ لهمْ والله لـو كـانَ خـيرٌ أبطـأتْ بُـرُد
ضـاقَتْ مرابِعُ لُبنـانٍ بـما رَحُبَـتْ عـليَّ والتفَّـتِ الآكـامُ والنُجُـد
تلكَ التي رقَصَتْ للعينِ بَهْجَتُها أيـامَ كُنَّـا وكانـتْ عِيشـةٌ رَغَـد
سـوداءُ تـنفُخُ عـن ذِكـرى تُحرِّقُني حتّـى كـأني عـلى رَيعانِهـا حَـرِد
والله لم يحـلُ لي مغـدىً ومُنْتَقَـلٌ لمـا نُعيـتِ ولا شـخصٌ ولا بَلَـد
أيـنَ المَفَـرُّ ومـا فيهـا يُطـاردُني والـذِكرياتُ طرِّيـا عُودُهـا جُـدُد
أالظـلالُ التـي كانـتْ تُفَيِّئُنـا أم الهِضـابُ أم المـاء الـذي نَـرِد
أم أنـتِ ماثِلـةٌ مِـن ثَـمَّ مُطَّـرَحٌ لنـا ومـنْ ثَـمَّ مُرتـاحٌ ومُتَّسَـد
سُرعانَ ما حالتِ الرؤيا وما اختلفَتْ رُؤىً ولا طـالَ إلا سـاعةٍ أمَـد
مـررتُ بـالحَورِ والأعـراسُ تملـؤهُ وعُـدتُ وهـو كمثـوى الجانِ يَرْتَعِد

مُنىً وأتعِسْ بها أنْ لا يكونَ على توديعهـا وهـيَ في تابُوتِهـا رَصَـد
لعلَّنـي قـارئٌ في حُـرِّ صَـفْحَتِها أيَّ العواطِـفِ والأهـواءِ تحْتَشِـد
وسـامِعٌ لفظـةً مِنهـا تُقَرِّظُنـي أمْ أنَّهـا – ومعـاذَ الله – تَنْتَقِـد
ولاقِـطٌ نظـرةً عَجلى يكـونُ بهـا ليْ في الحيـاةِ ومـا ألقـى بِهـا سَـند

***

خبر

خـبر ولـيسَ كسـائر الأخبـارِ حَصَـبَ الـبلاد بـمارجٍ مـن نـارِ

فلَوَتْ لـه الصيدُ الأماجدُ هامَها	حُزنـاً لفقـد زعيمِهـا المختـار

***

الإقطاع

ألا قُـوَّةٌ تسـطيعُ دفـع المَظـالِمِ	وإنعـاشَ مخلـوقٍ عـلى الـذُّلِّ نـائِمِ
ألا أعينٌ تُلقى على الشَّعْبِ هاوياً	إلى حَمْـأةِ الإدقـاعِ نظـرةَ راحـم
وهَلْ ما يرجِّي المُصلحونَ يَرونهُ	مواجَهَـةً أمْ تلـكَ أضـغاثُ حـالم
تعالَتْ يـدُ الإقطـاعِ حتَّى تعطَّلَتْ	عـنِ البـتِّ في أحكامِهـا يـدُ حـاكم
وحتَّى استبدَّتْ بالسَّوادِ زعانِفٌ	إلى نَفْعِهـا تسـتاقُهُ كالبهـائم
إذا رُمْـتُ أوصـافاً تليـقُ بحالـةٍ	تعرَّفْتُهـا ضـاقَتْ بطـونُ المعـاجم
ألا نستحي مـنْ أنْ يُقالَ بلادُهُـمْ	عليهـا مِـنَ الإذلالِ ضربـةُ لازم
هي الأرضُ لم يَخْصُصْ لها اللهُ مالكاً	يُصَرِّفُهـا مُسْـتَهْتَراً في الجـرائم
ولم يَبْـغِ منهـا أنْ يكـونَ نَتاجُها	شَـقاوةَ مظلـومٍ ونعمـةَ ظـالم
عجِبـتُ لخلْـقٍ في المَغـارِمِ رازِح	يُقـدِّمُ مـا تجنـي يـداهُ لغـانم
وأنكـا مـن هـذا التغـابُنِ قُرْحَـةً	غبـاوةُ مَخْـدومٍ وفِطنـةُ خـادم
وكمْ مِن خُمولٍ لاحَ في وجه مترفٍ	وكـمْ مـن نبـوغٍ شـعَّ في عـينِ عـادِمِ
لـو اطَّلَعـتْ عينـاكَ أبصرتَ مأتماً	أُقـيمَ عـلى الأحيـاءِ قبـلَ المـآتم
وإلاّ فـما هـذا الشَّـقاءُ مُسَـيْطِراً	لـهُ في جبـاهِ القـومِ مثـلُ المياسـم
إذا أقبـلَ الشـيخُ المُطـاعُ وخَلْفَـهُ	منَ الزارعينَ الأرضَ مِثْلُ السَّوائم!
مِنَ المُزهَقي الأرواح يَصلي وجوهَهُمْ	مَهَـبُّ أعاصـيرٍ ولفـحُ سـمائم
قِيامـاً عـلى أعتابـهِ يُمطِرونهـا	خُنوعـاً وذُلاً بالشّـفاهِ اللـواثم

رأيــتَ مثــالاً ثَــمَّ لابــنِ ملائــكٍ تَنَــزَّلَ مِــن عَليْائــهِ وابــنِ آدم
حَنايـا مِـنَ الأكـواخِ تُلقـي ظِلالَهَـا على مِثْلِ جُـبٍ باهـتِ النُـور قـاتم
تلـوَّتْ سِـياطٌ فـوقَ ظهـرِ مكـرَّمٍ مِـن اللُّـؤمِ مـأخوذٍ بسـوطِ الألائـم
وباتَـتْ بطـونٌ ساغِباتٌ على طَـوىً وأُتخِمَـت الأخـرى بِطيـبِ المطـاعم
أهــذي رعايــا أُمَّــةٍ قــد تهيَّــأتْ لِتسْــقَبْلَ الــدُّنيا بعــزمِ المُهــاجم
أهــذا ســوادٌ يُبتغــى لِمُلِمَّــةٍ ونحتاجُــهُ في المــأزِقِ المــتلاحِم
أهـذي النفـوسُ الخاويـاتُ ضَراعـةً نُبـاهي بهـا الأقـرانَ يـومَ التَّصـادم
أمِـنْ سـاعِدٍ رِخـوٍ هَزيـلٍ وكاهـلٍ عجـوزٍ نُريـدُ المُلْـكَ ثَبْـتَ الـدَّعائم
مِنَ الظلْـمِ أنَّـا نَطْلُـبُ العـزمَ صـادقاً من الشعبِ منقوضَ القُوى والعزائم
وأنْ نَنْشُـدَ الإخـلاصَ في تضـحياتِهِ ونحــنُ تركنــاهُ ضَــحيَّةَ غاشــم
وأنْ نبتغــي رِكضــاً حَثيثــاً لِغايــةٍ نُحاوِلُهــا مِــن راسِــفٍ في أداهــم
لنـا حاجـةٌ عنـدَ السَّـوادِ عظيمـةٌ سـنفقِدُها يـومَ اشـتدادِ الملاحِـم
هُنالِـكَ لا تُجـدي فتـيلاً عِصـابةٌ إذا جَـدَّ خطـبٌ فهـي أوَّلُ راجـم
وإنَّ سـواداً يحمِـلُ الجَـوْرَ مُكْرَهـاً فقــيرٌ لِهــادٍ بَـينِ النُصْـحِ حـازِم
يَشُـنُّ عـلى الإقطـاعِ حربـاً مُبيـدةً ولا يَخْــتشي في الحــقِّ لَوْمَــةَ لائــم
يَمُدُّ يـداً تُعطي الضّـعافَ حُقـوقَهُمْ ويَسْـطو بـأخرى باطشـاً غـيرَ راحـم
ويجتَـثُّ إقطاعـاً أقَـرَّتْ جُـذُورَهُ سياســةُ تفريــقٍ وحَــوْزُ مغــانم
سياســةُ إفقــارٍ وتجويــعُ أُمَّــةٍ وتَســليطُ أفــرادٍ جُنــاةٍ غَواشــم

لقد قُلْتُ لو أصغى إلى القولِ سامعٌ ومـا هـوَ مِّنـي بـالظُنونِ الـرّواجم
ألا إنَّ وضــعاً لا يكــونُ رفاهُــهُ مُشــاعاً عــلى أفــر'دِهِ غــيرُ دائــم

أمبـــترداتٌ بـــالخُمورِ تثلَّجَــــتْ وبالمــاءِ يَغْــلي بــالعُطورِ الفــواغِم
ومُفترِشـــاتٌ فضـــلةً في زرائـــبٍ يُوَسّـــدُها مــا حولَهَــا مِــن رَكــائم
أمِــنْ كــدحِ آلافٍ تفــيضُ تَعاســةً يُمَتَّـــعُ فـــردٌ بـــالنعيمِ المُـــلازِم
ومــا أنــا بالهيَّــابِ ثــورةَ طــامعٍ ولكــنْ جِمــاعُ الأمــرِ ثــورةُ نــاقم!
فــما الجــوعُ بــالأمرِ اليســيرِ احتمالُــهُ ولا الظُلْــمُ بــالمرعى الهنــيءِ لِطــاعِم
نَــذيرَكَ مِــن خَلْــقٍ أُطيــلَ امتهانُــه وإنْ بــاتَ في شــكلِ الضَّــعيفِ المُسالم
بــلادٌ تـــردَّتْ في مهـــاوٍ ســـحيقةٍ ونـــاءتْ بأحمـــالٍ ثِقـــالٍ قواصِـــم
تَبيـــتُ عـــلى وعـــدٍ قريـــبٍ بفتنـــةٍ وتُضـحي عـلى قَـرْنٍ مـن الشرِّ نـاجم
ولــو عُــولِجَ الإقطــاعُ حُــمَّ شِــفاؤها ومَــنْ لي بطَــبٍّ بّــينِ الحِــذْقِ حاســم؟
ولم أرَ فــيما نــدَّعي مِــن حضــارةٍ ومــا يَعــتري أوضــاعَنا مِــن تــلاؤم
وها إن هــذا الشَّــعْبَ يَطــوي جَناحَــهُ عــلى خَطَــرٍ مــن سَــورةِ اليــأس داهــم
غـــداً يســـتفيقُ الحـــالمونَ إذا مَشَـــتْ رواعـــدُ مـــن غضـــباتِهِ كالزمـــازم

***

لبنان

أرجِعي ما استطعتِ لي من شَبابي يـــا سُـــهولاً تَـــدَثَّرَتْ بالهِضـــابِ
غسَــلَ البحــرُ أخْمَصَــيْها.. ورشَّــتْ عبِقـــاتُ النَّـــدى جِبـــاهَ الـــرَّوابي
واحتواهـــا صِـــنّينُ بـــينَ ذِراعيـــه عجــــوزاً لـــــه رُواءُ الشَّـــــباب
كلَّلـــــتْ رأسَـــــهُ الثّلـــــوجُ ومسَّـــتْهُ بأذيالهـــا مُتـــونُ السَّـــحاب
وانثنــى كالإطــار يحتضِــنُ الصّــورةَ تُزْهَـــــى أو جَـــــدْولٍ في كتـــــاب
كلَّـــما غـــامَ كُربـــةً مـــن ضَـــبابٍ فرَّجَـــتْ عنـــه قُبْلـــة مـــن شِـــهاب

وبـدَتْ عنـدَ سـفحِه خاشِـعاتٌ الـدور مثـل الزِّميـت في محِـراب
وحواليــهِ مــن ذَراريــهِ أنـماطٌ لِطــافٌ مــن مُسْـتَقِلٍّ وكــابي

والقُرَيّــاتُ كــالعرائس تُجْــلى كــلَّ آنٍ تلـوحُ في جِلبــاب
مـنْ رقيـقِ الغُيـوم تحـتَ نِقـابِ ومِـنَ الشَّـمسِ طلقـةً في إهـاب
وهــي في الحــالتين فِتنــةُ راءٍ بـينَ لـونينِ مـن مُشِـعٍّ وخـابي
والبيــوتُ المُبَعْثــراتُ نَثــارُ العُـرس مبثوثـةً بـدونِ حسـاب
وتراهــا بــينَ الخمائــلِ تلتــفُّ عليهــا عــمارةً في غــاب
وتماسَــكْنَ - والطبيعــةُ شِــعرٌ - كقــوافٍ يَلْمَعْــنَ غـيرَ نـوابي
زهوُ حُمْرِ القِباب في الجبَلِ الأخضرِ يَسْـبي كزهـو أهـلِ القبـاب

والكــرومُ المُعرَّشــاتُ حُبــالى مُرضِـعاتٌ كـرائمَ الأعنــاب
حانيــاتٌ عــلى الـدوالي تُحَلِّـينَ عناقيــدَ زينــةً للكعــاب
رافعـاتُ الـرؤوسِ شُكْراً وأُخرى سـاجداتٌ شُـكْراً عـلى الأعتـاب
سِـلْنَ في الحَقْـل مثـلَ رُوحِ لجسمٍ وتمــدَّدْنَ فيــهِ كالأعصــاب
وتصـايَحْنَ أيـنَ أيـنَ النَّـدامى ؟ وتغــامَزْنَ ثَــمَّ للأكــواب
وتخــازَرْنَ والمَعــاصِرُ أبصــاراً حِــداداً مَليئــةً بالسِّــباب
نَظَــراتٍ كانــت خِطابــاً بليغــاً ولـدى العـاصرينَ فحـوى الخطـاب
إنَّ خـيرَ الشُّـهورِ إرثـاً لشـهرٍ مـا تَلقَّـى أيلـولُ مـن شـهرِ آب
كيـفَ لا تـرقصُ الطبيعـةُ في أرضٍ ثراهــا مُخَضَّــبٌ بــالشراب

غـاضَ نبـعُ النَّهـارِ يُـؤْذنُ ضـوء البـدرِ قـد فـاضَ نبـهُ بانسِـكاب

وانـــزوَتْ تلكُـــمُ الخليعـــةُ طـولَ اليـومِ عُريانـةً وراءَ حجـاب
وأتـتْ في غَيابـةِ الشَّـفَقِ الأحمـرِ مـــا تشـــتهي مِـــنَ الألعـــاب
أي لـــونٍ ألقـــتْ عـــلى الأرضِ حَلَّى كـلَّ ما فوقَهـا.. وأيَّ خِضـاب

هـــدأ الحَقْـلُ والمدينـةُ والغـابُ ودوَّى الصَّـدى ورَجْـعُ الجـواب
ثمَّ سدَّ الدُروبَ جيشُ الكَدودين طَـــوالَ النَّهـــارِ في أتعـــاب
حبَّـذا منظـرُ الفـؤوس اسـتراحتْ في نِطـاقِ الفـلاَّحِ والحطَّـاب
واسـتقلَّ الجبـالَ راعـي غُنَـيْماتٍ يُـــدَوّي بزجلَـــةٍ وعتـــاب

يـا مَثارَ الأحـلامِ.. يـا عـالَمَ الشّـعر طريّـاً.. يـا جَنَّـةً مـن تـراب
يـا خيـالاً لـولا الحقيقـةُ تُنبـي عنـه كنَّـا مـن أمـرهِ في ارتيـاب
حسبُ نفسي من كلِّ ما يأسِرُ النَّفْسَ اغـتراراً مـن الأمـاني العِـذاب
هجعـةٌ في ظِـلال أرزِكِ تَنفـي مِـن هُمـومي ووَحشـتي واكتئـابي
وصـديقي وحـشٌ أعـزُّ وأوفى مـن حسـودٍ.. ومـن صـديقٍ محـابي
لا أقـولُ العـدوُّ إنَّ عِـداتي نَسَـبٌ واضـحٌ مـن الأنسـاب
كلَّـما شـاقني التأمـلُ لفتَّنـي مجـاري الميـاهِ بـينَ الشِّـعاب
بـينَ صـفَّيْ صَـنَوْبرٍ كشُـعورِ الغيـد لُمَّـتْ عـلى قُـدودٍ رِطـاب

آيـةُ الله عنـدَ لُبنـانَ هـذا الحسـنُ في عـامرٍ لـه وخـراب
رُبَّ وادٍ بـادي المقاتِـلِ تعلـوهُ الأخاديـدُ كـالجروح الرِّغـاب
كـانَ في سِـحرِهِ كـآخَرَ زاهٍ مسـتفيضِ الميـاهِ والأعشـاب
وفِجـاجٍ مَغْـبَرَةٍ كُـنَّ أبهـى روعـةً مـن مُفَيَّحـاتٍ رِحـاب

قلـــتُ إذ جِـــرتُ: أيُّ أرض لهـــا ... الفضـلُ عـلى غيرهـا وحـارَ صِحابي

أدْخُلـــوا جنَّـــةَ النَّعـــيم تُلاقـــوا ... ألـفَ رضـوانَ فاتحـاً ألـفَ بـاب

غــــيرَ أنّي أنكــــرتُ في جنَّـــــةِ ... الفِــردوسِ ربّــاً مُــوَكَّلاً بعــذاب

إيـــهِ لُبنـــانُ والحـــديثُ شـــجونٌ ... هــل يُطيــقُ البيــانُ دَفعــاً لمــا بي

حــارَ طــيَّ اللَّهــاةِ تمنــي ســؤالٌ ... أنـــا أدرى بــــردِّهِ والجـــواب

مــا تقولــونَ في أديــبٍ حريــبٍ! ... مُسْـــتَقلٍّ يلـــوذُ بالانتـــداب

خلـتُ أني فـررْتُ مِـن جـوِّ بغـدادَ ... وطُغيـــانِ جَوْرِهـــا اللَّهـــاب

ومِـنَ البغـي والتَّعَسّـفِ والـذُّلّ ... فظيعـــاً مُحكَّـــماً في الرِّقـــاب

ومِـنَ الـزّاحفينَ كالـدُّودِ هُونـاً ... تحـتَ رِجـليْ مسْـتَعْمِرٍ غَـلاب

ومـنَ الصَّـائلينَ في الحُكْـمِ زُوراً ... كخيـــولٍ مُســـوَّماتٍ عـــراب

خِلْـتُ أنّي نجـوتُ مِـنْ ذا ومـن ... بَطشــةِ عــاتٍ.. وخـائنٍ كـذّاب

غـانماً سَـفرتي وهـا أنـا في حـالٍ ... تُرينـــي غنيمتـــي في الإيـــاب

أفيَبْقَـى الأحـرارُ مِنّـا ومِـنكُم ... بـينَ سَـوْطِ الغريـبِ والإرهـاب

***

على قارعة الطريق

قال لي وقد عرج عليّ – وأنا في منتصف الطريق إلى حيث أريد أأنت مسافر مثلي..

فقلت له: لا! بل أنا شريد.

قال: وأين وجهتك الآن؟

قلت: وجهتي أن أضع مطلع الشمس على جبيني وأغذ في السير.. حتى إذا

جنني الظلام في الليل أقمت حيث يجنني .. وسرت عند طلوع الفجر .

قال : والليل ليل والنهار نهار منذ الأزل وحتى الأبد .. أفأنت مجنون؟

قلت له : لا – كما أعتقد .. ولكن أأنت جاهل؟

قال : وكيف؟

قلت له : لقد علمنا علم المكان وعلم الزمان من جديد أنك كلما أغذذت السير قُدمًا قصر الليل وطال النهار .. حتى ليكادان يتحدان عند المنتهى .

ولقد كنتُ أجهل مثلك هذه الحقيقة طيلة ثلاثين عامًا كنت خلالها أهيم على وجهي وأتخبط في مجاهل الأرض – دون معالمها – إذ كنت لا أعلم من هذا العلم شيئًا .

قال : والآن ؟؟

قلت : والآن .. فمنذ سبعة عشر عامًا – وقد عرفت هذه القاعدة – وأنا أمشي إلى الأمام على ضوء الشمس .

قال : وعندما تغيم؟؟

فقلت له : إنني لأفتح عيني أكثر لأعتاض بهما عن نور الشمس وقد أزيغ وأنحرف! ويكلفني هذا تعبًا يطول أو يقصر على قدر انحرافي .. ولكنه ليس على كل حال أكثر من التعب في أن أعود وعلى ضوء الشمس من جديد ، ومن حيث ابتدأت .

قال : وماذا أكثر من التعب؟

قلت : أكثر منه ألا أتعب .

قال : أولا ترتجف من البرد؟

قلت : لا .. فقد تعودته حتى لأكاد أرتجف من الحر .

قال : وماذا تأكل؟

قلت : لحوم الحيوانات السائبة فإن لم تكن تقوتُ بقليل من لحمي ..

قال : لحمك ؟!

قلت : أجل .. ولماذا لا .. وإني لآكل من لحم أولادي أيضًا .

قال : آه .. وعندك أولاد؟!

قلت : بلى .. وهم سبعة ومعي أيضًا في طريقي .

قال : وكيف يطيقون هذا العناء ؟

قلت : أحمل العاجز منهم على كتفي ، وأدع رعاية الصغير للكبير منهم ، وآكل من لحمهم وأطعمهم من لحمي .. ومن مات منهم جوعًا ، أو تعبًا تركته للكلاب .

قال : أولا يرتجفون مثلك من البرد ؟

قلت : بلى .. يرتجفون .. والآن . وسوف يتعودون ذلك غدًا .. فلا يرتجفون أبدًا ؟

قال : أو لم تقدر أن تكسوهم ، وتطعمهم فيما تمر به على المدن ، والقرى ، والناس؟

قلت : أبدًا .

قال : ولماذا ؟

قلت : لأنهم يريدون لذلك ثمنًا .

قال : أوتريده أنت بلا ثمن؟

قلت : وكيف أريده بدونه .

قال : فلماذا ؟

قلت : لأنني أريد لهم ولي .. أن أعمل ويعملوا .. لنشبع ونكتسي .

قال : وهم ؟

قلت : وهم يريدونني أن أرقص .

قال : ترقص؟!

قلت : أجل ، ومثل القرود تمامًا .

قال : ولماذا لا ترقص؟ .. ومثل القرود ؟

قلت : لأنني لم أوهب سعة حيلة هذا الحيوان ، وصبره على المجاراة .

ألك أخوة ؟

قال لي : صديق الطريق .. هذا !! .. وقد صمت ورمق الأفق البعيد بعينيه .

قلت : أجل لي ثلاثة .

قال : وأين هم ؟

قلت : واحد تشرّد مثلي ، وآخر تخلف عني في المدينة ، وثالث أكلته الحيوانات !

قال : أولك أم ؟

قلت : وكيف لا ؟!

قال : وأين تركتها ؟

قلت : تركتها على قارعة الطريق ، وبيدها كتاب! وإبريق! ومبخرة!

قال : وما هذا ؟؟!

قلت : هذا من عقائدها .

قال : عقائدها ؟؟!!

قلت : أجل من عقائدها .. إنها كلفتني أن أقبِّلَ الكتاب ، وقد حملته باليمين ، فقبَّلتُه، ولكن .. بعد أن أخذته منها بالشمال .. وأرادت أن ترش الأرض من حولي

بالماء ، ومن أنبوبة الإبريق .. فرشت به الأرض ، ولكن بعد أن رفعت الإبريق إلى فوق ومن فوهته!!

قال : والمبخرة ؟

قلت : إني حطمتها .. وإن والدتي لمتشائمة وحزينة من أجل ذلك .

قال : مفهوم أنها حزينة ، ولكن لماذا هي متشائمة ؟

قلت : لأنها تعتقد أنني لن أرجع إليها سالمًا وقد حطمتها .

قال : وأني ولدتك أمُك ؟

قلت : على قارعة الطريق أيضًا .

قال : أكل شيء على قارعة الطريق ؟!!

قلت : أجل .. إنها من المعتقدات بـ - أسطورة!! - «سيادة النور» ، و«عبودية الظلام» .. وهي ترتجف رعبًا من الليل ، ولذلك فهي لا تضع حملها إلا على قارعة الطريق .

قال : وأبوك؟

فقلت له : إنه لا يشغل بالي من مره أكثر من أنه كان يتحمل الألم ولكن بصمت! بلا ثورة على الألم . وبلا تجديف . وإنه كان يُغني ثم خاف فترك الميدان . وكل من هو على شاكلته من المغنين لا يشغل بالي من أمرهم شيء!

قال : ومتى عهدك بالمدينة وأهلها ؟

قلت : منذ تركتها ، أما عهدي بأهلها فمنذ أن تشاجرت مع حاكمها لكثرة ما يحملهم على الرقص كالقرود .

قال : وبعد؟!

قلت : وبعد.. فقد استمروا يرقصون حتى بعد أن طردني الحاكم شر الطرد من

أجلهم .. طردني أنا ومن معي .

قال : أفأنت حاقد عليهم من أجل ذلك؟

قلت : لا .. أبدًا .. بل غاضب .

قال : أولا تريد أن تراهم ؟

قلت : إن بريق الغضب في عيني ليصدني عن رؤيتهم .

***

قال لي عابر سبيل بعد برهة وجيزة استرحت خلالها من قال وقلت .

قال : وقد فهمت أن عنده ما يخاله هو شيئًا جديدًا – وأن هناك – من ورائنا!! غابةً .. وارفة الظلال كثيرة الشجار ، ناضجة الثمار ، شاخبة الغدران.. أفلا أدلك عليها فتستريح عندها .. ولو بالرجوع خطوات ؟

قلت له عابسًا : أفأنت خارج منها ؟؟!

قال : أجل.

قلت : أفأنت من أشباحها ؟

فصمت مذهولاً! ولما أدركت أنه ليس منهم ، وأنه مجرد عابر سبيل ، انحدر إليها.

قلت له : لا .. لا أبدًا .. فهل تريد أن أقص عليك أمري منها ، وأدع لك أمرك وشأنك .. على أن نفترق بعد الآن ، لأنك حديث عهد بها ، وبأرواحها ، ولأنني لا أطمئن إليك من أجل هذا .

قال : وقد رأيت الألم الصادق! في عينيه - موافق .

قلت له : لقد مررت بغابتك هذه ، بعد أن كنت قد انحرفت قليلاً أو كثيرًا –

لا أدري – عن شرع الطريق الذي كنت أريده ، وكان الأمر في ذلك أنني لقيت من على جانبي طريقي المنحرف أشباحًا وكأنها الأدلاء إلى الطريق السوي فتبعتهم – شاكرًا !! – حتى إذا توسطت الغابة استقبلني من خلال أغصانها المتشابكة رؤوس كأنها الشياطين ، وأصوات كأنها حشرجة المحتضرين ، وأطبق عليّ الظلامُ الذي أخافه .

ولا أنكرك .

إنني كنت جائعًا ، وإن ثمرها كان شهيًا .

وإنني كنت ظامئًا ، وإن ماءها كان عذبًا سائغًا .

ولكنه ، مع هذا كله فقد أنستني حاسة الرعب والهلع من الظلام المسيطر عليها كل الحواس الأخرى .

فلقد أدركت يا صديقي الطريق العابر من بادئ الأمر – بغريزتي – وليس بعقلي أن طريقًا يقف عليه الأدلاء ليدلوا المارة عليه ليس هو بالطريق القويم ، فمثل هذا الطريق ما تسير أنت مدفوعًا على هداه .

ولقد علمت يا صديق الطريق العابر أن تلك الأشباح المبثوثة في طريقي إلى الغابة إنما هي من أرواحها !! وأن كل ما عوى عليّ من ذئابها .

وكل ما طلع عليّ من رؤوسها !!

وكل ما أدمى قدمي من أشواكها !!

وكل ما حل جلدة رأسي من أغصانها وفروعها !

وكل جزءًا لا ينفك من أرواحها أيضًا .

وحتى تلك الحيوانات المتفرجة المسالمة فيها هي منها أيضًا .

وتلك الأشباح التي كانت تتسلل من خارج هذه الغابة فتتشابك مع ما في

داخلها من أشباح وأرواح وكأنها تريد أن تتلاعب معها! أكثر من أن تتقاتل .

حتى تلك الأشباح التي كانت وكأنها تريد أن تدفع عنها كل البطر! وفتور الدلال! في معركتها هذه . آمنت أنها من سلالة أرواح الغابة ومن عناصرها!

ولقد ألقيت تلك الأرواح الشريرة ومن تابعها ترى ذلك الجني الغض من الثمر العاجل في هذه الغابة ، والماء العذب البارد خير العوض على الظلام الرائن عليها!

وكنت أراه مجرد ثمر عاجل . ومجرد سراب لامع .

وكانوا يضحكون مني . وكنت أضحك منهم!!

وعندما هز دليل السبيل هذا رأسه باستحباب كمن يريد زيادة في الحديث .

قلت له : ومن الغريب أنني كنت أحمد!! في خطواتي الأولى إلى هذه الغابة هؤلاء الأدلاء .

وكنت لا أنفك أغني إلى جانب ذلك أغاني التمجيد لنور الشمس ، وكان هؤلاء الأدلاء أنفسهم – لا غيرهم – يهزون رؤوسهم وأذقانهم كالمؤمنين بما أغنى .

والأغرب من كل هذا – يا صديقي طريقي العابر – أنني حتى بعد أن وليت منهم ومن غابتهم فرارًا .

كنت أغني بحماس أكثر .. وأغاني أجود في تمجيد نور الشمس ، وفي شجب عشاق الظلام .

وكانوا – هم وليس غيرهم – أيضًا يهزون رؤوسهم وأذقانهم تأمينًا على أغاني هذه .

في حين كانوا يشيعونني معها بنظرات الأسف .

إنهم كانوا يفعلون ذلك وهم يقضمون من نبات الغابة وأثمارها .. ثمر الظلام الذي يعيشون فيه .

ثم يرمون ببعضها .. أو ببقاياها إلى من وراءهم وحواليهم من تلك الأرواح .

وممن قصرت أيديهم أن تمتد إلى أغصان أشجار الغابة .

ثم قلت : وقد انتهيت .

والآن فوداعًا يا صديق الطريق العابر .

قال : وداعًا أيها المغني لنور الشمس !

وداعًا أيها الشريد .

وكان هذا آخر عهد لي به ، وآخر عهد له بي .

محمد مهدي الجواهري

أجب أيُّها القلب

أُعيــذُ القــوافي زاهيــاتِ المطــامعِ ... مــزاميرَ عــزّافٍ أغاريــدَ ســاجعِ

لِطافــاً بــأفواه الــرّوُاة نوافــداً ... إلى القلب.. يجري سحرهُا في المسامع

تكـادُ تُحِسّ القلـبَ بـين سُطورها ... وتمسَـحُ بـالأردانِ مَجـرى المـدامع

بَرِمْـتُ بلـوم اللّائمـين وقـولِهم ... أأنـتَ إلى تغريـدةٍ غـيرُ راجـع

أأنـتَ تركـتَ الشـعر غـيرَ مُحاوِلٍ ... أم الشـعرُ إذا حاولـتَ غـيرُ مطـاوع

وهْـل نضَـبتْ تلـك العواطـفُ ثَـرَّةً ... لِطافــاً مجاريهــا غِـــزارَ المنــابع

أجبْ أيّها القلبُ الذي لستُ ناطقاً ... إذا لم أُشــاوِرْهُ ولســتُ بســامع

وَحـدِّثْ فـإنَّ القـومَ يَـدْرُونَ ظـاهِراً ... وتخفـى علـيهمْ خافيـاتُ الـدوافِع

يظُنّـونَ أنّ الشِّـعْرَ قبسـةُ قـابسٍ ... متــى مــا أرادُوه وسِــلعةُ بــائع

أجب أيُّهـا القلـبُ الـذي سُرَّ معشرٌ ... بــما ســاءهُ مِــنْ فادحـاتِ القـوارِع

بـما رِيـع منـكَ اللـبُّ نفَّسْـتَ كُربـةً ... وداويــتَ أوجاعــاً بتلـكَ الروائـع

قُســاةٌ مُحبّــوك الكثــيرونَ إنَّهــمْ ... يرونـكَ – إنْ لم تَلْتَهِـبْ – غـيرَ نـافع
ومــا فــارَقَتْني المُلْهِبــاتُ وإنَّــما ... تطامَنْـتُ حتّـى جمرُهـا غـيرُ لاذعـي

ويا شعْرُ سارعْ فاقتَنصْ منْ لـوا عجي ... شــوارِدَ لا تُصــطادُ إنْ لم تُســارِع
تـرامَيْنَ بعضـاً فـوقَ بعـضٍ وغُطّيـتْ ... شَـكاةٌ بـأخرى.. داميـاتِ المقـاطع
وفَجِّـر قُروحـاً لا يُطـاقُ اختِزانُهــا ... ولا هـــي ممــا يتقــى بالمباضــع
ويـا مُضْـغَةَ القلـبِ الـذي لا فَضـاؤها ... بَرَحْــبٍ ولا أبعادُهـــا بشواسِــع
أأنــتِ لهــذي العاطفــاتِ مفــازَةٌ ... نســائِمُها مُرْتَجَّــةٌ بالزعــازِع
حَمَلْتُــكِ حتَّــى الأربعــينَ كــأنَّني ... حَمَلْـتُ عَـدُوّي مـن لِبـانِ المراضـع
وأرْعَيْتِنــي شَرَّ المراعــي وبِيلــةً ... وأوْرَدْتِنــي مُسْــتَوَباَتِ الشَّرائــع
وَعَطَّلـت مِنّـي مَنْطِـقَ العقـلِ مُلقيـاً ... لعاطفــةٍ عَمْيــا زِمــامَ المُتــابع

تَلَفَّـــتُّ أطـــرافي ألَمُّ شــتائتاً ... مـن الـذكرياتِ الـذّاهباتِ الرواجـع
تحاشَـيْتُها دَهْـراً أخـافُ انبعاثَهـا ... عـلى أنَّهـا معـدودةٌ مِـنْ صـنائعي
عـلى أنَّهـا إذ يُعْـوِزُ الشِّـعْرَ رافِـدٌ ... تلـوحُ لـه أشـباحُها في الطلائـع
ومنهـا الـذي فـوقَ الجبـينِ لوقعـهِ ... يـدٌ ويـدٌ بـين الحشـا والأضـالع
فمنهـا الـذي يُبكـي ويُضـحِك أمرُهُ ... فيفـتُّر ثغـرٌ عِـنْ جُفـونٍ دوامـع
ومنهـا الـذي تـدنو فتبعـدُ نُزَّعـاً ... شواخِصُــهُ مِثْـلَ السَّرابِ المُخـادع
ومنهـا الـذي لا أنـتَ عنـهُ إذا دَنـا ... بـراضٍ ولا منـهُ – بعيـداً – بجـازع
حَـوى السِـجنُ منهـا ثُلَّـةً وتحـدَّرَتْ ... إلى القـبرِ أخـرى.. وهـي أمُّ الفجـائع
وبـاءتْ بأقسـاهُنَّ كَفّـي ومـا جَنَـتْ ... مِــن الضُرِّ ممــا تَتَّقيــهِ مســامعي

ومكبْوتـةٍ لم يشـفَعِ الصَّـفْحُ عنـدَها … مـددتُ إليهـا مِـنْ أنـاةٍ بشـافِعِ

غَزَتْ مُهجتي حتَّى ألانَتْ صَفاتَها … ولاثَـتْ دمـي حتـى أضَرَّتْ بطـابَعي

رَبـتْ في فـؤادٍ بالتشـاحُنِ غـارِقٍ … مـليءٍ وفي سـمَّ الحـزازاتِ نـاقع

كـوامِنُ مِـنْ حِقْـدٍ وإثـمٍ ونِقْمَـةٍ … تَقَمَّصْـنَني يَـرْقُبْنَ يـومَ التراجُـع

وُقْلـتُ لهـا يـا فـاجراتِ المَخـادِعِ … تَـزَيَّنَ زِيَّ المُحصَـناتِ الخواشـع

وقَـرْنَ بصـدْرٍ كالمقـابر مُـوحشٍ … ولُحْـنَ بوجـهٍ كالأثـافيِّ سـافِعِ

وكُـنَّ بريقـاً في عُيـوني وهِـزَّةً … بجسـمي وبُقْيـا رَجفَـةٍ في أصـابعي

وأرعَـبْنَ أطيـافي وشَرَدْنَ طائفـ … مِن النـوم يَسري في العيـون الهواجـع

ودِفْـنَ زُعافـاً في حيـاتي يُحيلُهـ … إلى بُـؤرةٍ مـن قسـوةٍ وتقـاطُع

وعلَّمْنَنـي كيـفَ احتبـاسي كـآبَتي … وكيـفَ اغتصـابي ضِـحكةَ المُتَصـانِع

وثُـرْنَ فظيعـاتٍ إذا حُـمَّ مَخْـرَجٌ … وقُلْـنَ ألسـ[illegible]ـن نَتـاجِ الفظـائع

ألسـنا خليطـاً مِـنْ نذالـةِ شـامتٍ … وَفْجـرَةِ غَـدّارٍ وإمْـرَةِ خـانع

تحلَّـبَ أقـوامٌ ضُرُوعَ المنـافِعِ … ورحـتُ بوسـقٍ مـن أديـبٍ وبـارع

وعَلَّلـتُ أطفـالي بَشرِّ تعلَّـةٍ … خُلـودِ أبـيهم في بُطـونِ المجـامع

وراجعتُ أشعاري سِجِّلاً فلم أجِـ … بـهِ غـيرَ مـا يُـودي بِحِلْـمِ المُراجِـع

ومُسْـتَنْكرٍ شَـيْباً قُبيـلَ أوانـهِ … أقـولُ لـه : هـذا غبـارُ الوقـائع

طرحتُ عصا التِّرحالِ واعتَضتُ متْعباً … حيـاةَ المُجـاري عـن حيـاةِ المُقـارِع

وتابَعْـتُ أبْقَـى الحـالَتَينِ لمُهجتـي … وإنْ لم تَقُـمْ كلْتاهُمـا بِمطـامعي

ووُقِّيـتُ بـالجبنِ المكـارِهَ والأذى … ومَنْجـى عتيـقِ الجُـبن شرُّ المَصـارِع

رأيـتُ بعينـي حـينَ كَـذَّبْتُ مَسْـمَعي … سِماتِ الجُـدودِ في الخـدود الضَّـوارع

وأمعنتُ بحثاً عن أكفٌّ كثيرةٍ فألفيتُ أعلاهُنَّ كَفَّ المُبايع

نأتْ بي قُرونٌ عن زُهيرٍ وردَّني على الرُّغمِ منّي عِلْمُهُ بالطبائع

أنا اليومَ إذ صانعتُ أحسنُ حالةً وأُحدوثةً منّي كغير مصانع

خَبَتْ جذوةٌ لا ألهبَ اللهُ نارَها إذا كانَ حتماً أنْ تَقَضَّ مضاجعي

بلى وشكرتُ العُمرَ أنْ مُدَّ حَبْلُه إلى أنْ حباني مُهلةً للتراجُع

وألْفَيتُني إذ علَّ قومٌ وأنهلوا حريصاً على سُؤرِ الحياةِ المُنازَع

تمنَّيتُ مَنْ قاسَتْ عناء تطامُحي تعودُ لِتَهْنا في رَخاءِ تواضعي

فإنَّ الذي عانَتْ جرائرَهُ مُحَتْ ضَراعتُهُ ذَنْبَ العزيزِ المُمانِع

***

أكلة الثريد

قلت للمعجَبينَ بابنِ العميدِ ومُساماتِهِ لعبدِ الحميدِ

إنَّ هذا وذاك عبادُ أصنام ومأساةُ سّيدٍ ومسود

هم أناسٌ تولّعوا بالثريدِ واستُميلوا براهياتِ البُرود

وأتَيْنا من بعدِ ألْفٍ نغني النفسَ في وصفِ أكلِهِمْ للثَّريد

قد شَغَلْنا أفكارَنا بقديمِ وَنَسِينا تقديرَ جيلٍ جديد

أن خيرَ الآدابِ ما أنهض الشعبَ وما فكَّ من إسارِ قيود

***

تطويق

نـوري ولم يُـنعمِ عـليّ سـواكا أحـد ونعمـةُ خـالق سَـوّاكا
إني وجـدت المكرُمـاتِ مَتـاجراً يبغـي ذووهـا مربحـاً إلاّكـا
بـل لـو أشـاء لقلـت كـم مـن وردة لي عنـد جِـبس ردَّهـا أشـواكا
جـاء القـريضُ مطوَّقـاً بـك لائـذاً وانـزاح عـنهم مُعرِضـاً وأتاكـا
طـوَّقْتنى طـوقَ الحَـمام مـبرَّةً ونصـبتَ لي مـن مِنَّـةٍ أشراكـا
كم من يد بيضاءَ ضِقْتُ بشكرها ذرعاً وعاشت – لا تضيق – يداكا
نـوري تحيـةَ معجـب بـك مثقـل بجميـل صُـنعك واثـقٍ بعُلاكـا
حاشـايَ لم أدلِـف إليـك تزُّلفـاً كـّلا ولسـتَ تُريـدهُ حاشـاكا
للشـعر منزلـةٌ لـديَّ أُجَّلهـا وأُحلهـا – لـو أقـدِر – الأفلاكـا
لكـن وجـدت الشـعرَ مهنـةَ عـاجز إن لم يَقُـمْ عنـي بشـكر نَـداكا

يراع المجد

جـدع الجبـارُ أنـفَ المعجَـبِ واصـطلى الطـاغي بنـيران الأبي
ورأى التـاريخُ مـا لم يـره مـن نضـالِ الصـابرِ المحتسِـبِ
يـا يـراع المجـدِ هـذي صـفحةٌ أَمْـلِ مـا شـئتَ عليهـا واكتُـب
خَـبِّرِ الأجيـالَ كيـف افتخـرت سـاحةُ المـوتِ بشـيخ وصـبي
وفتـاة بـالردى هازئـةٍ أمـسِ كانـت نجمـةً في ملعـب
أمـةٌ تـنفح عـن « معتقـد » وبـلادٌ تـدّري عـن « مـذهب »
عـانق المـوت زؤامـاً سـادر ظنَّهـا « بـاريسَ » بنْـتَ الطـرب

وأراهــا كيــف رجــسُ المعتــدي فأرتْــه كيــف طُهْــرُ المُغضَــب
ثــم تلتــه يــدٌ « كادحــةٌ » تُحْسِــنُ الصَّــفعةَ للمغتصِــب
يــا رجــاءَ الكــونِ في محنتــه يــا شُــعاعَ الأمــلِ المســتعذَب
يــا بُنــاة الحــقِ والعــدلِ عــلى ملعــب مــن قــيصري خــرب
ســجدَ ابــنُ العقــلِ والفقــرِ بــه مــرغماً لابــنِ الخنــا والــذهب
يــا ينــابيعَ رجــاءٍ فُجِّــرتْ لظِــماءٍ وجيــاع ســغّب
يــا نقــاءَ الفكــرِ في جــوهره لم يُــدَلَّسْ بــالكُنَى والرُّتَــب
تــأنف القــدرةُ في ذِرْوَتِهــا وإلــهٌ في الســما أن تُغْلَبــي

***

سواستبول

يــا «سواســبولُ » ســلامُ لا يَنَــلْ مجــدّكِ ذامُ
لا عــرا الســيفَ حســاماً ذَرِبَ الحــدِّ انــثِلام
لا يَنَــلْ منــكِ بــما أوذيْــتِ في الله اهتضــام
لــكِ فــيما يُنقِــذُ العــالَمَ لم رَوْحٌ وجِــمام
في الضَّــحايا الغُــرِّ مــن آلِــكِ للحــقِّ دِعــام
كــلُّ شِــبْرٍ فوقَــهُ مِــن جُثَــثِ القــتلى وِســام
يــذهبُ الــدَّهرُ ويبقــى مــن تفانيــكِ نِظــام
الحِفــاظُ المــرُّ مــا أنــتِ عليــهِ والــذِّمام
والحِفــاظُ المُــرُّ – أُغرمْــتِ بــه – مــوتٌ زُؤام
يــا «سواســبولُ» سَــقاكِ الــدَّمُ يزكــو لا الغــمام

أعَلَى الذّبْحِ استباقٌ ... أعلى الموتِ ازدحام
أهيَ سوقٌ لمباراةِ ... اللّذاذاتِ تُقام
ألرَّدى والمجدُ رُكام ... والأشلاءُ والصُلْبُ ركام
قلعةٌ شرقيَّةٌ في ... كُرْبَةِ الأرض ابتِسام
يَهرَمُ الدَّهرُ فإنْ ... عَنَّتْ له فهوَ غُلام
شامخٌ ممَّا أتى ... أبناؤها الصِّيَدُ الكِرام
شُعْلَةٌ للحقِّ غطّاها ... مِنَ الظُّلْمِ ضِرام
يا «سواسبولُ» سلامُ ... وانحناءٌ واحتشام
ما عسى يَبلُغُ – مِن ... هذا الذي جئتِ – كلام
وعلى أرضِكِ آياتٌ ... بليغاتٌ «عِظام»
هيَ في السِّلْمِ حياةٌ ... وهيَ في الموتِ احترام
حولَ أسوارِكِ مِن ... أطياف «أنصارِ» زِحام
مُنْهَكاتٌ فقعودٌ ... بينَ وَجيْبٍ وقِيام
نُثِرَتْ كَرْهاً وطوعاً ... سُجَّداً حولَكِ هام
يا «سواسبولُ» ووجهُ ... الدَّهرِ يَصْحُو ويُغام
وسنا البدرِ انتكاساتٌ ... فنَقْصٌ وتَمام
ومنَ السُّقْمِ علاجٌ ... ومِنَ البُرْءِ سَقام
يا مناراً يُرشِدُ العالَمَ ... والدُّنيا ظَلام
مرَّ عامٌ كلُّ يومٍ منهُ ... في التاريخ عام
كلُّ آنٍ يَسألُ العالمُ ... ماذا يا عِصام
كيفَ «خَرْكوفُ» وهلْ ... بَعْدُ عِتابٌ أو مَلام

كيـــفَ « رُســـتوفُ » لهـــا ... بـــ « الأسـودِ » الطَّـامي اعتصـام

وهَــلِ القَفْقــاسُ - كالعهـدِ ... جيـــــادٌ وَســــــوام

وأغــــانيٌّ وأربـــــاضٌ ... وكَــــــرٌّ واقتحـــــام

لبنيـــهِ والـــذُّرى الشُـــمِّ ... عـــلى المـــوتِ اعـــتِزام

صـــــــهوةُ الأدهـــــمِ ... والفـــارسُ يُزهَـــى والحُســـام

زُبُـــرُ « الفـــولاذِ » قـــدْ ... أفرغَهـــا قـــيْنٌ هُمـــام

أُمـــةٌ لا صَـــدْعَ فيهـــا ... لا ارتجـــاعٌ لا انقســـام

إنَّـــهُ « الإيـــمانُ » إيثـــارٌ ... وعـــــدلٌ ووئـــــام

مُثُـــلٌ زالَ بهـــا جُـــوعٌ ... وجهـــــلٌ واحتكِـــــام

هكـــــذا تُنْبــــتُ أرضٌ ... وهـــيَ بـــالحقِّ اقتســـام

يَملِـــكُ الـــزَّارعُ مـــا يـــزرَعُ ... لا عَبـــــداً يُســــام

صرَّحَ الشرُّ وجَـــــلَّى ... وانجّـــلى عنـــهُ اللِّثـــام

وبـــدا الغـــدرُ شَـــتِيمَ ... الوجـــهِ يعلُـــوهُ القَتـــام

وَتُخَـــمَ المرتَـــعُ بالبـــاغي ... وحَـــــلَّ الانتقــــام

جَـــرَتِ الفُلْـــكُ مُلِحَّـــاتِ ... وحـــــانَ الارتطـــــام

دُوْنَـــكِ الغـــارِبَ جُبِّيـــهِ ... فقـــد جُـــبَّ السَّـــنام

بَيَّـتَ الجـاني عـلى« الفعلمـة » ... فالصَّــــفْحُ أثـــــام

واســـتوى الحـــالُ فمعنـــى ... أن يَعِفّـــوا أنْ يُضـــام

فالـــدمُ الغـــالي حَـــلالٌ ... وتحاشـــيهِ حَـــرام

بَـــرَّرَ « الفَجْـــرَةَ » واســـتامَ ... الخَنـــا جـــيشٌ لُهـــام

فالقُرى والشِّيبُ | ءِ والرّضَّعُ للنَّارِ طعام

أهيَ ذي القُوَّةُ يعتَزُّ بها | هُجْنٌ طَغام

أيُّ سُخْرِيَّةِ أهواءِ | أُناسٌ أمْ هَوام

الْحديدُ الضَّخْمُ يَختارُ | أَحَرْبٌ أمْ سلام

والخَنا والنُّبْلُ يقضي فيهما | هذا الحُطام

ما لهذا الوحشِ مِن ناهٍ | وللخيلِ لجام

فَسَلُوا المعطاشَ للدَّمِّ | أمَا بُلَّ الأُوام

وسَلُوا الحُبلى لَقاحَ الشَّرِّ | هلْ بعدُ وِحام

بشِعَ الفنُّ وذابتْ | صُوَرُ الرِّفْقِ الوِسام

وانبرى أشنعَ ما | خَطَّ وشَطَّ الإجترام

جَمَدَ الطفلُ على الثَّدي | فهلْ هذا انسجام

وهَلِ البَتْرُ ابتداعٌ | وهَلِ السَّمْلُ التزام

وهل الألوانُ والأضواءُ | سِيقانٌ وهَام

وهل الحِيطانُ بالأحياءِ | تُبنى وتُقام

فِكْرةٌ مِنَ وحْيِ أهلِ الكَهْفِ | إذ مَلّوا فناموا

يا سواسبولُ سلامُ | وهيامٌ وغرام

وتسابيحٌ تَغنَّى | بكِ ما غنَّى حَمام

يا سواسبولُ سيَنْجابُ | مِنَ الشَّرِّ قَتام

وستستيقِظُ أجيالٌ | على الذُّلِّ نِيام

وسيَنْجَرُّ على شوكِ | الجماهيرِ عُرام

يا سواسبولُ مصيرُ البغيِ | ما دوى رغام

وحديـــــدٌ صُـــــبَّ في مُســـــتَنْقَعِ العُهْـــــرِ كهـــام

يـــا سواســـبولُ : ســـلامُ لا يَنَـــــلْ مجـــــدَكِ ذام

***

أمم تجدُّ ونلعَب

أُمـــمٌ تَجِـــدُّ ونَلعـــبُ ويُعـــذَّبون ونَطـــرَبُ

المَشرِقُ الـــواعي يَخُـــط مَصـــيرهُ والمَغـــرب

فهُنـــا دمٌ يَتعهَّـــد الجيـــلَ الجديـــدَ فَيُســـكب

وهنـــا كِفـــاحٌ – في ســـبيلِ تحـــرُّرٍ – وتوثّـــب

وهنـــا جمـــاهيرٌ يُحُـــبُّ بهـــا زعـــيمٌ أغلَـــب

ونعـــيشُ نحـــنُ كـــما يعـــيشُ عـــلى الضـــفافِ الطُحْلُـــب

مُتطفِّلـــينَ عـــلى الوجـــودِ نعـــومُ فيـــه ونَرْسُـــب

مُتذبـــذِبينَ وشرُّ مـــا قتـــلَ الطُمـــوحَ تَذبـــذب

نُـــوحي التطَـــيرَ كـــالغُرابِ إلى النفـــوس ونَنْعَـــب

ونبُـــثُّ رُعبـــاً في الصـــفوفِ بـــما نـــدُسُّ ونكـــذِب

نَـــدعو إلى المســـتعمرينَ لســـوطِهم نَتَحبَّـــب

نَهـــوى تَقَـــربَهم وفيـــه حتفُنـــا يتقـــرّب

متخـــاذلينَ كـــما يشـــاءُ تعنّـــتٌ وتعصّـــب

إنَّ العـــراقَ بـــما نُحَشِّـــدُ ضِـــدَّه ونؤلِّـــب

بيـــتٌ عـــلى يـــدِ أهلـــهِ مِمَّـــا جَنَـــوا يَتخـــرَّب

إنَّ الحيـــاةَ طريقُهـــا وعـــرٌ بعيـــدٌ مُجـــدِب

عـرَقُ الجبـينِ عـلى الـدماء | فويَقهـــا يتصـــببَّ
ومِــنَ الجماجــم مــا يَعيــقُ | الــواهنينَ ويُرْهِــب
يَـمشي عليهـا الابِـنُ يُنجِـزُ | مــا تَرَسَّــمهُ الأب
ولكَـم تخلَّــفَ مَـعشرٌ عنهـا | وشُرِّدَ مَوكــب
ووراءهــا الواحــاتُ | طــابَ مراحُهــا والمَشرَب
ونُريــدُ نحــنُ لهـا طَريقـاً | منهجــاً لا يُنْصِــب
الجَــاهُ يــنْعَمُ تحــتَ | ظِــلِّ جِهادِنــا والمَنصِــب
قُــلْ للشــبابِ تحفَّــزوا | وتيقَّظــوا وتــألَّبوا
وتــأهَّبوا للطارئــاتِ | فإنَّهــا تَتأهَّــب
ســيَجِدُّ مــا ســيطولُ | إعجــابٌ بــه وتعجّــب
ســيزولُ مــا كنَّــا نقــولُ | مُشرِّقٌ ومُغــرِّب
ســتكونُ رابطــةَ الشــعوبِ | مــبغَّضٌ ومُحَبَّــب
سِــيروا ولا تستوحشــوا | ورِدُوا ولا تَتَهيّــوا
لا تَظمــأوا إن الحيــاةَ | مَعينُهــا لا يَنْضُــب
سِــيروا خِفافــاً نَفْسُــكمْ | وصَــفاؤها والمــذهب
لا تُثقلوهــا بــالعويصِ | وبالغريــبِ فتتعَبــوا
وتَلَمَّســوا أُفقــاً | تلبَّــدَ غَيَمُــهُ وترقَّبــوا
يَــنْهَضْ لكُــمْ شَــبحٌ | بمســفوح الــدماءِ مُخَضَّــب
غضِرُ الصِــبا وكأنَّــه | مِمَّــا تغــبَّرَ أشــيب
ذو عارضــينِ فمــؤنسٌ | جَــذِلٌ وآخــر مُرعِــب
يَرنــو إلى أمــسٍ | فيعــبِسُ عنــدهَ ويُقطِّــب

ويلـــوحُ فجـــرُ غـــدٍ   فـــيركُض نحـــوه ويُرحِّـــب

يـــأوي إليـــهِ مُعمَّـــر   ويخـــافُ منـــه مُخـــرّب

مخـضَ الحيـاةَ فلـم يُفُتْـهُ   مُصرَّحٌ ومُـــــرَوَّب

وانـــزاحَ عـــنْ عينيـــهِ   مـــا يُطـــوى عليـــه مُغَيَّـــب

فاســتلهِموهُ فخـيرُ مـن   رَسَـمَ الطريـقَ مُجـرِّب

لا تجمُــدوا إنّ الطبيعـــةَ   حُـــرَّةٌ تتقلَّـــب

كونـوا كرقـراقٍ بِمَدرجـةِ   الحَصى يـــتسَرَّب

نــأتي الصـخورُ طريقَــه   فيجـــوزُهنَّ ويَـــذهب

وخُــذوا وُجــوهَ الســانحاتِ   مــنَ الظــروفِ فقلِّبـــوا

فــإذا اســتوَتْ فتَقحَّمــوا   وإذا التـــوَتْ فتَنكبَّـــوا

وإذا وجـــدتُم جـــذوةً   فضـــعوا الفتيـــلَ وألهِبـــوا

مُـــدُّوا بأيـــديكم إلى   هـــذا الخلـــيطِ فشـــذِّبوا

وتنـاولوا جَمـراتِكم آنــاً   وآنـــاً فاحصِـــبوا

لا تَحـــذَروا أن تُغْضِـــبوا   مَـــن سرَّهُ أنْ تُغضَـــبوا

كُونـــوا كعاصـــفةٍ   تُطَّـــوحُ بالرمـــالِ وتَلعـــب

وتطلَّبـــوا بـــالحتفِ مَـــن   لحُتُـــوفِكُمْ يتَطلَّـــب

لا يُؤيِسَـــنَّكُمُ مُقـــلٌّ   عَديـــدكم أنْ تَغْلِبـــوا

إنْ لم يكـــنْ ســـببٌ   يَمُـــدُّ خُطـــاكُمُ فتســـبَّبوا

لا تَنْفُـــروا إن الحيـــاةَ   إلـــيكمُ تتقـــرَّب

لكـمُ الغـدُ الـداني القُطـوفِ   وصَـــفوُهُ للمُســـتَعْذَب

إنّ النضـــالَ مُهِمَّـــةٌ   يَعيـــا بهـــا المُتَرهِّـــب

سَـيرى الـذينَ تـدَّثروا ... وتزمَّلـوا وتجَلْببـوا
وتحـدثَّوا نَـزْراً كمِعْـزلةٍ ... بجـدب تُحلـب
وتَنـادَروا هَمْسـاً كـما ... نـاغَى « جنيـدبَ » جُنْـدُب
خطـواتُهمْ وشِـفاهُهم ... ورؤوسُـهم تَترتَّـب
نَسَـقاً كـما الآجُـرُّ صَـفَّفَهُ ... صَـناعُ مُـدَرَّب
إنّ الحيـاةَ سريعـة ... وجريئـة لا تُغْلَـب
ترمـي بأثقـالِ السـنينَ ... وراءهـا وتُعَقِّـب
وتـدوسُ مَـن لا يسـتطيعُ ... لَحاقهـا وتـؤدِّب

***

بنت بيروت

يـا عَذبَـةَ الـرُوح يـا فتّانَـة الجَسـدِ ... يـا بنـتَ « بـيروتَ » يـا أنشـودةَ البَلـدِ
يـا غيمـةَ الشَـعرِ مُلتاثـاً عـلى قَمـر ... يـا بَسـمةَ الثغـر مفـترّاً عـن النَضَـد
يـا رَوعـةَ البحـرِ في العينـينِ صـافيةً ... يـا نشـوةَ الجبَـلِ الملتّـفِ في العضُـد
يا قَطـرةً مـن نِطـاف الفجـر ساقطها ... مـن « أرز » لبنـانَ خفَّـاقُ الظـلالِ نـدى
يـا نَبتـة الله في عَليـا مَظـاهرِه ... آمنـتُ بـالله لم يُولَـد ولم يَلِـد
يـا تلعـةَ الجيـدِ نصَّـته فـما وقَعَـت ... عَـينٌ عـلى مِثلـه يَـزدانُ بالجَيَـد
يُطِـلُّ منهـا بوجـهٍ أيِّ مُحْتَمـلٍ ... ويَسـتريحُ بصـدرٍ أيِّ مقتعَـد
يا جَوهرَ اللُطفِ يا معنى يضيقُ بـه ... لَفـظ فيقذِفُـهُ الشِـدقانِ كالزَبَـد
أعِيـذُ وجهَـكِ أن أشْـقى برقَّتِـه ... وفَـيْضَ حُسـنِك إن يَعيـا بـرِيٍّ صـدى
ولا يليـقُ بأجفـانٍ أنشِّرُهـا ... عـلى جمالـكِ أن تُطـوى عـلى السُـهد

يَـدٌ مَسـحتُ بهـا عَينـي لأغمِضَـها ... على الهوى ويدي الأخرى علـى كَبِدي

وَرَدتُ عـن ظمـأٍ مـاءً غَصِصـتُ بـه ... فليـــــــتَ أنّيَ لم أظَمـــــــأْ ولم أرِد

قــالَ الرِفــاقُ ونــارُ الحُـبِّ آكلـةٌ ... مِــن وَجنَتَّــي أهــذا وجــهُ مُبَــترِد

لمْ أدرِ أذكُـــرُ « بيروتـــاً » بـــأيِّكما ... أأنـــتِ أم لَـــوعتي ياليلـــةَ الأحـــد

عَـجّ الرصـيفُ بـأسرابِ المهـا وهَفـا ... قلبـــي بزفـــرةٍ قَنـــاًّصٍ ولم يسِـــد

فمِـــن مُوافيـــةٍ وعـــداً وراقبـــةٍ ... وعــداً وأيــن التــي وَّفــت ولم تَعِــد

فُويقَ صـدرِكِ مـن رفـق الشـبابِ بـه ... أشــهى وأعنــفُ مــا يُعطــى لمنتهــد

كنــزانِ مِــن مُتَــع الــدُنيا يُقِلُّهُــما ... جــمُّ النــدى سَرِفٌ في زيٍّ مُقتَصِــد

قـالوا تَشـاغَلَ عـن أهـلٍ وعـن ولَـدٍ ... فقــال نهــداك : لم يَشــغَلهُ مــن أحــد

سـوى رَضـيِعي لبـانٍ تـوأمٍ حُبِسـا ... رهــنَ الغِلالــة إشــفاقاً مِــن الحَسَــد

راجَعتُ نَفسي بما أبقى الشبابُ لها ... ومـــا تخلَّـــف مـــن أســئاره بِيـــدي

فـما أمـرَّ وأقسـى مـا خرجـتُ بـه ... لـــولا بَقيـــةُ قلـــبٍ فيَّ مُتَّقِـــد

أمسـى مَضى بلُبانـات الهـوى وأتـى ... يَــومي يُمهِّــد بــادي بَــدءةٍ لِغَــدي

***

ستالينغراد...

نضـــت الـــروح وهزتهـــا لـــواء ... وكســـته واكتســـت منـــه الـــدماء

واســـتمدت مـــن إلـــه الحقـــل ... والبيـــت والمصـــنع عزمـــا ومَضَـــاء

رمــتِ الــزرعَ بعــين أثلــجَ الــدَمعُ ... فيهـــا ضرمَ الحِقـــدِ اجتـــواء

أعجلـــت عنـــهُ فآلـــت قَسَـــماً ... أن ستســـقيه دمَ الأعـــداءِ مـــاء

ومشـــت في زَحمـــةِ المـــوتِ عـــلى ... قـــدمٍ لم تخـــشَ مَـــيلا والتـــواء

أقسمت باسم عظيم كرمت ... باسمِه أنْ لا تهين العظماء

يا «ستالينُ» وما أعظمَها ... في التهجي أحرُفاً تأبى الهجاء

أحرف يستمطرُ الكونُ بها ... انعتاقاً وازدهاراً وإخاء

خالق الأمة لم يمنُنْ ولم ... يبغ -لولا أرَجُ الزهر- ثناء

وزعيمٌ شعَّ فيمنْ حولَه ... قبسٌ منه فكانوا الزعماء

زَرَّ بُرْديهِ على ذي مِرّةٍ ... فاض إشفاقاً وبأساً وعناء

مسّه الظلمُ فعادى أهله ... وامترى البؤسَ فَحَبَّ البؤساء

وانبرى كالغيمِ في مُضْحِيَةٍ ... فسقى دهراً وأحيا وأفاء

بُوركَ الباني وعاشت أمةٌ ... وفتِ الباني حقوقاً والبناء

قيل للعيشِ ففاضت أمناء ... وإلى الموت ففاضت شهداء

ومشى التاريخُ موزونَ الخُطى ... ما انحنى ذُلاً ولا ضجّ ادعاء

هذه التربةُ لا ما سُمِّيت ... وطناً يُنبِتُ جوعاً وعراء

وهي ذي الحفرة إذ طارت عَجاجاً ... ألفُ نفسٍ معها طارت فداء

وهو العِرضُ فهل تبغي وقاةً ... مثلَهم أو مثل ذا تبغي وقاء

قف على «القَفْقاس» وانظر ... موكبَ المجدِ والعزةِ يمشي خُيَلاء

وسلِ القوزاقَ هل كان دماً ... لمعانُ السيف أم كان طلاء

وجدَ الغادرُ من قسوتها ... ما رأى من لطفها الضيفُ سخاء

والعتاقُ الجردُ هل لاقت بما ... عاقها من جثث القتلى عناء

نفخت من وَدَجَيْها أن رأتْ ... مُمْتطَى فارسِها أمسى خلاء

فهي والغيظُ مرى أشداقها ... تعرِكُ اللُّجْمَ وتجترّ الغثاء

واحتواها رهَجُ الحربِ فما ... تُبصر الأرضَ عتواً وازدهاء

مـن عـلى صـهوتها يمنحُهـا — شرف « الفـارسِ » عزمـاً وفتـاء
يـاعروسَ « الفلـغِ » والفلغـا دمٌ — سـاءت البلـوى فأحسـنت البلاء
صـبغ « الـدونَ » دمـاءين همـا — بُعـدُ بـين الـرجس والطهـر التقاء
وجـرت أمواجُـه حاملـةً — فوقهـا الضـدينِ صـبحاً ومسـاء
وعـلى الجـرفين « عظـمان » همـا — رمـزُ عهـدَيْنِ انحطاطـاً وارتقـاء
يـا ابنـة النهـرين دومـي شَـبَحاً — لقـويٍّ وضـعيفٍ يـتراءى
للمهينـين عقابـاً وجـزاء — والمهـانين انتفاضـاً وإبـاء
كنـتِ أسـمى مـثلاً مـن ظَفَـرٍ — لم تلـده خطـطُ الحـربِ دهـاء
غلـب الغالـبُ فيـه وانثنـى الطـوقُ — كالجبـل – عـلى الطـوق انثنـاء
كنـت رمـزاً ألهـمَ الجيـلَ الفـداء — وهدى الأعقاب ما شاءت وشاء
حسِـبوا أمـرك مـا قـد عـودوا — صـعقَ الحـربِ اتقـاداً وانطفـاء
وابتـداء مـن حديـدٍ ودمٍ — يمهَـرُ الفـتح بـه ثـم انتهـاء
واستجاشـوا – فيلـق المـوت عـلى — ظمـأ للـدم منَّـوه ارتـواء
ومضـوا فـيما أرادوا خطـوة — أوشـك اليـأس بها يمحـو الرجـاء
وجـف الغـربُ عـلى وطأتِهـا — وأمالـت كلكـلَ الشرقِ فنـاء
وتلـوت جـيرةٌ طماحـةٌ — أفنـاء تتَلَقّـى أم بقـاء
حملـت حاضرَهـا واثقـةً — أنَّ في مسـتقبلٍ آتٍ عـزاء
وانـبرى التـاريخُ في حَيْرتـهِ — ألأمامـاً يتخطّـى أم وراء
وسرت أنبـاءُ سـوءٍ تَـدّعي — أن ريحـاً تُنـذرُ الـدنيا وبـاء
حُلُـمٌ حلـوٌ مُـرٌّ مـؤنسٌ — مُـوحشٌ سرَّ بـما جـاء وسـاء

طاف بالكون فأغفى أهلُهُ تعساءً و أفاقوا سعداء
فإذا العزة في عليائها تتضرّى فتدوسُ الكبرياء
وإذا الأنقاض في كُرْبتِها تُفْعِمُ المكروبَ كالرَّوض شذاء
وإذا المنقضُ من أحجارها لمح النجمَ تعالى فأضاء
وإذا الطاغوتُ في أعراسه يملأ الدنيا نحيباً وبكاء
أنتِ أمليت على تاريخه طافحاً بالكبر ذلاً واختذاء
ومحوتِ العجب من أسطاره وملأت الصَّلَفَ المحضَ ازدراء
وصفعتِ الدنَّ في يافوخِهِ صفعة لم تُبْقِ خَمْراً وانتشاء
حسب من ضاقت ثناياكِ به أنه يبغي فلا يَقوى النَّجاء
وكفى المحتلَ هَوناً أن يُرى الآسرون الغلبُ منه إسراء
نحنُ أهلَ الأرض لو نقْوى وفاء لرفعناكِ على الأرض سماء
لجعلنا كلَّ عينٍ – مثلما كلَّ قلب – تتملاكِ اجتلاء
نَعْمَ ما أسدَتْ يدٌ آثمةٌ كشفت عن وجهِكِ الحرِّ غطاء
عاصفٌ مر فجلّى وانجلى بدت الشمسُ به أبهى سناء
وضح الحق الذي طال خفاء وتولى زَبَدُ الكِذبِ جُفاء
وحّدَ العدلُ شعوباً خلطاء عمروا الأرضَ وعاشوا خلصاء
وجدوا في تربة تجمعُهمْ كلّ ما يُطْلَبُ في الخُلْدِ اشتهاء
ورأوا في السّلمِ ديناً يُقْتَضى ورأوا في الحربِ للدَّين اقتضاء
أترجي – أن تنجي وطناً من يد الموت – جنوداً فقراء
إن للحرب رجالا ليتَهُمْ خبّرونا أنَّ للحرب نساء
وغيورات أبى تاريخها أن ترى دون الغيورين غَناء

زانهــا الطهــرُ رُواءً وارتمــتْ   في مُثــار النقــعِ فــازدادت رُواء
ذادت الأمُّ عــن البيــت وقــاء   وارتمــى الطفــلُ عـلى الأمّ افتـداء
وتعــزَّت حــين أخلــت طُنفــا   لم تَصُــنْه – أنهــا صــانت فِنــاء
« أم غـوركَي » ليت عنـدي وحيه   لأوفى (بنتَــك) اليــومَ الثنــاء
لــو يعــود اليــومَ حيــاً لــرأى   مثلَهــا ألفْــاً تهــزّ البُلَغــاء
بــل ولــولا أن غــوركي أمــه   مثــلُ هــذي لم يُبــزَّ النبغــاء
يا « تولستوي » ولم تـذهبْ سدى   ثــورةُ الفكــر ولا طــارت هَبـاء
يــا ثريــاً وهــبَ النــاسَ الثـراء   قُــمْ تــرَ النــاسَ جميعــاً أثريــاء
قُــمْ تَجِــدْهم مــا لكِــي غلّــتهِمْ   مــن عـلى عهِـدك كـانوا الأجَـراء
هكــذا (الفكــرةُ) تزكــو ثَمَــراً   أن زكـت غرسـاً وأن طابـت نـماء
قــد محصــتَ القــول حقــاً وادعـاء   كلــم يخــترق الســمع ســواء
ووجــدت النــاسَ مــن جهلِهِــمُ   لا يَميــــزون ثُغــــاء ورُغــــاء
اســتُغلوا فهُــمُ مــن بأسِــهمْ   لا يكـــادون يَعــون الأنبيــاء
فحملـت « البعـثَ » بـاليمنىَ لَهـم   وعــلى الــيسرى هنــاء ورخــاء
وشــجبت الرفــقَ والرحمــةَ مــن   نفــر ليســوا بحــق رُحَمَــاء
ينشُــدون النــاس أحــراراً وهــم   مــلأوا البيــتَ عبيــداً وإمــاء
وكَسَــوْا كلــبهُمُ الخــزَّ ومــنْ   حــولهمْ يلتحـفُ الجمـعُ لعـراء
ووجــدت الــذئبَ في حالاتِــه   ربــما رافــق معــزاة وشــاء
قد يكـون الكـذب مفضـوحاً هـراء   ويكـون الصـدقُ مدسوسـاً وبـاء
ويكــون الحــقُ – مــا بيــنهما –   بــاطلاً والطــالحون الصـلحاء

يـا ابنـةَ النهـرين هــذا نَسَـبٌ ... مـن ولاءٍ لـو تقبلـتِ الـولاء
بَعُـدَ المَرْمـى بـه اسـتهدفتِه ... واختـذى السـهمُ فـقصرتِ عيـاء
وارتمـى الحسُّ عـلى الحسِّ فـما ... يسـتطيع اللفـظُ للـوعي أداء
ومـن الظلـم – الـذي تأبَيْنَـه ... أن تسـومي المعجـزاتِ الشـعراء
عاطفـاتٌ حُـوَّمٌ عاجـت عـلى ... أبْحُـرِ الشـعر فردتهـا ظـماء
وهـي مـا كانـت لتـدلي سـببا ... لـك لـولا أنهـا كانـت بَـراء
لم تُثِرْهـا نـزوةُ الـنفس ولم ... يُزهها العُجْبُ ولم تنـبِضْ ريـاء
جُـلُّ مـا يسـعفني الشـعر بـه ... أن يلبـي « الفـمُ » للقلـبِ نـداء

***

يوم الجيش الأحمر

بـلادٌ مُفَـدّاةٌ وجـيشٌ مظفـرُ ... وقائـدُ جـيشٍ في لـبلاد مـوقّرُ
وفـتحٌ مُبـينٌ يَـقْصُرُ الشـعر دونَـهُ ... وللنثـرُ عـما يعجـز الشـعر أقصر
وحـراس حـق يرقـب الكـون كلّـه ... مصـيراً عـلى أيـديهم يتقـرّر
إذا خَطَروا فالبِيضُ تنطفُ بالدِّماء ... تحيـيّ خُطـاهم والجماجـمُ تـنشر
وذكـرى كـأن الـدهرَ في جَريَانـه ... يُقـاسُ بهـا والشـمسَ منهـا تَنَـوَّر
سـتالينَ يـا لحـنَ التخيّـل والمنـى ... تغنيـه أجيـالٌ وتَرْويـه أعصُر
ويـا كوكبـاً في عـالَمٍ غَـمَّ جـوُّهُ ... بلألائـه يَسْترشِـدُ المتحـيّر
أرد خطـةً تَقْـدِرْ وتَـنْجَحْ فإننـا ... عَرَفْنـاك تُمضي مـا تُريـد وتَقْـدِر
كـأنَّ بنـاتِ الفكـرِ في كُـل خُطـةٍ ... تخُـطُّ ورأيٍ عبقـري تُـدبِّر
حظايـا ترجـى نظـرةً منـك أيّهـا ... تُريـدُ وأيّـاً تنتقـي وتخَـيَّر

تونس

رِدي يـا خيـولَ الله مَنْهَلَـكِ العَـذْبا
ويا شرقُ عُدْ للغربِ فاقتَحمِ الغَرْبا

ويـا شرقُ هَـلْ سَرَّ الطواغيـتَ أنَّهـا
فويقَـكَ أشـلاءٌ مبعثـرةٌ إربـا

يـدٌ جَـذَّ يـومُ القـيروانِ عُروقَهـا
وظهـرٌ على القفقـاسِ مستعلِياً جُبَّا

ويـا طـارقَ الجيـلِ الجديـدِ تلفُتـاً
إلى جبـلٍ اجتـازه طـارقٌ دَرْبـا

أثـرتَ لنـا في غَمـرةِ الـنصرِ خَطْـرَةً
مـن الـذكرِ فيها مـا نحبُّ ومـا نـأبى

هزَزْنـا بهـا ذِكـرى.. وتِهنـا بزهوهـا
بُـدوءاً ونُحنـا مـن تصـوَّرها عُقْبـى

لمثـلِ الـذي تَبْغـي مـن الحـقِّ قادَهـا
إلى الموتِ لم تسألْ به السَّهْلَ الصَّعبْا

حَدا من جيوشِ الوحي والنصر ما حدا
وعَبَّـا مـن الإيـمانِ بـالنصر مـا عَبَّـا

كنارِ « ابن عمرانَ » التي جاءَ قابساً
سـناها حريـقٌ في سـفائنهِ شـبَّا

وألواحُها « الألـواحُ » لـولا « رسـالةٌ»
عـلى « قُـرَشيٍّ » لم تُـرِدْ عينُـه الربَّـا

تخطَّـتْ إلى مَحْميَّـةِ الغـربِ أُمَّـةٌ
حمتْ فأجادت قبلَها عـن حِمًى ذَبَّا

تحـدَّتْ عُبـابَ البحـرِ تُـزعجُ حُوتَـهُ
ومـن قبلـهِ في الـبرّ أزعجـتِ الضَّبَّا

أولاءِ « البُداةُ » الغامطُ النّاسِ حقَّهـم
وتلكَ التي منها نرى العربَ العَرْبا

لَتِلـكَ قلـوبٌ نَنشُـدُ اليـومَ مِثْلَهـا
أبـى دينُهـا أنْ تجمـعَ اللهَ والرُّعبـا

سرَتْ كشُعاعِ النورِ في فَحمةِ الـدُّجى
ومثـلَ النسـيم الرَّخْـو في يَبَسٍ هبَّـا

وفي ذلَّـةٍ عـزّا وفي ضَـلَّةٍ هُـدىً
وفي جَنَفٍ عـدلاً وفي جَدْبٍ خصبْا

وفي عصـبيَّاتٍ غِـلاظٍ تسـامُحاً
وفي مُلْتـوٍ مِـنْ نهجهـا منهجـاً لَحِبـا

أطلـت عـلى « مدريـدَ » تُسمِعُ دعـوةً
وسارتْ إلى «باريسَ» تَسمعُ من لَبَّى

ودبَّـتْ مَـدَبَّ الـروحِ في الكـونِ رحمـةً
وشـدَّتْ لجسـمٍ خـائرٍ مُتْعَبٍ صُلبا

ومـــدَّتْ برفـــقٍ كفَّهـــا فتلَمَّسَـــتْ جِراحَ بني الـدُّنيا فآستْ لهـم نُـدْبا
وآوتْ مـن الأديـانِ شـتَّى وأطْلَعَـتْ مِـن الخطـراتِ النـيّراتِ بهـا شُـهْبا
وحامَـتْ يَراعــاً جــالَ في جَنَباتِهـا وصانَتْ ـ عليها أو لها ـ مِقولاً ذَرْبا
ومـا سَـمَلَتْ عينـاً ومـا قَطَعَـتْ يـداً ولا حجـزتْ رأيـا ولا أحْرَقَـتْ كتبـا
نظـرتُ إلى مـا كـانَ منها ومـا جرى عليهـا ومـا يـأتي الشـقاقُ إذا دَبَّـا
وكيـفَ أفـاءَتْ مـا أرادتْ ظِلالَهَـا وكيفَ اغتدَتْ مستثقلاً ظِلّها.. نُهْبى
فقلتُ: وبعضُ القـولِ عُتْبى وبعضُـه عتـابٌ وشرُّ القـولِ عتـبٌ بـلا عُتَبى
أسـاءَت صـنيعاً أُمَّــةٌ مسـتكينةٌ صبورٌ عـلى البلـوى إلى أُمَّةٍ غَضْبى
سقى « تونساً » ما يـدفعُ الخَطْبَ إنَّهـا بخُضْرَتِها تُكْفَى الـذي يـدفعُ الجَـدْبا
وحَيَّاً القِبـابَ البـيضَ رَوْحٌ كأهلِهـا رقيـقُ الحـواشي يَمسـحُ الماءَ والعُشْـبا
ورافقَهـا نـورٌ مـن الـوعي مُسْـفِرٌ كـأنوارِ أسـحارٍ ترقرقهـا سـكبا
نَحـنُّ لِـذكراها ونشـكو افتقادَهـا كما شَكَتِ العينُ التَّي افتقـدَتْ هُـدْبا
ويا «مونتكُمري» لو سقى القولُ فاتحاً سقَتْكَ القوافي صفوها السلسلَ العـذْبا
ولـو كـانَ ذَوْبُ العاطفـاتِ نِثـارةً نَثْرنا لـكَ الإعجابَ والشكرَ والحُبَّا
نضتْكَ لـدَرْءِ الشرِّ عَضْبـاً « صياقلٌ » أعَـدَّتْ لِلُقْيـا كـلِّ مسـتكبرٍ عَضْبـا
حلَلْتَ عـلى « روميلَ » كَرْبـاً وقبلَهـا أحـلَّ بـأدهى منـه « ولنِكْـتِنٌ » كربـا
وأنـتَ انتزعـتَ الـنصرَ مـن يـدِ قـادرٍ عليـه ولم تـرحَمْ معنّـىً بـه صَـبَّا
ودحرجتَـهُ عـن «مِصْرَ» وهـوَ مُعـرِّسٌ بأحلامـهِ يُحصي الخـراجَ الـذي يُجْبـى
وغرَّتْـهُ مـن ريـحِ الصـحاري قَبُولُهـا فكيـفَ رآهـا وهـي مُعرِضـةٌ نكْبـا
دَحَا أرضَـها وانصَـبَّ كـالموتِ فوقَهـا ولُحـتَ لـه مَوتـاً عـلى المـوتِ مُنصَـباً
تركتَ الَّـذي رامَ السَّما يلمِسُ الثَّرى ومنْ كانَ يشكُو بِطنَةً يشتكي السَّغْبا

وبَصَّرْتَـهُ لَمَّا تَصَعَّرَ خَدُّهُ ... بأنَّكَ أعلى من أخادِعِهِ كَعْبا
قَصَصْتَ جناحَيْه فقَرَّتْ شَذاتُهُ ... وعادتْ «نوازي» شَرِّه أفرخاً زُغبا
كشفتَ لهُ ضَعْفاً وغطَّيْتَ قُوَّةً ... فكنتَ ولولا خُدعةٌ لم تكن خِبَّا
أرادَ الَّتي من دونِها أنت والوغى ... وعدلُ القَضا تَبّاً لِما رامهُ تَبَّا
سددتَ عليه الرأيَ حتى تركتَه ... يَرى من سَدادِ الرأيِ ما عدَّه سبَّا
وحتى رأى ذُلَّ الفِرارِ غنيمةً ... وحتى رأى الداءَ الذي يشتكي طِبَّا
وضاقتْ عليه الأرضُ فهوَ مهوِّمٌ ... عليها نهتُهُ أنْ يُريحَ بها جَنْبا
تمَنَّى عليهِ « رَبُّهُ » مِصْرَ مَنْحةً ... وكادَ على « القطَّارِ » أنْ يُرضيَ الربَّا
وكادَ على « القَطَّارِ » يُرْسِلُ حاصباً ... على «الشرقِ» لولا أنْ قذفتَ به حَصْبا
تراءى له نَهْباً ولَمَّا صَدَمْتَهُ تراءتْ ... لهُ الأحلامُ صِيْحَ بها نَهْبا
ومدَّتْ لهُ الأطماعُ في نَزواتهِ إلى ... أنْ غَدَتْ كَلاًّ على نَفْسِهِ حَرْبا
وداعَبَتِ « الإسكندريَّةُ » عينَهُ ... وخادَعَ منه « النيلُ » في طميْهِ اللُبَّا
ولاحَ له «الإسكندرُ» الصِّدْقُ فانثنتْ ... تُزَيِّفُ منه النفسُ إسكندراً كِذْبا
ومَنَّى بيَنْبوعِ الفراتِ حصانَهُ ... وعلَّل « بالزّابَيْنِ » عسكَرَهُ اللّجبا
فيا لَكَ زَوراً زادَ عن عينهِ الكَرى ... وشَرَّدَ عنْ أجفانهِ حُلُماً رَطْبا
فلَمْ يَرَ إلاَّ مَغرزَ الرَّجْلِ يَقْظَةً ... وكانَ يناغي حالِماً عالَماً رَحْبا
من « العَلَمَيْن » استَقْتَهُ محكَمَ القُوى ... وفي « تونسٍ » أدركتَهُ رازحاً لَغْبا
نثرتَ لهُ شُمَّ المتالعِ والقُرى ... كما نَثَرَ الصيَّادُ للطَّائرِ الحَبَّا
وأغريتَهُ بالقرب حتَّى إذا دَنَا ... إليكَ رأى منكَ الَّذي بَغَّضَ القُرْبا
عنودٌ.. تأبَّى الوَثْبَ في نكَساتهِ ... من الكِبْرِ لولا أنْ تُطارِدَهُ وَثْبا

ولو غيرُ « رُوميلٍ » لقُلْنا كغيرِها سُقاةُ الرَّدى عاطَتْ بأكؤسُها شَرْبا
ولكنَّه نَدْمانُ موتٍ إذا سَقى ألحَّ وعاطى مَنْ ينادمُهُ عَبَّا
وقد خَبَّأ السَّمَّ الزُّعافَ فَبزَّهُ خبيرٌ بما أبدى بصيرٌ بما خَبَّا
ولمَّا التقى الجمعانِ غُلْبٌ أشاوسٌ دَهَتْ مثلَها شُوْساً مُدَجَّجةً غُلْبا
وحُم الحديدُ الضخم والصبرُ والحجى كِلا المعدِنين استَنجدا معدِناً صُلْبا
مشى الحقُّ في الصفَّينِ يدمَغُ باطلاً ويغمُرُ بالريحان أوفاهما كَسْبا
تَفادى بـ « أرنيمٍ » وفَرَّ بنفسه وأبقى لك الأهلَ الأعزَّةَ والصَّحبا
وأهداكَهم أسرى وقتلى كأنه بهم يستميحُ العفوَ ممَّا جنى ذَنْبا
تَلَظَّى بهمْ بالنارِ بَرٌّ وقاءهُمْ خِضمٌّ وراحَ الجوُّ يُمطرهم عَطْبا
كأنَّكَ إذ تُحصي رُكاماً حُطامَهُ تُصَحِّحُ أغلاطاً فتوسِعُها شَطْبا
فمن يَرَ في الصحراءِ نَشْراً قبورَهُمْ يَخَلْها من الأجداثِ مجنونةً رُعْبا
ومن يُبصرِ الأسرى يُقادونَ هُطَّعاً يَجِدْ حادياً يحدو إلى سَقَرٍ رَكْبا
وخَلَّى لكَ «الطليانَ» يحتَكُّ بعضُها ببعضٍ كما تحتَكُّ مِنَ جَربٍ جَرْبا
أتى بهمُ إلْباً عليكَ سَفاهةً فكانوا عليهِ في تَغَنُّجِهِمْ إلبا
أرادَ لخَوْضِ الموتِ أغراسَ نِعمةٍ غذاها وليُّ الأمرِ فاكهةً أبّا
حَسِبْنَ لإزعاجِ ابنِ آوى بنادقاً وخلْنَ لِمضمارِ الهَوى شُزَّباً قُبَّا
وضاعَفْنَ نسجاً من حريرٍ ولأمةً وجرْرنَ بيضَ الهندِ والوشيَ والعَصْبا
ورُحْنَ كأسرابِ القطا نُعَّمَ الخُطَى وقى اللهُ – من شَرٍّ يرادُ به – السِّربا
وجازى بشَرٍّ من أرادَ بجَورِهِ وجُوهَ الحسان الغيدِ أن تْلمِس التّرْبا
وأن تهبِطَ الوديانَ ليلاً لريبةٍ وأن ترتقي صُبحاً على عَجَلٍ هُضْبا
وأن تَشْهَدَ الأشلاءَ تنقضُّ حولَها وفي دَمِها الفرسانُ مخضوبةً خَضْبا

ولم ترتكبْ إثماً سوى أنَّها دُمًى
ولم تأتِ - إلَّا أنَّها عورة - ذَنْبا

فلو كنتَ يومَ النَّقْعِ شاهِدَ أمرِها
وقد خَبَّأَتْ تِرْبٌ بأثوابها تِرْبا

وسدَّتْ ثقوبَ الأرضِ مُحجرةً بها
فما غادرَتْ مأوىً لضبٍ ولا ثقبا

دعوتَ على مَنْ شَقَّ عنها حجابَها
وأقحَمَها ما ليسَ من شأنِها غصبا

إذن لسألتَ اللهَ فَلّاً لغَربِه جزاءً
على ما فلَّ من سترِها غَرْبا

فرِفْقاً بأشباهِ القواريرِ صُدِّعَتْ
وما اسْطعتمُ فاستدركوا صدعها رأبا

فيالكِ بُشرى ما أرقَّ وما أصفَى
أغاثَتْ نفوساً ما أحنَّ وما أصبي

ويا خُلفاءَ اليومِ والأمسِ إنَّنا لكُمْ
- ما أردتُم - في مودَتِنا قُرْبى

أريدوا بنا خيراً نَعِدْكُمْ بمثِلهِ
وكونوا لنا حِزْباً نكُنْ لكُمُ حِزبا

وظُنُّوا بنا خَيراً فَفينا كَوامِنٌ
من الخيرِ إنْ تُبعث تَزِدْكمْ بنا عُجْبا

ولا تذكروا عَتْباً فإنَّ مُوطِّداً
من الودِ زِدْنا فيه ما يرفعُ العتبا

وإلا فكيلوه عتاباً بمثله
لنا وكلانا مُعْتِبٌ بَعْدُ من أرْبى

ولا تَخْلِطوا شَغباً عليكم مُبغَّضا
إلينا وحقاً لا نريدُ به شَغْبا

وآخوا بنا شعباً وهانَتْ أُخوَّةٌ
إذا كنتَ تَلقى عندها الفردَ لا الشَعبا

****

نشيد العودة

للهِ دَرُّكِ من وليدِ
في عيدِ مولِدِه السعيدِ

حَيَّتْهُ مُمطِرةُ الدَّمار
بمثلِ قاصفةِ الرُّعود

وأظَلَّه من كلِ قاذفةٍ
غرابٌ من حديد

ومشى بهذا المَهدْ ما يحدو
المهودَ إلى اللُحود

يـــا أخـــتَ أمــسِ المــالئ الــدنيا بجبـــارٍ عنيـــد
أســدَى وقــد جَحَــدَ الخلــودَ يــداً تــرِفُّ عــلى الخُلــود
أومَـــى إلى زُمـــرَ المناقِـــب مـــن طَريـــف أو تَليـــد
مــن كـلِّ شــاك مــا استَباح لـــه المــؤرّخُ مــن حـدُود
فاتَتــــهْ رازحــــةُ الخُطــــى تَشــكو مــن اجَهــد الجهيـد
يبـــدو عـــلى شَـــمَمِ وإيثــارٍ وإقــدامِ وجُــود
جُـــرْحٌ بليـــغٌ في الفـــؤاد ولطمـــةٌ فـــوقَ الخـــدود
فأقرّهـــا في أي أنصِـــبةٍ ومصــــطَلَح وطيـــد
مــن هــذه الأرواحِ ثــائرةٌ عــلى ضَــنْك الجلــود
ممـــا يُحَشِّـــده نضـــلُك للفضـــيلة مــن جُنــودُ
مــن هــذه الأشــلاء نافحــةُ الأريـــج عــلى الصَــعيد
بــالأُمِّ هاويــةٌ عــلى البَعــل الكـــريم عـــلى الوَليـــد
إنّـــا قرأنـــا فيـــكِ معنـــى لفـــظِ تـــاريخ مجيـــد
فضلتِ « أمسِ » على « غـدٍ » وطغى « القديم » على « الجديد »
يــا أخــتَ مُحـترِس الحَــمام وأمّ مقتـــنص الأُســـود
فــوُزي بعُقْبــى مــا وُعِــدتِ فقــد صَــبْرتِ عــلى الوعيــد
ولقـد صَـبَرت عـلى التـي يَعيَـا بهـــا صَـــبْرُ الجَليـــد
فلقـد صَـبَرت عـلى رِيـاح المـوت تَعصِـــفُ بالحصـــيد
وعــلى جحــيمِ منــك عَبّــأ مـــا تَخَـــيرَّ مـــن وَقـــود
وعــلى – أمــرَّ مــن الجحــيم – شَـــاتة النِمَـــر الحقـــود
صُـغتِ السُـدودَ مـن الصـدور تـــرُدُّ عاديـــة الســـدود

ومشيتِ أنتِ الى الردى ... فأخذتِ منه بالوريد
بَلِيَ البلى بأشدَّ منه ... شكيمةً يومَ الوُرود
عودي فقد حَنَّ العرينُ ... لعودة الأسَد الطريد
عودي كواسطةِ الجُمان ... تَعود للعِقد الفريد
عودي نشيداً خالداً ... ولأنتِ ملهمةُ النشيد

***

إلى الرّصافي

تمَرَّستَ « بالأولى » فكنتَ المُغامِرا ... وفكَّرتَ « بالأخرى » فكنتَ المُجاهِرا
وفضَّلتَ عيشاً بين تلك وهذه ... به كنتَ بل لولاهُ ما كنتَ شاعرا
وما الشِّعرُ إلاَّ ما تفتَّقَ نُورهُ ... عن الذهنِ مشبوباً عن الفكر حائرا
عن النفس جاشت فاستجاشت بفيضها ... عن القلبِ مرتجَّ العواطفِ زاخراً
وما زجَّ في شتَّى المَهاوي بربِّه ... وقحَّمهُ « النَهجينِ » قصداً وجائرا
وما هو بالحبلِ الذي رُحتَ مرغِماً ... « أوائلَه » أنْ تلتقي و « الأواخرا»
وكنتَ جريئاً حين يدعوكَ خاطرٌ ... مِن الفكر أن تدعو إليك المَخاطرا
على ثقةٍ أنْ لستَ في الناس واجداً ... على مِثله – إلاَّ القليلَ – مُناصراً
وكنتَ صريحاً في حياتكَ كلِّها ... وكانَ – ومازالَ – المصارِحُ نادراً
فإنْ شابَها ما لم تجدْ عنه نُدحةً ... شَفَعْتَ به حُكم الظروف مُسايرا
فقد كنتَ عن وحي الضرورةِ ناطقاً ... وقد كنتَ عن محضِ الطبيعة صادرا
وقد كنتَ في تلك الأماديح شاتماً ... محيطاً بأربابِ القرائح كافرا
وإلاَّ فأنتَ المانعُ الصُغرِ عن يدٍ ... أبتْ أنْ تُحلَّى في الجِنان أساورا

وإنَّــكَ أنقــى مــن نُفــوسٍ خبيثــةٍ تُــراوِدُ بالصَّــمت المريــبِ المَنــاكرا
تَعيــبُ عــلى الشِّــعرِ التَّحايــا رقيقــةً وتلثُم مـن « بغـلٍ هجـينٍ » حـوافرا
تُريــدُ القــوافي المؤنســاتِ عفيفــةً وقـد أشـغرتْ للفاحشـاتِ الضمائرا
وتُنكـر أنْ يُستنشـقَ الشـعرُ « نفحـةً» وقــد فَغــرتْ أشــداقَها والمنــاخرا
وتطـوي عـلى « أُمِّ الـدَّنايا » مَباطنـاً وتُلقــي عليهــا مــن إبــاءٍ مظــاهرا
كـما أسـدلتْ لـيلاً « هلـوكٌ » مُلحَّـةٌ عــلى مخـدعِ العُهـرِ الحريـرَ سـتائرا
مـن العـارِ أنْ تـرضى التذبـذبَ صـامتاً دنيئــاً خبيثــاً والغــاً متصــاغرا
عــلى حــينَ تــأبى أن تحــرِّكَ شــاعراً ضرورةُ حـالٍ بـدَّلَتْ منـه خـاطرا
وإنيّ إذْ أُهــــدي إليــــكَ تحيَّتــــي أهــزُّ بـكَ الجْيـلَ العَقـوقَ المُعـاصِرا
أهــزُّ بــكَ الجيــلَ الــذي لا تهــزُّه نوابغُــه حتــى تــزورَ المقــابرا

الأصيل في لبنان

أأنتَ رأيتَ الشمسَ إذ حُـمّ يومُها تَحَــدَّرُ في مهــوىً ســحيقٍ لتغربــا
تَحـدَّرُ في مهـوىً تلقـفَ قُرْصَـها لقُّــفَ تَنُّــورٍ رغيفــاً محصــبا
ومـا خلفـت في الجـو مـن خطراتها وما خلعت من مرقصات على الربى
وما بـدلت مـن زرقة البحـر ألهَبَـتْ بحمرتهـــا آذيَّـــهُ فتلهبـــا
تغــيّر حتــى حِــوَّمَ الطــيرُ فوقــه يحــاذر أن يــدنو إليــه ليشْرَبــا
وقد صَمَتَ الكونُ الرهيبُ ضجيجُه عــلى أنّــهُ في صــمتهِ كــان أرهبــا
وهــيمنَ رَوحٌ مــن جِمــام ورقــةٍ عــلى الشــاطئين اسـتيقظا فتوثّبــا
أأنــت رأيــتَ الغــيمَ يلــتَمُّ فوقهـا يجــاذِبُ متنَيهــا رداءً مــذهَّبا
يغازلهـا مـا غازلتْـهُ أخـو هـوى يلاعبُهـا مـا اسـتمتعتْ منـه ملعبـا

تَجمع من أطرافها ثم مسّه … بروعته لألاؤها فتشعبا
أأنت سألت الكون عن أي باعث … بدا في غروب الشمس جذلان معجبا
وأيّ يد مرت عليه كريمةٍ … صناعٍ فردَّتْهُ أديها مخضّبا
وما هذه الأشباحُ ترى أغيمةٌ … تولّد أظلافاً.. ونابا.. ومخلبا
غرابٌ تصبّاه غرابٌ وثعلبٌ … يطارد في جَوْز السمواتِ ثَعْلبا
وثمَّ سنامٌ مُستَجدٌّ وغاربٌ يناديك … أن تسعى إليه فتركَبا
وثَمَّ سفينٌ من دخانٍ قلوعُه … ونوتيُّهُ رَوح رخيٌّ من الصبا
وأولاءِ رهطُ الجنَّ بين نديّهم … يُقيمون من سحرٍ رواقا مطنّبا
كأني أرى المزمارَ في فَم عازفٍ … وأسْمَعُ – لو أقوى – الغناءَ المشببا
وتلكمْ على النادي تطوفُ عرائسٌ … بدا سافراً رهطٌ ورهطٌ تَنَقَّبا
وهاتيك أقزاعٌ لطافٌ كؤوسُها … وخَمْرَتُها جَوْنُ السَّحاب تذوَّبا

***

أبو العلاء المعري

قِفْ بالمعَرَّةِ وامسَحْ خَدَّها التَّربا … واستَوحِ مَنْ طَوَّقَ الدُّنيا بما وَهَبا
واستَوحِ مَنْ طبَّبَ الدُّنيا بحكْمَتهِ … ومَنْ على جُرحها مِن روُحه سَكَبا
وسائلِ الحُفْرةَ المرموقَ جانِبُها … هل تبتَغي مَطْمَعاً أو ترتجي طلَبا
يا بُرجَ مفْخَرةِ الأجداث لا تهِني … أنْ لم تكُوني لأبراج السَّما قُطُبا
فكلُّ نجمٍ تمنَّى في قَرارته … لو أنَّه بشُعاعٍ منكِ قد جُذبا
والمُلْهَمَ الحائرَ الجبَّارَ هل وصَلَتْ … كَفُّ الرَّدى بحياةٍ بَعْدَه سَببا
وهل تبَدَّلْتَ رُوحاً غيرَ لاغبةٍ … أم ما تزال كأمسٍ تشتكي اللَّغَبا

وهـل تخـبَّرْتَ أنْ لم يـأْلُ مُنْطَلِـقٌ ... مِـنْ حـرّ رأيـكَ يَطْـوي بعْـدكَ الحقَبـا

أم أنـتَ لا حِقَبـاً تـدري ولا مِقَـةً ... ولا اجتـواءً ولا بُـرءاً ولا وصَـبا

وهـل تصَـحَّحَ في عُقْبـاكَ مُقْـتَرَحٌ ... ممَّـا تفكَـرتَ أو حَـدَّثْتَ أو كُتِبـا

نَـوِّر لَنـا.. إنَّنـا في أيّ مُـدَّلج ... ممَّـا تَشـكَّكْتَ إنْ صِـدقاً وإنْ كـذبا

أبـا العـلاءِ وحتـى اليومِ مـا بَرِحـتْ ... صَـنَّاجة الشَـعر تُهـدي المترفَ الطَّربا

يَسـتنزلُ الفكـرَ مـن عَليـا مَنازلـهِ ... رأسٌ ليمسـحَ مـن ذي نعمـةٍ ذنَبـا

وزُمـرةُ الأدبِ الكـابي بزُمرتـهِ ... تفرَّقَـتْ في ضَـلالاتِ الهـوى عُصَـبا

تَصَّـيدُ الجـاهَ والألقـابَ ناسـيةً ... بـأنَّ في فكـرةٍ قُدسـيَّةٍ لقبـا

وأنَّ للعبقـريّ الفـذِّ واحـدةً ... إمَّـا الخُلـودَ وإمَّـا المـالَ والنَّشـبا

مـن قبـلِ ألـفٍ لَـو أنَّا نبتغـي عِظـةً ... وعَظْتَنـا أنْ نصـونَ العلـمَ والأدبـا

عـلى الحصـيرِ وكـوزُ المـاء يَرفـدهُ ... وذِهنُـه ورفـوفٌ تحمِـلُ الكتبـا

أقـامَ بالضَّـجَّةِ الـدُّنيا وأقعـدَها ... شـيخٌ أطـلَّ عليهـا مُشـفقاً حَـدِبا

بَكـى لأوجـاعِ ماضيها وحاضرِهـا ... وشـامَ مُسـتقْبَلاً منهـا ومرتقبَـا

والكآبـةِ آلـوانٌ وأفجعُهـا ... أنْ تُـبصرَ الفيلسـوفَ الحُـرَّ مكتئِبـا

تنـاولَ الـرثَّ مـن طبـع ومُصـطَلح ... بالنقـدِ لا يتـأبَّى آيَـةً شـجبا

وألهـمَ النـاسَ كـي يَرضَـوا مغبَّـتهم ... أن يُوسـعوا العقـلَ ميـداناً ومضـطَربا

وأنْ يَمـدُّوا بـه في كـلِّ مُطَّـرح ... وإنْ سُقوا مِـن جَنـاه الويـلَ والحَرَبـا

لِثـورةِ الفكـرِ تـاريخٌ يحـدّثُنا ... بـأنَّ ألـفَ مسـيح دونَهـا صُـلِبا

إنَّ الـذي ألهـبَ الأفـلاكَ مِقولُـه ... والـدهر لا رَغَبـاً يرجـو ولا رهَبـا

لم يـنسَ أنْ تشـمَلَ الأنعـامَ رحمتُـهُ ... ولا الطيـورَ ولا أفراخَهـا الزُغُبـا

حَنـا عـلى كـلّ مغصـوبٍ فضـمَّده ... وشـجَّ مـنْ كـان أيّـاً كـان مغتصِبـا

سَلِ المقاديرَ هل لازلتِ سادرةً ... أمْ أنتِ خجلى لِما أرهقتهِ نصبا

وهل تعمَّدتِ أنْ أعطيتِ سائبةَ ... هذا الذي من عظيم مثْلِه سُلبا

هذا الضياءَ الذي يَهدي لمكمنّه لِصّاً ... ويُرشِدُ أفعى تَنفُثُ العَطَبا

فإنْ فخَرتِ بما عوَّضتِ من هبةٍ ... فقد جنيتِ بما حَمَّلتهِ العصبا

تلمَّسَ الحُسنَ لم يمدُدْ بمُبصرةٍ ... ولا امتَرى دَرَّةً منها ولا حلبا

ولا تناولَ من ألوانها صُوراً ... يَصُدُّ مبتعِدٌ منهنَّ مُقتربا

لكنْ بأوسعَ من آفاقها أمداً ... رَحْباً وأرهفَ منها جانباً وشَبا

بعاطفٍ يتبنَّى كلَّ معتلِجٍ ... خفَّاقه ويُزكّيهِ إذا انتسبا

وحاضنٍ فُـزَّعَ الأطيافِ أنزلها ... شعافه وحباها معقِلاً أشِبا

رأسٌ من العَصَبِ السامي على قفص ... من العظام إلى مهزولةٍ عُصِبا

أهوى على كُوَّةٍ في وجههِ قَدَرٌ ... فسَدَّ بالظلْمةِ الثُقْبينِ فاحتجبا

وقال للعاطفات العاصفاتِ بهِ ... الآنَّ فالتمسي مِن حُكْمهِ هربا

الآنَ يشربُ ما عتَّقتِ لا طفَحاً ... يُخشى على خاطرٍ منه ولا حبَبا

الآنَ قولي إذا استوحشتِ خافقَة ... هذا البصيرُ يُرينا آيةً عَجبا

هذا البصيرُ يُرينا بين مندرِسٍ ... رثِّ المعالم هذا المرتَعَ الخصِبا

زنجيَّةُ الليلِ تروي كيف قلَّدها ... في عُرسها غُرَرَ الأشعار لا الشهبا

لعلَّ بينَ العمى في ليلِ غُربته ... وبين فحمتِها من أُلفَةٍ نسبا

وساهرُ البرق والسُّمّارُ يُوقِظهم ... بالجزع يخفق من ذكراه مضطرِبا

والفجرُ لو لم يلُذْ بالصبح يَشربه ... من المطايا ظِماءً شُرَّعاً شُربا

والصبحُ ما زال مُصفرّاً لمقرنَهِ ... في الحُسْن بالليل يُزجي نحوه العتبا

يـا عاريـاً مـن نَتـاجِ الحُـبِّ تكرمـةً ... وناســجاً عَفَّــةً أبــرادَهُ القشُــبا
نعوا عليكَ – وأنت النور – فلسفةً ... ســوداءَ لا لــذَّةً تبغــي ولا طرَبــا
وحَمَّلـوكَ – وأنـت النـارُ لاهبـةً – ... وِزرَ الـذي لا يُحِـسُّ الحُـبَّ ملتهبـا
لا موجـةُ الصَّـدرِ بالنهـدينِ تدفعـه ... ولا يَشـقُّ طريقـاً في الهـوى سَربـا
ولا تُدغــدِغُ منــه لــذَّةٌ حُلُــماً ... بـل لا يُطيـقُ حـديثَ اللـذَّةِ العـذِبا
حاشاك.. إنَّكَ أذكى في الهوى نفسَاً ... سَـمْحاً وأسلسُ منهمْ جانبـاً رطِبـا
لا أكــذبنَّكَ إنَّ الحُــبَّ مــتَّهمٌ ... بـالجَور يأخـذ مِنَّـا فـوقَ مـا وَهبـا
كـم شـيَّعَ الأدبُ المفجـوعُ مُحتضَراً ... لـدى العيـونِ وعنـدَ الصـدر مُحتَسَبا
صَرعـى نَشـاوى بـأنَّ الخَـودَ لُعبتُهم ... حتـى إذا استَيقظوا كـانوا هُمُ اللُعَبـا
أرتهُـمُ خـيرَ مـا في السِّـحْرِ مـن بُـدعٍ ... وأضمرتْ شَرَّ ما قـد أضمرتْ عُقبا
عانَى لَظَى الحُـبِّ « بشَّـارٌ » وعُصبتُه ... فهـل سـوى أنَّهـم كـانوا لـه حَطبـا
وهل سوى أنهم راحـوا وقـد نـذروا ... للحـبِّ مـا لم يجـب منهم ومـا وَجبـا
هـل كنـتَ تخلـدُ إذ ذابـوا وإذ غـبرُوا ... لو لم ترُضْ مِنْ جِماحِ النفس ما صَعُبا
تـأبى انحـلالاً رسـالاتٌ مقدَّسـةٌ ... جـاءت تقـومُ هـذا العـالمَ الخَربـا
يـا حـاقِرَ النبـعِ مزهُـوّاً بقوَّتـهِ ... ونـاصراً في مجـالي ضـعفهِ الغَرَبـا
وشـاجبَ المـوت مـن هـذا بأسـهمهِ ... ومُسـتمِنّاً لهـذا ظِلَّـهُ الرَّحِبـا
ومحـرِجَ المُـوسِرِ الطـاغي بنعمتـهِ ... آنْ يُشرِكَ المُـعْسِرَ الخـاوي بـما نهبـا
والتَّـاجُ إذ تتحـدَّى رأسَ حاملـهِ ... بـأيِّ حـقٍّ وإجمـاعٍ بـه اعتصبـا
وهـؤلاءِ الـدُّعاةُ العـاكفونَ عـلى ... أوهـامهم صـنماً يُهدونـه القُرَبـا
الحـابطونَ حيـاةَ النـاس قـد مَسخوا ... مـا سـنَّ شَرْعٌ ومـا بـالفطرة اكتُسِبا
والفـاتلونَ عثانينـاً مُهـرَّأةً ... سـاءتْ لمحتطِـبٍ مَرعـى ومحتطَبـا

والمُلصِقونَ بعرش الله ما نسجت ... أطماعُهم: بِدعَ الأهواءِ والرِّيَبا

والحاكمونَ بها تُوحي مطامعُهم ... مؤَوِّلينَ عليها الجِدَّ واللَّعبا

على الجلود من التدليس مَدرعةٌ ... وفي العيون بريقٌ يخطَف الذهبا

ما كان أيُّ ضلالٍ جالباً أبداً ... هذا الشقاء الذي باسم الهُدى جُلبا

أوسَعْتَهم قارصاتِ النقدِ لاذعةً ... وقلتَ فيهم مَقالاً صادقاً عجبا

صاحَ الغرابُ وصاحَ الشيخُ فالتبستْ ... مسالِكُ الأمر أيٌّ منهما نعبا

أجللتُ فيك من الميزات خالدةً ... حُرِّيةَ الفكرِ والحرمانَ والغضبا

مجموعةً ق[illegible]جدناهُنَّ مُفرَدةً ... لدى سواكَ فما أغنيننا أربا

فربَّ ثاقبِ رأيٍ حطَّ فكرتَه ... غُنمٌ فسَفَّ وغطَّى نورَها فخبا

وأثقلَتْ مُتَعُ الدُّنيا قوادِمَهُ ... فما ارتقى صُعُداً حتَّى أدَّنى صَببا

بَدا له الحقُّ [illegible]ناً فلم يَرهُ ... ولاحَ مقتلُ ذي بغيٍ فما ضَربا

وإنْ صدقتُ فما في الناس مُرتكِباً ... مثلُ الأديب أعان الجورَ فارتكبا

هذا اليراعُ شواظُ الحقّ أرهفه سيفاً ... سيفا وخانعُ رأيٍ ردَّه خشبا

ورُبَّ راضٍ من الحرمان قِسمته ... فبرَّر الصبرَ والحرمانَ والسغبا

أرضى وإنْ لم يشأ أطماحَ طاغيةٍ ... وحالَ دونَ سوادِ الشعب أن يثبا

وعوَّضَ الناسَ عن ذُلٍّ ومَتربَةٍ ... مَنَ القناعةِ كنزاً مائجاً ذهبا

جيشٌ من المُثُلِ الدُّنيا يَمُدُّ به ... ذوو المواهبِ جيشَ القوَّةِ اللَّجبا

آمنت بالله والنورِ الذي رسمَتْ ... به الشرائعُ غُرّاً منهجاً لَحِبا

وصُنتُ كلَّ دُعاةِ الحقِّ عن زَيغ ... والمُصلحينَ الهداةَ العُجْمَ والعَرَبا

وقد حَمِدتُ شفيعاً لي على رَشَدي ... أُمّاً وجدتُ على الإسلام لي وأبا

لكـنَّ بي جنَفَـاً عـنِ وعـي فلسـفةٍ ... تـقضي بـأنَّ البرايـا صُـنِّفتْ رُتَبـا
وأنَّ مِـن حِكمـةٍ أنْ يجتنـي الرُّطَبـا ... فـردٌ بجَهـد ألـوفٍ تعلـكُ الكَرَبـا

***

أحيِّيك طه

أُحَيِّيـــــكَ « طـــــه » ... لا أُطيـــلُ بـــكَ السَّـــجْعا
كفَـــى السَّـــجع فخـــراً ... محـــضُ اســـمك إذ تـــدعي
أُحَيِّيـكَ فَـذّاً في دِمشـقَ وقبلَهـا ... ببغـدادَ قـد حيَّيـتُ أفـذاذَكم جَمْعـا
شـكرناكَ : أَنَّـا في ضـيافة نـابغٍ ... نُمتِّـعُ منه العـينَ والقـبَ والسـمعا
ذرفـتُ – عـلى أنْ لا يرانـا بطرفـه ... وإنْ حسنًّا بالقلب – من أسفٍ دمعا
وكنَّـا عـلى آدابـك الغُـرِّ قبلَهـا ... ضُـيوفاً فـما أبقيـتَ في كـرمٍ وُسْـعا
نهضـتَ بنـا جيلاً وأبقيـتَ بعـدَنا ... لأبنائنـا مـا يَحمـدَون بـه المسـعى
أبا الفكرِ تستوحي من العقل فـذّه ... وذا الأدبِ الغضِّ استثرتَ به الطَّبعا
ويا سِحرَ موسى – إنَّ في كلّ بقعةٍ ... لمـا تجـتلي مـن آيـةٍ حيَّـةً تسـعى
لـكَ اللهُ محمـولاً عـلى كـلّ خـاطرٍ ... ومِن كـلّ قلـبٍ رُحْـتَ تحتلُّـهُ ترعـى
أُنَبِّيـكَ أنَّ « الرافـدينِ » تطلَّعـتْ ... ضفافُهما واستَنْهضَ الشَّجرُ الزرعـا
نمى خـبرٌ أنْ سـوف تَسـعى إليهما ... فكادَ إليك النخلُ من طربٍ يسعى
وقد نـذَرَ الصَّفصـافُ وارفَ ظلَّـه ... عليك وأوصى – أنْ يساقيَكَ – النبعـا
هلـمَّ لشُـطئانِ الفـراتينِ واسـتمِع ... أهازيجَهـا تستطرفِ المعجِزَ البَدعا
وطـارِحْ بـه سـجعَ الحَـمام فإنَّـه ... لُهاثٌ على الجرحى نُواحٌ على الصَّرعْى
وواسِ عليه الـرازحينَ مـن الهـوى ... وطّبـبْ هنـاكَ النازعـتِ بـهِ نزعـا

هناك تلمَّسْ ضائعَ الحبّ وافتقِد ... ضحاياه واراُبْ للقُلوب به صَدعا
وجـدِّدْ لنـا عهـدَ المْعـريِّ : إنَّـه ... قضى وهـوى بغـدادَ يلذعُـه لـذعا
وكّنـا إذا ضـاقتْ بـلادٌ برائـدٍ ... أتانـا فـلا المُرتـادَ ذمَّ ولا المرعـى
إلى الآنَ في بغـدادَ نستافُ مِسكةً ... لناقتـهِ ممـا أثـارت بهـا نقعـا
ونمـزجُ من ماء الفـراتينِ جَرعة ... ممـا عـبَّ مـن صـفوه جرْعـا
ونهوى السفينَ الحائراتِ كأنْها ... سفينتُه إذ تشتكي الأيـنَ والضَّـلْعا
أجلْ.. قد خطفناها مخافةَ فُرقةٍ ... وخشـيةَ إزمـاعِ نضـيقُ بـه ذرعـا
وضـاق وحسـبي شـاهداً ... نبيٌ من الغربـان لا يعـرف الشرعـا
هلـمَّ إلى بغـدادَ لا تخـشَ خاطفـاً ... فإنَا نسجنا من «فريـد» لـك الـدرعا
سـنحجزهُ نرتـادُ ذكـراك عنـده ... وينفَحنا من طيب أنفاسك الردعا

***

جمال الدين الأفغاني

هَويـتَ لِنُصرةِ الحـقّ السُـهادا ... فلـولا المـوتُ لم تُطـقِ الرُّقـادا
ولـولا المـوتُ لم تَـتْرُكْ جِهـاداً ... فَلَلْـتَ بـه الطغـاةَ ولا جِـلادا
ولـولا المـوتُ لم تُفـرِحْ فُـرادى ... صـعَقْتَهُمُ.. ولم تُحـزِنْ سـودا
ولـولا المـوتُ لم يَـذهبْ حريـقٌ ... بيانعـةٍ وقـد بَلَغـتْ حَصـادا
وإنْ كـانَ الحـدادُ يـرُدُّ ميتـاً ... وتَبلـغُ منـه ثاكلـةٌ مـرادا
فـإنَّ الشّرقَ بـينَ غـدٍ وأمـسٍ ... عليـكَ بِذِلّـةٍ لـبسَ الحِـدادا
ترفَّـعْ أيّهـا الـنجم المُسَـجَّى ... وزِد في دارة الشّرَفِ اتقـادا
ودُرْ بـالفكر في خلـدِ الليـالي ... وجُـلْ في الكـون رأيـاً مُسـتعادا

وكُنْ بالصَّمتِ أبلغَ منك نُطْقاً … وأورى في مُحاجَجةٍ زِنادا

فإنَّ الموتَ أقصرُ قِيدَ باعٍ … بأنْ يغتالَ فكراً واعتقادا

جمالَ الدين يا رُوحاً عَليّاً … تنزَّلَ بالرسالة ثمَّ عادا

تجشَّمتَ المهالكَ في عَسوفٍ … تجشَّمهُ سواك فما استَقادا

طَريقِ الخالدينَ.. فمَنْ تَحامى … مصايرَهُمْ تَحاماه وحادا

كثيرِ الرُعْبِ بالأشلاء.. غطَّتْ … مَغاورَهُ الجماجِمُ والوِهادا

جماجِمُ رائدي شَرَفٍ وحقٍّ … تهاوَوا في مَجاهلهِ ارتِيادا

وأشباحُ الضحايا في طواهُ … على السارينَ تحتشِدُ احتشادا

وفوقَ طُروسه خُطّتْ سُطورٌ … دمُ الأحرار كان لها مِدادا

شقَقْتَ فِجاجَهُ لم تخْشَ تَيْهاً … ومَذْأَبةً وليلاً وانُفرادا

لأنّكَ حاملٌ ما لا يوازي … بقوّتهِ ا[illegible]دةَ والفؤادا

وتختلفُ الدُروبُ وسالكوها … وغايتها.. دُنوّاً وابتعادا

ويختلفُ البُناةُ ورُبَّ بانٍ … بَنى مِن فِكرةٍ صَرْحاً وشادا

وأنت ازْدَدْتَ مِن سُمٍّ زعافٍ … تَذَوَّقهُ سَواك فما استزادا

نضالِ المستبدَّ يرى انكشافاً … عَمايتهُ.. وعثرتهُ سَدادا

إذا استحلىَ غَوايتَه وأصغى … إلى المتزلفِينَ له تمادى

خَشِيتَ اللهَ عن علمٍ وحقٍّ … إذا لم تَخْشَ في الحقّ العبادا

وجَدْتَ اللذَّةَ الكُبرى فكانت … طريفَ الفِكرِ والهِممِ التِلادا

وأعصاباً تشُدُّ عىَ الرَّزايا … إذا طاشَتْ وتغلبُها اتئادا

ولمَّا كنتَ كالفجر انبلاجاً … وكالعنقاء تكبرُ أنْ تُصادا

مَشَيْتَ بقلبِ ذي لبدٍ هَصورٍ … تُعاندُ من تريدُ له العِنادا

صـليبَ العُـودِ لم يَغمـزْكَ خَـوفٌ ... ولم تَسـهُلْ عـلى الـتَّرَفِ انعقـادا
ولم تَنـزِلْ عـلى أهـواء طـاغٍ ... ولا عـمّا تريـدُ لِمـا أرادا
ولم تجـد الأمـاني والمنايـا ... مـبررةٌ عـن الحـق ارتـدادا
ولم أرَ في الرجـالِ كمُسـتَمِدٍّ ... مـن الحـقِّ اعتـزازاً واعتـدادا
وكـان مُعسـكرانِ الظُّلـمُ يَطغـى ... ومظلـومٌ فلـم تقـفِ الحِيـادا
ولم تحـتجَّ أنَّ البَغْـيَ جـيشٌ ... وأنَّ الـزاحفينَ لـه فـرادي
ولا أنَّ الليـاليَ محرِجـاتٌ ... وأنَّ الـدَّهر خصـمٌ لا يُعـادى
و أنَّ الأمـرَ مرهـونٌ بوقـتٍ ... ينـادي حـينَ يـأْزَفُ لا ينـادى
مَعـاذيرٌ بهـا ادَّرَعَـتْ نفـوسٌ ... ضـعافٌ ترهـبُ الكُـرَبَ الشِّـدادا
تُريـدُ المجـدَ مرتميـا عليهـا ... جَنـيَّ غَضّـاً تلَقَّفُـهُ ازدِرادا
جمـالَ الـدينِ كنـتَ وكـانَ شَرقٌ ... وكانـتْ شِرعـةٌ تَهَـبُ الجْهـادا
وكانـت جنّـةٌ في ظِـلِّ سـيفٍ . ... حَمَـى الفـردُ الـذِمارَ بـه وذادا
وإيـمانٌ يقـودُ النـاسَ طَوعـاً ... إلى الغَمـراتِ فتـوى واجتهـادا
ونـاسٌ لا الحضـارةُ دنّسَـتْهُمْ ... ولا طـالوا مـع الطَمـعِ امتِـدادا
وكانـت « عُـروةٌ وُثقـى » تُزَجَّـى ... لمنقَسِـمينَ حُبـاً واتحـادا
ونيَّـةُ ساسـةٍ بَسُـطَتْ فبانـت ... ووجْـهُ سياسـةٍ جـلّى وكـادا
وحُكْـمٌ كالـدَّجى عُريـانُ صـافٍ ... فلـم يُنْكـرْ إذا انتَسـبَ السَّـوادا
ولم يـدخِلْ مـن الألـوانِ ظـلاً ... يلـوذُ بـه انتقاصـاً وازْديـادا
دَجَـا قسْراً وسـادَ وكـان شَـهماً ... صريحـاً أنّـه بـالرُّغمِ سـادا
وجِئـتَ ورُفقـة لـك كالـدَّراري ... لِضُـلاَّلٍ بغَيهَبـه رشـادا

تَمُدُّ عُبابَهُ وجهاً لوجهٍ ... وتَزْحَمُهُ انعكاساً وَاطّرادا

جمالَ الدينِ كنتَ وكانَ عهدٌ ... سُقيتَ لما صمدْتَ له العِهادا

نَما واشتطَّ واشتدَّتْ عُراه ... وزادَ الصامدونَ لهُ اشتدادا

مشَتْ خمسونَ بعدَكَ مرْخياتٍ ... أعِنَّتَها هجاناً لا جيادا

مُحَمَّلةً وسُوقاً من فُجورٍ ... وشامخةً كمُحصَنةٍ تهادى

تحوَّرَتِ السياسةُ عن مَداها ... إلى أنأى مدىً وأقلَّ زادا

وباتَ الشرق ليلَته سَليماً ... على حالينِ ما اختَلَفا مُفادا

على حُكْمين من شَفعٍ وَوِتْرٍ ... عُصارةُ كلّ ذلك أنْ يسادا

ولُطِّفَتِ الإبادةُ.. فهو حرٌّ ... بأيِّ يدٍ يفضّلُ أنْ يبادا

ومُدَّتْ إصْبعٌ لذويهِ فيهِ ... فعاثَتْ فوقَ ما عاثوا فسادا

فكَمْ في الشَّرقِ من بَلَدٍ جريحٍ ... تشَكّى لا الجروحَ بلِ الضِّمادا

تشَكّى بَغيَ مقتادٍ بغيضٍ ... تأبّى أنْ يطاوعَه انقيادا

فكانتْ حِيلةٌ أنْ يَمْتَطيهِ ... رضيعُ لبانِه فبغى وزادا

صدىً للأجنبيّ ورُبَّ قَفْرٍ ... أعادَ صدىً فسُرَّ بما أعادا

وكان أجلَّ من زُمرٍ إذا ما ... تجَنّى المستَبيحُ بها تفادى

فكانوا منه في العَوْراتِ سِتراً ... وكانوا فوق جمرتهِ رمادا

تروَّى من مطامعهِ وأبقى ... لهم من سؤرِ ما وَرَدَ الثمادا

وكان إذا تهضَّمهُ غريبٌ ... أقامَ له القيامةَ والمعادا

فأسلَمَهُ الغريبُ إلى قريبٌ ... يسَخِّرُهُ كما شاءَ اضطهادا

وكان الأجنبيُّ وقد تَولَّى ... زمامَ الأمرِ واغتصبَ البلادا

يرى أدنى الحُقوقِ لهمْ عليه ... مُساغَ النقدِ والكلمِ المُعادا

فأضحوا يحسبونَ النقد فتحاً ... لو اسطاعُوا لِما يَصمُ انتِقادا
فبئسَ مُنىً لمصفودٍ ذليلٍ ... لَوَ أنَّ يديه لم تضَعا الصِفادا
وبئسْ مصيرُ مُفترشينَ جمراً ... تَمَنّيهم لو افترَشوا القَتادا
وكانوا كالزُّروعِ شَكَتْ مُحُولاً ... فلمّا استمْطرتْ مُطِرَتْ جرادا

***

يافا الجميلة

يا « يافا » يومَ حُطَّ بها الرِكابُ ... تَمَطّرَ عارِضٌ ودجا سَحابُ
ولفَّ الغادةَ الحسناءَ ليلٌ ... مُريبُ الخطوِ ليسَ به شهاب
وأوسعَها الرَذاذُ السَحُّ لَثْماً ... فَفيها مِنْ تحرُّشِهِ اضطِراب
و« يافا » والغُيومُ تَطوفُ فيها ... كحالمةٍ يُجلّلُها اكتئاب
وعاريةُ المحاسنِ مُغرياتٍ ... بكفِّ الغَيمِ خِيطَ لها ثياب
كأنَّ الجوَّ بين الشمسِ تُزْهَى ... وبينَ الشمسِ غطَّاها نِقاب
فؤادٌ عامرُ الإيمانِ هاجَتْ ... وساوِسُه فخامَرَهُ ارتياب
وقفتُ موزَّعَ النظَراتِ فيها ... لِطَرفي في مغَانيها انْسياب
وموجُ البحرِ يَغسِلُ أخْمَصَيْها ... وبالأنواءِ تغتسلُ القِباب
وبياراتِها ضَربَتْ نِطاقاً ... يُخطِّطُها كما رُسِمَ الكتاب
فقلتُ وقد أُخذتُ بسِحرِ يافا ... وأترابٍ ليافا تستطاب
« فلسطينٌ » ونعمَ الأمُ.. هذي ... بَناتُكِ كلُّها خَوْدٌ كعاب
أقَلّتني من الزوراءِ رِيحٌ ... إلى « يافا » وحلّقَ بي عُقاب
فيالكَ « طائراً مرِحاً عليه ... طيورُ الجوِّ من حَنقٍ غِضاب

كأنَّ الشوقَ يدفَعهُ فيذكي ... جوانحَهِ من النجم اقتراب

ركِبناهُ لِيُبلِغنا سحاباً ... فجاوزَه لِيبلُغَنا السَّحاب

أرانا كيف يَهفو النجمُ حُبّاً ... وكيفَ يُغازِلُ الشمسَ الَّضَباب

وكيفَ الجوُّ يرقِصُهُ سَناها ... إذا خطرتْ ويسكِره اللُّعاب

فما هيَ غيرُ خاطرةٍ وأُخرى ... وإلاّ وَثبةٌ ثمَّ انصِباب

وإلاّ غفوةٌ مسّتْ جفوناً ... بأجوازِ السماءِ لها انجِذاب

وإلاّ صحوةٌ حتّى تمطَّتْ ... قوادِمُها كما انتفضَ الغُراب

ولمّا طبّقَ الأرَجُ الثنايا ... وفُتِّح مِنْ جِنانِ الخُلدِ باب

ولاحَ «اللدُّ» مُنبسِطاً عليهِ ... من الزَهَراتِ يانِعةً خِضاب

نظْرتُ بمُقلةٍ غطَّى عليها ... من الدمعِ الضليلِ بها حِجاب

وقلتُ وما أُحيرُ سوى عِتابٍ ... ولستُ بعارفٍ لِمنِ العتاب

أحقّاً بيننا اختلَفتْ حُدودٌ ... وما اختَلفَ الطريقُ ولا التراب

ولا افترقتْ وجوهٌ عن وجوهٍ ... ولا الضّادُ الفصيحُ ولا الكِتاب

فيا داري إذا ضاقت ديارٌ ... ويا صَحبيْ إذا قلَّ الصِحاب

ويا مُتسابقِينَ إلى احتِضاني ... شَفيعي عِندَهم أدبٌ لُباب

ويا غُرَّ السجايا لم يَمُنُّوا ... بما لَطُفوا عليَّ ولم يُحابوا

ثِقوا أنا توَحَّدُنا همومٌ ... مُشارِكةٌ ويجمعُنا مصاب

تَشِعُّ كريمةً في كلِ طَرفٍ ... عراقيٌّ طيوفكم العذاب

وسائلةٌ دَماً في كلِّ قلبٍ ... عراقيٌّ جروحكم الرِغاب

يُزَكينا من الماضي تُراثٌ ... وفي مُستَقْبلٍ جَذِلٍ نِصاب

قَوافِيَّ التي ذوَّبتُ قامتْ ... بِعُذري إنها قلبٌ مذاب

وما ضاقَ القريضُ به ستمحو ... عـواثرَهُ صـدورُكم الرّحـاب
لئنْ حمَّ الوَداعُ فضِقتُ ذَرعاً ... بـه.. واشتفَّ مُهجتيَ الذَّهاب
فمنْ أهلي إلى أهلي رجوعٌ ... وعنْ وطَني إلى وطني إياب

***

ألقت مراسيها الخطوب

أَلْقَتْ مراسيَها الخُطوبُ ... وتَبَسَّمَ الزمنُ القطوبُ
وانجاب عن صُبحِ رضيٍّ ... ذلك الليلُ الغَضوب
وادّال مِنْ صدَأِ الحديد ... على الثّرى أرَجٌ وطِيب
ومشى ربيعٌ للسَّلام ... به تفتحتِ القلوب
وتطامن الألمُ الحبيسُ ... وأفرخَ الأملُ الرحيب
فجرٌ صدوق ربَّ حربٍ ... رِبحها فجرٌ كذوب
الآنَ يَقبَعُ في مهانَتِهِ ... لتنتفضَ الشعوب
وَحشٌ تقلمتِ المخالبُ ... منه واختفتِ النيوب
مشتِ القصيدة للقصيدَةِ ... يصرعُ الكسِلَ الدؤوب
وتلمس الدّرنَ الحكيمُ ... وشخّصَ الداءَ الطبيب
وتلاقتِ الأجيالُ في ... جيلٍ هو النّغَمُ الرتيب
جيلٌ توضحت المعالمُ ... مِنْهُ وانجلتِ الغُيوب
وجرتْ على خير المقاييس ... المحاسنُ والعيوب
فالمستظامُ « المستغَلُّ هو ... الحسيب هو النسيب
والمستقيمُ هو المحكّمُ ... والصريحُ هو اللبيب

والمنطـــوي كبتـــاً يشـــد عـــلى الضـــميرِ هـــو المريـــب
ومنـــــزّهُ الآراءِ عـــــن تـــأويلِهِنّ هـــو الصـــليب
والمكتـــوي بلـــواذع الألم العميـــقِ هـــو الأديـــب
ربّـــىَ القـــرونَ بكـــلّ حجـــرٍ طّيـــبٍ نعـــمَ الربيـــب
شـــابتْ مفـــارقهمُّ وأزمَـــنَ لا يهِـــمُّ ولا يشـــيب
أيـــام « رســـطاليس » كـــانَ بُعَيـــدَ مولـــدِهِ يهيـــب
والســـمُّ إذ « ســـقراطُ » يجْرَعُـــهُ ويحلِـــفُ لا يتـــوب
إذ قـــال للمـــلأ العظـــيم وكأسُـــهُ فيهـــا شـــبوب
إني أكـــولٌ للحِـــمام عـــلى مرارتـــهِ شَروب
أهـــلاً فإنـــكِ لا تُخيفـــين العقيـــدةَ يـــا شـــعوب
وخيـــال «أفلاطـــون» والجُمْهـــور والحكـــمُ الأريـــب
مـــا عابـــه أن ضـــيم فيـــه « الـــرقُ » وامـــتهِنَ الجليـــب
إن العقـــولَ تكامـــلٌ مـــن يُخـــطِ ينفـــعْ مـــن يصـــيب
وتبـــارت الأجيـــال تـــنجح بالرســـالة أو تخيـــب
عصرٌ خصـــيبٌ بالكفـــاحِ وآخـــرٌ منـــهُ جـــديب
شرِقٌ بـــأعوادِ انشـــانِقِ أو بمذبحـــةٍ خصـــيب
يجـــري النعـــيمُ بـــه وتَـــزْدحِمُ العظـــائمُ والكُـــروب
بـــإزاء وَجْـــهٍ نـــاضرٍ ألـــفٌ تلوحّـــه السّـــهوب
ومواكـــبُ الأحـــرار في صَـــخَبِ الطُّغـــاةِ لهـــا دبيـــب
وعواصـــفُ الظلـــم الفظيـــع لهـــا رُكـــودٌ أو هبـــوب
ومَعـــينُ فكـــرٍ في مَعـــينِ دمٍ يصـــبّ ولا نضـــوب

ومشرّدون عـــلى المبـــادئ حُقـــروا فيهـــا وعِيبـــوا
سُــــدّتْ مســـالِكُهُمْ فـــما ضـــاقتْ بمـــذهبِهمْ ثقـــوب
ضـــمنَ النعـــيمَ إنابـــةٌ وأبـــى التحـــررُ أن يُنيبـــوا
يتلقّـــفُ الأضـــواء نجْـــمٌ شـــعَّ مـــن نجـــمِ يغيـــب
« فـــأبو العـــلاء » عـــلى نـــواميسٍ مهـــرّأةٍ كئيـــب
وبهـــين « فـــولتير » النظـــام وبـــالمشرع يســـتريب
وتعهـــد « الأوبـــاشَ » – زولا – فانجلى « الوحشُ » النجيب
فـــإذا بـــه غـــير المـــواربِ حـــين يكْثـــرُ مـــن يـــروب
وإذا بـــه وهـــو الكريـــب يُثـــيرُ نخوَتـــهُ الكريـــب
وإذا بأشـــتاتِ الطُيـــوبِ يلمُّهـــا هـــذا الجنيـــب
هـــذا المُهـــان لأنـــهُ مـــن نعمـــةٍ خـــاوٍ ســـليب
ولأنَّ مشربـــه حثـــالاتٌ ومطعمـــهُ جشـــيب
ولأنّـــه ذو معصـــم لم يزْهـــهِ الحلـــقُ الـــذهيب
ولأنـــه في الأكثـــرينَ الجـــائعينَ لـــه ضروب
ولأنـــه بـــين « الصـــدورِ » المجـــرمينَ هـــو الكُعـــوب
جيـــل تعـــاوَره الطلـــوعُ بـــما يُـــبشّرُ والغـــروب
يطفـــو ويُحُجُبـــهُ إلى أمـــدٍ مـــن البغـــي الرســـوب
حتـــى تلقَّفـــهُ « لينـــينُ » وصـــنوُهُ البطـــلُ المَهيـــب
والعـــاكفون عليـــه أمّـــاتٌ وشـــبانٌ.. وشـــيب
فـــإذا بـــه عبـــلُ الســـواعدِ لا يزاحمـــهُ ضريـــب

تعنـــو لـــه الجّـــلى ويـــقصر عنـــده اليـــومُ العصـــيب

بالشـــعب تدعَمـــهُ الجيـــوشُ وتـــدعمُ الجـــيشَ الشُّـــعوب

والرايـــةُ « الحمـــراءُ » تحـــتَ ظلالِهـــا تمشـــى القلـــوب

قـــالوا « الســـلام » فـــراح يستبقُ البعيـــدَ بـــه القريـــب

ودَعْـــوا.. فخـــف مجـــاوبٌ وثـــوى صريـــعٌ لا يجيـــب

وتوثـــب العـــاني وأعـــوزَ مُثخنـــاً فيـــه الوثـــوب

طـــرح الأســـيرُ قيـــودَهُ وهفـــا لموطنـــه الغريـــب

وتعطّـــرتْ بشـــذا اللقـــاءِ ونفحـــةِ اللقيـــا دُروب

في كـــلِّ بيـــتٍ بســـمةٌ كـــدراءُ أو دَمـــعٌ مشـــوب

غلـــب ابتســـامَ الآيبـــين بكـــاؤهم مـــن لا يـــؤوب

رفَّـــت عـــلى أعشاشـــها أرواحُ هائمـــةٍ تلـــوب

ذُعـــرٌ تخطفهـــا الفـــراق ومسَّـــهاً منـــه لغـــوب

ومشـــى مـــن «القـــبر» الرهيـــب خيـــالُ محـــتربٍ يجـــوب

غطّـــى معالَمـــهُ شـــجاً وتـــوحّشٌ ودمٌ صـــبيب

أصـــغى فألَهـــبَ ســـمعَه مـــن « هامـــة » الجـــدَثِ النعيـــب

وتمطـــتِ الأنقـــاضُ عـــن وجـــهٍ يؤملُـــهُ حبيـــب

عـــن ســـاعدٍ ألـــوى عـــلى جيـــدٍ كـــما اختلـــف الصّـــليب

وفـــمٍ مراشِـــفه للـــثم أليفهـــا شـــوقاً تـــذوب

وضـــمائرُ « الأجـــداث » تشـــكو مـــا جنـــى البشـــرُ العجيـــب

ورمـــائمُ الأنقـــاضِ ممـــا اســـتوعبت فيهـــا شـــحوب

والنـــار تحلـــف .. مـــن حصـــيد لهيبهـــا ذُعـــرَ اللهيـــب

والحـــوتُ يَضْـــمنُ رزقـــه بحـــرٌ بهـــا فيـــه خصـــيب
للـــوحشِ مأدبـــةٌ عليهـــا مـــا يَلـــذُّ ومـــا يَطيـــب
وكـــواسر العِقبـــانِ يزهيهـــا مـــن الجثـــث النصـــيب
مـــاذا تريـــد حواصـــل مـــلأى ومنقـــارٌ خضـــيب
والـــدود يســـأل مقلـــةً تـــدمى وجمجمـــة تخـــوب
هـــذي المطـــاعم أيُّ طـــاهٍ شـــاءها أهـــي الحـــروب
مـــن مُبْلـــغُ الثّـــاوينَ تُعـــوِلُ عنـــدهم ريـــحٌ جَنـــوب
والمفـــــردَين علـــــيهم مـــن كـــلٍّ والفـــةٍ رقيـــب
والطفـــلُ يســـأل مـــن أبيـــه أهكـــذا يَلـــجُ المشـــيب
والكاعـــبُ الحســـناءُ جـــفَّ بنحرِهـــا نَفَـــسٌ رطيـــب
واســـتنزَفَ الحِلـــمَ الرغيـــبَ بصـــدرها جُـــرحٌ رغيـــب
إنَّ الريـــــاشَ المســـــتجدّ لكُـــمْ تَـــنمُّ بـــه الطيـــوب
والبيـــــتَ يُنعشـــــه رنـــــينُ العـــودِ والطفـــلُ اللَعـــوب
والـــدهرُ لم يـــبرح عليـــه مـــن الّصـــبا ثـــوبٌ قشـــيب
والأرض يرقصـــــها الشروقُ كـــما عهـــدتم والغـــروب
وعـــلى الربيـــعِ غضـــارة وعـــلى الأراكـــةِ عنـــدليب
والشـــمس يســـترُ وجهَهـــا بـــالغيم يُمْسِـــكُ أوْ يصـــوب
والخافقـــاتُ العاطفـــاتُ بكـــم يُعِـــذَبُها الوجيـــب
ألقـــتْ مراسِـــيها الخطـــوب وتبســـمَّ الـــزمن القَطـــوب

***

طرطرة

أيْ طرطـــرا تطرطـــري ... تقـــدَّمي تـــأخَّري
تَشـــيَّعي تســـنَّني ... تَهـــوَّدي تَـــنصَّري
تكـــرَّدي تَعـــرَّبي ... تهـــاتري بـــالعُنصرِ
تَعمَّمـــي تَبَرنطـــي ... تعقَّـــلي تســـدَّري
كـــوني إذا رُمـــتِ العُـــلى ... مـــن قُبُـــلٍ أو دُبُـــر
صـــالحةً كصـــالح ... عـــامرةً كـــالعُمري
وأنـــتِ إنْ لم تَجِـــدي ... أبـــاً حميـــدَ الأثَـــر
ومفَخَـــراً مـــن الجُـــدودِ ... طيَّـــب المُنحـــدرَ
ولم تَـــرَ في الـــنَفْس ... مـــا يُغنيـــكِ أن تفتخـــرى
شـــأنُ عصـــام قـــد كفَتْـــه ... الـــنفسُ شَرَّ مفْخَـــر
فـــالتَمِسي أبـــاً سِـــواهُ ... أشِراً ذا بَطَـــــر
طُـــوفي عـــلى الأعـــرابِ ... مـــن بـــادٍ ومـــن محـــتَضِر
والـــتَمِسي مـــنهم جـــدوداً ... جُـــــدُداً وزَوِّري
تزَيـــدي تزبّـــدي ... تعنّـــزي تَشـــمَّري
في زَمَـــنِ الـــذَرِّ إلى ... بَـــداوةٍ تَقَهْقَـــري
تَقَلَّبـــي تَقَلّـــبَ الـــدهرِ ... بشـــتّى الغِـــيَر
تصرَّفي كـــما تشـــائينَ ... ولا تعتَـــــذري
لمـــن أللنـــاسِ وهـــم ... حُثالـــةٌ في سَـــقَر
عبيـــدُ أُجـــدادِك مـــن رِقٍّ ... ومـــن مُســـتَأجَر

أمْ للقـــــوانين ومـــــا	جـــاءَتْ بغَـــير الهَـــذَر
تـــأمرُ بـــالمعروف والمنكَـــر	فـــــــوقَ المِنــــــبَر
شيء أبـــى المعـــروفِ في	شــــــويِّ أمُّ المنكـــــــر
أمْ للضــــميرِ والضــــميرُ	صُـــنعُ هـــذا الـــبَشَر
تَعِلَّـــــةٌ لصــــائمِ	فَطـــــيرةٌ لمُفطِـــــــر
لمـــــن أللتــــاريخ	وهـــو وفي يَـــدِ المُحَـــبِّر
مُســـخَّرٌ طَـــوْعَ بنـــانِ	الحــــاكم المُســـتَجِر
بـــدَرْهَمٍ تُقَلّـــبُ الحـــالَ	يَـــــدُ المُحـــــرِّر
قـــد تَقـــرأُ الاجيـــالَ في	دُفَـــةِ هـــذا المــحضَر
عـــن مِثـــلِ هـــذا الـــعَصْر أن	قـــد كـــان زيـــنَ الأعصُر
وأنّـــه مــــن ذَهَـــبِ	وأنّـــه مـــن جَـــوهر
أم للمقـــاييس اقتضـــاهنَّ	اخـــــتلافُ النَظَـــــر
إنَّ أخَــــا طَرْطَـــــرَ	مـن كـلِّ المقـاييس بَـري
أي طرطـرا إن كـانَ شَـعبٌ	أو خُلــــقٌ عَــــري
أو أجْمَـعَ الســتُ الملايــنُ	عــــلى التــــذمُّر
أو حَكَـــمَ النســـاءُ حُكــم	الغاصــــبِ المقتَــــدِر
أو صـــاحَ نَهبـــاً بـــالبلاد	بــــائعٌ ومشــــتري
أونُفِّـــذَ المرســـومُ في	محـــابِرِ وأســـطر
أو أُخِـــذَ الـــبريءُ بـــالمجرِم	أخــــذَ طرطــــري
أو دُفِــــع العــــراقُ	للــــذلِّ أو التــــدهورِ

فاحتكمي تحكَّمي ... وتُحمَدي وتؤجَري
أي طرطرا تطرطري ... وهلِّلي وكَبِّري
وطَبِّلي لكلِّ ما ... يُخزي الفتَى وزمِّري
وسَبِّحي بحمدِ مأمونٍ ... وشكرِ أبتَرَ
أعطي سماتِ فارعٍ ... شَمَردَلٍ لبُحتر
واغتَصِبي لضِفدِعٍ ... سماتِ ليثٍ قَسْور
وعَطِّري قاذورةً ... وبالمديح بَخِّري
وصيِّري من جُعَلٍ ... حديقةً من زَهَر
وشَبِّهي الظلامَ ظُلماً ... بالصبَاح المُسفِر
وألبسي الغبيَّ والأحمقَ ... ثَوبَ عبقري
وأُفرِغي على المخانيثِ ... دُروع عنتر
إن قيلَ إنَّ مجدَهمُ ... مزيَّفٌ فأنكِري
أو قيلَ إن بطشَهم ... من بَطْشة المستِعمر
وأنَّ هذا المستعيرَ ... صولةَ الغَضَنفرَ
أهونُ من ذبابةٍ ... في مستحَمٍّ قَذِر
فهي تطير حُرّةً ... جَناحُها لم يُعَر
وذاكَ لو لم يستعِرْ ... جناحَه لم يطر
فغالِطي وكابري ... وحَوِّري وزوِّري
أي طرطرا سِيري على ... نَهجِهِمُ والأثَر
واستَقْبلي يومَك من ... يومهمُ واستدبِري
واجمِعي أمرَكِ من ... أمِرهِمُ تَستكِثري

كُـــوني بُغاثـــاً وأســـلَمي   بـــالنفسِ ثـــم اســـتَنْسِري

إنْ طوَّلـــــوُا فطَـــــوِّلي   أو قصَّروا فــــــــقَصِّري

أو أجَرمُـــــوا فاعتـــــذري   أو أنـــــذروا فـــــبشِّري

أو خَبَطـــوا عشـــوا فقُـــولي   أيُّ نجـــــــمِ نَــــيِّرِ

أو ظَلَمــــــوا فـــــابرزي   الظُلْـــمْ بـــأبهَى الصُـــوَر

شَـــلَّتْ يَـــدُ المظلـــوم   لم يَجْــــن ولم يُعَـــزِّر

أو صَـــــــنَعوا مـــــا لم   يـــبرِّرْ منطـــقٌ فـــبرِّرِي

أي طرطـــــرا لا تنكـــــري   ذَنْبـــاً ولا تَسْـــتَغفِري

ولا تُغطِّـــــــى ســـــوءةً   بانـــــت ولا تَتَّـــزِري

ولا تـــغُضيِّ الطـــرفَ عـــن   فَـــرط الحيـــا والخَفـــر

كُـــوني عــــلى شــــاكلةِ   مـــن أمـــرهم تُـــؤَمَّري

كُـــوني عــــلى شــــاكلةِ   الـــوزيرِ بـــادي الخَطَـــر

أيْ طرطــــــرا كُـــــوني   عـــلى تاريخِـــك المحتُقَـــر

أحَـــرصَ مـــن صـــاحبة   النِحيْـــين أن تـــذكَّري

طّــــولي عــــلى كِسرى   ولا تُعَنـــي بتـــاج قَـــيصر

كـــوني عــــلى مافيـــك   مـــن مســـاوئِ لم تُحصَرِ

كـــوني عـــلى الأضـــداد في   تكوينــــك المُبعثـــــرِ

شـــامخةً شـــموخَ قَـــرن   الثـــورَ بـــين البَقـــرِ

أيْ طرطـــــرا أُقســـــم   بالســـــويكةِ المشـــهَّر

والخَـــــرزِ المعَقـــــود في   الـــبطن فوَيـــق المشـــعر

بوجهـــــكِ المعتكـــــر وثَغِـــــرك المنـــــوَّرِ
وعينِــك الحمــراءِ ترمِــي حاســـــداً بــــالشَّررَ
وصـــنوك الثــور يُثــار غيظُـــــه بــــالأحمر
أقســـم بالكــــافور لا أقصِـــدُ شَـــتم العَنْـــبر
فـــوقَ جميـــع الـــبشَرَ فـــوق القضَـــا والقَـــدرَ
أي طُرطـــرا يالَـــك مِـــن قُـــــبرَّة بمَعَمـــــــر
خـــلا لـــكِ الجـــوُّ وقـــد طـاب فبـيضي واصـفِري
ونقِّـــري مـــن بَعـــدِهم مـــا شــئت أن تُنَقِّـــري
قـــد غَفَـــل الصـــيّادُ في لنـــدنَ عنـــك فـــأبشِري

إليها

تَهَضَّـــمَني قـــدُّكِ الأهيـــفُ وألهَبَنـــي حُســـنك المُـــترَفُ
وضـــايَقَني أنَّ ذاك المِشّـــدَ يضـيقُ بــه خَصرُكَ المُرهَــف
وقـد جُـنَّ وركُـكِ مـن غَيظِـه سَـمينٌ يُناهِضُـه أعجَــف
فـداءٌ لعَينَيـك كـلُّ العيـون أخـــالَط جفنـــيهما قرْقـــفَ
كـــأني أرى القُبـــلَ العابثـــاتِ مـــن بـــينِ مـــوقَيهما تَنْطِــف
ورعشـــةَ أهـــدابك المـــثقلاتِ عـلى فـرْط مـا حُمِّلـت تَحْلـف
كما الليلُ صَبَّ السَوادَ المُخيفَ صَـبَّ الهوى شعرُك الأغـدَف
تَلَبّـــدَ مثـــلَ ظَليـــلِ الغـــمام وراحـــتْ بـــه غُمـــمٌ تُكْشَـــف
أطـــار الغـــرورَ نثـــيرُ الجـــديلِ عـــلى دَورة البـــدر إذ يُعقـــفَ
وراحَ الحُـــلِّي عـــلى المِعصـــمَين بأعـــذبَ ألحانـــه يعـــزِف

وأوشكَ هذا النسيجُ اللصيقُ بنَهديك من فرْحةٍ يهتف
وكاد يُذيعُ حديث الجنانِ وأسرارَ كوثرِه المُطرّف
مُنى النفسِ إنَّ المنى ترتَمي على قَدَمَيكِ وتَستعطِف
وطوعَ يَدَيك كما تَشْتَهين حياةٌ تَجَدَّدُ أو تتْلف
مُنى النفسِ إنّ على وَجنَتيكِ من رَغبةٍ ظُللاً تزحف
تَعالي نَصنْ مقلةً يرتمي بها شرَرٌ وفماً يَرجِف
ونُطاقْ من الأسر رُوحاً تجيشُ في قفصٍ من دمٍ ترسِف
تعالي أُذقكِ فكلُّ الثمار تَرفُّ ونوارُها يقطَف
صِراعٌ يطولُ فكمْ تهدفين إلى الروح مني وكم أهدِف
إلى الجسم مِنكِ وكم تَعرِفين أين المَحزُّ وكم أعرِف
وما بينَ هذينِ يمشي الزمانُ ويُفنى مُلوكاً ويستخلف
أميلي بصدركِ نَبعَ الحياةِ وخلِّي فماً ظامئاً يرشَف
وميطي الرِداء عن البُرعُمَينِ يَفضْ عَسلٌ منهما يرعُف
ومُرِّي بكفي تَشُقُّ الطريقَ لعاصفةٍ بهما تعصِف
أميلي فيَنبوعُ هذا الجمالِ إلى أمدٍ ثم يُستنزَف
وهذا الشبابُ الطليقُ العنان سيُكْبحُ منه ويُستوقف
أميلي فسيفُ غدٍ مُصلَتٌ علينا وسمعُ القَضا مرهَف
عِدي ثمَّ لا تُخلِفي فالحِمام صُنوك في العنفِ لا يُخلف
خَبَرتُ العنيفَ من الطارئات ما يَستميلُ وما يقصِف
وذُقتُ من الغِيد شرَّ السُموم طعْماً يميتُ ويُستلطَف

وخضتُ من الحبِّ لُجِّيه ... على متن جنية أُقذَف
فلا والهوى ما استَفزَّ الفؤادَ ... ألطفُ منكِ ولا أعنف

***

ذكرى وعد بلفور

خذي مَسعاكِ مُثخنةَ الجِراحِ ... ونامي فوقَ داميةِ الصِفاحِ
ومُدِّي بالمماتِ إلى حياةٍ ... تسَرُّ وبالعَناءِ إلى ارتياحِ
وقرّي فوقَ جمرِكِ أو تُرَدِّي ... من العُقبى إلى أمرٍ صُراحِ
وقُولي قد صَبْرتُ على اغتباقٍ ... فماذا لو صَبرتُ على اصطباحِ
فإنَّ أمرَّ ما أدْمى كِفاحاً ... طُعونُ الخائفِينَ من النجاحِ
فكُوني في ساحِكِ بالضحايا ... كعهدكِ في ساحِكِ بالأضاحي
فإن الحقَّ يقطُرُ جانباه ... دَماً.. صِنوُ المروُءةِ والسماحِ
وتأريخُ الشُعوبِ إذا تبَنّى ... دمَ الأحرارِ لا يمحوهُ ماحي
فِلَسْطينُ سَلامُ اللهِ يَسري ... على تلك المشارِفِ والبطاحِ
رأيتكِ مِن خِلال الفَجرِ يُلقي ... على خُضر الرُّبى أحلى وِشاحِ
أطَلَّ النَسرُ مُنتصِباً عليهِ ... فهبَّ الديكُ يُنذِرُ بالصياحِ
يؤوبُ الليلُ منه إلى جَناحٍ ... وتبدو الشمسُ منه على جَناحِ
وعَينُ الفجرِ تَذري الدمعَ طَلاًّ ... وتَمسَحُه بمنديل الصباحِ
وأنفاسُ المروج معطَّراتٌ ... بأنفاسِ الرُعاة إلى المراحِ
لَمستُ الوحيَ في لَحنِ المثاني ... وشِمتُ الحزنَ في وقْعِ المساحي
وغَنّى أُورْشَليمَ يُعيدُ لحناً ... لداود هزارٌ بالصّداحِ

وحـولي مـن شـبابِكِ أيُّ روضٍ ... يـنمُّ حديثـه بشـذا الأقـاح
وألطـافٍ كأنفُسـهم عِـذابٍ ... وأسـمارٍ.. كـأوجُهِهمْ صِباح
سـلاماً للعُكُوفِ على التياحي ... وشـوقاً للظِماء إلى ارتياحي
وحُزنـاً أنْ يجُرَّ الـدهرُ حزنـاً ... عـلى تلك الغَطارفـةِ الوضاح
أأمّ القـدْسِ والتـاريخُ دامٍ ... ويومُكِ مثلُ أمسِكِ في الكفاح
ومَهدُكِ وهو مهبِطُ كلِّ وحيٍ ... كنعشكِ وهو مُشتَجرُ الرِماح
و«وادي التِيهِ» إنْ لم يأوِ «موسى» ... فقد آوى الصليب على «صلاح»
وذكرى «بختَ نُصَّر» في الفيافي ... يُجدِّدُها «أِلنبي» في الضواحي
فـلا تَتَخبَّطـى فالليـلُ داجٍ ... وإنْ لم يَبقَ بدٌّ من صباح
شَدَدْتِ عرى نِطاقِكِ فاستمِري ... ولا يثقلْ عليكِ فتستباحي
ولا تُغْنـيْ بنـا إنـا بُكـاةٌ ... نَمدُّكِ بالعويل وبالصياح
ولا تُغْنـيْ بِنـا فالفِعـلُ جَـوٌّ ... مَغِيمٌ عِندَنا والقولُ صاح
ولـن تَجِـدي كإيانـا نصـيراً ... يَدُقُّ من الأسى راحاً براح
ولا قومـاً يـرُدُّون الـدّواهي ... وقد خَرِستْ بألسْنةٍ فصاح
أعِيْذُكِ من مَصيرٍ نحنُ فيه ... لقد عُوِّذتِ من أَجَلٍ متاح
ووضـعِ أمسِ كُلهمُ لـواهٍ ... بـه واليوم كلُهم لواحي
تَنَصـلَ منـه زُوراً صـانِعوهُ ... كمولـودٍ تحـدَّرَ من سِفاح
وذمُّـوا أنَّهـم كـانوا عُكوفـاً ... عليـهِ في الغدُوِّ وفي الرواح
وتـاريخ أُريـدَ لنـا ارتجـالاً ... فـآبَ كـما أريدَ إلى افتضاح
شَـحَنا دفَتيـهِ بمُغمَضـاتٍ ... كأحداقِ المها مرضى صحاح

وغَلَّفْنـــا مظـــاهرهُ حِســـاناً مزخرفـةً عــلى صُــوَرٍ قِبــاح
وسُــقْنا النــاسَ مُكْرهــةً عليــه عــلى يــدِ نــاعمينَ بــه وَقــاح
ونَصَّـــبْنا مرَوِّضـــةً غِلاظـــاً على مـا في الطبـائعِ مـنْ جِمـاح
وأحْلَلْنـاه وهـو ضريـحُ شـعبٍ محـلَّ الـوَحي جـاءَ مـن الضُّراح
نجرِّعُـــهُ ذُعافـــاً ثـــم نُضْـــفي عليـهِ محاسِــنَ الشَّــبم القَــراح
ورُبّـةَ « صـفقةٍ » عُقـدَت فكانـت كتحـــريم الطـلاقِ عـلى نِكـاح
تُــدبَّرُ في العواصِــم مــن مُريْــبٍ خبيـثِ الـذكر مَطعـونِ النـواحي
تفــوحُ الخمــر منهــا في اختْتــام ويبــدُو التــبر منهــا في افْتتــاح
ويُسْــفرُ نَصُّــها المُســوَدّ خزيــاً ومَظلمــةً عــن الغِيــد المــلاح
وتصريـــحٍ يُمِطّطـــه قـــويّ كَلَـوْحِ الطّـينِ إذ يـدحوه داحــي
وحلـفٍ لسـتُ أدري مِـن ذُهـولٍ أعـــن جِـــدٍّ يــدَبرُ أم مـــزاح
لنـــا حـــقٌ يُرجَّـــى بـــالتماسٍ وبـــاطِلُهمْ ينفّـــذٌ بالســـلاح
ولســتُ بعــارِفٍ أبــداً حليفــاً يهـــدِّدُه حليـــفٌ باكتســـاح
فلســـطينُ تَـــوَّقيْ أنْ تكـــوني كـــما كُنــا بمدرجَـةِ الريــاح
وأنْ تضَــعي أمــورَكِ في نِصــابٍ يــوَّفر أو يطَفّــفُ بــاجتراح
وهـــابي أن تُمَـــدَّ إليــكِ مِنــا يــدُ المتضــارِبين عــلى القــداح
فكــم هــاوٍ أجـدَّ لنـا جُروحـاً بـــدعوى أنـــه آسي جـــراح
وأُصـدِقكِ الحـديثَ فكـم حُلـولٍ حـــرامٍ.. لُحِـــنَ في زِيٍّ مُبـــاح
نُطَــوِّفُ مــا نُطَـوِّفُ ثـم نـأوي إلى بيــتٍ أُقــيمَ عــلى اقــتراح
يُخـرِجُ ألـفَ وجـه مـنْ حـديثٍ ويَخْلـقُ ألـفَ معنـىً لاصـطلاح

***

ذكرى أبو التمن

طالَتْ – ولو قَصُرَت يدُ الأعمارِ – لرَمتْ سواكَ عَظُمْتَ مِنْ مُختارِ
من صفوةٍ لو قيلَ أيٌّ فَذُّهُمْ لم تَعْدُ شخْصَكَ أعينُ النُّظَّار
لكن أرادتْ أن تحوزَ لنفسها عَينَ القلادةِ فازدَرَتْ بنُثار
وأرى المنايا بالذي تختارُهُ للموتِ عاطلةٌ وذاتَ سوار
فطوَتكَ في دَرْجِ الخُلودِ فعطَّرتْ بك سالفَ الأحقابِ والآثار
واستنزلَتْكَ لغُربةٍ ولأنتَ مِن عَلياك في لَجَبٍ من الأنصار
وتجاهَلتْ أنَّ البلادَ بحاجةٍ لكَ حاجةَ الأعمى إلى الإبصار
مدَّتْ من الأُخرى إليك معاصمٌ من رفقةٍ لك قادةٍ أبرار
خُلصاءِ سَعيِكَ في الجْهاد وإخوةٍ لكَ في الوفاءِ المحضِ والإيثار
ورفاقُ هذي الدار فيما أسلَفوا للكاتِبَينِ رفاقُ تلكَ الدار
بَكَرَ النَّعِيُّ فما سَمعتُ بمِثْلها عِبئاً على الأسماعِ والأبصارِ
رَمتِ العَمايات العيونَ وصَكَّتِ الأسماعَ صافرةٌ من الإنذار
وترنَّحَ الأحرارُ يؤذِنُ بَعضُهُمْ بعضاً بفقدِهُم أبا الأحرار
لله درُّكَ من نقيٍّ لم يَنَلْ أذيالَهُ وَضَرٌ مِن الأوضار
في حيثُ تزدحِمُ الشكوكُ وترتَمي شُبُهاتُها حتى على الأخيار
خاضَ السياسةَ وانجلى عن لُجَّها ألِقَ الجبينِ مكلّلاً بالغار
في حينَ رامَ سِواه خوضَ عُبابها فطغى عليه فضاعَ في التَّيار
وصليبُ عُودٍ حينَ بعضُ مُرونةٍ في ضَعفها خطرٌ مِن الأخطار
وطَريٌّ نفسٍ حينَ بعضُ صلابةٍ في عُقمها حجرٌ من الأحجار

وخَفيٌّ كيدٍ حيث يسمو كائدٌ ... ومن المكايدِ جالبٌ للعار
وصريحُ رأيٍ لم يَحِد عن خُطَّةٍ ... ليلوذَ من تأويلها بجِدار
حَرْبٌ على مُستعمرٍ وربيبِهِ ... ومُسالمٍ مُستَعْمراً ومُجاري
أعزِزْ عليَّ أبا عزيزٍ أنْ أرى ... حُضّارَ حفلِكَ زائغي الأبصارِ
خَلَتِ المحافلُ من عُلاك وأوحشتْ ... من بَعد وجهِكَ ندَوةُ السُمّار
وتَعرَّتِ الأنظارُ عن مُستَشرفٍ ... بادي السَّنا.. عالٍ على الأنظار
ولقد يَعزُّ عليكَ أنَّكَ لا ترى ... في « الأرْبِعاء » مواكبَ الزُّوّار
أأبا عزيزٍ كنتَ تُذكي جذوتي ... ويَلذُّ سَمْعُك مَنطقي وحواري
غوْثَ الصريخِ أتتك تُعوِلُ حُرَّةٌ ... حّراءُ صارخةٌ من الأشعار
هَيَّجتَ مني أيَّ داءٍ كامنٍ ... وقدحتَ مني أيّ زَندٍ واري
قَسَماً بيومِكَ والفُراتِ الجْاري ... والثورةِ الحمراء والثوّار
والأرضِ بالدَّمِ ترتوي عن دِمْنَةٍ ... وتَمُجّهُ عن روضةٍ مِعطار
والخيلِ تَزحفُ لم تَدَعْ لُمغيرها ... جثثٌ تغَطي الأرضَ أيَّ مُغار
قَسَماً بتلكَ العاطفاتِ ولم تكُنْ ... لي قبلَها من حِلْفةٍ بالنار
إنَّ الذينَ عهِدتَهُم حطَبَ الوغى ... لولاهم لم تشتعل بأوار
واللّاقِحينَ نَتاجَها بأعزِّ ما ملَكَتْ ... يمينٌ من حِمىً وذمار
والداهناتِ دماؤُهم لِمَ الثَّرى ... والمُؤنساتِ شواطئَ الأنهار
والناحرينَ منَ الضَّحايا خيرَ ما ... حَمَلت بُطونُ حرائرٍ أطهار
ما إنْ تزالُ حقوقُهُمْ كذَويهِمُ ... في القفَر سارحةً معَ الأبقار
وأعزُّ ما تبغي الحلائلُ مِنهمُ ... أنْ تُسترَ العوراتُ بالأطمار
خمسٌ وعشرونَ انقضَتْ وكأنَّها ... بشخُوصِها خبرٌ منَ الأخبارِ

ضِقنا بها ضيقَ السجينِ بقيدِهِ ... من فرْطِ ما حَمَلَتْ من الأوزار
وتَجَهَّمتْ فيها السماءُ فلم تَجُدْ ... للخابطينَ بكوكبٍ سيّار
شاخَ الشبابُ الطّيبون وجُدّدتْ ... فيها شَبيبةُ شِيخةٍ أشرار
وبدا على وَجهِ الحفيدِ وجدِّه ... للناظرينَ تقارُبُ الأعمار
من كان يحسَبُ أنْ يُمَدَّ بعُمره ... حُكْمٌ أقيمَ على أساسٍ هاري
ومَن الفظاعةِ أنْ تُريدَ رَعيَّةٌ ... في ظِلِّ دُستورٍ لها وشِعار
ما يَطلُبُ المأسورُ من يدِ آسرٍ ... إسداءَ عارفةٍ وفكَّ إسار
وروايةٍ حبَكَ الزَّمانُ فُصولَهَا ... فبَدَتْ لنا ممسوخةَ الأدوار
من شرّ ما اختلقَ الرُّواةُ وَلفَّقتْ ... جِيلٌ وضمَّتْ دَفَّةُ الأسفار
وممثلينَ تصنّعاً ووراءَهمْ ... خَلْفَ السِتار مُلَقِّنٌ مُتواري
ومفَرِقينَ مَذاهباً وعناصراً ... مُتكَفِّلينَ سياسةَ استعمار
نزلوا على حُكم الغريبِ وعَرَّسوا ... في ظِلِّ مأْثَمةٍ له وفَجار
وتحلَّبوا أوطارَهُ فإذا بها ... وَشَلٌ لِما استحلى من الأوطار
واستفرَشَ الشعْبُ الثرى ودُروبهُمْ ... مملوءةٌ بنُثارةِ الأزهار
وتحَلأَ الجَمعُ الظِماءُ ووُكِّلَتْ ... أبناؤهم بالوِرد والإصدار
ذُعِر الجْنوبُ فقيلَ كيدُ خوارجٍ ... وشكا الشَّمالُ فقيلَ : صنْعُ جِوار
وتنابزَ الوَسطُ المُدِلُّ فلم يَدَعْ ... بعضٌ لبعضٍ ظِنّةً لفَخار
ودعا فريقٌ أنْ تسودَ عَدالةٌ ... فرمُوا بكلِّ شنيعةٍ وشَنار
ومشَى المغيثُ على الجياع يَقوتهُمْ ... وعلى العُراةِ بجحفلٍ جرّار
وتساءلَ المتَعَجِّبونَ لحالةٍ ... نكراءَ مَنْ هُم أهلُ هذي الدار

هِيَ للصحابةِ مِن بَني الأنصار ... من كلِّ بدريٍّ وكلّ حَواري
للحاكمينَ بأمرِهم عن غَيرِهم ... ولصَفْوةِ الأسباطِ والأصهار
من كلِّ غازٍ شامخٍ في صدره ... زاهي الوسامِ.. مدَّوخ الأمصار
هيَ للذينَ لو امتحنتَ بلاءهم ... لعجِبتَ من سُخْريّةِ الأقدار
هي للذي من كلِّ ما يَصِمُ الفتى ... كاسٍ ومن جُهْدٍ يُشرّفُ عاري
ومُسلَّطٍ لُمسَلَّطينَ مشتْ به ... الأهواءُ مِشيةَ مُثقَلٍ بخُمار
نَسِيَ المُعيرَ ولو تذكَّرَ لانثنى ... خَزْيانَ من ثوبٍ عليه مُعار
كم رامَ غيرُكَ مِثلَها فأحلّهُ ... نَزَقُ الغُرور بشَرِّ دارٍ بوار
بل لو تذكّرَ لم يجدْ لضميرِهِ ... ومصيرِهِ عَوناً من التّذكار
لم يبقَ إلا أنْ تُتَمّمَ خطوةٌ ... ويظَلَّ يَلعبُ لاعبٌ بالنار
فلَرُبَّما نفتِ الشَّكاةَ وقرَّبتْ ... يومَ الخلاصِ سياسةُ الإصرار
أأبا عزيزٍ والحديثُ كما رَوَوا ... شَجَنٌ ومُرُّ القول عذْبٌ جاري
ومن العواطفِ ما يثورُ ويَغتلي ... مثلَ الجحيم ويرتمي بشِرار
عَفْواً وإنْ شطَّ المَدى عن غايتي ... ونبَتْ جيادُ الشعر عن مِضماري
فلقد تَحَشَّدَتِ البواعثُ واشتكَتْ ... صَمْتَ القريض لِفَحْلِهِ الهدّار
ولقد عَهِدْتُكَ بالبلاد وأهلِها ... جَمَّ الشُجونِ مُوزَّعَ الأفكار
ووجدتُ قَدْحَ الذكريات شجيَّةً ... بَرْداً لأفئدةٍ عليك حِرار
وعَرَفتُ أشجاناً يثيرُكَ بَعْثُها ... فأثَرْتُهُنَّ فطِرْنَ كُلَّ مطار
إيهٍ شبابَ الرافدين ومَنْ بهم ... يرجو العراقُ تَبَلّجَ الأسحار
الحامِلينَ مِنَ الفوادحِ ثِقْلَها ... ليسوا بأنكاسٍ ولا أغمار
والذّائِدينَ عن الحياض إذا انتحَتْ ... كُرَبٌ ولاذَ مُكابرٌ بفِرار

والباذلينَ عنِ الكرامة- أُرخصَتْ ... أغلَى المُهورِ.. وأفدحَ الأسعار

الفَقْرَ إذ طُرقُ الغِنى مفتوحةٌ ... والبؤسَ إذ غَدقُ النعيم جواري

ومؤَجِّجينَ نفوسَهمْ وقُلوبَهمْ ... شُعَلاً يسيرُ على هُداها الساري

والحابسينَ زئيرَهم بصدورهم ... فإذا انفجرنَ بهِ فأيُّ ضواري

والقانعينَ منَ الحياة رخيَّةً ... بلُماظَةٍ.. ومنَ الكَرى بغِرار

والمغرِياتُ مراوداتٌ ترتجي ... وتَخيبُ من عُونٍ ومن أبكار

يرثون للمتفيئين ظلالها ... علما بما شريت به من عار

لا تيأسوا أنْ يَلُحْ من ليلةٍ ... فجرٌ.. ولم تؤذِنْ بضوءِ نهار

فلئِنْ صَليتمْ مِن هَناةٍ جَمْرها ... ومشَيْتُمُ منهنَّ فوق شِفار

فطِوالُ مُحْرِجةِ الأمور وإنْ قَسَتْ ... في شِرعةِ التأريخ جِدُّ قِصار

لا بُدَّ أنْ يَثِبَ الزَّمانُ.. وينثني ... حُكمُ الطُغاةِ مُقَلَّمَ الأظفار

وتُجَدِّدَ الأيام عَهْدَ وصالِها ... مِن بَعدِ إعراضٍ لها ونِفار

فهُناك سوفَ يكونُ من زَهَراتِكم ... أصفى معارِفها وأطيبُ جار

وهناكَ سوفَ يَرى الغَنيمةَ معشرٌ ... أنْ يُمْسِكُوا من خَلْفِكُمْ بغُبار

فحَذارِ من عُقبى القُنوطِ حذارِ ... وبِدارِ للعهدِ الجديدِ بِدارِ

****

دجلة في الخريف..

بكَرَ « الخريفُ » فراح يُوعِدهُ ... أنْ سوفَ يُزْبِدُهُ ويرْعِدُهُ

وبَدَتْ منَ الأرماث.. عائمةً ... فيه طلائعُ ما يُجَنّدُه

وكأنَّ.. من زَبدِ الرِّمال على ... أمواجه طِفْلاً يُهَدْهِده

واستثقلَ النوتيُّ مِجْذَفَه ... بَرِماً بمِقبَضِه يُجدِّده
وتحفَّزَتْ شُمُّ الجبال له ... بثُلوجها كِسَفاً تُهدِّده
ظلّتْ تَعُدُّ خُطاه تَرقبُه ... في الصيفِ مزدهراً وتحسُده
جَرداءُ.. وهو يَضِجُّ مَلْعَبُه ... ظَلْماءُ وهو يُشَبُّ موقِده
خرَساءُ.. والأنغامُ ترقصه ... وكأنَّها بالموج ترفِده
تَتَعَثَّرُ الأجيالُ خالدةً ... فيها .. ويَحضُنها مُخَلَّده
« داودُ » بالمزمارِ يوقِظه ... ويُنيمه بالعود « معبده »
والهِيمُ تخزُنه وتنهبه ... والغِيدُ تُنزله وتصعِده
ألْقتْ إليه من مفاتِنِها ... ما ليسَ إلاَّ اللهُ يَشهَده
ورمتْ له يقظانَ من مُتَعٍ ... ما نحنُ في الأحلامِ نَنشُده
والنجمُ حارسُها وحارسُه ... والظلُّ موعدُها وموعده
الآنَ أُدْرِكُ سِرَّ زَفرتِهِ ... إذ لم يَعُدْ سِرّاً تَجَلّده
فَلفَقدِه نَفساً تَنَفُّسُهُ ... ولذِكره نهداً تَنَهُّده
يتَعقَّبُ المسكينُ موجَتَهُ ... عَبَثاً بمَوْجتِهِ وتطْرُده
لم يدْرِ حتى الآنَ شِيمتَه ... حسِبَ الهوى نَغَماً يردِّده
أمسِ استطابتْ فيه مَقصِدَها ... واليومَ أهونُ منه مَقصِده
لو يستطيعُ لرَدَّ خُضرتَهُ ... وبرغْمِ سَفحَيهِ تورَّده
وبرغْمِهِ أنْ حبَّ خابطُهُ ... للزارعينَ وذَمَّ مورده
ماسرَّهُ « والبِيضُ » تُنْكرُهُ ... أنَّ المراعي الخُضْرَ تحْمَده
فالذكرَياتُ الغُرُّ يَشهدُها ... رقراقُهُ الصافي وتَشْهَده
مُتطامنٌ لم تُخْشَ صَولته ... لكن تَضيقُ بصائلٍ يده

فمِـــنَ الشَّـــمالِ يـــدٌ وتُنْهِضُـــهُ ومـــنَ الجَنـــوبِ يـــدٌ وتُقْعِـــده

كالنّـــاسِ للحُفـــراتِ مَرجِعُـــه ومِـــنَ النّطـــافِ النـــزْرِ مولِـــده

وخُضـــوعُهُ كخُضـــوعهمْ أبـــداً للغيـــبِ أنـــى ســـارَ يقصـــده

والفَصـــلُ دونَ الفصـــلِ يُنْعِشُـــهُ والأرضُ دون الأرض تُســـعِده

لَغِـــبٌ فـــلا الإِمســـاءُ يُوسِـــعُهُ عَطْفـــاً.. ولا الإِصـــباحُ يُنجِـــده

الـــنجمُ أعمـــى لا يرافِقُـــهُ والطـــيرُ أخـــرَسُ لا يغـــرِّده

مُتحَـــيرٌ لا يســـتَحِمُّ بـــهِ فلَـــكٌ ولا الأضـــواءُ ترشِـــده

وكـــأنَّ مُحتشَـــدَ الضَّـــبابِ بـــهِ بـــابٌ بوجـــهِ الشُـــهْبِ يوصِـــده

والشَّـــمسُ فـــاترةٌ تـــذَكّرُهُ وضَـــحَ السَّـــنا أيّـــامَ تُوقِـــده

أيّـــامَ تـــنفخُ في قرارتـــهِ مـــن رُوحهـــا نَفَســـاً تُجَـــدِّده

والغـــيمِ يحلـــفُ لا يبارحهـــا والـــريحِ تحلـــفُ لا تبـــدده

والبـــدرُ .. حتـــى البـــدرُ يُوحشـــه في يـــومِ محنتـــهِ ويُفـــرده

هـــذا الـــذي مـــا كـــانَ مِـــثلَهما للصـــيفِ مـــن مَثـــلٍ يُخَلّـــده

كانـــا يرُبّـــانِ الغـــرامَ معـــاً ذا يَصْـــطَفيهِ.. وذا يهدْهـــده

لم يبـــقَ مـــن هَـــرَجِ الربيـــعِ بـــهِ إلا الـــذي قـــد فـــاتَ أجـــوده

ومـــن العـــريشِ عـــلى شـــواطئه إلاّ خُشَـــيبات تحـــدِّده

ركـــبٌ تحمـــلَ عنـــه ناشـــطهُ وأقـــام عـــاجزُه ومقعـــده

والســـامرُونَ انفـــضَّ عُرْسُـــهُمُ لا جِـــدُّهُ أغنـــى.. ولا دَده

حجَـــلَ الغُـــرابُ عـــلى مواقِـــدهمْ وعـــلى الرَّمـــادِ بهـــا يُلَبِّـــده

ومـــنَ الحَـــمامِ أظَلّـــهُ زَجِـــلٌ كَلِـــفٌ بلحـــنِ الصّـــيفِ يُنْشِـــده

ضَـــنْكُ المَســـفّةِ يَـــدّني عَطَشـــاً وتَمَـــوُّجُ الآذيِّ يبعـــده

مُتَسـائلاً لمَ حـالَ رَيِّقُـهُ عـن حُـرِّ لـونٍ كـان يعهـده
وعلى الضِّفافِ.. البطُّ مُنكمِشٌ لاهٍ بـذاوي النبـتِ يعضِـده
شَـعْثُ النَّسيلِ.. كـأنَّ عابثـةً مجنونـةً راحـتْ تبـدِّده
مـا الصَّيفُ سـبّطَ مـن جَدائِلِـه جـاءَ الخريـفُ لـه يجَعِّـده
بـادي الخُمـولِ يـؤودُه عُنـقٌ في أمـس.. مـن زهـوٍ.. يُمـدِّده
وكأنّـه.. إذ خيـفَ مسـبحُه مترِّهـبُ قـد سـدَّ مَعْبـده
أتـرى يعـودُ غـداً لمَلعَبـهِ أمْ لا يعـودُ كأمسـه غـده
وتهضـمَ النـوتيُّ زورقـه بالقـار.. بعـد الغِيد.. يَحشُـده
يقتـاتُ مـن كسَرٍ يُثبِّتهـا في اللـوح.. أو حَبـلٍ يمَسّـده
لم أدْرِ لـو لم تُنبِنـي سُرُجٌ في شـاطئيه .. أيـنَ مرقـده
ومَضَـتْ .. فقلـتُ : النّومُ أعورَه وجُفونـه.. رُمـداً.. تُسَـهِّده
وخَبَتْ .. فقلتُ : غفا.. وإنَّ صَدىً في السَّـمْعِ مـن زَفْـرٍ يُصَـعِّده
وكـأنَّ تابوتـاً يعِـدُّ لـهُ مَلاَّحُـه فـيها يُنَضِّـده
وحسـبتُ مزمـاراً يشَـيِّعُه للقـبرِ.. مسـماراً يشَـدده
وتجـاوُبَ الأجْـراءِ قافيـةً سـمحاءَ باكيـةً تُمَجّـده
يـا صـامتاً عِيـاً.. ومَنطِقُـهُ مُتَفَجِّـرُ اليَنْبـوع سَرْمـده
تَهفـو فرائـدُ عِقـدِهِ جَزَعـاً ممـا بهـا.. وتهـيمُ شُرَّده
وتُثـيرُ فيـه الـذكرياتُ شـبحاً يَعيـا بـه فيخُـورُ أيّـده
ومُـوَكَّلاً بالـدَّهر يَزرعُـهُ في شـاطئيه ثـمَّ يحصُـده
يـا شَـطُّ.. أنـتَ أعـزُّ مُنقَلباً في النـاطقينَ بـها تخَلّـده
وكـذا الطبيعـةُ في عناصرهـا جِـنٌّ حَبـيسُ الـرُّوحِ مجهَـده
نَرتـادُ جامـدَها نفَجّـرُ، وعقـيمَ غامضـها نُوَلّـده

فلعـــلَّ ذا.. ولعَلّهـــا لغـــةٌ — مـــن غـــيرِ مـــا جـرْسٍ نعــوَّده
ولـــربَّما ضَـــحِكتْ بســـائطُها — هُـــزْءاً بنـــا ممّـــا نعقّـــده

***

الجيل الجَديد

يـــا أيُّهـــا الجيـــلُ الجديـــدُ ســـلامُ — ألقـــت إليـــك بِثْقلِهـــا الأعـــوامُ
ورمَـــت بكلكلِهـــا عليـــك فـــوادحٌ — ممـــا تجنّـــى «الســـادرون» جســـام
ألْقَـــت إليـــك وأنـــتَ أشرفُ نـــاهضٍ — ثقلَـــــيها الآمـــــال والآلام
فرمـــى لـــكَ المـــاضي الألـــيم بِـــوزْرِهِ — ورنـــا لـــكَ المســـتَقبلُ البســـام
والحـــاضرُ المـــرتجّ بيـــنهما شـــجاً — وتطُّلعـــاً تهفـــو بـــه الأحـــلام
ألقى إليك« الخائنون» نَتاجَ ما سـدروا — وشــــطوا وارتَعَـــوْا وأســـاموا
والمخلصـــون.. رجـــاؤهم أن تـــنجلي — كُـــرَبٌ وأن يِلـــد الصـــباحَ ظـــلام
ياأيُّهـــا الجيـــلُ الجديـــدُ وطالمـــا — لصـــقت بغـــير ذواتِهـــا الأعـــلام
ولطالمـــا اشـــتطّ الطغـــاةُ وأرجفـــوا — للمصـــلحين وأقعـــدوا وأقـــاموا
سَـــمَّوكَ « هـــدّاماً » لأنـــكَ تجْتَـــوي — مـــا البغـــيُ سَـــنَّ ومـــا جنـــى الإِجـــرام
ولأنـــك اســـتمت العدالـــةَ خطـــةً — مـــن في يديـــه الـــنقضُ والإِبـــرام
وغضِـــبت أن تجـــدَ الرعايـــا مَغْـــنَماً — بيـــدِ الرُّعـــاة كـــأنهم أنعـــام
وشـــجبت أنّ الحكـــم في قاموسِـــهِم — ســـوطٌ يشـــدُّ وشـــهوة وعُـــرام
هـــوّنْ عليـــكَ فكـــلُّ ذلـــكَ فِريـــةٌ — تَفْنـــى ويَبْقـــى الســـعي والإِقْـــدام
وكـــذاك كـــلُّ « مخـــرّبٍ » لرذيلـــة — بـــانٍ وكـــلُّ « مُعَمِّـــرٍ » هـــدّام

***

إلى الوفد الرياضي الإيراني ..

أهلاً بكُمْ رمزَ الشباب ومرحب — المُطلعين من « الفُتوة » كوكبا
الحاملينَ من « النضال » لواءه — والناهجِينَ به الطريقَ الألحبا
والناشرينَ من الأخوة مذهباً — هو خيرُ ما ارتَضتِ الشرائع مذهبا
يا من أُعينَ « قديمنُا » بقديمهم — و« حديُثنا » بحديثهم فتأشَّبا
وتَسلْسَلَ التاريخُ فيما بيننا — متقاسمينَ « أمَّره » و « الأعذبا »
إنا وأنتُمْ – والتوجُع واحد – — لَيَزيدُنا المستعمرون تقرُّبا
لَيَزيدنا الألمُ الدفينُ تماسكاً — ليزيدُنا صَهرُ الخطوبِ تَصَلُّبا

***

أرج الشباب

أرجُ الشبابِ وخمرُه المسكوبُ — لَيفوحُ من أردانِكُمْ ويطيبُ
ومنَ الربيعِ نضارةٌ بوجوهكم — تَنْدىَ ومن شهدِ الحياةِ ضريب
ومنَ الفُتوّةِ سَلْسَلٌ متحدرٌ — مما يفيضُ يكادُ يُترَعُ كوب
وَلأنتُمُ إن غاب نجمٌ يُقتدى — أو حُمَّ خَطبٌ حالِكٌ غِرْبيب
وتأزمت كُرَبٌ وضاقت خطّةٌ — واستوحشتْ طرقٌ لنا ودُروب
سُرُجٌ تنير الخابطين وأنْجُمٌ — نغدو على أضوائها وَنَؤُوب
تتجهّمُ الدُّنيا ويعبسُ باسمٌ — منها ويعتورُ الحياةَ قُطُوب
حتى إذا ابتسمَ « الشبابُ » تذوَّبَتْ — كالغيمِ في الصّحوِ الجميلِ يذوب
يا عاكفينَ على « الدُّروس » كأنَّهُم — غُلْبُ الصُّقورِ من الظَماء تلوب

والعـــازفين عـــن اللذائـــذِ همُّهـــمْ ... « جَـرَسٌ » يُـدقُّ ومِنـبرٌ وخطيـب

والمســتقين مــن الضــمير يمــدهم ... نبـــعٌ وواد بالضـــمير خصـــيب

تركــوا مواعيــدَ الحِســانِ وعنــدَهُم ... بـــين المقاعـــدِ مَوْعـــدٌ مَضروب

أشــهى مــن الوجــهِ الجميــلِ إلــيهمُ ... وجــهُ « الكتــابِ » وَوُدُّهُ المخطـوب

إن العـــراقَ بـــلا نصـــيرٍ مـــنكم ... وبـــلا مُجـــيرٍ.. مُقفِـــرٌ وجـــديب

عاشــت ســواعدُكُم فهــن ضــوامنٌ ... أن يُسْــتَرَدَّ مــن الحقــوقِ ســليب

وَزَكـــتْ عـــواطِفُكُمْ فأَيـــةُ ثـــروةٍ ... منهـــا نكـــافئ مُخلِصـــاً ونُثيـــب

وَلأَنـتُمُ أنْـتُمْ – ولـيس سـواكمُ – ... أمــلُ الــبلادِ وذُخْرُهــا المطلــوب

وَلأَنــــتُمُ إذ لا ضــــمائرَ تُرْتَجَــــى ... للرافــــدَيْن ضــــمائرٌ وقلــــوب

ولأنــــتُمُ إن شوّشــــتْ صــــفحاتِنا ... ممــــا أُجِــــدَّ نقــــائصٌ وذُنــــوب

الطّـــاهرونَ كـ[illegible]مْ مـــاءُ السّـــما ... لم يَلْتَصِــــقْ دَرَنٌ بِهِــــمْ وعيــــوب

إنّـــا وقـــد جُزْنـــا المَـــدَى وتقاربـــتْ ... آجالُنـــــا . وأمضّـــــنا التجريـــــب

وتحالفــــتْ أطوارُنـــا وتمازَجَـــتْ ... ونبـــا بنـــا التَقريـــعُ والتأنيـــب

وتخاذَلَـــتْ خُطواتُنـــا مـــن فَـــرْط مـــا ... جَـــدَّ السُرى.. والشـــدُّ.. والتقريـــب

لنَـــراكُمُ المثـــلَ العـــليَّ لأمّـــةٍ ترمـــي ... إلى أهـــــــــدافها وتُصـــــــــيب

هـــي أُمّـــةٌ لم تحتضـــن آمالهـــا وغـــداً ... إلى أحضـــــــانِكُمْ ســـــــتؤوب

وغـــداً يُكفَّـــرُ والـــدٌ عـــما جنـــى ... ظلـــماً عـــلى يـــدِ ابنـــه ويتـــوب

فتماسكوا فغـدٌ قريـبٌ فَجْرُهُ مـنكم ... وكـــــلُّ مُؤمَّـــــلٍ لَقَريـــــب

وِتَطلّعــوا يُنِــرِ الطريــقَ أمــامَكم ... قَـــبَسٌ يشـــعُّ منـــارهُ مَشـــبوب

وتحـالفوا أنْ لا يُفَـرِقَ بيـنكم غـاوٍ ... ولا يَنْــــدسَّ فــــيكُمْ ذيــــب

وتـذكّروا المستعمرينَ فـإنّهمْ | سَوْطٌ على هذي البلادِ وحُوب
فتفهمّوا إنَّ العراق بخيره | وثرائه لطَغامِهِمْ منهوب
وتميزوا فهناك وجهٌ سافرٌ | منهمْ وآخرُ بالخنا محجوب
وسويّة في خِزيّةٍ مستعمرٌ | أو مَنْ يُقيمُ مقامَه ويُنيب
إياكُمُ أنْ تُخدعوا بنجاحكم | فيما هو المقروءُ والمكتوب
أو تَحْسَبُوا أن الطريقَ كعهدِكم | بين الصفوفِ « معبّدٌ » ورحيب
إن الحياة سيبلوَنَّ جهادَكم | منها نجاحٌ مرهِقٌ ورسوب
ومُسَهَّدينَ جزاهُمُ عن ليلِهِمْ | اللهُ.. والتعليمُ.. والتدريب
أضناهُمُ تعبٌ .. وخيرُ مجاهدٍ | مُضنى يُعَبِّئُ أتّةً « متعوب »
أأُخيَّ « عبودٌ » ولستَ بمُعوِزٍ | مدحاً ولكنَّ الجُحودَ مَعيب
إن كان مسَّك و « الحسينَ » كلالةٌ | أو كان نـ "كما عناً ولُغُوب
فلأنتما والشاعرون سويةٌ | كالشمع يَهدي غيرَه ويذوب
أُولاء غرسُكما فهل مِنْ غارسٍ | يزكو كهذا غرسُه ويَطيب
وهلِ الخلودُ ألَذُّ مما أنتما فيه | وأمرُ الخالدينَ عجيب
لا يحسبون وجودَهم ووجودُهم | قبلَ الوجودِ وفوقه محسوب

***

إلى المناضلين

أطِلّوا.. كما اتّقدَ الكوكبُ | يُنوِّر ما خَبطَ الغَيْهَبُ
وسيروا وإن بَعُدَت غايةٌ | وشُقّوا الطريقَ ولا تَتْعَبُوا
ومُدّوا سَواعدَكم إنها | معينٌ من الجُهد لا ينضُب

وهـــاتُوا قلـــوبَكُمُ أُفرِغـــتْ   عـلى نَجـدةِ الحَـقِّ.. أو فـاذْهَبوا
فـــما إن يَليـــقُ بمجـــد النضـــالِ   ضـــعيفٌ عـــلى نَصرِه يُغضَـــب
وإنَّ « غـــداً » باســـماً يُجْـــتَلَى   بشِـــقِّ النفـــوس ولا يُوهَـــب
وإني وإن كنـــتُ صِـــنْوَ الرجـــاءِ   في حومـــةِ اليـــأسِ.. لا أُغْلَـــب
أواعـــدكم مـــن « غَـــدٍ » صـــادقاً   ويُسرِفُ في الوعـد مـن يَكـذب
أمـــامَكُمُ مُـــوعِرٌ.. مُلغَـــمٌ   بشـتّى المخـاوفِ.. مُستَصْـعَب
يَسُـــدُّ مداخلَـــه أرقـــمٌ   وتحمـــي مســـالِكَهُ أذؤب
وســوف يـ ـنُ إذا مــا انجَــلى   غـدٌ.. مـن يَجِـدُّ.. ومـن يَلعَـب
فســوف يــدوِّرُ « ســاعاتِكم »   بـــما لا يَسُرُّكُـــمُ « عقـــرب »
وســوف يخـونُكُمُ « خـــائفٌ »   وســوف يسـاوِمُكُم « أشـعَب »
وســـوف يـ لُكُم خطـــوةً   ويَخْـــذِلُكم خُطـــوةٌ مُتعَـــب
وســوف يطــولُ عنــاءُ الطريــقِ   علـيكُمْ فيَعـزبُ مـنَ يَعْـزب
وســوف تَضــيقُ بِكُــم دُوركُــم   وسُوحُ « السجون » بكـم تَرحُـب
فقولـــوا لمـــن ظـــن أنّ الكفـــاحَ   غَلـــةُ مزرعـــةٍ.. تكـــذِب
وقولـــوا لمـــن ظـــنَ أنَّ الجمـــوعَ   مطايـــا تُسَـــخَّرُ يـــا « ثعلـــب »
تُريـــدون أنْ تســـتقيمَ الأمـــورُ   وأن يخلُـفَ « الأخبـثَ » الأطيـب
وأن تجمَعُـــوا الشَـــمْل مـــن أُمَّـــةٍ   يفرِّقُهـا « الجَـدُّ » و « المـذهب »
وأن يأكـــلَ « الثمـــرَ » الزارعـــونَ   وأن يأخُـذَ « الأرضَ » مـن يـدأب
تريـــدون أن يعـــرِفَ الكـــادحونَ   مـن « العيش » مـا عنهُم يُحجَـب
تريـــدون أن تَطْعَنـــوا في الصـــميم   رثَّ « الطبـــاع » وأن تضرِبـــوا

ومــن دون ذلــك أن تَصـطلوا ... سـعيرَ الحيـاة.. وأن تَسـغَبوا
وأن تــرِدوا مــا يمُـجُّ القَـذَى ... وأنَ تَطْعمـوا منـه مـا يَجْشُـب
فــلا تحسَـبوا أنكـم في الجهـاد ... « هــواةٌ » يضـمُّهُمُ ملعَـب
ولا تحسَـبوا أن « مُسـتثمِراً » ... ظلومــاً لمصرعِــه يَطــرب
ولا تحسَـبوا أن « مسـتعمِراً » ... يُثــارُ عليــه ولا يغضَــب
ولا تحسَـبوا « الأرضَ » يَهْنـا بهـا ... ذَووهـا.. وبالـدم لا تُخضَـب
ولا تحسَـبوا « أنَّهـم يَظمـأون ... وطــوعَ أكفِّهــمُ المشرَب
فأنــذرْ بحنظلــةٍ خائنــا ... تعجَّلَــه الثَمــرُ الطيــب
وبشِّرْ بحُلْـو « الجُنـى » كادحـاً ... على « الجِذر » من شَجر يَضرِب
فــلا تهِنــوا.. إنَّ هَـذي الأكـفَّ ... تُمـلي عـلى الـدَهر مـا يكتـب

***

عُمر الفاخوري

رِثــاؤُكَ مــا أشَـقَّ عـلى لسـاني ... ورُزْؤكَ مــا أشـدَّ عـلى جَنـابي
وكيــفَ يُطيـقُ عـن ألمٍ بيانـاً ... تكــولُ شَــلَّ منــهُ الأصـغَران
وفَقـدُكَ مـا أمـضَّ وقـد توَّلـتْ ... جِيـادُ الـنصرِ خَـوضَ المعمعـان
وشرقٌ كنـتَ أمـسِ لَـهُ سِراجـاً ... كثيـفُ الجْـوِّ منـتشرُ الـدخان
تَهـاوَى الطـامعونَ عـلى ثَـراهُ ... كـما اختلـفَ الـذُبابُ عـلى خِـوان
تَعـبَّسُ مـن مَـزاحِفِهِمْ ثغـورٌ ... وتنــتَفِضُ المشــارفُ والمــواني
ومـا أنبـا مَصـيرَكَ عـن مصـيري ... ومـا أدنـى مكانَـكَ مـن مكـاني
أصـخْتُ لِمَـنْ نعـاك عـلى ذُهـولٍ ... كـأنيَ قـد أصـختُ لِمَـنْ نعـاني

وكنــتُ أُحِــسُّ أنَّ هنــاك رُزْءاً ... وأجهــلُ كُنْهَــهُ حتّــى دهــاني
صــفَقْتُ براحتَــيَّ مــنِ التيــاعِ ... وهــل أدنــتْ بعيــداً راحتــان
ورُحْــتُ.. وأيُّ جُـرحٍ في فـؤادي ... مغالَطــةً.. أعَــضُّ عــلى البَنــان
وعــانَقَني مــن الــذِكْرَى خيــالٌ ... كســيرُ الــنَفْسِ يَشْرَقُ بــالهوان
تســيلُ دمــاً جوانِبُــهُ اشــتياقاً ... إلى اللَّمَحــاتِ والمُتَــعِ الحِســان
إلى تلــك الليــالي مُشرِقــاتٍ ... بهــا «لُبنــانُ» مُزدَهِــرُ المغــاني
إلى سَــمَرٍ كــأنَّ عليــه ممــا ... تَنِــثُّ مِــن الشــذا عَبَــقَ الجِنــان
خيالٌ رُحــتُ من يـأسٍ وحِـرصٍ ... أُسَــلّي الــنفْسَ فيــه عــن العِيــان
أثــارَ لِيَ العواطِــفَ مــن عنيــفٍ ... ومُصْــطَخِبٍ.. ومُرْتَفِــقٍ..وحــاني
وفــكَّ مــن الأعِنَّــةِ ذكريــاتٍ ... تَهُــزُّ الــنفْسَ مُطلَقــةَ العِنــان
لَمَحْــتُ عُطورَهــا فشَــمِمْتُ منهــا ... شــذا الغَضَــبِ المطَهَّــرِ والحَنــان
كِلانــا مَعــوِزٌ نُطْقــاً عليــهِ ... طيــوفُ المــوتِ مُلقِيــةُ الجِــران
لَعَنْــتُ اللفــظَ مــا أقسَــى وأطْغَــى ... ومــا أعْصَى عــلى صــوَرِ المعــاني
تقاضــاني بيومِــكَ تَرْجُمانــاً ... وكنــتُ ألــوذُ منــه بِتَرجُمــان
فيــا «عُمَــرَ» النضــالِ إذا تشــكَّى ... شُــجاعُ القَلْــبِ مــنَ خَــوَرِ الجُبــان
ويــا «عُمَــرَ» البيــانِ إذا تغــذَّى ... عِجــافُ الــنَشْءِ بــالفِكَرِ السِــمان
ويــا «عُمَــرَ» الوفــاءِ إذا تَخَــلّى ... فُــلانٌ في الشــدائِد عــنْ فُــلان
ويــا «عمــر» الخلــود إذا تغنــى ... بمجــد الخالــدين فــم الزمــان
ضُمِنتَ مِن الـردى لـو كـانَ طَـولٌ ... وأيــنَ القــادِرونَ عــلى الضَّــمان
وإنَّــا والحيــاةُ إلى تبــابٍ ... وكــلُّ تَجَمُّــعٍ فــإلى أوان

لمحتربــونَ أن نُـــمسي ونُضـــحي ... وأنـــت بمعـــزِلٍ خـــالي المكـــان

أســيتُ لعــاكِفينَ عليــكَ حُبّــاً ... ومُخْتَصــينَ فضــلَكَ باحتضـــان

رفاقــكَ يــومَ مُزدَهــرِ الأمــاني ... ودِرْعِــكَ يــومَ مُشْــتَجرِ الطِعــان

حببتُــكَ باسِــماً والهــمُّ يَــمشي ... عــلى قَسَــماتِ وجهِــك بــاتّزان

تُغالِبُـــــه وتَغْلِبُـــــه إبـــــاءً ... كأنّــكَ والهمــومَ عــلى رِهـــان

يُــزَمُّ فــمٌ فــما تُــفْضي شِــفاهٌ ... ويَخفـــى السِرُّ لـــولا المُقلتـــان

عــلى مُــوقَيهما مَــرَحٌ ولُطْــفٌ ... وإنســـاناهما بـــكَ مُتعبـــان

يفـيءُ الصَـحْبُ منـك إلى وريـفٍ ... لطيــفِ الظِــلِّ خفّــاقِ المجــاني

تَفــيضُ طَلاقــةً وتــذوبُ رِفقــاً ... ووحْـدَكَ أنــتَ تـدري مـا تُعـاني

ومــا أغــلى الرجولــةَ في شِــفاهٍ ... مُغَلّفـــةٍ عـــلى ألمٍ « مُصــــان»

وعـــامِرةِ المعـــاني مُنتَقـــاةٍ ... بهـــا الكلِـــماتُ شـــامخةُ المبـــاني

فتقــتَ الــذِهنَ فيهـا عـن طَريـفٍ ... يُشِــعُ اللفــظُ فيــهِ عــن جُمــان

يَمُـــدُّك عَبْقَـــرٌ فيهـــا وتُجبـــى ... لــكَ الخطَــراتُ مــن قــاصٍ وداني

أثــرْتَ سُــطورَها وذهبــتَ عنهـا ... فهُــنَّ إليــكَ مــن مَضَــضٍ رواني

أبـا « الخَطـابِ » رانَ عليـكَ ليـلٌ ... عقــيمُ الفجــرِ لا يتلــوهُ ثـــاني

وأُغْمِضَــتِ الجفــونُ عـلى شَـكاةٍ ... تُدَغْــدغُها مــن الــبُشرى أمـــاني

أمــانٍ أن يســودَ النــاسَ حُكْــمٌ ... يَبيــتُ الفــردُ منــهُ عــلى أمـــان

فــلا تبعَــدْ وإن أخنــى فَنــاءٌ ... ومـــا مُبـــقٍ مــــآثِرَهُ بفـــاني

ورهْــنُ الخُلــدِ أضْرِحَــةٌ عليهــا ... قُطـــوفُ الفِكـــرِ يانِعـــةٌ دواني

بكى « بَرَدَى » عليكَ بفيض دمعٍ ... ومـــجَّ النيـــلُ فيضـــاً مــن بيـــان

وجِئـتُ أغُـضُّ طَـرْفيَ عـن حيـاءٍ ... فهـــذا مـــا يمُـــجُّ « الرافـــدانِ »

إذا مـا الحُـزنُ طـاوعَ في مصـابٍ فــإنَّ الشِــعرَ يُعْــذَرَ في الجِــران

***

أرشد العمري

تركــوا الــبلادَ وأمْرَهنَّــه لخيــال مســعور بجِنَّــهْ

لمغفّــلٍ عــمّا بــه حُمْقــاً فكيــفَ لمــا بهنَّــه

تركــوا الــبلادَ وأمرَهُنّــه للــدائراتِ تُديرُهنّــه

وموكَّــلٍ بالبــائعين وبالــدُروب ورشِّــهنَّه

ومرافــق نُــدلَ الفنــادقِ بــين مَــردوخ وحَنّــه

بــالله قــلْ لي يــا ابــنَ منتــوفِ السِــبال لأنــت فتْنَــه

***

ذات الحجاب

دَعــاني جمالُــكِ فــيمن دَعَــا فلَّبيتُــه مُسرعــاً طيِّعــا

حَشَــدْتُ لــه مــن عَبيــدِ الهَــوَى عَطاشَــى مُحَــلأةً جُوعــا

عواطِــفَ لم تغــذُ منهــا السـنون رجــاءً ولا أنعشــت مَطْمَعــا

ترامَــت عــلى عَــذَبَات الشِــفاهِ حــائرةً مَقْطَعــاً مَقْطعــا

ولاحَــت بَريقــاً وُقيــتِ الصِــبا وعــادت رَمــاداً فلــن تَسْــطعا

أسّــيَدتي مــا أرقَّ الحجــابَ يُثــير الفُضــولَ ومــا أبْــدعَا

لقــد حِــرتُ أيــاً مــن الفِتنَتَــين أصُــدُّ ســناكِ أم البُرْقُعــا

***

أندونيسيا المجاهدة

يـا « أنـدونسُ » إن استهاتَ بَنـوكِ ... فـالحربُ أمُّـكِ والكفـاحُ أبـوكِ
ولـديكِ تـاريخٌ عـلى صَـفَحاتِه ... أرَجٌ يضُـوعُ مـن الـدم المسـفوك
وكـأنَّ مـن ألَـقِ الضُـحى ورفيفِـه ... نُـوراً يُشِـعُّ عليـه مـن واديـك
يـا «بنـتَ» ثانيـةِ الجنـان بـما اشتَهتْ ... نَفْـسٌ ومـا رَمَـتِ الطبيعـةُ فيـك
وبـما تسـيلُ ظهورُهـا وبطونُهـا ... بـالتِبْرِ مـن متـذوِّبٍ وسَـبيك
بالحاشِـد الملتَـفِّ منـك إذا دَجـى ... والضاحكِ العُريانِ من « ضاحيك »
فـاءت عـلى المسـتعمرينَ ظلالُهـا ... وعـلى مليكـاتٍ لهـم ومُلـوك
يـا بنـتَ ذاك و « أمَّ » كـلِّ مغـرِّف ... في بُؤسـه ومُجـوَّعٍ صُـعلوك
يـا أمَّ كـلِّ مُشرَّدٍ عـن أهلـه ... وُهِـبَ الجنـانَ وعـاش كـالمملوك
بمـن «الجهـادُ» يَليـق إن لم ينتظِمْ ... تاجـاً تَليـق بـه رؤوسُ ذَويـك
في كـل قَـبرٍ مـن قُبـورك طـائفٌ ... يـمشي إليـك وصـارخٌ يـدعوك
لـيشُدَّ حـاضرَك المضـمَّخَ بالـدِما ... بـالمَوجعِ الأسـيانِ مـن ماضـيك
ومـن الطبيعـةِ عـن بنيـكِ مُـدافعٌ ... أن يأخـذوا منـك الـذي تُعطيـك
تـأبى المـروءةُ أن تُزقّـي غـيرَهم ... إذ يُحرَمـون مُجاجـةً مـن فيـك
يـا « أنـدنوسُ » وفي الخلائـقِ شركـة ... لاشيءَ غـير الله دونَ شريـك
اصلَوْكِ مـا الشرقُ اصطَلى بجحيمـهِ ... وبميسَـم مـن ذُلِّـه وَسَـموك
وسَـقَوك مـن كـأسٍ سُـقينا مثلَهـا ... ولقـد يكـون أرقَّ مـن يسـقيك
وكـذاك أنـتِ وقـد تمخَّـضَ نقمـةً ... تتمخضِّـينَ عـلى القَنـا المَشـبوك

❊❊❊

أخي إلياس

أخـي إليـاسّ : مـا أقسـى اللَّيـالي — تُنـيخُ بكَلْكَـلٍ وتقـولُ : مـالي
تَسَـمَّعُ إذ تَصـامَمُ للنَّجـاوى — وتَهْمِـسُ إذ تخـارسُ للـنِّمال
وتخـدَعُنا بمُقْمِـرةٍ لَعُـوبٍ — وتَرمينـا بقـوسٍ مـن « هِـلال»
وتُعطينـا اللَّـذاذةَ عـن يمـينٍ — وتطعنُنـا دِراكـاً بالشِّـمال
وتَفرُشُـنا أمـانيَ مـن حريـرٍ — وفي طيَّاتِهـا سُـمُّ الصِّـلال
وتُـدنينا.. وتُبعِـدُنا.. وتلهـو — بِنـا لهـوَ العواصـف بالرِّمـال
ونَلْمِسُـها.. وتَلْمِسُـنا عِيانـاً — وتمـرُقُ مثـلَ طَيـفٍ مـن خيـال
أخـي إليـاسّ : لا تَخَـلِ المُبَقَّـى — يُـوقَّى مـا احتـواكَ مـن الجِبـال
كـأنَّ الشَّـمسَ لم تَطلُـعْ علينـا — ولم نَـنعَم بوارفـةِ الظِّـلال
ولم نـتَرَوَّ مـن كـأسٍ حـرامٍ — ولم نتمَـلَّ مـن سِـحْرٍ حَـلال
ولم نـتمَنَّ أنَّ الـدَّهَر خُلْـدٌ — وأنَّـا لا نصـيرُ إلى زَوال
ولم نسـخَرْ بـما نُمـلي عليـه — ولم يسـخَرْ بناسِـخةِ الأمـالي
أخـي إليـاسُ : لا وصريـحِ وُدٍّ — وعاطفـةٍ أرقَّ مـن الـزُّلال
ومـا شـدَّ التَّصـافي مـن عُرانـا — وحَلاهـا مـن الفِكَـرِ الغـوالي
يَمينـاً لسـتُ للـدُّنيا بقـالي — وإنْ كـدُرتْ.. ولا عنهـا بسـالي
لأنَّـكَ كنـتَ تُوصـيني بهـذا — وتُوصـيني بـه سِـيَرُ الرِّجـال
ويُوصـينا بـه أنَّـا نُـواري — حبيبـاً.. ثـمَّ نُعقِبُـه بتـالي
ونَرجِـعُ مِـنْ جديـدٍ عـن فِـراقٍ — ألـيمٍ.. نسـتزيدُ مِـن الوصـال
ومـا أنـا مَـنْ يُحـاولُ أن يُـداجي — أحِبَّتَـهُ بكـذِبٍ أو مُحـال

بـــلى إنّي لَتُعْـــتَصَرُ اعتِصـــاراً حشـــايَ وأنــت محــترِبٌ حِيــالي

❊❊❊

الياس المنشود

رُدُّوا إلى اليـاسِ مـا لم يَتَّسع طَمَعـا شَرٌّ مــن الشرِّ خــوفٌ منــه أن يقعــا

شَرٌّ مـن الأمَـلِ المكـذوبِ بارقُـه أن تحمِــلَ الهــمَّ والتأميــلَ والهَلَعَــا

قالوا «غدٌ» فَوَجَدتُ اليَومَ يفضُلُه و«الصبر» قالوا:وكان الشَهمُ من جَزعاً

ولم أجدْ كمَجالِ الصَبرِ من وَطَنٍ يَرتــادُه الجُــبْنُ مصــطافاً ومُرتَبَعَــا

وإنَّ مـن حَسَـناتِ إليـاس أنَّ لـه حَــدّاً إذا كَــلَّ حَــدٌّ غــيرهُ قطَعَــا

وأنَّـه مُصـحِرُ الأرجـاءِ لا كَنَفـاً لمــن يَلَــصُّ ولا ظِــلاً لمــنْ رَتعــا

وَجَدْتُ أقتَلَ ما عانَت مصايُرنا ومـا التَـوَى الشَـيبُ منـه والشَبابُ معا

أنَّــا رَكِبنــا إلى غاياتِنــا أمَــلاً رَخــواً إذا مــا شَــدَدْنا حَبلَـهُ انقطعـا

نسومُه الخَسْف أن يَطوي مراحلَنا وإن تشَـكَّى الحَفَـا.. والأيـنَ.. والضـلعا

هـذا هـو الأمَـلُ المزعـومُ فـاقترِعُوا واليـأسُ أجـدَرُ لـو أنصَـفْتَ مُقتَرعـا

اليـأسُ أطعَـمَ بالأشْـلاءِ مِقصَـلةً عَــذْلاً وطــوَّحَ « بالبســتيل » فاقتَلَعـا

وطارقٌ منه أعطَى النصرَ كوكَبُه نَــزْراً وعَــدَّى إلى الأســبانِ فانَــدفَعَا

يـا نـادِبينَ « فِلَسـطينا »وعِنـدَهُمُ عِلْـمٌ بـأنَّ القضـاءَ الحـتمَ قـد وَقعـا

كم ذا تُلحُّون أن تَستَوقِدوا قَبَساً عــن الرَمــادِ ومِمَّــن مــاتَ مُرتَجَعــا

كَفَى بها فاتَ مما سميت « أملا » من « الحُلول » التي كيـتْ لكُم خُدعا

جيـلٌ تَصَرَّمَ مـذ أبْـدَى نَواجـذَه وعــدٌ لبلفــورَ في تهويــدِها قَطعــا

نَـمَا وشَـيبَّ بأيـدي القَـوم مُحتَضنَاً ومــن ثُـدِيٍّ النتـاج المَحـضِ مُرتَضـعا

والساهرونَ عليه كلُّ « منتخَبٍ » يبني ويهدِمُ إن أعطى وإن مَنعا
تهوِي «العروشُ» على أقدامهم وتحتمي ساسةُ الدنيا بهم فزَعا
وعندَنا ساسةٌ سؤنا لهُم تَبَعاً ذُلاً.. وساؤوا لنا في الهدي مُتَّبعا
من كل مُرتَخَصٍ إن عبَّسَت كُرَبٌ أو كشَّرَ الخطبُ عن شدقيهِ فاتَّسَعا
ردَّ المصيبةَ بالمنديلِ مفتخراً مثلَ الصبايا – بأنَّ الجفن قد دَمعا
أو عابثٍ من فِلَسطينٍ ومحنتِها ألفى مَعيناً.. فألقى الدَلوَ وانتزَعا
أو سارقٍ لا لقَعر السِجنِ مَرجِعهُ لكنْ إلى الجاهِ وَثّاباً ومُرْتفِعا
شَدُّوا بذيل غُرابٍ أمّةً ظُلِمَت تطيرُ أن طارَ أو تهوي إذا وقَعَا
وَخوَّفوها بـ « دُبٍ » سوف يأكلُها في حين « تسعون عاماً » تألفُ السَبُعا
وضيَّقوا أفقَ الدنيا بأعينِها مما استجدُّوه مِن بغي وما ابتُدعا
وأودَعوا لغلاظٍ من « زَبانيةٍ » حَمْقى حراسةَ قِرطاسٍ لهم وُضِعا
وذاك معناهُ أنْ بيعوا كرامَتكُم بيعَ العبيد بتشريعِ لكم شُرِعا
يا نادبينَ فلسطيناً صدعتكُمُ بالقول لا مُنكَراً فَضْلاً لكم صَدعا
ولا جَحوداً بأن الليلَ يُعقبه فَجرٌ تفجّرُ منه الشمس مُطَّلَعا
ولست أنكِرُ أن قد قارَبَتْ فُرَصٌ وأوشكت مثقلاتُ الدَهر أن تَضَعا
لكن وَجْدتُ القوافي تَشْتكي عَنتاً والمنبرَ الحُرَّ يشكو فَرطَ ما افترعا
إن تحمَدوا أو تذُمُّوا أنَّ شافعتي أنّي رأيتُ.. وما راءٍ كمَن سَمِعا
مررت بالقوم «شُذّاذاً» فما وقعت عيني على مُستمنٍّ غيره ضَرعا
ولا بمُلْقىً وأهليه بقارعةٍ ولا بحاملةٍ في الكُور مَن رضَعا
ولا بمن يحرِس الناطورُ أرجلَهُم مهروءة سَهَّلت للكلب منتزَعا

وعندنا « سِلعةٌ » تُصفي البنينَ لنا نُغـلي – ونُرخصـها – في الأزمـة السِـلعا
وجـدتُها عنـدَهم زهـواً منـورةً البيـتَ.. والبحـرَ.. والأسـواقَ والبِيَعـا
بينـا تُـراقص بالأنغـام صـاحبَها إذا بهـا تُوسِـع الألغـامَ مُزدَرَعـا
ونحـن مـا نحـن قطعـانٌ بمَذْأبَـةٍ تسـاقَطت في يـدَي رُعيانِهـا قِطَعـا
في كل يـومِ «زعيمٌ» لم نجدْ خَبَراً عنـه.. ولم نـدر كيـف اختـيرَ واختُرِعـا
أعطـاهموا ربُّهـم فـيما أعـدَّ لُهـم مـن الـولائم صَـفّوا فوقَهـا المُتَعـا
كأسَينِ.. كاساً لهم بالشُهد منزعةً وللجماهـير كأسـاً سَـمُّها نَقَعـا
قتالـةً خـوف أن لا تُستَسـاغَ لهـم أوصـاهُمُ أن يُسَّـقَوهم بهـا جُرَعـا
وأن يَصُـبّوا عليهـا مـن وُعـودِهُمُ كالشِـعر مكـتمِلا – سـهلاً ومُمتنِعـا
مـن ذا يـرُدُّ لنـا التـاريخَ ممتلِئـاً عِـزاً وإن لم نُـرِدْ ردّاً ومرتَجَعـا
كانوا يذمُّون (ربّاً) بالعصا قُرِعـا ويغضَـبون لأنـفٍ مـنهم جُـدِعا
ويبعثـون قِتـالاً أنَّ قُـبَّرَةً ضـيمَت وأن « بَسوسـاً » ذيلُهـا قُطِعـا
وكـانَ مـن فـتْحِ عمّوريـةٍ مَنَعـت خُماتَهـا حَـوَّمَ العقبـان أنْ تَقَعـا
نـداءُ صـارخةٍ بـالرومِ « معتصِماً » لم يـألُ أن أدركَتْهـا بُلْقُـه سَرِعَـا
حميَّـةٌ لـو أخـذناها ملطَّفـةً بـالعلم طابَـت لنـا رِدءاً ومُـدَّرَعا

***

يا بنت رسطاليس

قُـمْ حَـيِّ هـذي المنشـآت معاهـدا الناهضـاتِ مـع النُجـومِ خوالـدا
الشـامخاتِ أنـوُفهن إلى السـما والمطلعـاتِ لفرقـدين فَراقـدا
والفاتحـاتِ عـلى الخلـودِ نوافـذاً والمجريـاتِ مـع الحيـاة روافـدا

قـم حـيِّهنَّ ببعـثِ شـعب واثقـاً ... وَترضَّـهُنَّ بخَلـق جيـلٍ جاهـدا
جَلَّـتْ بُنـيَّ تَلـدُ الرجـال وقُدسـت ... غُـرفٌ تَبوَّأهـا الخلـودُ مقاعـدا
قـم حييِّ هـذي الموحيات صـوامتاً ... واستنطِقِ الحَجَـرَ البليـغ الجْامـدا
واخلَـعْ علـيهنَّ المواهـبَ تُجـتلى ... لا النثَـرَ.. لا الشـعرَ المعـادَ.. قلائـدا
يـا بنـتَ رسـطاليسَ أمُّـكِ حـرَّةٌ ... تلـد البنـينَ فرائـداً وخرائـدا
وأبـوكِ يحتضـنُ السريـر يَرُبُّهـا ... ويقوتُهـا قلبـاً وذهنـا حاشـدا
مَشَـتِ القـرونُ ومـا يـزالُ كعهـده ... في أمسٍ.. « مشـاءً » يعـودُ كـما بـدا
يسـتنزلُ الخَطـراتِ مـن عَليائهـا ... عُصْـماً ويـدني العـالمَ المتباعـدا
لم يقتـنص جاهـاً ولاسـامَ النُهـى ... ذُلاً..ولا اتخـذَ الحريْـرَ وسـائدا
جـلَّ النُهـى الفكـر أعظـمُ عصـمةً ... مـن أنْ يريـدَ وصـائفاً وولائـدا
يـا بنـتَ رسـطاليسَ قُصِّي نسـتمعْ ... عـن عاشِـقيكِ أقاربـاً وأباعـدا
عن واهبينَ حياتَهم.. مـا استُعبِدوا ... للشـاكرين.. ولم يَـذُموا الجْاحـدا
والصـاعدينَ إلى المشـانق مـثلما ... ارتَقتِ النُّسـورُ إلى السماءِ صـواعدا
ومُحَـرَّقين يُغـازلون وَقودَهـا ... شـوقاً إليـكِ ويَحمـدون الواقـدا
والمُسـملات عُيـونُهم.. وكـأنهم ... بطيوف شخصك يكحلون مراودا
قُصِّي فَـدَيتك مـن لَعـوب غَضـةٍ ... تَصِفُ القـرونَ مخـابراً ومَشـاهداً
إني وَجـدْتُ – وللشـبابِ حـدودهُ – ... أشـهى بنـاتِ الفكـر أقصـاها مَـدى
فتخلّعـي نجـدِ الفُهـومَ عَوارِيـاً ... وتَبَسـمي نجـد الفُنـونَ نضـائدا
وتطلَّبـي نُـزْجِ النفـوسَ عزيـزةً ... هَـدياً وننـتظمُ القُلـوبَ قصـائدا
يا بنت رسطاليس لُحـتِ « بواسـط » ... فَنزَلـت « حيـاً » بالصـبابة حاشـدا

خصبَ الشُعور ستَحَمدين مولَّهاً ... مـن أهلـه.. ومُغـازلاً.. ومُـراوِدا

إيـهٍ « بلاسـمُ » والمفـاخرُ جَمـةٌ ... أحـرزتَ مَـنهُنَّ الطريـفَ التالـدا

أحـرزتَ مجـداً لـيس ينفـدَ ذكـرهُ ... طـولَ المـدى وبـذلتَ كنـزاً نافِـدا

ذكـرٌ يظَـلُّ بكـل خطـوٍ يرتَمـي ... للصـف.. أو جـرَسٍ يـدقُّ معـاودا

خَـبِّرْ فقـد جُبـتَ الحيـاةَ رخيَّـةً ... خضراء لم تكـذِبْ لعينـك رائـدا

وحَلبتَ من غَفلات دهرِك شطرَها ... وَقنَصـتَ مـن مُتـع النَعـيم الشـاردا

وانسَبْتَ في غُـدرُ اللذائـذ خائضـاً ... وخَـبَرتَهن مصـادِراً ومَـواردا

أعرَفْـتَ كـالأثر المخلَّـدِ لـذةً ... جـازَتْ مخَلّـدها! فكـان الخالـدا

لله درُّك مـن كـريم أنعَشَـت ... كفّـاهُ روحـاً مـن نبـوغ هامـدا

نَفَّقتَ مـن عَـذَبات صبيان الحِمى ... عِلْقـاً بمنعـرج، لأزقـةِ كاسـدا

إني وَجـدتُ مواهبـاً مطمـورةً ... كالزرع أينـعَ لمُ يصـادفْ حاصـدا

ولـربَّ أشـعثَ أغـبرٍ ذي هامـة ... تُلقـي عـلى كتفيـهِ ثقـلاً آيـدا

ألـوى بـه فَقـرٌ فنكَّـب خطـوَه ... جَهـلٌ فـزلَّ عـن الفضـيلةِ حائـدا

قـد راحَ يبعـثُ بالتعاسـةِ راحمـاً ... قـد كـان لـولا ذاكَ يرجِـعُ حاسـدا

قُتِـلَ العُقـوقُ.. فكـم قَتَلنـا نابغـا ... بـين البُيـوتِ.. وكـم وأدنـا قائـدا

أولاء حمـدُك عاقِبـاً عـن عاقـبٍ ... أتريـدُ أحسـنَ مـن أولئـك حامـدا

سيقولُ عنك الـدهرُ: ثَمـةَ ماجـدٌ ... في الرافـدين شـأى الكـريم الماجـدا

هل غيرُ أن رُمتَ الثناء كما ادعي ... نَفَـرٌ.. وأن أنْبَهـتَ ذكـرَكَ عامـدا

مجـداً عـلى مجـد.. فتلـكَ طَماحـةٌ ... يـمشي عليهـا المجـدُ نحـوكَ قاصـدا

كـذَبوا فـإن الأكـرمينَ طرائـدٌ ... للمَكرُمـاتِ وإنْ حسِـبنَ طرائـدا

وإذا صـدقتُ فللخلـودِ مصـايدٌ ... أبـداً تَلَقّـفُ مـن أتـاه صـائدا

يـمشي الكـريمُ مـع التكـرُّم توأمـاً ... صـنوٌ يسـددُ خطـوَ صـنوٍ عائـدا
حتـى إذا بلـغَ الجميـلُ أشُـدَّه ... سـارَ الكـريمُ إلى المكـارم فـاردا
مـا كـان بـاللُّغزِ الخلـودُ وإنـما ... كـان النفـوسَ نـوازلاً وصـواعدا
هـل غـيرُ آلافٍ تـروحُ كـما اغتـدت ... بيـدى سـواكَ طرائقـاً وبدائـدا
تغـدو إلى مطمـورةٍ.. إن لم تَـرُحْ ... للهـوِ دوراً.. والقِـمارِ موائـدا
أحييـتَهُنَّ فكـانَ عـدلاً ناطقـاً ... هـذا الجـهادُ عـلى سـمّوكَ شـاهدا
وضـممتَهُنَّ لبعضِـهنَّ مجهِّـزاً ... جيشـاً تـرُدُّ بـه الوَبـاءَ الوافـدا
الجهـلَ : أكـرمُ ذائـدٍ عـن مـوطنٍ ... مـن راحَ فيـه عـن الجهالـةِ ذائـدا
أعطيـتَ حـقَّ العلـمِ أوفاهـا نـدى ... ومـدَدتَ للتعلـيم أزكاهـا يـدا
فـأعطِ المعلـمَ يـا « بلاسـمُ » حقـهُ ... واعضُـدْ فقـد عَـدِمَ المعلـمُ عاضـداً
لـو جـازَ للحـر السُـجودُ تعبُّـداً ... لوُجِـدتُ عبـداً للمعلّـم سـاجدا
للمُتعَـبِ المجهـودِ في يَقظاتـهِ ... والمرَتعـي طيـفَ المتاعـبِ هاجـدا
والمـُثخنِ المجهـولِ لم يَنشُـد يـداً ... تأسـوا الجْـراحَ ولا تَطلـب ناشـدا
والمسـتبيحِ عُصـارةً مـن ذهنِـهِ ... يغذو الألوفَ بها.. ويُحسبُ واحدا
قـل للمعلـم راجيـاً.. لا راشـداً ... كـن للشـبيبةِ في المزالـقِ راشـدا
يـا خـالقَ الأجيـالِ أبـدِعْ خَلْقَـها ... وتَـوَّق بالإبـداع جـيلاً ناقـدا
سـيقولُ عهـدٌ مقبـلُ عـن حـاضرٍ ... نُشـوى عليـه : لُعنـتَ عهـداً بائـدا
ولسـوفَ يـبرأ عاقـبٌ عـن أهلـهِ ... ولسـوفَ يَـتهِمُ البنـونَ الوالـدا
قـل للشـبيبة حـينَ يعصِـفُ عاصـف ... ألا يَظلّـوا كالنسـيمِ رواكـدا
وإذا اغتَلَـتْ فينـا مراجـلُ نقمـةٍ ... ألا يكونـوا زمهريـراً بـاردا

هيِّئ لنا نشئاً كما انصَبَّ الحيا لُطفاً.. ونشئاً كالزلازل راعدا
فلقد رأيتُ اللهَ يخلُق رحمةً مَلَكاً.. ويخلُقُ للتمردِ ماردا
ومحمداً ما إنْ أهابَ بجيشهِ يطأ البلادَ روابياً و فدافدا
ويكُبُّ جباراً.. ويُعلي مُدقعاً ويُنيرُ خابطةً.. ويُنهضُ راقدا
لو لم يعبئ للقيادةِ ثائراً حَنِقاً على نُظُمٍ بَلينَ وحاردا
ما إن يروحُ مع الضعيف مُطاوعاً من لا يروحُ على القويِّ معاندا
وأذلُّ خلقِ الله في بَلَدٍ طغت فيه الرزايا من يكونُ محايدا
نشءٌ يقوِّمُ من زمانٍ فاسدٍ لا كالزمانِ يكونُ خَلْقاً فاسدا
عُلِّمْتُمُ فرْضَ الحسابِ فأنتُمُ أدرى بِهِنَّ فوائداً وعوائدا
ما إن تُعجّلُ جيلٍ ناقصاً إلاّ تحمّلَ من عناءٍ زائدا
أطلِقْ يدَ التحليل في تاريخهم حراً.. وفكَّ من العِقال أوابدا
لابدَّ من فَهم الحياةِ مَعايباً ومفاخِراً.. ولذائذاً.. وشدائدا
جنباً إلى جنبٍ يُتمِّمُ بعضها بعضاً كما انتظَم الجُمانُ فرائدا
علِّمْهُ حُبَّ الثائرين من الورى طُرّاً.. وحُبَّ المخلصينَ عقائدا
وأجْلُ الشُّعوبَ كرائماً لا تَنتَقِصْ شعباً.. ولا تَقحَمْ عليه شواهدا
واجلُبْ له أمسِ البعيدَ مَراجِعاً وألحْ له أمسِ القريبَ مساندا
أرِه لثورته عِظامَ جماجمٍ وابعَثْ له زنداً أطنَّ وساعدا
وإذا تقصّاكَ الدليلُ مسائلاً عن أيّ شيءٍ أعقَبتْ ومناشدا
فابعثْ له الأشباحَ يشهدْ عندَها ما يستفز مطالعاً ومُشاهدا
يشهدْ خيالاً عارياً ومجوَّعاً من أهلهم ومُضايقاً ومُطارَدا
أصلِحْ بنهجِك منهجاً مُستعبداً صُنعَ الغريبِ.. على الثقافةِ حاقدا

قـالوا : قواعــدُ يبتنيهــا غاصــبٌ ... وسْـطَ العـراق عـلى الكرامـةِ قاعـدا
تحتـــلُّ منـــه مشـــارفاً ومَنـــاهلاً ... وتَســـدُّ منـــه مســـالكاً ومنافـــذا
ســاقتْ جُيـوشَ الموبقـاتِ حواشـداً ... للرافـدين مـع الجيـوشِ حواشـدا
مـا كـان أهـونَ خطبَـهُ مسـتعمراً ... لـو لم يُقِـمْ وسْـط العقـولِ قواعـد

***

المقصورة

بـــرغمِ الإبـــاءِ ورغـــمِ العُـــلى ... ورغـــمِ أُنـــوفِ كـــرامِ المـــلا
ورغـــمِ القلـــوبِ التـــي تسـتفيضُ ... عُطفــاً تَحوطُــكَ حــوْطَ الحِمــى
وإذ أنـــتَ ترعـــاكَ عـــينُ الزمـــانِ ... ويَهْفـــو لجرْسِـــكَ سَـــمْعُ الـــدُّنى
وتلتـــفُّ حولَـــكَ شـــتّى النُّفـــوسِ ... تَجـــيشُ بشـــتى ضروبِ الأســـى
وتُعـــرِبُ عنهـــا بـــما لا تُبـــين ... كأنَّـــك مـــن كـــلِّ نفـــسٍ حشـــا
فأنـــتَ مـــع الصـــبحِ شَـــدْوُ الرعـــاةِ ... وحلـــمُ العـــذارى إذا الليـــلُ جـــا
وأنـــت إذا الخطـــبُ ألقـــى الجِْـــران ... وحـــطَّ بكلكلـــهِ فـــارتمى
ألْحَـــتَ بشِـــعرِكَ للبائســـين.. ... بـــداجي الخُطـــوبِ.. بريـــقَ المُنـــى
تـــروحُ عـــلى مثـــلِ شَـــوكِ القَتـــادِ ... وتغـــدو عـــلى مثـــلِ جَمـــرِ الغضـــا
وتطـــوي الضُّـــلوعَ عـــلى نافـــذٍ ... مـــن الصَّـــبرِ يـــدمي كحـــزِّ المُـــدى
دريئـــةَ كـــلِّ جـــذيمِ اليـــدينِ ... رمـــى عـــن يـــدَيْ غـــيرِهِ إذ رَمـــى
رمـــى عـــن يـــدَيْ حاقـــدٍ نـــافسٍ ... عليـــك احتشـــادَ العـــلى والنـــدى
وحلِســـاً لـــدارِكَ والمُقرفـــون ... يجولـــونَ كـــلَّ مجـــالٍ بـــدا
عـــلى حـــينَ راحَ هجـــينُ الطبـــاعِ ... تَنطّـــفُ أطرافـــه بالخَنـــا

أدَرَّ عليـــه ثـــدِيَّ الخُمـــولِ وهزَّتْـــهُ في المهــدِ كـــفُّ الغَبــا

يجـــرُّ ذيـــولَ الخنـــا والغِنـــى وتهفـــو عليـــه ضِـــلالُ المُنـــى

وحولـــكَ مثـــلُ فـــراخ الحَـــمام لـــولا الشـــعورُ – وزُغْـــبِ القَطــا

تـــدورُ عيـــونُهمُ والـــذَّكاءُ يَلمَـــعُ فيهـــا كحـــدِّ الظُبـــا

إلى كـــلِّ شَـــوْهاءَ مرذولـــةٍ وأشـــوَهَ مســـتأثرٍ بـــالغِنى

وتَرْجِـــعُ والعتـــبُ في مُوقِهـــا تَســـاءلُ : أيكـــما المُبـــتلى

بـ « علقمةَ الفحلِ » أُزجي اليمينَ أني ألـــذُّ بمـــرِّ الجنـــى

وبـــ « الشَّـــنْفَرى » أنَّ عينَّـــي لا تَلَـــذّانِ في النـــومِ طعـــمَ الكـــرى

وبـــ « المتنبـــئِ » أنَّ الـــبلاءَ.. إذا جـــدَّ.. يَعلـــم « أني الفتـــى »

ألا مِـــن كـــريمٍ يَسُرُّ الكـــرامَ بجيفـــةِ جلـــفٍ زَنـــيم عَتـــا

فيـــا طالمـــا كـــانَ حـــدُّ البَغِـــيِّ يُخفِّـــفُ مـــن فحـــشِ أهـــلِ البِغــا

ويـــا طالمـــا ثُنـــيَ الســـادِرونَ بـــما اقتِيــدَ مـــن ســـادرٍ مـــا ارعـــوى

عـــلى أنّـــه مـــن شِـــفاءِ الصُـــدورِ لـــو أنَّ حـــرّاً كـــريماً شـــفى

تأصَّـــلَ هـــذي العـــروقَ الخِبـــاثَ فقـــد ضـــاقَ بالجـــذْمِ منهـــا الثـــرى

فـــما هـــي أوّلُ مجذومـــةٍ مخافـــةَ عـــدوى بهـــا تُنتفـــى

ولا هـــي أوّلُ « أغلوطـــةٍ » محـــا شـــاطبٌ رســـمها فـــامَّحى

ومـــا بـــالنفوسِ اللـــواتي ملكـــنَ بـــأطماحهنَّ عَنـــانَ الســـما

عنـــاءٌ إلى مـــن يُقيـــتُ البُطـــونَ ولكـــنْ إلى مـــن يُمـــيطُ الأذى

إلى مـــن يكُـــفُّ صـــغارَ النفـــوسِ.. صـــغارَ الحلـــومِ.. صـــغارَ الهـــوى

يَكُفُّهـــمُ أنْ يكـــون الكـــريم بـــه عـــن هـــوانهمُ : يُشـــتفى

أُنبِيـــكَ عـــن أطيـــبِ الأخبثـــينَ فقُـــلْ أنـــتَ بالأخبـــثِ المـــزدرى

زِقــاقٌ مــن الــرّيح منفوخــةٌ وإنْ ثَقَّـلَ الزهــوُ منهـا الخطـى
وأشــباحُ نــاسٍ.. وإنْ أُوهِمــوا بــأنّهمُ .. « قــادةٌ » في الــورى
ألمْ تــرَ أنيَ حــربُ الطغــاةِ ســلمٌ لكــلِّ ضــعيفِ الــذَّما
وأني تركــتُ دهــينَ السِّــبالِ كثــيرَ الصــيالِ.. شــديدَ القــوى
مـن الخـوفِ كـالعَيْرِ قبـلَ الكـواءِ يَجبــقُ ممــا اصــطلى واكتــوى
بــماذا يخــوِّفني الأرْذَلــونَ ومــمَّ تخــافُ صِــلالُ الفــلا
أيُسْــلبُ عنهــا نعــيمُ الهجــيرِ ونفــحُ الرمــالِ.. وبــذْخُ العــرا
بـلى ! إنّ عنـديَ خـوفَ الشُّـجاعِ وطـيشَ الحلـيمِ ومـوتَ الـرَّدى
إذا شــئتُ أنضــجتُ الشِّــواء جلــوداً تعَّصْــت فــما تشــتوى
وأبقيــتُ مــن مِيسَــمي في الجِبــاهِ وشْــماً كوشْــمِ بنــاتِ الهــوى
فــوارقُ لا يمّحــي عارُهــا ولا يَلتَبِسْــنَ بوصــفٍ ســوى
بحيـثُ يقـالُ إذا مـا مشـى الصّـليُّ بهــا : إنّ وغــداً بــدا
وحيــثُ يُعــيّرُ أبنــاؤهُ بــأنّ لهُــمْ والــداً مثــلَ ذا
أقــولُ لــنفسي – إذا ضــمَّها وأترابَهــا محفــلٌ يُزدهــى
تســامَيْ فإنــكِ خــيرُ النفــوسِ إذا قــيسَ كــلٌّ عــلى مـا انطـوى
وأحسـنُ مـا فيـكِ أنّ « الضـميرَ » يَصــيحُ مــن القلــبِ أنّي هُنــا
وأنــتِ إذا زيــفُ المعجبــينَ تــلألأ للعــينِ ثــمَّ انجــلى
ولم تســتطعْ همــمُ المــدَّعين صــبراً عــلى جمــرةِ المــدَّعى
خلَصْتِ كما خَلصَ ابنُ « القُيون » تَرعــرَع في النــار ثــمَّ اســتوى
تســامَيْ فــإنّ جناحيــكِ لا يَقــرّانِ إلا عــلى مرتقــى

كــذلكَ كــلُّ ذواتِ الطِماحِ ... والهمِّ مخلوقةٌ للذُّرى

شــهِدتُ بأنــكِ مــذخورةٌ ... لأبعدَ ما في المدى من مدى

وأنكِ سوفَ تدوِّي العصورُ ... بما تتركينَ بها من صدى

بآيةِ أنَّ يدَ المُغرياتِ ... تهابُكِ إلاَّ كلمسِ الندى

وأنكِ إنْ يَلتمعْ مطمعٌ ... يُخاف على الرُّوحِ منه العمى

يموتُ « النبوغُ » بأحضانه ... ويُنعى به « الأملُ » المرتجى

وتمشي الجموعُ على ضوئهِ ... لتبكي على عبقريٍّ قضى

وكادتْ تَلُفّكِ في طيّها ... حواشيه ردَّكِ عزمٌ قَضى

لشرِّ النِهاياتِ هذا « المطافُ » ... وكلُّ مَطافٍ إلى مُنتهى

متى ترعوي أُمةٌ بالعراقِ ... تُساقُ إلى حتفِها بالعصا

تُذَرّى على الضَّيْمِ ذَرْوَ الهشيمِ ... ويَعرقُها الذُّلُّ عَرْقَ اللِّحا

وتنزو بها شهوةُ المشتهينَ ... كما دُحرجتْ كرةٌ ترتمى

يَجدُّ بَغيضٌ بها عهدَهُ ... إذا قيلَ عهدُ بَغيضٍ مضى

وتسمَنُ منها عِجافٌ مَشتْ ... إلى الأجنبيِّ تَجُرُّ الخُصي

تُراودُها عِزّها كالقرومِ ... هِجانٌ عليها غريبٌ نزا

عجبتُ وقد أسلمتْ نفسَها ... لعَرْكِ الخُطوبِ وعَصْرِ الشَّقا

وقَرَّ على الذُّلِّ خَيشومُها ... كما خطمَ الصعب جذبُ البرى

وأغْفَتْ فلم أدرِ عن حَيرةٍ ... بها كيف إيقاظُها أو متى

ولم أدرِ من طيبِ إغفائها ... على الذُّلِّ.. أيَّ خيالٍ ترى

أهمّاً تغشّاهُ بَعْدَ العنا ... كرىً .. أمْ صبياً بريئاً غفا

متى تستفيقُ وفحمُ الدُّجى ... عليها مشتْ فيه نارُ الضّحى

وقـد نَفـض الكهـفُ عـن أهلـه ... غُبـارَ السـنينَ ووَعْـثَ الـبِلى

تعـيشُ عـلى الأرضِ أُمِّ الكفـاحِ ... وتـربطُ أحلاَمهـا بالسَّـما

وتَصْـبَغُ بـالوَرْد آماهـا ... كـما طـرَّزَ الحـائكونَ الـرِّدا

وأصـنامِ بَغْـيِ يصُـبوّنها ... ويَـدْعُونها مَـثلاً يُقتـدى

يُثـيرونَ مـن حولِهـا ضَـجَّةً ... بهـا عـن مَخـازيهمُ يلتهـى

كـما حَجَبـتْ بالغُبـارِ العيـون ... خِفـافٌ مُهـرّأةٌ تحتـذى

فهـذا سـيمضي وهـذا مضى ... وهـذا سـيأتي وهـذا أتـى

وهـذا « زعـيمٌ ».. لأنّ السـفيرَ ... يرنـو إليـه بعـينِ الرّضـا

وفي ذاكَ عـن سُـخطِ أهـل الـبلادِ ... عـلى حُكمـهِ أو رضـاهم غِنـى

وهـذا بعِمتّـهِ.. سـاخراً.. ... مـن « الجـنِّ » يرفعهـا للعـلى

تجـيءُ المطـامعُ منقـادةً ... إليـه إذا شـاءَ أو لم يَشـا

وليتـك تَحسِـبُ أزيـاءهم ... فتجمـعَ منهـا زهـورَ الرُّبـى

فتلـكَ اللفـائفُ كـالأُقحُوانِ ... بهـا العِلـمُ يـنفحُ طيـبَ الشـذا

تَطُـقُّ المسـابحُ مـن حولِهـا ... لـتُعلِنَ أنَّ ملاكـاً أتـى

وتلـكَ الشراشـيفُ كالياسـمينِ ... تـاهَ « العِقـالُ » بهـا وازدهـى

تـدلّتْ عناقيـدُ مثـلُ الكـرومِ ... عـلى كتفـيْ « يـابسٍ » كالصُـوى

يَـوَدُّ مـن « التِّيـهِ» لـو أنّـه ... يَشـدُّ بهـا « جَرَسـاً » إنْ مشـى

لِـيَعلِمَ سـامعُه أنـه ... « ينـوبُ» عـن البلـدِ المبـتلى

إذا رَفـعَ اليـدَ للحـاكمينَ ... بـدَتْ « نَعَـمٌ » وهـي في زيٍّ لا

وبيـنهما مُحـدَثٌ ناشـئ ... إذا خـطَّ تَعرِفُـه أو حكـى

تعوِّذُه أُمّه إنْ مشى   إلى « البرلمانِ » بأمِّ القرى

ومُستسلمين يَرونَ الكفاحَ   قوراء مدحوَّةً تمتطى

فَتغرُزُ في رَخوةٍ سمْحةٍ   وتنفرُ عن ذي مسَنٍّ قسا

يرَوْنَ السياسةَ أنْ لا يمسَّ   هذا.. وأنْ يتّقى شرُّ ذا

وهذا وذا في صميمِ البلادِ   سُلٌّ.. وفي العينِ منها قذى

مساكين يقتحمونَ الكفاحَ   وقد راعهمْ بابه من كُوى

وما هو إلاّ احتمالُ الخُطوبِ   وإلاّ الأذى والعَرا والطَّوى

فهمْ يعرفونَ مزايا الخُلودِ   ولا يُنكرونَ مزايا الفَنا

وهمْ يعشَقونَ هُتافَ الجموعِ   ويَخْشونَ ما بعدَه من عَنا

فليتَ لنا بهمُ ناقةً   تطيق الحفا والوجا والوحى

وتجترُّ بالجوعِ ما عندَها   وتَطوي على الخِمسِ حرَّ الظما

ومُحتقبٍ شرَّ ما يُجتوى   مشى ناصباً رأسهُ كاللوا

مشى ومشتْ خلفهُ عُصبةٌ   تقيسُ خُطاهُ إذا ما مشى

يُحبُّ « السلامةَ » مشفوعةً   بدَعوى « الجبانِ » بحُبِّ الوَغى

ويجمعُ بينَ ظِلالِ القصورِ   وعَصرِ الخمورِ ورشْفِ اللَّمى

وعيشِ « المَهازيلِ » في ناعمٍ   من العيشِ من مثلهِ يُستحى

وبينَ « الزعامةِ » لا تُصطفَى   بغيرِ السجونِ ولا تشترى

ولم أدرِ كيفَ يكونُ الزعيمُ   إذا لم يكنْ لاصقاً بالثرى

ومنتحلينَ سماتِ الأديبِ   يظنونها جُبَباً ترتدى

كما جاوبتْ « بومةٌ » بومةً   تَقارَضُ ما بينها بالثَّنا

ويرعَوْنَ في هذَرٍ يابسٍ   من القولِ.. رعيَ الجمالِ الكلا

يرَوْنَ « وُرَيقاتهم » بلغةً … من العيشِ لا غايةٌ تُبتغى

فَهُمْ والضميرِ الذي يصنعونَ … لمنْ يعتلي.. صهوةٌ تعتلى

ولاهِينَ عن جِدِّهم بالفراغِ … زوايا المقاهي لهم مُنتدى

تصايَح باللغوِ ما بينها … صِياحَ اللقالق تنفي الحصى

وشدُّوا خُيوطاً بأعناقِهمْ … تَصارَخُ ألوانُها بالدِّما

ألا يخجلونَ إذا قايسوا … حياتَهمُ بحياةِ الأُلى

سقَوا أرضَهم بنجيع الدِّماءِ … فكانَ الشعارَ الدَّمُ المُستقى

وأولاءِ شُغْلُهم بالبطونِ … فهلاّ استعانوا بشدِّ المِعى

وعارٍ تحلى بثوب الأديب … وممَّا يزكي أديباً خلا

ومن تبعات النُّفوس الكبار … بسِنِّ اليراعِ الرخيصِ احتمى

ووغدٍ تخيّرَ أمثاله … فوغداً أهرَّ ووغداً شلا

إذا ما تصفحتَ أصنامه … وهزأةَ ألقابها والكُنى

أراكَ- وإن أنكرَ العالمانِ … - بمزمارِ داودَ.. بُوماً شدا

وأنَّ غراباً شأى « معبداً » … وأنّ حِماراً « غريضاً » حَكى

بدا لكَ طاهٍ أجيرُ البطونِ … كلُّ الذي تشتهيهِ طها

يسدُّ بذاكَ فراغَ الضميرِ … ويُوقدُ روحاً خبيثاً خَبا

يبِصُّ لذي مَنصِبٍ يُرتجى … ويَخدُمُ ذا صولةٍ يُختشى

يَرى أنه حينَ يُطري الفسيل … جُذَيلاً هجا وعُذَيْقاً رمى

وشرُّ أهرَّ بها أكلُباً … أعارَهمُ نابَهمْ إذْ سَطا

حَبا ما حبا طغمةً أُتخِمتْ … بفَضْلاتِهِ وزوي ما زوى

وأطلــقَ للصــيدِ أظفــارهنَّ　　وأنيــابَهنَّ بهــا واختفــى

يقولــونَ إنَّ يــداً في الغُيــوبِ　　تُــدير عــلى الأرضِ حُكــم السَّــما

ولّمــا يــزَلْ مَثــلٌ ســائرٌ　　عــلى النــاسِ يَجـري : بأيـدي سـبا

وتحريــقُ « لــوطٍ » بــذنبٍ أتــى　　وأخــذُ «ثمــودٍ» بسـقبٍ رغـا

فـما بـالُ كـفِّ القضـا لا تـدورُ　　عــلى بلــدٍ ظــلَّ حتــى اخــتزى

وأضـحى « ثمـودُ » و « لـوطٌ » بـه　　ومــن لهــما في الشرورِ انتمــى

ومَــن عــاثَ في أمــمِ المشرقَــينَ　　وجــارَ عــلى أهلهــا واحتمــى

حَبيِــينَ بــينَ ولاة الأمــورِ　　في بلــدٍ ضــاعَ فيــه الحيــا

يســائلُ بعــضٌ بــه بعضــهم　　أنحــنُ أُخــذنا وهــذا نجــا

أُخِــذْتَ لأني ركبــتُ الطريــقَ　　شَــذا إلى غايــةٍ تبتغــى

وأنــت أُخــذْتَ عــلى ناقــةٍ　　بفلْســينِ أمثالُهــا تُشــترى

وكنّــا أُناســاً كــماء السَّــماءِ　　تَخــبطَ طــوراً وطــوراً صــفا

نجــيءُ الحيــاةَ عــلى رِســلِها　　نهاياتُهــا عنــدنا كالبــدي

ونــأتي الجريــرةَ لا نغــتلي　　ونَبغــي الهَنــاةَ كــما تُبتغــي

ولا نكبــتُ العاطفــاتِ الجْيــاعَ　　فيُشرِقنــا كبتُهــا بالشــجا

إلى الآنَ يُضرَبُ مــن ههنــا　　بنــا مَثــلٌ في مصــيرِ الــدُّنى

ولــو صــحَّ مــن مثــلٍ للــدَّمارِ　　مــا كــانَ غــيرَهمُ.. والتّــوى

وجَــدنا هنــا كــلَّ ذي عــورةٍ　　عــلى كــلِّ ذي حرمــةٍ قـد سـطا

وكــلَّ كــريمِ الثَّنــا أصــيدٍ　　تَقلّــص في كنّــهِ وانــزوى

وجــدنا الرَّجــالَ هنــا بالرِّجــالِ　　لاهــينَ.. في وَضــحِ مــن سَــنا

عــلى حــينَ تخــتصُّ نِســوانُهم　　نســاءٌ ومنتصــفٌ مــن جــزى

وجـدَنا الـزعيمَ – كـما يَنْعَتُـونَ – … عـلى قـدَميْ غاصـبيهِ ارتمـى
وجـدنا الخبائـثَ والطَّيبـاتِ … بأضـدادِهنَّ هنـا تصـطفى
وجـدنا الرِّجـالَ وأسـماءَهم … يُخَفِّـفُ مـن قبحها بـالكُنى
بَنـيَّ إذا الـدَّهرُ ألقـى القنـاعَ … وصرَّح مـن حسـوهِ مـا ارتغـى
ودالـتْ لهـمْ دولـةٌ كـالَّتي … لـدى النـاسِ في وجهها والقفـا
سـواءٌ فـلا خَلْفُهـا مـن أمـام … يبـدو ولا وجهُهـا مـن ورا
ولا يسـتبيحُ بهـا سـابقاً … إلى المجـدِ ركاضـةٌ مـن حَبـا
ولا يقـذفُ الشـهمَ ذو لَوثـةٍ … ذمـيمٌ.. ولا يـدّري مـن وعـى
وكـانَ المُفَضـلُ لا المـزدرى … لـهُ يُعتـزى وبـهِ يُؤتسـى
وكـان بهـا المُثـل الصـالحاتُ … لا الطالحـاتُ.. هـي المُقتـدى
فـلا تبخلـوا أنْ تـزوروا … أبـاً جريرتـه أنَّ ذُلاً أبـى
ولا تبخَلـوا أنْ تمـدوا يـداً … لتحضـنَ منـه خيـالاً سرى
وطيفـاً أتـاكمْ يهنّـيكمُ … بـأنْ قـد وُقيـتمْ زمانـاً مضى
ولا تُنكـروا أنَّ « عُشـاً » بـه … تلـوحُ لكـمْ قسَـماتُ الهنـا
كطُهْـرِ « الطفولـةِ » أجـواؤه … وأفيـاؤه كرفيـفِ الضـحى
ضرَبنـا لنجمـعَ أعـوادَه … لكـم في صـميمِ زمـانٍ جسـا
سـتدرون أيَّ مطـاوي الـبلاءِ … نزلنـا إليهـا وأيَّ الهُـوى
وأيَّ الخصـومِ مـدَدْنا لـه … بـأيِّ الأكـفِّ بـأيِّ القَنـا
ضربنـاهُ بـالفكرِ حتـى التـوى … وبالقلـبِ حتـى هفـا بـالرَّدى
وكـانَ القـريضُ الـذي تقـرؤونَ … أقتـلَ مـن ذا وهـذا شـبا

ضربنـــاه أنْ لم يُصِـــبْ مَقــتلاً ... بســـهمِ أراشَ ونصـــلٍ بـــرى

وشرُّ « الســـهامِ » رُواءُ النعـــيمِ ... وشرُّ « النضـــالِ » بريـــقُ الغِنـــى

ســـلامٌ عـــلى هَضَـــباتِ العـــراقِ ... وشـــطَّيهِ والجُـــرفِ والمُنحنـــى

على النَّخْـلِ ذي السَّـعَفاتِ الطـوالِ ... عـــلى ســـيدِ الشـــجَرِ المُقتنـــى

عـلى الرُّطَــبِ الغـضِّ إذ يُجـتلَى ... كـــوَشْيِ العـــروسِ وإذ يجتنـــى

بإِيســـارهِ يـــومَ أعذاقُـــه ... تـــرفُّ.. وبـــالعسرِ عنـــدَ القنـــى

وبالسَّـــعفِ والكـــرَبِ المُســـتجِدِّ ... ثوبـــاً « تهـــرا » وثوبـــاً نضـــا

ودجلـــةَ إذْ فـــارَ آذيهـــا ... كـــما حـــمَّ ذُو حـــرَدٍ فـــاغتلى

ودجلـــة تمشـــى عـــلى هونهـــا ... وتمشـــى رخـــاء عليهـــا الصـــبا

ودجلـــةَ زهـــوِ الصَّـــبايا المـــلاحِ ... تَخـــوَّضُ منهـــا بـــماءٍ صرى

تُريـــكَ العراقـــي في الحـــالتينِ ... يُسرِفُ في شُـــحهِ والنـــدى

ســـلامٌ عـــلى قَمـــرٍ فوقَهـــا ... عليهـــا هفـــا وإليهـــا رَنـــا

تُدغـــدِغُ أضـــواؤهُ صـــدْرَها ... وتَمســـحُ طياتهـــا والثِنـــى

كـــأنَّ يـــدا طـــرَّزَتْ فوقهـــا ... مـــن الحُســـن موشِـــيةً تُجـــتلى

رواءُ النمـــيرِ لهـــا لحمـــةٌ ... وذَوبُ الشـــعاعِ عليهـــا سَـــدى

ونجـــمٌ تغَـــوَّرَ مـــن حبّهـــا ... ونجـــمٌ عليهـــا ادَّنـــى فـــادَّلى

عـلى الجِسْرِ مـا انفـكَّ مـن جانبيـهِ ... يُتـــيحُ الهَـــوى مـــن عيـــونِ المهـــا

فيـــا ليـــتَهُنَّ الـــذي يعتـــدي ... ويـــا ليتـــكَ الرّجـــلُ المُعتـــدى

ويـــا ليـــتَ بلـــواكَ قُـــبُّ الصـــدورِ ... ولُعـــسُ الشـــفاهِ وبـــيضُ الطُّـــلى

ويـــا ليـــتَ أنّـــكَ لا تشـــتكي ... ظَـــماءكَ إلاَّ لهـــذا اللمـــى

وليـــتَ بهـــنَّ ولا غـــيرهنَّ ... تَنَقّـــلُ في غضـــبٍ أو رِضـــا

بهـــنَّ ولا بغـــلاظِ الرقـــابِ قِبـاحِ الوجـوهِ خِبـاثِ الكُـلى
سـلامٌ عـلى جـاعلاتِ النَّقيـقِ عـلى الشّـاطئينِ بَريـدَ الهـوى
لُعنـتنَّ مـن صـبيْةٍ لا تشـيخُ ومـن شِـيخةٍ دَهْرَهـا تُصـطبى
تقـافَزُ كـالجنِّ بـينَ الصـخورِ وتنـدسُّ تحـتَ مهيـلِ النَّقـا
حَلَفـتُ بمـنْ راءَكـنَّ الحيـاةَ سـمحاءَ أبـدعَ مـا ترتـأى
وألبسـكُنَّ جمـالَ الغـديرِ مَـن صـافَ منكنَّ أو مـن شـتا
لأنـتنَّ مـن واهبـاتِ البيـانِ جمـالاً ومـن محييـاتِ اللُغـى
عـلى أنهـا لغـةٌ ثـرَّةٌ عـواطفكنَّ بهـا تمـترى
لقـد عـابكنَّ بـما لا يُعـابُ فَـذْمٌ بخَلْـقِ جميـلٍ زَرى
بسَـمحِ يُنـادمُ رَكـبَ الخلـود ويُحسـن للخـابطينَ القـرى
يَـدُلُّ عـلى المـاءِ مـن ضَـلَّه ويرفـعُ وحشـةَ ليـلٍ طخـا
كـأنَّ بعينيـكِ يـاقوتتينِ صـاغهما جـوهريٌّ جَـلا
ولـو لم يُخـبرْ بريـقُ النبـوغِ بعينيـكِ عـن مثـلِ سـفعِ الـذّكا
لـنمَّ الجُحـوظُ عـلى شـاعرٍ بعيـدِ الخيـالِ عنيـفِ الـرؤى
سـجا الليـلُ إلا حمامـاً أجـدَّ هَـديلا وترجيـعَ كلـب عَـوى
وجُنْدُبـةَ طارحـتْ جُنـدُباً وبومـاً زقـا وسـحيلاً ثغـا
وديكـاً يـؤذِّنُ في جمعهـم بـأن قـد مضى الليـلُ إلا أنـى
ودَّوى قِطـارٌ فـرَدَّ الحيـاةَ عفـواً إلى عـالَمٍ يُبتنـى
ومـا بـرِحَ القمـرُ المسـتديرُ يَسـبحُ في فلـكٍ مـن سـنا
تلـوذُ النجـومُ بأذيالـهِ هَفـتْ إذ هفـا ودَنَـتْ إذ دنـا

إلى أنْ تَضـــوَّرَ غـــولُ الصَّـــباحِ ودَبَّ الهُـــزالُ بـــه فانضـــوى

ســـلامٌ عـــلى عـــاطراتِ الحقـــولِ تنـــاثرُ مـــن حـــولهن القـــرى

ويـــا لَلَطافـــةِ هـــذي الـــدُّنى يُتمّمهـــا لطـــفُ تلـــكَ الـــقُصى

وحبـــلِ ضـــياءٍ تـــدلى بـــه عـــلى أُفـــقٍ أُفـــقٍ والتقـــى

كـــأنَّ يـــدَيْ خـــالقٍ مبـــدعٍ تخيّـــلَ عُريتهـــا وارتـــأى

يَمُـــرَّانِ فـــوقَ الرُّبـــى والســـفوحِ ويخترقـــانِ ســـدوفَ الـــدُّجى

وينتزعـــانِ الشُـــفوفَ التـــي تـــدثّرَ كـــوْنٌ بهـــا وارتـــدى

رويـــداً رويـــداً كـــما سُرِّحـــتْ غلائـــلُ غانيـــةٍ تنـــتضى

وألقـــتْ عليهـــا الغيـــومُ اللطـــافُ نَسْـــجاً كعهـــدِ الغـــواني وهـــى

تحـــرّقَ كـــاسٍ إلى عُريـــهِ وأُغـــرم عـــارٍ بـــه فاكتســـى

كـــأنَّ بهـــا عالمـــاً واحـــداً تلاقـــى.. وإنْ بعُـــد المتنـــأى

ســـلامٌ عـــلى بلـــدٍ صـــنته وإيـــايَ مـــن جفـــوةٍ أو قـــلى

كلانـــا يكابـــدُ مـــرَّ الفـــراق عـــلى كبـــدينا ولـــذع النـــوى

وكـــل يفـــذ إلى طيـــه لنـــا عنـــد غايتهـــا ملتقـــى

غـــدا إذ يظـــن فضـــاء العـــراق طنـــين الثـــرى مـــن هزيـــر خـــلا

وإذ يســـتقل بضـــيعتى فتـــى يـــرى الغـــنم فى العـــيش كســـب الثنـــا

ويقـــدر إن ضـــم منـــه اليـــدين أى ثمـــين نفـــيس حـــوى

غـــدا إذ فريـــق يحـــوز الثنـــا يعـــض فريـــق بضـــم الصـــفا

***

عُدنا وقودًا ..

وَلَّى شـبابٌ فهـلْ يعـودُ ... ولاحَ شَـيْبٌ فـما يُريـدُ
يُريـد أنْ يُـنقِصَ الليـالي ... مِنّـي ظُلـمًا بـما يَزيـد
يـا أبـيضَ الـريشِ طـرْنَ منه ... غِـدفانُ ريـش الجَنـاحِ سُـود
يـا هُولـةُ تَفـزَعُ المرايـا ... مِنـه ويسـتصرخُ الوليـد
يـا حـامِلاً شـارةِ الزَّرايـا ... يـا سـاعيَ المـوتِ ، يـا بَريـد
يـا نـاغِرَ الجُـرحِ لا يُـداوي ... إلاَّ بـأنْ يُقطَـعَ الوريـد
بـرغمِ أنـفِ الصِّبَا وأنفـي ... يَخضـبُ فَـودي منـكَ الصـديد
وأنَّ رأسي يـمشي عليـه ... تيهًـا عَـدُّو لـهُ لَـدَود
كـمْ ليلـةٍ خـوف أنْ تُـواتي ... أُتـرِعَ كـأسُ ورنَّ عُـود
وكـمْ وكـمْ ، والشَّـبابُ يَـدري ... رُوِّعَ ظَبـيٌ فَـنُصَّ جيـد
أعائـدٌ للشـبَّابِ عيـدُ؟ ... أمْ راجـعٌ عهـدهُ السَّـعيد
أيَّـامَ شرخُ الصِّـبا وريـقٌ ... وظِلّـهُ سجسـجٌ مَديـد
ونحـنُ ، مِثـلَ الجُمـانِ زهـوًا ... ينظِمُنـا عِقـدُهَ الفريـد
أمْ لا تـلاقٍ ، فـلا خُطـوطٌ ... تُـدني بعيـدًا ، ولا حُـدود
مَـنْ مُبلِـغُ المُشـتفينَ أنَّـا ... صِرنـا لِمـا يَطمـحُ الحسـود
أنَّـا استعَضْـنا ثوبـا بثـوب ... وطالمـا اسـتُبْدلَتْ بُـرود
فـراحَ ذاكَ العتيـقُ غضّـا ... ولاحَ - رَثـا - هـذا الجديـد
ألـوى بنـا عـاطفٌ حبيـبٌ ... ومَلَّنـا الواصِـلُ الـودود
قـد كـان يُشـجي أهـلَ التَّصابي ... أنَّـا عـلى هـامِهمْ قُعـود

لم نـــدرِ مـــا نَسْـــتزيدُ منـــهُ   لـــو قيـــلَ : هـــلْ عنـــدَهُمْ مزيـــد
نهارُنـــــا مُـــــترَفٌ بَليـــــدٌ   وليلُنـــــا جـــــامحٌ عَنيـــــد
فـــاليوم إنْ تُعـــتصَرْ شَـــفاهٌ   أو تُهـــتصَرْ - لَذْنَـــة - قُـــدود
أو يَطَّـــرِدْ قـــانِصٌ قَنيصـــاً   أو تُعْجـــبِ الأغيـــدينَ غِيـــد
نقنـــعُ مِـــن لـــذَّةٍ ولهـــوٍ   أنَّـــا عـــلى عُرْسـِــهِمْ شُـــهود
عُـــدنا وَقـــودًا .. وكُـــلُّ حـــيٍّ   للـــذَّة تُشـــتهي، وقـــود

***

مقطعات من لندن..

هنـــا يرقـــدان وخضْرُ الجبـــالِ   تَبـــلُّ الينـــابيعُ أردانَهـــا
بحيـــث البحـــيرةُ تُنســـيهُما   عنـــاءَ الحيـــاةِ وأدرانهـــا
وحيـــثُ الرُعـــاةُ تُغنِّـــيهما   إذا شَعْشَـــع الفجـــرُ ألحانهـــا
وحيـــثُ يَهـــيج نســـيمُ الصـــباحِ   غـــرامَ العَـــذارى وأشـــجانها
هنـــا يرقُـــدان بحيـــثُ الســـماءُ   تَصْـــبغ بـــالوردِ ألوانهـــا
يَبُـــثهما الزَهـــرُ أشـــواقَهُ   وتُعطـــي الخمائِـــلُ عُنوانهـــا

***

المقام في لندن

مَلِلـــتُ مُقـــاميَ في لندنـــا   مُقـــامَ العَـــذارى بـــدور الزِنـــا
مُقـــام المســـيح بـــدارِ اليَهـــودِ   مُقـــام العـــذابِ.. مُقـــام الضَـــنى

***

صاحبي

صاحبي لو تكونُ من أعدائي ... لتمنَّيتَ أن تموتَ بدائي
لتمنيت أن يكونَ لك الطُولان ... طُولُ الأذى وطُولُ البقاء

***

جين

أسرفتِ في ترف الجْمالِ ... وسكِرتِ من خمر الدَّلالِ
وثنيتِ طرَفكِ فانثنى ... يرمي الظِلالَ على الظلال
أعيا جمالك منطقي ... وسما خيالك عن خيالي
يا « جينُ » لطفُ الخمر ... أنكِ كنتِ ماثلةً حِيالي
ما شاء فليكتبْ عليَّ ... الدهرُ.. إني لا أُبالي
إذ كان خَصْرُكِ في اليمينِ ... وكان كأسي في الشِّمال

***

آمنتُ بالحُسين

فِداءٌ لَمثواكَ من مَضْجَعِ ... تَنَوَّرَ بالأبلجِ الأروَعِ
بأعبقَ من نَفحاتِ الجِنانِ ... رَوحاً.. ومن مسكِها أضوع
ورَعياً ليومكَ يومِ « الطُفوف» ... وسَقياً لأرضِكَ من مصْرَع
وحُزناً عليك بحَبْسِ النُفوسِ ... على نهجِكَ النَّيرِ المهْيع
وصَوتاً لمجدِكَ منْ أنْ يذالَ ... بما أنت تأباهُ من مبدع

فيــا أيُّهــا الــوِترُ في الخالِــدينَ فـــــذّاً.. إلى الآنَ لم يشْـــفع
ويـــا عِظَـــةَ الطــامحينَ العِظــامِ للاهــينَ عــن غَــدِهِمْ قنّــع
تعاليــتَ مــن مُفــزِع للحتــوفِ وبــورك قــبرُكَ مِــن مفــزَع
تلــوذُ الــدُّهورُ فمِــنْ سُــجَّد عــلى جانبيــه .. ومــنْ رُكّــع
شَــممتُ ثــراكَ فهــبَّ النسـيمُ نسـيمُ الكرامــةِ مــن بلقــع
وعفّـرتُ خـدي بحيـثُ اسـتراحَ خـــدٌّ تفـــرَّى ولمْ يضرَع
وحيـثُ سـنابكُ خيـلِ الطُغـاةِ حالـــتْ عليـــهِ ولم يخشــع
وخِلـتُ وقـد طـارتِ الـذكرياتُ بروحـــي إلى عـــالمٍ أرفـــع
وطُفْـتُ بقـبرِكَ طـوفَ الخَيـالِ بصـــومعةِ الْمُلْهِـــمِ المُبـــدع
كــأنَّ يــداً مــن وراءِ الضريــح حمــراءَ « مَبتــورَةَ الإِصــبع »
تَمُــدُّ إلى عــالمٍ بــالخُنوعِ والضــيمِ ذي شرقٍ مُــترَع
تَخَــبَّطَ في غابــةٍ أطبَقــت عــلى مُــذئبٍ منــه أو مُسْــبع
لِتُبــدِلَ منــه جــديبَ الضـمير بـــآخَرَ مُعشوشِـــبٍ ممــرِع
وتـدفعَ هـذي النفـوسَ الصِـغارَ خوفـــاً إلى حَـــرَمٍ أمنـــع
تعاليــتَ مــن صــاعِقٍ يلتظـي فــإنْ تــدْجُ داجيــةٌ يلمــع
تــأرّمُ حِقــداً عــلى الصــاعقاتِ لم تــنْءِ ضَــيراً ولم تَنْفــع
ولم تَبــذُرِ الحــبَّ إثــرَ الهشـيمِ وقــد حرَّقَتــهُ ولمْ تــزرع
ولم تُخــلِ أبراجَهــا في الســماء ولم تــأتِ أرضــاً ولم تــدْقع
ولم تَقْطَــعِ الشرَّ مــن جِذْمــهِ وغِــلَّ الضــمائرِ لم تَنـزع
ولم تَصْــدِمِ النــاسَ فــيما هُــمُ عليــهِ مــن الخُلُــقِ الأوضــع
تعاليــتَ مــن « فَلــكٍ » قُطْــرهُ يــدورُ عــلى المِحــوَرِ الأوســع

فيابنَ « البتولِ » وحَسْبي بها ... ضَماناً على كلْ ما ادَّعي
ويابنَ التي لم يَضَعْ مِثْلها ... كمِثلِكَ حَملاً ولم ترْضِع
ويابن البطينِ بلا بطنةٍ ... ويابن الفتى الحاسرِ الأنْزَع
ويا غُصْنَ « هاشِمَ » لم ينفَتِحْ ... بأزهرَ منكَ ولم يفرِعِ
ويا واصِلاً مِن نشيدِ « الخُلود » ... خِتامَ القصيدةِ بالمطلع
يَسيرُ الورى بركاب الزمانِ ... مِن مستقيم ومن أظلع
وأنتَ تُسيرُ ركبَ الخلود ... ما تستجِدّ له يَتبَع
تَمثَّلتُ « يَومكَ » في خاطري ... وردَّدت « صوتكِ » في مَسمعي
ومَحَّصتُ ،مرَكَ لم « أرتهبْ » ... بنقلِ « الرُّواة » ولم أُخدَع
وقلتُ : لعلَّ دويَّ السنين ... بأصداءِ حادِثكَ المُفجِع
وما رتلَ المخلِصونَ الدُّعاةُ ... من « مرسِلينَ » ومن « سُجَّع »
ومِنْ « ناثر بِ عليكَ المساءَ ... والصُبحَ بالشَعْرِ والأدمع
لعلَّ السياسةَ فيما جَنَتْ ... على لاصقٍ بكَ أو مدَّعي
وتشريدَها كلَّ منْ يدَّلي ... بحبلٍ لأهلِيكَ أو مقطع
لعلَّ لذاكَ و« كونِ » الشَّجيِّ ... وَلُوعاً بكلِّ شَجٍ مولع
يَداً في اصطباغ حديثِ « الحُسين » ... بلونٍ أُريدَ لهُ ممتع
وكانتْ ولمّا تزَلْ برْزَةً ... يدُ الواثقِ المُلْجَأ الألمعى
صَناعاً متى ما ترِدْ خُطّةً ... وكيفَ ومهماً ترِدْ تَصنع
ولَمَّا أزَحتُ طِلاءَ « القرونِ » ... وسِترَ الخِداع عنِ المخْدع
أُريدُ « الحقيقةَ » في ذاتِها ... بغيرِ الطبيعة لم تُطْبَع
وجدتكَ في صُورةٍ لم أُرَعْ ... بأعظمَ منها ولا أرْوَع
وماذا ! أأروعُ مِنْ أن يكونَ ... لحمُكَ وَقْفاً على المِبضَع

وأنْ تَتَّقــي – دُون مــا ترتــائي – ضـــميرَكَ بالأسَـــلِ الشُرَّع
وإنْ تُطْعِـم المـوتَ خـيرَ البنـينَ مـنَ « الأكهلـينَ » إلى الرُّضَّـع
وخــيرَ بنـي « الأمِّ » مـن هاشـم وخــيرَ بنــي « الأب » مـن تُبّـع
وخـيرَ الصِّحاب بخـيرِ الصـدورِ كـــانوا وِقـــاءكَ.. والأذْرع
وقدَّسْــتُ « ذكــراكَ» لم أنتحِــلْ ثِيـــابَ التقـــاةِ ولم أدَّع
تَقَحَمْتَ صدري وريبُ «الشكوكِ» يَضِــجُّ بجدرانــه « الأرْبــع »
ورانَ سَـحابٌ صـفيقُ الحجـاب عــليَّ مــن القَلَــقِ المُفــزع
وهبــتْ ريــاحٌ مــن الطيّبــات و « الطيبـــينَ »ولم يقْشَـــع
إذا مــا تزحــزحَ عــن مَوضــع تــأبى وعـــادَ إلى مَوضـــع
وجازَ بِيَ الشكُّ فيها معَ « الجدودِ » إلى الشـــكِّ فـــيما معـــي
إلى أن أقمـــتُ عليـــه الـــدليلَ مـــن « مبـــدأ» بـــدم مشـــبع
فأســـلَمَ طَوعـــاً إليـــكِ القِيـــاد وأعطـــاكَ إذعانـــه المُهطِـــع
فنَــوَّرْتَ مــا أظْلَــمَّ مــن فِكــرتي وقَوَّمــتَ مــا اعــوجَّ مـن أضـلُعي
وآمنـــتُ إيـــمانَ مـــن لا يـــرى سِوى (العقل) في الشكِّ من مَرْجع
بــأن (الإبــاء).. ووحــيَ السـماء وفـــيضَ النبـــوَّةِ.. مـــن منْبــع
تجمّــعُ في جـــوهرِ خـــالصِ تَنَــزهَ عـــن عـــرَضِ المَطْمــع

***

ناغيت لبنانا...

ناغيــت « لُبنانــاً » بشِــعريَ جِــيلا وضـــفرته لجبينـــهِ إكلـــيلا
وردَدْتُ بـــالنغمِ الجميـــلِ لأرزه ظِــلاً أفــاءَ بــه عــليَّ ظَلــيلا
أو مــا تــرى شـعري كـأنَّ خِلالَـه نسيَ النســيمُ جناحَـــهُ المبلـــولا

وحِسانَ لُبنانٍ منحتُ قصائدي ... فسحبنهنَّ كَدَلْهِنَّ ذُيولا
أهديتُهُنَّ عُيونَهنَّ نوافذاً ... كعيونِهنَّ إذا رَمينَ قتيلا
فردَّدنهنَّ من الأسى وجِراحِه ... كِسَراً .. فَرُحْتُ الْمهنَّ فُلولا
ورَجَعتُ أدراجي أجرُّ غنيمةً ... من « بنتِ بيروتٍ » جوىً وغليلا
لُعِنَ القصيدُ فأيُّ مُثرٍ شامخ ... سرعانَ ما استجدى الحسانَ ذليلا
رَدَّتْ مطامحه البِعادَ دوانياً ... وكثيرَ ما خَدعَ الخيالَ قليلا
ناغيتُ « لُبناناً » وهل أبقى الهوى ... بُقيَّ على قيثارتي لتقولا
طارحته النغماتِ في أعيادِه ... بأرقَّ من سجعِ الحمامِ هديلا
ومَسحْتُ دمعَ الحُزنِ في أتراحِه ... وجعلتُ مَحْضَ عواطفي مِنديلا
وكذاكَ كنتُ وما أزالُ كما بنى ... أهلي أُجازي بالجميلِ جميلا
يا شيخَ « لُبنا َ » الأشمِّ فوارعاً ... وشمائلاً .. ومناعةً .. وقبيلا
مثَّلتَهُ في كلِّهنَّ فلم يُرِدْ ... بسواك عنكَ .. ولن يريدَ بديلا
إنَّ العراقَ وقد نزلتَ رُبوعَهُ ... لَيَعُدُّ ساكِنه لديكَ نزيلا
بُشرى « بشارةُ » أنْ تجوسَ خِلالَها ... وتُزيرَ طرَفكَ أهلها وتُجيلا
قف في ضفافِ الرافدينِ وناجِها ... وتفيَّ صَفصافاً بها ونخيلا
واسمَعْ غِناء الحاصدينَ حُقولَها ... للحاصداتِ من القلوبِ حُقولا
سترى القريضَ أقلَّ مِن أنْ يَجتلي ... لغةَ النفوسِ عواطفاً ومُيولا
وتلمّسِ الآهاتِ في نَبَراتِهِمْ ... يُشعِلنَ من حَدَقِ العيونِ فتيلا
واستنطِقِ « الرَّمَلاتِ » في جَنَباتِها ... ولطالما استوحى النبوغُ رمولا
واستوحِ كُوفاناً وبصرةَ إذ هُما ... يتصدَّرانِ العالمَ المأهولا

يستوردانِ حَضارةً ومواهبا ... ويُصدِّرانِ فطاحلاً وفحولا

وتَقرَّ « بغداداً » فإنَّ دُروبَها ... ستُريكَ من سِفرْ الزمانِ فُصولا

ستُريكَ كيف إذا استتمّتْ دولةٌ ... أعمى الغرورُ رجالَها لتدولا

إيهِ « بِشارةُ » لم تكنْ لتَحُدَّ من ... مهوى النفوسِ ولم تكنْ لتحولا

إني رَصَدتكَ من بعيد لم أُرِدْ ... إذناً عليكَ ولا بعثتُ رسولا

ودخلتُ نفسَك لم أزاحِمْ حاجباً ... عنها.. ولم ألجِ « الرِواقَ » فضولا

وحَلَفْتُ لا أُوذي الملوك ولا أرى ... ظِلاًّ على بابِ « الأميرِ » ثقيلا

صَونٌ لمجدِ الشعرِ أوهمَ خاطئاً ... أني خُلِقتُ على قِليًّ مجبولا

ولربما ظنَّ الرواجمُ أنهمْ ... سيرَوْنَ من هذا « المنخّل » غُولا

وعرفتُ فضلَكَ قبل كونِك عاهلاً ... تُرخي عليكَ حجابَك المسدولا

تَلِجُ العقولَ عباقراً ونوابغاً ... وتُمحّصُ ال[illegible]ـولَ والمنقولا

ووجدتك المُعطي السياسةَ حقَّها ... ترعى النُّصوصَ وتُحسِنُ التأويلا

والمستجيرَ بظلِّها من ظلّها ... تتخيرُ التحويرَ والتحويلا

ولمستُ يومَك حين ضجَّ ضجيجُها ... ومشتْ تدُكُّ روابياً وسهولا

تستخدمُ المتفجراتِ لدافعٍ ... عن حقهِ وتُسخرُ « الأسطولا »

وعُقابُ « لبنانٍ » تَضُمُّ جَناحَها ... تحمي الفراخَ وتحرُسُ الزُّغلولا

وبنوكَ أُسْدَ الغابِ في لِبداتِهِمْ ... عُبلُ السواعد يمنعونَ الغيلا

حتى إذا انجلتِ العَجاجةُ وارتمى ... شِلْواً – ربيبُ « فَجارةٍ » منخولا

وتخلتِ الأقدارُ عن متجبرٍ ... ملأ البلادَ وأهلَها تنكيلا

وبرزتَ مثلُ السيفِ لا مُستسلِماً ... جُبْناً.. ولا نِكْساً.. ولا مخذولا

وتزاحمتْ بالهاتفينَ شِعابُها ... يُزجُونكَ التكبيرَ والتهليلا

كنتَ الجديرَ بكلِّ ذاكَ وفوقَه ... إذ كنتَ سيفَ جهادِها المسلولا
يا شيخَ « لبنانٍ » وحَسْبُكَ خِبرةً ... رَفَعَتكَ شيخاً في الملوك جليلا
جرَّبتَ حنظلةَ الدخيلِ وطعمَها ... وصميمَها وطلاءَها المعسولا
ولمستَ من لَهَبِ السياطِ ووَقْعِها ... فوقَ الظهورِ على الطُّغاةِ دليلا
ورأيتَ كيف العِلْجُ يُسمِنُ أهلَهُ ... يُقري بنيهِ شعبك المهزولا
وعرفتَ قدرَ العاملينَ مبجَّلاً ... شكراً.. وحظَّ العاملينَ جزيلا
رَنتِ العيونُ إليكَ تُكبِرُ موقفاً ... من « شيخِ » لُبنانَ النبيلِ نبيلا
وتُريدُ منك وقد تقلَّصَ ظلُّهم ... ألا تَميزَ على الدخيلِ دخيلا..
فلقد خَبَرنا نحنُ قبلك مِثلَهُ ... وأشرَّ في لغةِ الطُّغاةِ مثيلاً
فإذا بحنظلةٍ تَحِنُّ لأختِها ... وإذا بـ «شدقمَ» يستظلُّ « جديلا »
وإذا بأولاوءٍ تفرِّقُ بينَهم ... شتى الدُّروبِ ويلتقونَ سبيلا
فاوِض فقد غَدَت العوالِمُ عالماً ... ما زالَ حَبلُ صِلاتِهِ موصولا
وسيجرِفُ التاريخُ في تيّارِه ... شعباً يظَلُّ مُجانِباً معزولا
وتراثُ « لُبنانٍ » قديمٌ نشرُهُ ... في المشرقينِ مواهباً وعقولا
لكنْ توَقَّ من الوعودِ سلاسلاً ... برّاقةً.. ومن العهودِ كُبولا
فاوِضْ وخلِّ وراءَ سمعِك مُغرياً ... وأمامَ عينكَ شامتاً وعَذولا
ولأنتَ أعلمُ إنْ تُزحزَحْ عندَهم ... شبراً.. فسوفَ يزحزحونكَ ميلا
وإذا ارتخَتْ عُقدٌ تيسّرَ حلُّها ... جدُّوا لكم عُقداً تريدُ حُلولا
« عبدَ الإله » وليس عاباً أنْ أرى ... عِظمَ المَقامِ مطوِّلاً فأطيلا
كرِّمت صيفك يستثيرُ جلالَه ... نُطقاً.. ويدفعُ قائلاً ليقولا

يــا ابــنَ الــذينَ تنزَّلــتْ ببيــوتِهم ... سُــوَرُ الكتــابِ.. ورُتِّلــتْ تــرتيلا

الحــاملينَ مــن الأمانـــةِ ثقلَهــا ... لا مُصــعِرينَ ولا أصــاغِرَ مِــيلا

والناصــبينَ بيــوتَهم وقبــورَهم ... للسـائلينَ عــن الكــرامِ دلــيلا

والطامســينَ مــن الجهالــةِ غَيْهبــاً ... والمُطلعــينَ مــن النهــى قِنــديلا

ملكــوا الــبلادَ عروشَــها وقصــورَها ... واســتعذبوا وعْــث الـتراب مَقــيلا

يــا ابــنَ النبــيِّ وللملــوكِ رســالةٌ ... مَــنْ حَقَّهــا بالعــدلِ كــانَ رســولا

يرجــو العــراقُ بظــلِّ رايــةِ فيصــلٍ ... أنْ يرتقــي بكــما الــذُّرى ويطــولا

لا شـــك أنَّ وديعـــةً مرموقـــةً ... عــز الكفيــلُ لهــا فكنــت كفيــلا

وكيــانُ مُلــكٍ في حداثــةِ عهــدِه ... يتطلــبُ التلطيــفَ والتــدليلا

وسياســة حضــنتْ دُعــاةَ هزيمــةٍ ... وتبنّــتِ التفريــقَ والتضــليلا

تُغــري المثقــفَّ أن يكــون مُهادِنــاً ... وابــنَ الجهالــةِ أنْ يظَــلَّ جَهــولا

ألقــت عــلى كتِفيــكَ مــن زَحَماتِهــا ... عبئــاً تنــوءُ بــهِ الرِّجــالُ ثقــيلا

شــدَّتْ عروقــك مــن كــرائمِ هاشــمٍ ... بــيضٌ نمــينَ خديجــةً وبتــولا

وحَنَــتْ عليــكَ مــن الجــدودِ ذؤابــةٌ ... رَعَــتِ الحســينَ . وجعفــراً وعقــيلا

قُــدْتَ الســفينةَ حــين شَــقَّ مقادُهــا ... وتطلَّبــتْ رُبّانَهــا المســؤولا

أعْطتــكَ دَفَّتهــا فلــم تَرجِــعْ بهــا ... خوفَ الرِّياحِ ولا انـدفعتَ عَجـولا

وَمَنَحْتَهــا والعاصِــفاتُ تؤودُهــا ... مَتنــاً أزلَّ وســاعداً مفتــولا

أُعطِيــتَ مــا لم يُعــطَ قبلَــكَ مثلَــه ... شــعباً عــلى عِرفــانِكمْ مجبــولا

إنَّ العــراقَ يُجِــلُّ بيْعــةَ هاشــمٍ ... مــن عهــدِ جــدِّكَ بــالقرونِ الأولى

هــذي مصــارِعُ مُنجيــكَ ودورُهــم ... يمــلأنَ عَرضــاً للعــراقِ وطُــولا

مــا كــانَ حجُّهُــمُ وطــوفُ جمــوعِهِمْ ... لقبــورِ أهلــكَ ضَــلّةً وفُضــولا

حبُّ الأُولى سكنوا الديارَ يَشفُّهم ... فيعاوِدونَ طلولَها تقبيلا

يا شيخَ « لُبنانٍ » شكيَّةَ صارخٍ ... تتخلّلُ الترحيبَ والتأهيلا

كنّا نُريدُك لا القلوب « مغيمة » ... فينا ولا خِصبُ النفوسِ مَحيلا

لنريكَ أفراحَ العراقَ شَماله ... وجنوبَه وشبيبةً وكهولا

جئتَ العراقَ ومن فِلَسْطِينٍ به ... وَجَعٌ مطببهُ يعودُ عليلا

والمسجدُ المحزونُ يُلقي فوقَه ... ليلاً - على الشرقِ الحزينِ - طويلا

ذهبتْ فِلَسْطينٌ كأن لم تَعترِفْ ... من كافليها ضامناً وكفيلا

وعفتْ كأن لم يمشِ في أرجائها ... عيسى وأحمدُ لم يَطِرْ محمولا

والمسجدُ الأقصى كأنْ لم يرتفعْ ... فيهِ أذانٌ بُكرةً وأصيلا

وثرى صلاحِ الدينِ دِيسَ وأنعلتْ ... منه جيوشُ الواغِلِين خُيولا

و« الحنظلّي » بحِلْفِهِ ووعُودِهِ ... ما زالَ كاذبُ وعدِه ممطولا

لم يرعَ شرعَ الكافرينَ.. ولا وفى ... حقَّيهما القرآنَ والإنجيلا

أعطى « ألَنْبي» أهلَها فاستامهم ... بلفورُ.. فاستوصى بهم عِزريلا

واليومَ يفخرُ « بالحيادِ » كفاخرٍ ... بالقتلِ إذ لم « يُسلَخِ » المقتولا

***

قف بأجداث الضحايا

حضَنَ « التاجُ » بنيه فتعالى ... وتعالى « حارسُ التاج » جَلالا

وتعالت أُمةٌ لم تنحرفْ ... عن مدى الحقِّ ولا زاغَت ضَلالا

أُمةٌ تكرهُ من مستعمِرٍ ... فَرْضَه النصرَ وتأبى الانخِذالا

أوطأت أقدامها « عارِمَة » ... حسَكَ الجور.. وشاءَته انتِعالا

وتخطَّت جمرَةَ الغيضِ إلى « وقدةِ »المَوتِ فرادتها اشتِعالا
ومشَت « للهُلك » تدري أنه يسألُ الرّوح عن الدنيا زَوالا
عرفَت أنَّ الذينَ استفرَشوا حُلَلَ الديباجِ غَنْجاً ودَلالا
نَعمت أظفارُهمْ من « رقةٍ » فهي لا تَقوَى عن اللحم انفِصالا
ثم شاءوا المجدَ فيما يُقتَنَى حِلْيةً تُضفي على البيتِ جَمالا
كتَبَ الدهرُ على أبوابِهم هَهنا يرقد من عافوا النِضالا
ههنا يرقدُ من ظَلوا على هامشِ « التاريخ » كلاًّ وعِيالا
والذين استنزَفوا طاقاتِهم في المشقات هم كانوا الرجالا
حضَنَ التاجُ بنيهِ حضنَةَ الليث لا يبغي عن « الشِبل » انفِصالا
وتحدَّى من تحدَّى معلناً أنه يَقبل في الحق النزالا
وانبرَتْ كفٌّ هي البُرْءُ مشَى فشفَى من « مُزمن » داءً عُضالا
تمسَحُ الدمعةَ سالتْ حرّةً فوق جُرحٍ فاحَ بالعِطر وسالا
ورَمى نَسْرُ قرَيشٍ فوقَهم من جَناحَيه الحبيبَين ظِلالا
يَسْتجِمُّ المجدُ في أفيائها مُتعَباً لاقى من الجَهد كلالا
يا حُماةَ الطُهرِ في مُعتَرَكٍ زَحَمَ الطُهْرَ به الرجسُ فمالا
كرفيفِ الزَّهرِ في رَيْعانه لم تدنِّسْه يدُ الجاني ابتذالا
نَسَلوا من كل حَدْبٍ.. نسوةً ورجالا.. وَجنوباً.. وشَمالا
يا شباباً صَبَغوا الأرضَ دماً كان في « وجنة » سفر المجدِ خالا
مَنَحَ الباغي هواناً وصغى وحَبا الأمةَ زهواً واختيالا
أكثروا من دَمكمْ تَستكثروا من فمِ التاريخ مجداً وابتهالا
فهو ظَمآنُ إلى أمثالهِ لا دماءٌ خَثرت فهي كُسالى

واكتُبوهـــا صـــفحةً إن ذُكـــرت … كنـــتُمُ الأمثـــال فيهـــا والمِثـــالا
ليلـــةٌ ألقـــتْ إلـــيكم ثِقْلَهـــا … وليـــالٍ ســـوف تـــأتيكم « حَبـــالى »
واختِموا عهدَ « زعامات » عَفَتْ … كاذبـــاتٍ لفَقـــوهُنَّ انتحـــالا
جامعـــاتٍ – كـــلَّ مـــا لا يلتَقـــي … مـــن نَقيضَـــين – شَـــناراً واحتِفـــالا
مـــن حُطـــام لَمَّ مـــن كـــلِّ خَنـــا … وادعـــاءٍ صـــارخ قـــيلاً وقـــالا
وَمُـــدِلّين بـــأن قـــد قَرَنـــوا … بالخَنـــا جاهـــاً وبـــالحُظوةِ مـــالا
قِـف بأحـداث الضّـحايا لا تُسِـلْ … فوقهـــا دَمعـــاً ولا تَبـــكِ ارتجـــالا
لا تُـذِلْ عهـدَ الرجـولات التـي … تكـرهُ الضَـعْفَ.. وتـأبى الانحِـلالا
وتَلقّـــفْ مـــن ثراهـــا شَـــمةً … تمـــلأُ المنخِـــرَ عـــزا وجـــلالا
وَضَـعِ « الإكليـل » زَهْـراً يانعـاً … فـــوقَ زهـــرٍ مـــن ضـــمير يَـــتلالا
ثـــم خَفّـــضْ مـــن جَناحيـــك بهـــا … ثـــم أبلغْهـــا إذا شِـــئتَ « مقـــالاً »
أيُّهـــا الثـــاوونَ في جَـــولاتكم … طِبْـــتمُ مَثـــوىً وعُطّـــرتمْ مجـــالا
كلُّنـــا نحسُـــدُكم أن نِلْـــتمُ … شَرَفَ الفُرصـةِ – من قبلُ – اهتبالا
كلُّنـــا نـــمشي عـــلى آثـــارِكمْ … بالضَـــحيّات خفافـــاً وثقـــالا
كلُّلنـــا ممتَثـــلٌ مـــن وَحـــيكم … مـــا يُريـــد الـــوَطنُ الحُـــرُّ امتِثـــالا
فـــإذا شِـــئْتُم مَشَـــيْناها ونـــىً … وإذا شـــئتم مشـــيناها عِجـــالا
وإذا شِـــئتُم صَـــبغْناها دمـــاً … صـــبغةً تـــؤْذِنُ بالحـــال « انتقـــالا »
يـــا حفـــيظَ العهـــدِ للـــوادي ويـــا … أمَـــلَ الـــوادي فُتـــوّاً واقتبـــالا
وصـــليبَ العـــود يَـــأبى غمـــزةً … ورفيـــعَ الـــرأس يـــأبى أنْ يُطـــالا
هُـــرِعَ الشـــعب إلى مُنقـــذِه … مُلقِيـــاً في الســـاحة الكـــبرى الرّجـــالا

كَـذَبَ المُلقـون في رُوعِكُـمُ ... أنَّـه يطلـبُ أمـراً لـن يُنـالا
قـل لأولاءِ الـذين استأثَروا ... بالملـذّاتِ وبـالحكمِ احتيـالا
والـذين اختَلقـوا أنّهُـمُ ... وحـدَهُمْ مـدُّوا إلى العـرشِ حبـالا
كـم وكـم ثـاوٍ بجُحْـرٍ مُظلِـمِ ... وحريـبٍ يأكـلُ المـاءُ الـزلالا
كـان أصـفى نيـةً في حُبِّكم ... مـن مـدِلِّينَ نِفاقـاً وافتِعـالا
والـذين افتَخـروا أنَّهـم ... يَلبَسون « الشعب » ما شاؤوا نعالا
والـذين استَنْفروا مـن حـولهم ... زُمـراً عبّأهـا الشرُّ رِعـالا
ليسُـدَّ « السـوطُ » مَجْـرَى فكـرةٍ ... وتُعيـقَ « النـارُ » قـولاً أنْ يُقـالا
قـلْ لهـم : لَسْـتم رفـاقي فـانفِروا ... إنَّ هـذا الشـعبَ لا يَبغِـى مُحـالا
إنـه يَشـجُبُ مـن حُكامـه ... خُطـةَ العَسـف ويـأبى الاغـتلالا
ويريـدُ العـدْل في أحكامـه ... والمسـاواةَ وإن عـزَّتْ منـالا
لا « يقـالُ » الشـعبُ لكـنْ طغمـةٌ ... تسـترقُّ الشـعبَ أولى أن تُقـالا

***

أخي جعفر

أَتَعْلَـمُ أمْ أنـتَ لا تعْلـمُ ... بـأنَّ جِـراحَ الضحـايا فـمُ
فَـمٌ لـيس كالمَـدعي قولـةً ... ولـيس كـآخَرَ يسـترحم
يصـيحُ عـلى المُـدْقِعينَ الجيـاع ... أريقـوا دمـاءكمُ تطعَمـوا
ويهْتـفُ بـالنَّفر المهطِعـين ... أهينـوا لِئـامكمُ تكرمـوا
أتعلَـمُ أنَّ رِقـابَ الطُغـاة ... أثقَلهـا الغُـنمُ والمـأثم
وأنّ بطـونَ العُتـاةِ التـي ... مِـن السُـحتِ تَهضِـمُ مـا تهضـم

وأنَ البغـــيَّ الـــذي يـــدعي ... مـن المجـد مـا لم تَحـزْ « مـريم »
ســتَنْهَدُّ إن فـــارَ هـــذا الــدمُ ... وصـوّتَ هـذا الفـمُ الأعجـم
فيـا لـكَ مـن مـرهم مـا اهتـدَى ... إليــه الأُســاة ومــا رهّمــوا
ويـا لــكَ مــن بَلسـم يُشـتَفى ... بــه حـينَ لا يرتجـى بلســم
ويـا لــكَ مـن مبسِـم عـابسٍ ... ثغــور الأمــاني بــه تبسِــم
أتعلـــمُ أنّ جِـــراحَ الشـــهيد ... تظَــلُّ عــن الثــأر تســتفهِم
أتعلـــمُ أنّ جِـــراحَ الشـــهيد ... مِـن الجُـوع تهضِـمُ مـا تَلهـم
تمَـصُّ دمـاً ثـم تبغـي دمـاً ... وتبقـــى تلِـــحُ وتســـتطعِم
فقُـــلْ للمُقـــيم عـــلى ذُلــهِ ... هجينـــاً يســـخّرُ أو يُلجَـــم
تَقَحَّمْ.. لُعِنْتَ.. أزيزَ الرَّصاص ... وَجـرِّبْ مـن الحـظّ مـا يُقسَـم
وخُضْـها كـما خاضَـها الأسـبقون ... وَثــنِّ بـــما افتـــتحَ الأقـــدم
فإمّـــا إلى حيـــثُ تبـــدو الحيـــاة ... لِعينيـــكَ مكرُمـــةٌ تغـــنم
وإمّـــا إلى جَـــدَثٍ لم يكـــن ... ليفضـــله بيتـــكَ المُظلــــم
تَقَحــمْ.. لُعِنــتَ.. فـما تَرتجـي ... مــن العــيش عــن وِرده تحـرَم
أأوجـــعُ مـــن أنـــك المـــزدرى ... وأقتـــلُ مـــن أنـــك المُعـــدِم
تقحَّـمْ فمـنْ ذا يخُـوضُ المَنـون ... إذا عافهـــا الأنكـــدُ الأشـــأم
تقحَّـمْ فمـنْ ذا يلـومُ البطـين ... إذا كـــان مثلـــكَ لا يقْحَـــم
يقولـون مـن هـم أولاءِ الرَّعـاعُ ... فـــأفهِمهُمُ بـــدَم مـــنْ هـــم
وأفهِمْهُـــــمُ بـــــدم أنهـــمْ ... عَبيـــدُكَ إنْ تَـــدْعُهم يخـــدُموا
وأنّـــك أشرفُ مـــن خـــيرِهمْ ... وكعبــك مــن خــدهِ أكــرم
أخـي « جعفـراً » يـا رُواء الربيـع ... إلى عَفـــنِ بـــاردٍ يُســـلم
ويـا زَهـرةً مـن ريـاض الخُلـود ... تَغوَّلهـــا عاصـــفٌ مـــرزِم

ويـا قبَسـاً مـن لهيـب الحيـاة … خَبـا حـين شـبَّ لـه مضْرَم

ويـا طلعـةَ الـبشر إذ يـنجلي … ويـا ضِـحكةَ الفجـر إذ يبسِـم

لَثَمْـتُ جراحـكَ في « فتحـةٍ » … هـي المُصحَف الطُهـرُ إذ يُلـثم

وقبَّلـتُ صـدرَك حيـثُ الصَّميم … مـن القلـب.. منْخرقـاً.. يُخْـرَم

وحيـثُ تَلـوذُ طيـورُ المُنـى … بـه فهـيَ.. مُفزعَـةٌ.. حـوَّم

وحيـثُ استقرَّت صِفاتُ الرجال … وضَـمَّ معادِنهـا مـنجَم

وَرَبَّـتُّ خـدّاً بـماءِ الشـباب … يـرفُّ كـما نـوّر الـبرعُم

ومسـحتُ مـن خُصَـلٍ تَـدَّلي … عليـه كـما يَفعـلُ المُغـرم

وعلَّلـتُ نـفسي بـذوب الصـديد … كـما علَّلـتْ وارداً « زمـزم »

ولقَّطـتُ مـن زَبـدٍ طـافح … بثَغـرك شـهداً هـو العَلْقـم

وعوَّضـتَ عـن قُبلتـي قُبلـةً … عَصَرْتَ بهـا كـلَّ مـا يـؤلِم

عَصَرْتَ بهـا الـذكرياتِ التـي … تقَضـتْ كـما يَحْلـمُ النُـوَّم

أخـي جعفـراً إنّ رجـعَ السـنين … بَعْـدَك عنـدي صـدىً مـبْهم

ثلاثـونَ رُحْنـا عليهـا معـاً … نعـذَّبُ حِينـاً ونسـتنعم

نُكـافحُ دهـراً ويستسْـلمُ … ونغلـبُ طـوراً ونسْتَسـلِم

أخـي جعفـراً لا أقـولُ الخَيـال … وذو الثـأرِ يقْظـانُ لا يحلـم

ولكـنْ بـما أُلهِـمَ الصـابرون … وقـد يقـرأُ الغيـبَ مُسـتَلهِم

أرى أُفُقـاً بنجيـع الـدماءِ … تنـوّرَ واختفـتِ الأنجـم

وحـبلاً مـن الأرض يُرقـى بـه … كـما قـذفَ الصـاعدَ السُـلّم

إذا مـدَّ كفـاً لـه ناكـث … تصـدَّى ليقطعهـا مُـبرِم

تكـوَّر مـن جُثـثٍ حولـه … ضـخام وأمجادُهـا أضـخم

وكفـاً تمُـد وراء الحجـاب … فترسُـمُ في الأفـقِ مـا ترسُـم

وجـيلاً يـروحُ وجـيلاً يجيء ... ونـاراً إزاءَهمـا تُضرَم
أُنبيّـكَ أنّ الحِمـى مُلْهـبٌ ... ووادِيـه مـن ألم مفعـم
ويـا وَيـحَ خانقـةٍ مـن غـدٍ ... إذا نفّـسَ الغـدُ مـا يَكظـم
وأنّ الـدماءَ التـي طلَّهـا ... مـدِّلٌّ بشُرطتـهُ مُعـرم
تَنَضّـحُ مـن صـدرِك المُستطاب ... نزيفـاً إلى الله يَسـتظلم
سـتبقى طـويلاً تجُـرُّ الـدماء ... ولَـنْ يُـبرِدَ الـدمَ إلاّ الـدم
وأنَّ الصـدورَ التـي فلَّهـا ... وأبـدعَ ! في فلِّهـا مُجـرم
ونَثـرَ أضـلاعها نَثْـرةَ ... شَـتاتاً كـما صرّفَ الـدرهم
ستَحْضُـنُها مـن صُـدور الشباب ... قُسـاةٌ عـلى الحـقِ لا تـرحم
أخـي « جعفـراً » إنّ عِلَـم اليقـين ... أُنبيّـكَ إنْ كنـتَ تسـتعلم
صُرِعْـتَ فحامتْ عليك القلوب ... وخـفَّ لـك المـلأُ الأعظَـم
وسُـدَّ الـروُاقُ.. فـلا مَخـرجٌ ... وضـاقَ الطريـقُ.. فـلا مَخـرم
وأبلـغَ عنـك الجَنـوبُ الشَّـمال ... وعـزَّى بـك المُعـرِقَ المُشـئم
وشَـقَّ عـلى « الهـاتفِ» الهـاتفون ... وضـجَّ مـن الأسـطُرِ المـرقم
تعلَّمـتَ كيـف تَمـوتُ الرجـال ... وكيـف يُقـامُ لهـمْ مـأتم
وكيـف تُجـرُّ إليـك الجمـوعُ ... كـما انجـرَّ للحـرم المُحـرِم
ضـحِكتُ وقـد هَمْهَـمَ السـائلون ... وشـقَّ عـلى السـمع مـا همهمـوا
يقولـون مـتَّ وعنـد الأسـاةِ ... غـيرَ الـذي زَعمـوا مـزعَم
وأنـتَ مُعـافى كـما نرتجـي ... وأنـت عزيـزٌ كـما تعلـم
ضـحِكتُ وقلـتُ هنيئـاً لهـم ... ومـا لفَّقـوا عنـك أو رجمـوا
فهـم يبتغـون دمـاً يشـتفي ... بـه الأرمـدُ العـينِ والأجـذم
دمـاً يكـذِبُ المخلصـونَ الأبـاة ... بـه المـارقينَ ومـا قسَّـموا

وهــم يبتغــونَ دمــاً تلتقــي ... عليــة القُلــوب وتســتَلئم

إلى أنْ صَــدَقْتَ لهــمْ ظَــنَّهم ... فيــا لــكَ مــن غــارِمٍ يغــنم

فهــمْ بــك أولى فلَّــا نَــزَل ... كَجِــذْرٍ عــلى عَــددٍ يُقســم

وهــم بــك أولى.. وإن رُوِّعــت ... « عجــوزٌ » عــلى فِلْــذةٍ تلطِــم

وتكفــرُ أنَ الســا لم تعــد ... تُغيــثُ حريبــاً.. ولا تــرْحَم

وأُخــتٌ تشــقُّ عليــك الجيــوب ... فيغــرَزُ في صــدرها معصَــم

تناشِــدُ عنــك بريــقَ النُّجــوم ... لعلــك مــن بينهــا تــنجُم

وتــزْعُمُ أنــك تــأتي الصَّــباحَ ... وقــد كــذَّبَ القــبرُ مــا تــزْعُم

لِيَشْــمخْ بفقــدِكَ أنــفُ الــبلاد ... وأنفــي وأنفُهــم مــرغم

أخــي « جعفــراً » بعُهــود الإخــاءِ ... خالصــةً بيننــا أُقسِــم

وبالــدمع بَعــدَكَ لا يَنثنــي ... وبــالحزنِ بَعــدَكَ لا يُهــزم

وبالبيــتِ تَغمــرُهُ وحشــةٌ ... كقــبركَ يَســأل هــل تقــدَم

وبالصحب والأهلِ « يستغربون » ... لأنَّــك منحــرفٌ عــنهم

يمينــاً لتَنهَشُــني الــذكريات ... عليــك كــا يَــنهش الأرقــم

إذا عــادني شــبحٌ مفــرحٌ ... تصــدَّى لــه شــبحٌ مــؤلم

وأني عُــودٌ بكــفِّ الريــاح ... يســأل منهــا متــى يُقصــم

أخــي « جعفــراً » وشــجونُ الأسي ... ســتَصرِم حــبلي ولا تصرَم

أزحْ عــن حَشــاك غُثــاء الضــمير ... ولا تكتمَنــي.. فــلا أكــتُم

فــإنْ كــانَ عنــدكَ مــن مَعتــبٍ ... فعنــدي أضــعافه منــدَم

وإن كنــتَ فــيا امتُحِنــا بــه ... ومــا مسّــنــا قــدَرٌ محْكم

تُحَــرِّجُ عُــذراً يُســلي أخــاً ... فأنــت المــدِلُّ بــه المُــنعِم

عصــارةُ عُمــرٍ بشــتى الصــنُوف ... مــليءٍ كــا شُــحنَ المُعجــم

بــه مـــا أُطيـــقُ دفاعـــاً بـــه ... ومـــا هـــو لي مُخـرِسٌ مُلجـم

أســالتْ ثــراك دمــوعُ الشـباب ... ونـــوَّر منـــك الضريـــحَ الـــدم

يوم الشهيد

يــومَ الشَــهيد : تحيــةٌ وســلامُ ... بــك والنضــالِ تــؤرَّخُ الأعــوام

بـك والضـحايا الغُـرِّ يزهـو شـامخاً ... علـمُ الحسـاب.. وتفخـر الأرقـام

بك والذي ضـمَّ الثرى من طيبِهم ... تتعطَّـــرُ الأرَضــــونَ والأيـــام

بـك يُبعَـث « الجيـلُ » المحـتَّمُ بعثُـه ... وبــك « القيامــةُ » للطُغــاة تُقـام

وبك العُتاة سيُحشَرون.. وجوهُهُم ... ســودٌ.. وحَشْــوُ أُنــوفهم إرغـام

صــفاً إلى صـــفٍّ طغامـــاً لم تــذُقْ ... مـــا يجرَعـــون مـــن الهَـــوان طَغـام

ويُحـاصَرون فـلا « وراءُ » يحتـوي ... ذَنبـاً.. ولا شُرطـاً يحـوز « إمـام»

وسيســألون مــن الــذين تسـخَّروا ... هـــذي الجمـــوعَ كأنهـــا أنعـــام

ومــن اســتُبيح عـلى يَـديهم حقُّهـا ... هــدراً.. وديســت حرمــةٌ وذِمـام

ومـن الـذين عَـدَوا عليـه فشـوَّهوا ... وجــهَ الحيــاة فكــدَّروا وأَغــاموا

خَلـصَ النعـيمُ لهـم فهـم مـن رقـةٍ ... وغضــارةٍ بــيضُ الوجــوه وِســام

وصـفا لهـم فلـكُ الصِبا فتلألـؤوا ... فيـــه كـــما تَـــتلألأ الأجـــرام

يتـدلَّلون عـلى الزمـان كـما اشـتَهت ... شـــهواتُها قـــبُّ البطـــون وِحـــام

ومَـداس أرجلهـم ونَهْـبُ نِعـالهم ... مهـــيضُ الجـــانِحين مضـــام

يُـمسي ويُصـبح يسـتظلُّ بِخِدنـه ... بَقَـــر الزَريـــب.. ويرتَعـــي ويَنـــام

سيُحاسَـبون.. فـإن عَـرتْهم سَـكْتَةٌ ... مـــن خيفـــةٍ فســـتنطِقُ الآتـــام

ســيُنكّسُ المتذبــذبون رقـــابَهم ... حتـــى كـــأنّ رؤوســـهم أقـــدام

يومَ الشهيد ! وما الخيالُ بسادر ... بئسَ الخيالُ تقودُه الأوهام

الشعر – يا يومَ الشهيد – تجارِبٌ ... وبلاؤُها.. لا لؤلؤٌ ونِظام

كَذِباً يُخيل أن بارقة المُنى ... تنجابُ منها وحشةٌ وظَلام

أو أنَّ بالنزْر اليسير من الدما ... سيُبلُّ من عطَش الطغاة أُوام

أو أنَّ مَتعوباً ستَسْعى نحوه ... عما قريبٍ راحةٌ وجِمام

حُسبانُ ذلك للشهيد خِيانةٌ ... ولِما تفَجرَ من دمٍ إجرام

ولَتلك مدعاة سيُنصَرُ عندها ... عارُ النُكوص ويُخذَلُ الإقدام

ولذاك إيهام يضلِّلُ أُمةً ... وسلاحُ كل مضلِّلٍ إيهام

عَظُمت محاولةٌ وجلَّ مرامُ ... أفباليَسير من العَناء ترام

يومَ الشهيد ! طريقُ كل مناضلٍ ... وَعرٌ.. ولا نُصبٌ ولا إعلام

في كل منعَطَفٍ تَلوحُ بليةٌ ... وبكُلِّ مُفترقٍ يدِبُّ حِمام

وحياضُ مَوت تلتقي جَنَباتُها ... وعلى الحياضِ من الوُفود زِحام

وقِباحُ أشباح لمُرتَعِدي الحَشَا ... برمٌ بها.. ولمُحرِبين هُيام

بك بعد مُحتَدِم النضالِ سينجَلي ... مما ابتدأتَ من النِضالِ ختام

سيُجازُ شَهرٌ بالعَناء وآخرٌ ... ويُخاضُ عامٌ بالدماء وعام

ستطيرُ في أفقِ الكفاح سَواعدٌ ... وتَطيحُ في سوح الكرامة هام

ستَثور من رَهَج اللُهاث عجاجةٌ ... ويَهُبُّ من وَهج الشَّكاة قَتام

سيُعالجُ الباغي بنَضح من دَم ... حتى تُسَكنَ شَهوةٌ وعُرام

لابُدَّ من نارٍ يروح وَقودُها ... منّا ومنه غارِبٌ وسَنام

وتُنير منها الخابطينَ دُروبَهم ... من بعدِ ذلك جذوةٌ وضِرام

إذ ذاك يُصبحُ بعد طُول مَتاهةٍ ... بيد الشُعوب مقادةٌ وزِمام

تبـاً لدولــةِ عــاجزينَ تَوهَّمــوا ... أن « الحكومــةَ » بالسِياط تُـدام
والوَيــلُ للماضــينَ في أحلامِهـم ... إن فـرَّ عـن « حلـمٍ » يـروع منَـام
وإذا تفجّـرَت الصـدورُ بغيظهـا ... حَنَقــاً كــما تتفجّــر الألغــام
وإذا بهـم عَصْـفاً أكـيلاً يرتمـي ... وإذا بــما ركنــوا إليــه رُكــام
وإذا بــما جَمـعَ الغــواةُ خُشــارةٌ ... وإذا عصــارةُ كــلِّ ذاك أثــام
يومَ الشهيدِ ! لَسوف تُعقِبُ في غدٍ ... يومــاً تَحــارُ بكُنهــه الأَفهــام
ولســوف نجهـل مـا يِقـلُّ بصـلبه ... قــدَرٌ.. ومــا تَــتمخّضُ الأيــام
ولسـوفَ يُصبحُ مـا نحـارُ بكُنْهـه ... إن حــانَ حِــينٌ واســتتم تمــام
أمــراً كــما قــالَ البديهــةَ قائــلٌ ... النــورُ نــورٌ والظــلامُ ظــلام
إني لَيخنُقُنــي الأســى ويهُــزُّني ... مــا لاحَ طفــلٌ يجتَبــي وغُــلام
علـماً بـأن دِمـاءَهم ليسـت لهـم ... وبأنهــا للجــائعينَ طَعــام
للنـاس بعـد اليَـومِ مِـيلادُ الفَتـى ... ومَماتــه.. ورَضــاعةٌ وفِطــام
يـوم الشـهيد ! بكـل جارحـةٍ مشَـى ... داءٌ تَعــاوَرَه الزمــان عُقــام
تَعِـبَ الأسـاةُ بـه.. وجـافَى أهلَـه ... يأســاً نِطــاسيٌّ بــه عَــلاّم
وتَــعَسّر الإبــلالُ حتــى تَنتَفــي ... منـه الجـذورُ.. وتُقطَـعَ الأَجـذام
يوم الشهيد! بك النُّفوس تفتَّحت ... وَعيــاً.. كــما تَتَفَــتحُ الأكــمام
كــادَ الضــعيف يشُــكُّ في إيمانــه ... والصــبرُ كــاد يَشَــله استســلام
طــاح الــبلاءُ بخــائرٍ في مَعــرَكٍ ... أشِــبٍ تطـيشُ بهَولـه الأحـلام
وانجـاب عـن مـترددينَ طِلاؤُهـم ... وانــزاحَ عــن متربصِّــينَ لِثــام
وأعضَّ قوم بالسكوت وأفصَحَتْ ... عــن غـير مـا عُرِفَـت بـه أقـوام

وتمسـك المتشبّثـون بجـاحمِ جَمَراتُـه تُشـوى بهـا الأقـدام
وتـراكم الصـبرُ الجميـلُ بسـاحة مـن حولهـا تـتراكمُ الآلام
شـعب يُجـاعُ وتُسـتدرُّ ضروعُـه ولقـد تُمـارُ لتُحلـبَ الأغنـام
وأُمِـدَّ للمسـتهترين عنـانُهم في المُخزيـات فـأرْتَعوا وأسـاموا
وَتَعَطّـلَ الدسـتورُ عـن أحكامـه مـن فَـرطِ مـا ألـوَى بـه الحُكّـام
فـالوعيُ بَغـيٌ.. والتحـرُّرُ سُـبَّةٌ والهَمسُ جـرْمٌ.. والكـلامُ حَـرام
ومـدافعٌ عـما يَـدينُ مُخـرِّبٌ ومطالـبٌ بحقوقـه هـدّام
ومشَـى بأصـلاب الجُمـوع يَهُزُّهـا الجَهَـلُ والإِدقـاعُ والأسـقام
وهَـوَت كرامـاتٌ تولَّـت أمرهـا خِطـطٌ.. تـولّى أمرهـا إحكـام
فكرامـةٌ يُهـزَى بهـا.. وكرامـةٌ يُرثـى لهـا.. وكرامـةٌ تُسـتام
وانصـاعَ يغـزُو أهلـه وديـارَه جـيشٌ مـن المتعطلّـين لُهـام
وتَصـافَقت حُجَـزٌ عـلى مُتحـرِّرٍ ومفكـرٍ فتحطّمـت أقـلام
ولكـلِّ مُحتَطـبِ الخنـا مداحـةٌ ولكـل مُمتـدِحِ النثـا شَـتام
ومعاتـبٍ والسَـوط يُلهـب ظهـرهُ ومعـذَّبٍ بجراحـه ويـلام
ممـا أشـاعَ البَغـيُ مـن إرهابـه فيهـا استُطيبَ الخوفُ والإِحجـام
ومطـارَدون تعجَّلـوا أيّـامَهم ومشرَّدون مـن المذلـةِ هـاموا
ومشـكّكون وقـد تعاصَـت محنـةٌ صلُّوا على شَرفِ الخلاص وصاموا
ولقـد تَرقـرْقَ في العُيـون تسـاؤلُ وعـلى الشِـفاه تحـيّر اسـتِفهام
أعفـا القَطـينُ فـما بـه مُتَـنَفَّسٌ وَخـلا العَـرينُ فـما بـه ضِرغـام
أفوعـدُ مُرتقِـبِ « القيامـةِ » خُلَّـبٌ وبريـقُ منتظِـر « النُشـور » جَهـام
أو يكثـرُ الأبطـالُ حـين سِـلاحُهم بـين الجُمـوع قَصـيدةٌ وكَـلام

فإذا استحرَّ الخطبُ واحتَدمَ الأذى ... ذابــوا.. فــلا بطــلٌ ولا مِقــدام

أفـلا تكـون مغـارةٌ أو مـا انتَهـى ... مــا قَعْقــعَ الإِسراجُ والإِلجــام

أعـلى ضـمير المخلصـينَ غِشـاوة ... وعــلى فــم المتحــرِّرين لجــام

حتـى إذا قَـذفَ الحمـى بحُماتِـه ... ورَمــت بأشــبالٍ لهــا الآجــام

وتنـافَسَ « الفـادون» لم يتمنَّنـوا ... فضــلاً.. ولم يُبطــرْهُمُ الإنعــام

وجـدوا عتابـاً للـبلاد فـأعتَبوا ... وملامــةً لشــبابها « فــألاموا »

ومَشـوا إليهـا يـدعَمون صـفوفَها ... بصــدورهم.. إذ عــزَّهن دِعــام

حَملوا الرصاص عَلى الصدور وأوغلوا ... فعـلى الصـدور مـن الـدِماء وِسـام

تـابَ الغـويُّ وثـاب كـل مشـكِّكٍ ... إنَّ الحمــى مــن فوقــه قــوّام

نكِـروا النفـوسَ وفجَّـروا أعراقَهـا ... صَـمْتاً.. فـلا صَـخَبٌ.. ولا إرزام

وأبَـوا سِـجامَ الـدمع شـيمةَ نـائح ... فلهــم دمــاءٌ يغتلــينَ سِــجام

نـاموا وقـد صـانُوا الحمـى ومعـاشِرٌ ... تَركـوا الحِمـى للطارئـات ونـاموا

يـومَ الشـهيد : وكـلُّ يـوم قـادمٌ ... سـتُريهِ كيـف الجـودُ والإكـرام

دالَ الزمــانُ وبــدلتْ نُظُــمٌ بــه ... ولكــل عصرٍ دولــةٌ ونِظــام

ومَضَى الحُـداةُ « بحـاتِم » وبرهَطِـه ... وتبــدَّلت لمكــارِمِ أحكــام

فهُـمُ وقـد حَلَبـوا الصَريـحَ أماجـدٌ ... وهـمُ وقـد عقـروا الجَـزور كـرام

وهـمُ لأنَّ الضـيفَ ينـزِلُ سـاحَهم ... للفقــر في ســاحاتهم إلمــام

وأتـى زَمـانٌ مـن مكـارِمِ أهلِـه ... السَـجْنُ.. والتشريـدُ.. والإعـدام

والسَـوط يحـتِرشُ الظهـورَ ووقعُـه ... في سَــمع محــترِسٍ بــه أنغــام

وكأنّــه « للمســتغيث» إغاثــةٌ ... وكأنّــه « للجــائعين » إدام

جيلٌ يرى أنَّ الضيافة والقِرى ... للطارئات الصبرُ والآلام
يَقرونَ جائعةَ البلاد نفوسَهم ... فلها لحومٌ منهُمُ وعظام
ويُرونَ ضيفَهُمُ الكرامةَ تُزدَرى ... والحقَّ يُغصب.. والديارَ تُضام
يتقامَرون على المنايا بينَهم ... حُمْراً..فلا الأيسارُ والأزلام
لاهُم عفوكَ.. لا الشجونُ قليلةٌ ... عندي.. ولا أنا أخرسٌ تمتام
قلبٌ يذوبُ أسىً.. وشعرٌ كلّه ... ضَرَمٌ.. وبيتٌ كلّه آلام
أخنى بوحشته على جيرانِه ... وهَفَا به.. رعباً.. فطارَ حَمام
ويكادُ يشهَق بالعويل بَلاطُه ... ويَصيحُ بالألم الدفينِ رُخام
ودمٌ أريق على يديَّ يهُزني ... هَزَّ الذَبيح وقد علاه حُسام
وخبيئةٌ في الصدرِ نَفثُ دُخانها ... حَرَجٌ.. وكَبتُ أُوارها إيلام
لاهمْ ما قَدْرُ البيان إذا انزوى ... عنه الضميرُ.. وعَقّه الإلهام
وإذا استوَى فيه الثَكولُ وغيرُهُ ... والساهرونَ الليلَ والنّوام
أكبرت شعري أنْ تهينَ كريمَهُ ... غُفْلٌ تضيق بها الرُّعاةُ سَوام
أو عائشونَ على الهوامشِ مثلَما ... يَنفي فُضولَ الصورةِ الرِسام
والمتلونَ كأنّهم كلُّ الدُّنى ... والفارِغونَ كأنّهم أصنام
والصادِعونَ بما يَرى مُستعمِرٌ ... فهمُ متى يأمرْهُمُ خدّام
والمُولَعونَ بفاجراتِ مطامعٍ ... فلهمْ قُعودٌ عندَها وقِيام
ماذا يحطِّمُ شاعرٌ من صاغرٍ ... أخنى الهوانُ عليه فهو حُطام
لكنْ بمختلطينَ في نياتهم ... شُبُهاً.. فلا وَضحٌ ولا إبهام
من كل هاوٍ برجه وكأنّهُ ... قَمرٌ على كَبِدِ السَماءِ تَمام
يؤذيهِ أنَّ الشمس تطلُعُ فوقَه ... أو لا يظلِّلَ وَجنَتَيهِ غَمام

الليــلُ عنــدَهمُ التَعِلَّــةُ والمُنــى ... فــإذا اســتطالَ فسَــكرةٌ ومُــدام

وإذا النهــارُ بــدا فكــلُّ حــديثِهِمْ ... عنــه بكيــفَ تــفسّرُ الأحــلام

حتــى إذا حَميــتْ وغــىً وأدارهــا ... كأسـاً « إيـاسٌ » مـرةً و « عِصـام »

وتلقَّفَــتهمْ كــالرَّحى أشــداقُها ... مَضْــغاً هُمــامٌ يَقتضــيه هُمــام

زَحَموا الصُّفوفَ « مشَيَّعين » كـأنَّهم ... بــين المواكــبِ قــادةٌ أعــلام

ومَشـوا عـلى جثَـثِ الضَّـحايا مثلَما ... يــمشي بمقتــنص النَّعَــامِ نَعــام

ثــم اســتدارُوا ينفُخــون بطُــونَهم ... نَفـخَ الطُّبـول.. وأقعـدوا وأقـاموا

يـومَ الشـهيد : ومـا تـزال كعهـدِها ... هُــوجٌ تــدنسُ أُمــةً ولئــام

قَصروا عــن العليـا فلـم يتناوَشـوا ... مـا احتـازَ منهـا فـارعونَ جِسـام

وتقطّعــتْ بالمَكرُمــات حِبــالُهم ... وبــها ابْتنــتْ همــمٌ فهُــنَّ رِمـام

وعنــاهُمُ أخــذُ الكــرامِ عِنانَهــا ... مـن بعـد مـا داروا عليـه وحـاموا

وتجـاهَلوا أنْ لـيس تـربُ مسـامحٍ ... بدمائــــه نَهّــــازةٌ غَنّــــام

وبــأنَّ أُمــاتِ المــآثرِ بــرزَةٌ ... عملاقــة.. وبــأنهمْ.. أقــزام

فهُـمُ وقـد ذَكَـتِ الحـزازةُ عنـدهم ... « كوب » من الحقد الدفين وجام

يُسْــقَونَ جــذوتَها وفــيها يجــتلي ... تــربُ النــدي لأُوارِهــا إضرام

حتــى إذا ألقــى الكــريمُ بوجهــه ... فتهايــــزَ الإشراقُ والإظــــلام

وتَضَــوَّرتْ جوعـاً فلـم تَـرَ عنـده ... مــا تأكــلُ الأوغــارُ والأوغــام

ومشى الفَعـال لهـم صَريحاً لم يَشـبْ ... آياتــــه عــــيٌّ.. ولا إعجــــام

وتَخارَسـوا وعَمـوا فملءُ عُيـونِهِمْ ... رَمـدٌ.. ومـلء حُلـوقِهم إفحـام

لجأوا إلى « الأنسـاب » لـو جَلَّى لهـم ... « نسب » ولـو صَـدَقَتْ لهـم أرحـام

وتنـــابَزُوا بالجاهليـــة شـــجَها　　من قبل نورُ « الفكر » و«الإسلام»
فـــأولاءِ أعـــرابٌ فكـــل محَـــرَّمٍ　　حِـــلٌّ لهـــم وأولـــئكمْ أعجـــام
وأولاءِ « أغـــمارٌ » فـــلا رأسٌ ولا　　كعـــبٌ.. ولا خَلـــفٌ.. ولا قُـــدام
وأولاءِ « أشرارٌ » لأنّ شـــعارهم　　بـــين الشُـــعوب محبـــةٌ وســـلام
وكـــأنَّ « أرحامـــاً » تُـــرَصُّ فريضـــةٌ　　وكـــأنَّ « أفخـــاذاً » تُلـــزُّ لـــزام
وكـــأنَّ مـــن لم يَحْـــوِ تلـــكِ وهـــذه　　وإنْ اســـتقامَ بهيمـــةٌ وســـوام
نُكـرٌ لـو استَعلى.. لما استَعْلَت يَـدٌ　　بـــالعروة الـــوثْقى لهـــا استِعصـــام
ولمـــا تمَـــايزَتِ النُّفـــوسُ بخَيرهـــا　　وبشرِّهـــا.. ولمـــا اســـتَتَبَّ نِظـــام
لزَكـــا « أبولهَـــبٍ » وكـــانُ مُرجَّمـــاً　　ودَنَـــا « صـــهَيبُ » وإنـــه لإمـــام
قَبَليّـــةٌ يلجـــأ إليهـــا مُقْعَـــدٌ　　لا الحـــزمُ يُنجِـــده ولا الإعـــزام
وبهـــا تَسَـــتَّرَ عـــن صَـــغارةِ نفسِـــهِ　　خَزيـــانَ يأكـــلُ زادهُ وينـــام
بـــل قـــد تَفَيّـــأ ظِلَّهـــا مـــن حِطّـــةٍ　　نســـبٌ يَســـومُ رخيصَـــه المستام
مـــن كـــل مُعـــدٍ في الصَـــغارِ كأنّـــه　　جـــرَبٌ تُخـــاف شـــذاته وجُـــذام
ســـلمانُ أشرف مـــن أبـــيكمْ كعبُـــهُ　　وعِصـــامُ مـــا عَـــرَفَ الجـــدودَ عِصـــام
ومحمـــدٌ رَفَعـــتْ رســـالةُ ربـــه　　كَفّـــاهُ.. لا الأخـــوالُ والأعـــمام
ولقـــد يـــذِلُّ مُســـوَّداً أعقابـــه　　ولقـــد يســـودُ عشـــيرةً حجّـــامُ
أأُخَـــيَّ : لـــو ســـمع النـــداءَ رُغـــامُ　　ولـــو استجابَ إلى الصريـــخ حِمـــام
منـــي عليـــك تحيـــةٌ وســـلامُ　　ولـــذكرِك الإجـــلالُ والإعظـــام
والله لـــولا طـــائفٌ مـــن سَـــلوةٍ　　ولُمامـــةٌ مـــن مسْـــكةٍ تعتـــام
ورســـالةٌ نـــدعو لهـــا وأداؤُهـــا　　فـــرضٌ.. ورَعْـــيُ حقوقهـــا إلـــزام
وَبنّيـــةٌ للســـالكين طـــريقهم　　والقـــادمينْ عـــلى الطريـــق تُقـــام

ودعــاةُ حــقٍ يخرُجــون ســواهُمُ ... عـــارٌ إذا لزِمـــوا البيـــوتَ وذام
لعكفــتُ حولَـك لا أريـمُ ولم يكـن ... إلا بحيــث أقمــتَ أنــتَ مقــام
يــا نــائماً والمــوتُ مــلءُ جُفونِـه ... أعلمـتَ مـن فارقـتَ كيـف ينام
وملاءَمــاً بيــد المَنــون جِراحَــه ... جــرح المُقــيم عليــكَ لا يلتــام
قــد كنــتَ تقـدِرُ أن تُظلَّـكَ بهجـةٌ ... ونَضــــارةٌ.. لا ظلمــــةٌ ورَغـــام
أو أنْ يــرِفَّ عليــك في رَيْعانِـــهِ ... هـذا الربيـعُ – كوَجهِـك – البسام
لـو شـئتَ أعطتـكَ الحيـاةُ زِمامَهـا ... ولهـا عـلى كـفِّ الشَـباب زِمـام
لِتَضـــمَّك الغُـــدرانُ في أحضــانها ... وتُقِلّـــك الهضَــباتُ والآكـــام
وشـــقيقك القَمـــرُ المُــدِلُّ بلُطفــه ... نَشــوانُ.. يَصــحو تــارةً ويُغــام
لـو شـئتَ.. عـن شرفٍ أردتَ فصِـدْتَهُ ... بــدَلاً.. لكانــت صــبوةٌ وغَــرام
ولجئتَ مُقتَنصَ الشباب ولارتمَتْ ... مــن حولــك الظَبيــاتُ والآرام
لوشئتَ ؟ لكـن شـاءَ مجدُك غيرَهـا ... فتلقَّفَتــك مــن الثــرى أكــوام
رَدّ البكـــاءَ عليـــكَ أنـــك قائـــدٌ ... ولــو استبدَّ بـك الثـرى.. وإمـام
تمشي الجُمُوعُ على هُـداك كـما هَـدى ... الضُــلاّلَ بــرقٌ في الظــلام يُشــام
لو غَيْرُ ذلـك أطاحَ رأسَـك لارتمَـى ... بِشراك نعلِــكَ طائحــاً « همّـــام »
ولما استقَلَّ بـرأس « مـرةَ » خِـنصرٌ ... لــكَ.. واســتقادَ بوجهــه إبهـام
قــد كــانَ يَعطِفُنــي عليــك مــلامُ ... أن لــو ذخرتــكَ أيهــا الصِمصـام
أن لــو ســلمتَ فــلا شــبايَ مُزنَّــدٌ ... أســفاً.. ولا حــدَيّ عليـك كَهـام
لــو لم تُجبنــي مــن رفاتــك هامَــةٌ ... صـــبراً جمـــيلاً أيهـــا اللـــوام
ما كنتَ « نحاماً » بنفسِك للورى ... أفأنـــت بي مـــن أجلهـــم نَحــام

نحنُ الضَحايا : للشعوب فَقاره ... ولكل ما يبني الشعوبَ قوام
هذي القُبورُ قنابرٌ مَبثوثة ... لمكابرٍ وحَفيرُها ألغام
ما كانَ جيلٌ تستقيمُ قناتُه ... إلا وموتٌ.. يستقيمُ.. زُوام
فالثُكْلُ والعَيشُ السويُّ سَويةٌ ... ودَمُ الضحايا والحياةُ تؤام
يومَ الشهيد! ونعمتِ الأيام ... لو تستتِمُّ أخوّةٌ ووِئام
لو يرْعَوي المتنابذونَ وكلُّهم ... بهمومِهم وشُعورهم أرحام
ولو التَقى من بعدِ طُولِ تَفرُّقٍ ... الشَيخُ والقِسيسُ والحَاخام
ولو اتفقنا كيف يهتِفُ هاتِفٌ ... فينا وكَيفَ تُحرَرُ الأعلام
وبمن يقودُ الزاحفينَ أخالدٌ ... ومحمدٌ أم أحمدٌ وهِشام
هي أمةٌ خافَ الطُغاة شَذاتَها ... فسعَوا بها فإذا بها أقسام
وإذا بها والذلُ فوق رؤوسها ... قُبَبٌ له مَضروبةٌ وخِيام
يحتازُها والجوعُ ينَهَشُ لحمَها ... باسم « الرغيف » معرَّةٌ وصدام

***

الشهيد قيس

يا قيسُ : يا لُطفَ الربيعِ ... ووقدَ رَونقه الشَبُوبِ
يا قيس : يا همسَ الحبيب ... يذوب في سَمع الحبيب
يا قيس : يا هَزَج الرُعاة ... يَشيعُ في الحقل الخَصيب
يا قيس : يا شَجْوَ « الهزار » ... يُهيبُ بالغصن الرطيب
يا قيس : يا حُلُمَ « العذاري » ... يزدَحِمْنَ على « القَليب »
يا قيس : يا ذَوْبَ « الغَضارة » ... قُطِّرت بأرَقِّ كُوب

يـا قـيس : يـا لحنَ الحيـاة ونغمـةَ الأمَـلِ الرَتيـب

يـا قـيس : يـا لمحَ السَنا يـا قـيسُ : يـا نفْحَ الطُيُوب

يـا قـيس : هـل تَـدري بـما خلَّفـتَ بعـدَك مـن نُـدوب

وبـما غَمَـرْتَ البيـتَ مـن فَـيْض الصَّـبابة والوَجيـب

وبـما جَلَبْـتَ لــ « ثاكـلٍ » حَـرّى ومُحتَسِـب حرَيـب

الوالـدانِ - عليـك يـا قـيسُ المـدلَّلُ - في لُغُـوب

يـتعلَّلانِ بلَمـح وجهِـكَ في الشُروق وفي الغُـروب

ويغالِطـانِ النَـومَ عنـك بطَيِفـك المَـرحِ الطَـروب

ويراجعـانِ تَلاوُمـاً نفْسَـيهما.. صُـنعَ المُريـب

يتبـادلانِ أسـاهُما شَـكوى الغريـبِ إلى الغريـب

يـا قـيسُ أُمُّـك لا تـزالُ تعـيشُ بالأمَـل الكَـذوب

تهفـو لقَـرْع البـاب في الحِيئـات منـكَ وفي الـذهوب

وتظَـلُّ تسـألُ مُخْـدَعاً لـك عـن هجوعِـك والهُبـوب

يـا قـيسُ : يـا رمـزَ الشـهادةِ عُطِّـرت بـدَم خَضـيب

كرَّمـتَ بـالكَفَن المخضَّـب منـك والخَـدِّ التَريـب

وطنـاً بمثلـك مـن بنيـه يَسـتجيرُ مـن الخُطـوب

ويـرُد أنصـبةً إلـيهم مـا حَبـوه مـن نَصـيب

بالمجـدِ تَخلعُـه الحُقـوبُ علـيهِمُ تلـوَ الحقـوب

والغـار تَضـفِرُهُ لهـمْ رَيـانَ مـن طَفَـح القلـوب

يـا قـيسُ : يـا قـيسُ الملـوِّح في شـبابك بـالحُروب

الشـعب يثـأرُ مـن « رُماتِـك » في بعيـدٍ أو قريـب

دم الشهيد.

خُـذوا مـن يَـومكم لغـدٍ متاعـا وسـيروا في جهـادِكمُ جِماعـا
وكونـوا في ادراء الخطـب عـنكم يـداً تَبني بهـا العَضُـدُ الـذراعا
ذروا خُلفـاً عـلى رأيٍ ورأيٍ إلى أن يلقـيَ الأمـرُ القِناعـا
وخلّـوا في قيـادتكم حكـيماً يـدبّرُها هُجومـاً أو دِفاعـا
رحيـبَ الصَـدر يـنهضُ بالرزايـا ويُحسـنُ أن يُطيـعَ وأن يُطاعـا
حملـتم ثِقْـل جـائرةٍ عسـوفٍ تميـل بمـن يحاولهـا اضـطِلاعا
ونـادَيتم بذائعـةٍ هَتـوفٍ نَمـى خَـبَرٌ بهـا لكُـمُ وذاعـا
تعلَّقَـتِ العُيـونُ بهـا احتفـاءً وأُتلِعَـتِ الرقـابُ لهـا اطلاعـا
وأوجفـتِ الشـعوبُ على صـداها وقـد عـابَ العِيـانُ بهـا السَـماعا
تـراهَنُ بينهـا عـن كـلِّ شَـوط بحلْبـتكم.. وتُقـتَرعُ اقتراعـا
فقـد وعَظَـتْكُمُ سُـودُ الليـالي ولم تعـرفْ بـما تعِـظ الخِـداعا
بـأنَّ أشـقَّ مطَّلَـبٍ رأتـه ضـعيفٌ طالـبٌ حقـاً مُضـاعا
فـلا تكِلـوا الأمـورَ إلى قضـاء فـما كـانَ القضـاءُ لكـم رَضـاعا
ولا تنسَـوا بـأن لكـمْ عـدوّاً طويلاً..وفي ازدراع الخُلفِ.. باعا
يُلـوِّي كـلَّ يَـوم مـن قنـاةٍ ويَبتـدِعِ الشِـقاقَ بهـا ابتِـداعا
وأنكُـمُ بكَعْـب السَـوطِ مـنكم قَـرَعْتُم « رأس » مَن سنَّ القِراعـا
قَـرَعَتُم رأسَ مختَـبطٍ رؤوسـاً ممـاكرةٌ.. ومالكَهـا صُـداعا
مسـكتُمْ مـن خِناقـةِ أفعُـوانٍ شـديدِ الـبطش يـأبى الانصِراعـا
تعـاصى والـدُنى مـن كـل حَـدْبٍ تهـزُّ الصُـلْبَ منـه والنُخاعـا

فمُــدّوا كفَّكَــم هَونـــاً فهَونـــاً وجُـــرّوا منـــه أنيابـــاً شِـــناعا

وفكُّــوا شِــدْقَ مُؤتـذِبٍ خبيــث وسُـــلّوا حَقَّكـــم منـــه انتزِاعـــا

ولا تَنْسَــــوا بـــأنَّ لـــه عبيـــداً شَراهـــم بابتســـامته وباعـــا

حَبــاهم شرَّ مــا يُجبَــى خَــؤونٌ يغـــذِّي مـــن كرامتـــه الطِماعـــا

وعوَّضَــهم عــن الشَرَفِ المُبَقَّــى حُطـام المـالِ يـذهَبُ والضِـياعا

أحَــلَّ لهــم دمــاءكمُ مَخاضــا وبــوَّأهم « حقــوقَكمُ » رباعـــا

وملَّكهـــم رقـــابَكم فـــآبٍ تملَّكَهـــا وذو خَـــورَ أطاعـــا

فســـقُّوهُم بكأســـهمُ دِهاقـــاً ذِعـافَ الهَـون والـذلِّ اجتراعـا

وجُـروّهم عـلى حَسَـك الخطايـا ورُدُّوا كَيْـدَهم بالصـاع صـاعا

وزيـدوا بالـدم العَبِـق اتشـاحاً وبـالوحي الـذي يـوحي ادِّراعـا

وكـــانوا في احتراشِـــهمُ ذئابـــاً فكونـــوا في ضَراوتكـــمْ ضِـــباعا

شَـبابَ اليَـوم إن غـداً مَشـوقٌ يَمُــدُّ لكــم ليَحضُــنكم ذِراعـــا

يُمــدُّكُمُ بــروح مــن خُطــوبٍ تعـــوَّدَ أنْ يمـــدَّ بهـــا الصِراعـــا

وأنْ يعتــاضَ عــن جيـل بجيـلٍ بهـــا.. ويفـــضَّ بيـــنهما النزاعـــا

رصاص البَغي يفجُرُكم ليجري دمٌ يَزْكـــو بـــه الـــوطنُ ازدِراعـــا

ويُخصِب من رياضِ المجد حقلٌ يُـــراح القـــادمونَ بـــه انتِجاعـــا

و« سَـوطُ » الفـاجرينَ يُعيـد لحنـاً لـــه تـــترنَّحُ الـــدنيا اســـتِماعا

وقَعرُ السجن حيثُ مشتْ «فرنسا» مـــن « البســتيل » ترتَفِـعُ ارتفاعـــا

وألـوانٌ مـن « التعـذيب» تَهـدي سـجلَّ « الثـورة » الكـبرى شُـعاعا

وأشـــباحٌ تُـــراوحكم قِبـــاحٌ تَـــروعُ حَصـــاتَكم ســـاعاً فســـاعا

هـي الأشباحُ مـن عهـد تَرامـى ... عـلى عهـد فترتجـفُ ارتِياعـا
شـبابَ اليـوم إنكـمُ ثـمارٌ ... سـيقطفُها الغـدُ الآتي سِراعـا
جَنـى جيـلٌ يعبِّـئُ للرزايـا ... مصـايرَه وللـذُل اقتناعـا
عـلى جيـلٍ كـأنَّ عليـه مما ... بَنَـى البـانون مـن وِزْرٍ قلاعـا
بـذوب الفكـر يفتـتح القَضـايا ... ويختِمهـا بمهجتـه انـدفاعا
دَمَ « الشـهداء » لا تـذهَبْ هبـاءً ... ولا تجمُـدْ بقارعـةٍ ضَـياعا
ولا تشـكُ الظِـماء فـإن فينـا ... دمـاءً سـوفَ تشربُهـا تِباعـا
ولا تخَـلِ الجفـاءَ فلـم تُغَيَّـبْ ... يـدٌ تُرعـى.. ولا ذمـم تُراعـى
فـما كَـدم « الشـهيد » إذا تَنـادى ... كثـيرٌ نـاثِروهُ إذا تَـداعى
ومـا تَهَـب الصـنائع للبَرايـا ... كما يَهَبُ « الشهيد » لها اصطِناعا
أنَفقِـدُكم ولا نَرعـىَ حفاظـاً ... وتَرعَـى البيـتَ فاقـدةٌ صُـواعا
إذن فالثَـأر نَنشُـده كِـذاباً ... وصـوتُ الحـق نسـمعُه خِـداعا
إذن فَسَيُوسِـعُ التـاريخُ رجمـاً ... كِلَينا.. من « أطَلَّ » ومن أضاعا
ونحـن - إذن - نَسـومُ دمـاً زكيّـاً ... بعاجلـةٍ شِراءً وابتِياعـا
فأيُّ « زكاً » يُصان - إذن - ويُقْنَى ... وأيُّ شـذاة طهـرٍ لـن تُباعـا
ونحن - إذن - على الأشلاء نُزجي ... رغائبَنـا ! ونُسـمنُها رِتاعـا
فليـتَ الحـزنَ تُطبـقُ فـوق سـالٍ ... سـحابتُه وتـأبى الانقِشـاعا
وليـت الليـلَ يغمـرهُ دخانـاً ... وليـت الصـبحَ يُمطـرُه التياعـا
وليـت مُنـىً يُراودهـا فِجـاراً ... تُعـاوِده لتنهَشَـه ضِـباعا
وليـت ضـميرَه يثـب افتزاعـا ... مـن الـذكرى وينـتفِضُ التـذاعا
وليـت العـارَ يـبرحُ مستضـيفاً ... سريرتَـه اصـطيافا وارتِباعـا

وليـــت أمـــامَ عينيـــه احتراقـــاً ... جَـرى كالشـمع حـاضرهُ وماعـا
وليـت خيـالَ ماضـيه مَسـيخاً ... يَلـوح عـلى ملامحِـه انطِباعـا
دمَ « الشـهداء » أنـتَ أعـزُّ مُلكـاً ... وقاعُـك أشرفُ الـدنيا بِقاعـا
وأنـت الخُلـدُ بالأنهـار يَجـري ... وبالمِسـك انتَشَـى أرَجـاً وضَـاعا
دمَ الشـهداء كنـتَ النـارَ شـبَّتْ ... عـلى البـاغين تنـدَلِعُ انـدلاعا
تلُـفُ طَغـامَهمْ نِكسـاً فنِكسـاً ... إلى يَـوم تَلفُّهُـمُ جِماعـا
إلى يـوم تُطـيح بـها أقـاموا ... ومـا اختَطُّـوا فتَنسِـفُهُ اقتِلاعـا
دمَ « الشهداء » اهدِ الجمعَ يُبصِرْ ... طريقـاً منـك يزدَهِـرُ التِماعـا
أهـبَّ لـه الحـواضر والبـوادي ... وعرِّفْـه المَشـارفَ والتِلاعـا
متـى يَقْحَـمْ قِطاعـاً مـن شُرور ... فأقحِمْـه بسَـوْرتِه قِطاعـا
وسـدِّدْ مـن خُطـاه إذا تـوانى ... وجـدِّدْ مـن قُـواه إذا تَـداعى
وكـن.. إن لفَّـه ليـلٌ.. شُـعاعاً ... وإن طـال الطريـق بـه.. متاعـا
دفعـتَ بـما اسـتطعتَ الضُرَّ عنـه ... فـزده مـا اسـتطعتَ بـك انتِفاعـا
وزِدْه مـا اسـتطعتَ لـك انصـياعا ... وعـما يُغضِـبُ الـوطَنَ امتِناعـا
وزِده في الخُطـوب بـك اعتِـزازاً ... وحَـوْلَ شـعارِك الألِـقِ اجتماعـا
وكـنْ فـيما انـدفَعْتَ شِعارَ جيـلٍ ... حثيـثِ الخطـو يـأبَى الارتجاعـا
وأعلِـنْ بانفطامِـك عـن شَـبابٍ ... بـه يتعلَّـلُ الشـيخ ارتِضـاعا
عن الشهوات في الحكمِ ازدجـاراً ... وعـن حكـم يُـلاث بهـا ارتِـداعا
دمَ «الشهداء» مهما اسطَعْتَ فادفَع ... وحَسْـبُ الحـر جُهـداً مـا استطاعا
إلى الغَمَـرات أفئـدة تَنَـزَّى ... من « الغَمرات » تَخْشَى الانخِلاعـا

تُحِبُّ الموتَ تغمرُه التحايا وتأبَى أن تَطيرَ به شَعاعا
وتَخْشَى الخُلدَ.. مُفزعةً نفوساً وتهواه.. مُكرَّمةً طُباعا
وما انفكت على رِجْلٍ وأخرى تُخالفها نُكوصاً وانصِياعا
فأكرِهْها وقُل سيري بسَوطٍ يُدَمِّي من أبَى سَيْراً وطاعا
بسَوْطٍ من جُلودٍ ملزماتٍ بهَدْيِ الناس يقتَطِعُ اقتِطاعا
تَوَكَّلَ أن يسودَ الناس حكمٌ يُساوي من أُجيعَ بمن أجاعا
ويُسقطُ من شِفاهِهُمُ سَواداً ويمحُو من مَعاجِمهم رَعاعا
وقل سيري ولا تقفي انتِكاصاً وأنتَ فَسَلْ ولا تقفِ انقِطاعا
وقل سيري فما يَعْيَا دليلٌ حَدا من قبلكم فَهَدَى وضاعا
وقل سيري اتباعَ أخي افتِداءٍ مَشَت من خَلفه الأممُ اتباعا
جلبتُ لها « السُمُوَّ » فأوسعتني من النُّكران ما يصِمُ اتضاعا
وذُقْتُ الوحشةَ الكبرى فكانت أنيسَ الناعمين بها اضطجاعا
وكنت لها أنا المجهول علماً وأخلاقاً وحكماً واشتِراعا
ومخترعٍ يتيه على كِبراً ولو لم أجرِ لم يجدِ اختِراعا
وفذٍ « عبقريّ من نَتاجي تَرَعْرَعَ « صيتُه » ونما وشاعا
تجاهَلَني وكنتُ له خيالاً وأهملني وكنت له يَراعا
وآخرَ ذي فُتوحٍ أشجعيٍّ سفحتُ له ليرتبيَ اليَفاعا
تناسى من له اقتادَ السرايا ومن كانَ الشَّجاعةَ والشُّجاعا
ويا أكفانَهم كوني لواءً وسيعاً يحضُنُ الهِممَ الوِساعا
وسُدي ثُلمةً من كل خَرْقٍ يَزيدُ الخَرقُ شقتَّه اتساعا
وزِيدي في خضَمِّ المجد مَوْجاً وكوني من سفائِنه شِراعا

ذكريات

يا «ذكرياتُ» تحَشَّدي فِرقا تسَعُ الخيالَ وتملأُ الأُفُقا
وتأهَّبي زُمراً تجهزني محضَ الأسى.. والذُّعرَ.. والقلقا
هُزِّي الرِّتاجَ عليَّ أُحكِمه وتقحَّمي البابَ الذي انغلقا
الليلُ صُبّي في قرارته من وحشةٍ ما يفزَعُ الغَسَقا
والريحُ خلِّيها إذا صفِرَت في البيت توسِعُ من به فرَقا
خَلِّي الصغار من الأسى فَزَعاً يتساءلون: من الذي طَرَقا
ودَعي الكِبار يرَوْنَ مدخنةً فيه ولا يجدون محترِقا
والنوم من فزَعِ «الرؤى» يبساً رُدِّيه.. أو بدمائها غَرِقا
ليعودَ مما «تنفُثين» به مِسخاً فلا نوماً ولا أرَقا
والصبحُ رُدِّيه لمَبْسِمه شَرِقاً وبالعبرات مُختنِقاً
ثم اطلِعي من كلِّ زاوية ذاك الجبينَ ووجهَه الطَلِقا
حتى إذا انتصف الأصيل به فتكوّري في صُلبه شَفَقا
ثم اسكُبي نَضحَ الدماء به ثم ابعَثي من نَشْرها عَبِقا
وتمزّقي قِطَعاً مضرّجةً تمتصُّ من نَضَحاته عَلَقا
فكأن فيها الصُلبَ منغلقاً بجراحه.. والصدرَ منخرقا
يا ذكريات تجسّدي بَدَناً غضَّ الصبا وتعطَّري خُلُقا
عُريانَ: لا خَتَلا.. ولا وَغَراً ضَحْيانَ: لا صَلَفاً ولا ملَقا
لم تتركي من كلِّ شاردةٍ نَمَطاً ولا من نأمةٍ نَسَقا
ثم ابدَهيني كلَّ آونةٍ منها بما يستامُني رَهَقا

يـــا ذكريـــاتٌ كلهـــا حــــرقٌ ... تَطَـــأ الفُـــؤادَ.. وتلهـــبُ الحــــدَقا

مـــن لي بشِـــعرٍ خـــالقٍ شـــجناً ... للنـــاس يعجـــزهم بـــما خَلَقـــا

هـــي صـــورة حمـــراءُ مـــن شَـــجني ... تـــدمي الـــيراع وترعـــب الوَرَقـــا

لـــيَرىَ الـــذين تجـــاهَلوا برَمـــاً ... أســـيانَ كيـــفُ يُكابـــد الحُرَقـــا

مـــن لي بأطيـــافٍ تُراوحنـــي ... بـــالهمِّ مصـــطبَحاً ومُغتبَقـــا

متسلســـلات كلـــما وَجَـــدَتْ ... فيهـــا فراغـــاً.. أفرغَـــتْ حَلقـــا

مســـتجمعات كـــلَّ خـــاطرةٍ ... مـــا جـــدَّ مـــن عهـــدٍ ومـــا خَلِقـــا

مـــا كـــان مثـــلَ القـــبرِ مُختفيـــاً ... تُبديـــه مثـــلَ الـــنجم مُنبثِقـــا

فَرِحـــاً ومكتئبـــاً ومختلطـــاً ... بهـــما.. ومُتَّحـــداً.. ومفترِقـــا

مـــن لي بهـــا وكأنّهـــا بشرٌ ... عـــن نفســـه يـــروي إذا نطَقـــا

مـــن لي بأشـــباحٍ أنـــوءُ بهـــا ... رَسْـــفَ الســـجين بقيـــدِه عَلِقـــا

حتـــى إذا انصَرَمـــت بـــدا شَـــبحٌ ... حُلـــوٌ يكـــادُ يُطـــيرني نَزَقـــا

طـــوراً نـــروح معـــاً عـــلى ظَـــمَأٍ ... منهـــا وطـــوراً نســـتقي غَـــدَقا

يومـــاً بقَعـــر البيـــت يُوغرنـــا ... حَنَقـــاً.. قضـــاءٌ مـــوغِر حَنِقـــا

وهُنيهـــة نرتـــاد مرتفِعـــاً ... مـــن هَضْـــب « لبنـــانٍ » ومُنْزَلِقـــا

مـــن لي بهـــا تَعتـــادُ قارئهـــا ... فَرَقـــاً.. كـــما تَعتـــادني فَرَقـــا

وتـــردُّ – مـــثلي – عيشَـــه رَنِقـــاً ... وتَسُـــدُّ – مـــثلي – حَولَـــه الطُرُقـــا

مـــن لي بشِـــعرٍ خـــالقٍ حُرَقـــاً ... تطـــأ الفـــؤادَ وتُلهِـــبُ الحـــدَقا

لـــيريُهم القلبـــينِ قـــد لَصِـــقا ... صِـــنوين.. كيـــف إذا هُمـــا افتَرَقـــا

وإذا همـــا – والمـــوت بيـــنهما – ... مـــدّا مـــن الجْيـــدينِ فاعتَنَقـــا

وتســـاءَلا : مـــا ضرَّ لـــو ســـلكا ... كَفَنـــاً معـــاً.. وبحبلـــه عَلِقـــا

حتـــى إذا اســـتبقى أحرُّهمـــا رَمَقـــاً.. وأســـلمَ خدنـــهُ رَمَقـــا
وحثـــا الـــترابَ بوجهـــه قَـــدَرٌ عبـــا لكـــل مُفـــارق طَبَقـــا
وانـــداحتِ الـــدنيا بنـــاظرِه حتـــى لظَـــنَّ رحابَهـــا نَفَقـــا
ومضى حســـابُّهما برُمَّتـــه مـــا انفـــكَّ مـــن دَيـــن ومـــا انغَلَقـــا
صَـــفَقَ اليـــدين كـــأنَّ مرتجِعـــاً يرجُـــو لصـــاحِبه بـــما صَـــفَقا
وكـــأنما يُعطـــي الشـــقيقَ دمـــاً إن الشـــقيقَ بدمعـــه شرِقـــا
وكـــأنما انشـــقَّ الضريـــحُ لـــه بـ « رعى السحابُ ضريحَه وسَقَى »

***

غضبة

عَـرَتِ الخطـوبُ، كيـف لاتعـرو فصَـبرتَ أنـتَ ودِرعُـكَ الصـبرُ
وصَـبرتَ أنـتَ وانـت ذو ثقـةٍ أن لـو تشـاءُ لزُحـزِحَ الأمـر
لانجـاب عُسرٌ مـن فرائسـه صِـيدُ الرجـال ولاتمَـى اليسر
ولَـدَرَّ ضرْعٌ رُحـتَ تحلِبُـه إنْ كـان أعـوَزَ غـيرَكَ الـدَرُّ
عَـرتِ الخطـوب فـما خَفَضْـتَ لها مـن جـانح وكـذلك النسر
ومَضـيت تلتهـبُ السـما صُـعُداً لـك عنـد غُـرِّ نُجومهـا وَكـر
وعـلى جَناحَيـك ارتمَـتْ كِسَراً مثـلَّ الضَّـباب عواصـفٌ صِرُّ
فتجاوَزَتـك وراح نَهبتهـا نَخـبُ الفـؤادِ وخامـلٌ غَمْـر
النَفـعُ رِخـوٌ لِسـتَ صـاحِبَه وأخـوكَ هـذا الشـامخُ الضر
أجـررتَ والـدنيا فـما سَـطَرتْ إلا وعنـدك فوقَهـا سَـطر
ومضـيتُما كـلٌ بوطأتـه فَـرَسَيْ رهـانٍ أنـت والـدهر

عــرت الخطـوب وكيـف لا تعـرو ... وطريـقُ مثلِـكَ.. صـامداً.. وعَـر

عَــدَتِ الضِّــباعُ عليـك عاويـةً ... ظنــاً بأنــك مأكــلٌ جَـــزْر

فتـــذوَّقَتك فقـــال قائلُهـــا ... إنَ الغَضَـــنفر لحمــه مـــرّ

وخَلَصــت حــرَّ الوَجــه ذا أَلَــقٍ ... ووجُــوهُهُم مطموســةٌ عفْــر

حَسَـدوكَ أنـكَ دُسـتَ هـامَهُمُ ... مُتجـــبّراً ولنَعْلـــكَ الفَخْـــر

وحَقــرْتهم فقُلــوبُهم وَغْــرُ ... مــن ضِــغنةٍ وعيــونُهم خُــزْر

لا أمــرَ عنــدهمُ فهــمُ هَمَــلٌ ... غُفــلٌ وكــل حيــاتِهم خَمــر

وزعــيمُ قــومٍ كــالغُراب بــه ... صِـــغَرٌ وفي خُطُواتـــه كِـــبر

يغـــترُّ فـــيما لا يُشرِّفـــه ... جَهِــلَ المُغَفــل كيــفَ يغْــترّ

يغـــتَرُّ أنْ ألقـــوا بمعدتـــه ... عَفْـــنَ الطعـــام فـــراحَ يجـــتّر

بـــادي الغَبـــاء تكـــادُ تقـــرؤه ... بـــالظنِّ لا خَـــبرٌ ولا خُـــبر

أضــحى وزيــراً فاغتــدَى رَهِقــاً ... مثـــل الحـــمار يـــؤودُه الـــوِزْر

لله أنـــتَ مطيـــةٌ عَرِيـــتْ ... منهـــا الشَـــوَى وتأكّـــلَ الظهـــر

ودريئـــةٍ يرمـــي الأبيَّ بهـــا ... وغـــدٌ.. ويُصـــمي الـــبرَةَ الفُجـــر

والتـــفَّ عـــن أطرافـــه هَمَـــجٌ ... مثـــل النَّعـــام يســـودُها الـــذُعر

وتحلَّبـــوه ففـــي أكُفِّهـــم ... شَـــطرٌ وفي أفـــواهِهم شَـــطْر

مـــن فـــاجرينَ بكـــل قارعـــةٍ ... حلـــو تحـــدَّث عـــنهم العُهْـــر

ومُفَـــرِّقين مـــذاهباً جُمِعـــت ... وحَنـــا عليهـــا الآيُ والـــذِكر

مثـــل اللُّصـــوصِ يلـــمُّ شَـــمْلَهُمُ ... خَـــيطُ الـــدُجى ويَحُلّـــه الفجـــر

يـــا عبـــدَ ســـوء في مزاعِمِـــهِ ... يشـــتطُّ حيـــثُ تحـــرَّرَ الفِكـــر

قبليّـــةٌ والكـــونُ وحَـــدَّه ... فكـــر وخـــطَّ مصـــيرهُ ذَرُّ

أفأنـــتَ كـــونٌ يُســـتَظلُّ بـــه ... أمْ أنـــت يـــا بـــنَ جهالـــةٍ عَصر
قـل « للصـحيفةِ » أنـتَ قائـدُها ... سَـــفَهاً وأنـــتَ زعيمُهـــا الحـــرُّ
إني – ولي في المجـــد مُتَّسَـــعٌ – ... عَـــفٌّ عـــن اســـتغلالة بـــرُّ
لمـا أدخـر منـه سـوَى نَشَـب ... هـــو للـــبلاد وأهلهـــا ذُخـــر
غَنِيـت بـــه الأجيـــالُ طاعمـــةً ... منهـــا الســـمينَ.. وعَضَّـــني الفقـــر
لا أســـتَغلُّ فأنـــتَ لي عظـــةٌ ... فـــيما أتيـــتَ.. وأنـــتَ لي زجْـــر

***

يا ثمر العار

أي جَرَبـــا تجـــرَّبي تكـــتَّلي تحـــزَّبي
كـــإبرة البحـــار في عاصـــفةٍ تَذبْـــذبي
وكـــالطُيورِ في الســـماءِ حُـــرَةً تَقَلَّبـــي
أي جَرَبا ويحَكِ ما أصَلفَ وجهَكِ الغبي

أكـلَّ يـومٍ تطلُعـين للـوَرى بكَوكـب
مـذنَّبٍ مـن فَضْـل مـا أُعطِيـه مـن ذَنَـب
فتـــارةً بـــمشِرقٍ وتـــارةً بمغـــرب
أيْ جَرَبـا في كـلِّ يَـوم حُلـةً تَجَلْبَبـي
أيْ جرَبـا كـم تَـدَّعينَ عفـةً لم تُـوهَبي
إذ أنـــت للفَجْـــرة تمتطـــين شرَّ مركـــب

أيْ جَرَبـا يـا بَهْلـوانَ الملعَـب المجـرَّبِ

يا ضُحكةً جاد بها الدهرُ على مكتئِب
يا فرُجةً لُمعلِمين : فرجةً عن كثب
حَكَّةً من جَرَبٍ في دُمَّلٍ مُلتَهِب
يا ثمَرَ العارِ ويا جريمةَ التَسيُّب
يا «هِرةً» تُريد أن تَحكي دهاءَ ثَعلَب
يا أُمةً مغلوبةً لأجذمٍ مُغَلَّب
يا بومةً خائفةً من خائِفٍ مُترَقِب
من سارِقٍ متَّهمٍ وخائنٍ مرتكِب

***

فلسطين والأندلس

ناشدتُ جندكَ جندَ الشعبِ والحرسا ... أن لا تَعودَ فلسطينٌ كأندلُسا
ناشدْتُك الله أن تسقي الدماءُ غداً ... غَرْساً لَجدِك في أرجائِها غُرسا
تلمسِ الجذفَ الزاكي تجدْ لَهَباً ... من الشَّكاةِ وتسمعْ للصدى نَفَسا
ناشدْتُك اللهَ والظلماءُ مطبقةٌ ... على فلسطينَ أن تُهدي لها قَبَسا

***

فلسطين

دَلالاً في مَيادينِ الجِهادِ ... وتيهاً بالجراحِ وبالضِّمادِ
ورَشْفاً بالثغورِ من المَواضي ... وأخذاً بالعِناقِ من الجِهاد
وَعبّاً من نميرِ الخُلد يَجري ... لُمنْزَفةٍ دِماؤُهم صوادي

وَتَوطيناً على جَمرِ المنايا ... وإخلاداً إلى حرِّ الجِلاد

وَإقداماً وإنْ سَرَتِ السَواري ... بما يُشجي وإن غدتِ الغوادي

وبذلاً للنفيس من الضحايا ... فأنْفسُ منهم شَرفُ البلاد

حُماةَ الدارِ مسَّ الدارَ ضُرٌّ ... ونادى بافتقادكُمُ المُنادي

أرادَتْكمْ لِتكفوها فُلُولاً ... مُعزَّزةٍ كأرتالِ الجَراد

وشاءتْكُمْ لتنهطلوا عليها ... هُطولَ الغيثِ في سَنةٍ جَماد

وطافَ عليكمُ حُلم العَذَارَى ... مُروَّعةً كحِلنَ من السُهاد

يَشُوقُ الذائدينَ على المَنايا ... نداءُ العاجزاتِ عنِ الذياد

تطَلعتِ العيونُ إلى خُيولٍ ... مُحجَّلةٍ مُنشرَةِ الهوادي

خبرْنَ رَحَى الوغَى فعن اعتِسافٍ ... يَدُرنَ مدارَها وعنِ اعتماد

إذا الرِجّلانِ مسَّهما لُغوبٌ ... شأتْ بهما اليدانِ عن ارتِداد

عليها كلُّ أُغلبَ أرقمي ... يَبيسِ العَينِ ريّانِ الفؤاد

زَوَتْ ما بينَ جَفْنَيهِ هُمومٌ ... نَفتْ عن عينهِ دَرَنَ الرُقاد

وشدَّتْ خافِقَيهِ فلن يَرِّفا ... إذا التقيا على الكرَبِ الشِّداد

وكلُ مسَعّرِ الجَمراتِ يُكسَى ... من الغَبراتِ ثوباً من رماد

تَمرَّسَ بالحُتوف فلا يُبالى ... أحادَتْ عنهُ أم عَدَتِ العوادي

ويا جُثَثاً يَفوحُ المجدُ مِنها ... فتَعَبقُ في الجبالِ وفي الوِهاد

سَقَتْكِ الصائباتُ من التَّحايا ... مُعطّرَةً فما صَوبُ العِهاد

أعزُّ الناسِ في أغلى مماتٍ ... وَخيرُ الزرعِ في خيرِ الحَصاد

ويا مُتَقربين إلى المنايا ... يَشُقُّ عليهِمُ وطءُ البِعاد

رأيتُ الجودَ ملهاةً يُجازَى ... بها اللاهي بحَمدٍ مستفاد
ومُتَّجَراً يدُرُّ المجدَ ربحاً ... لكل مسلفٍ بِيضَ الأيادي
يؤدِّي الناسُ ما وَهَبَتْ كِرامٌ ... وتدفَعُهُ المحافلُ والنوادي
ولكِنْ ثمَّ للبلوى مِحَكٌّ ... تَميزُ به البخيلَ مِنَ الجواد
هُنالِكَ إذ يَشُقُّ على المفدَّى ... فَكاكُ إسارِهِ من كفِّ فادي
تفيضُ النفسُ لا تدري جزاءً ... - ولا تبغي - إلى يوم المعاد
ولا يَختالُ - صاحبُها ازْدِهاءً ... بما أسدى - على هام العباد
وروح من « صلاح الدّينِ » هَبتْ ... من الأجداثِ مُقلَقَةَ الوِساد
تَساءَلُ هل أتَتْ دوَلٌ ثمانٍ ... ضِخامٌ ما أتاه على انفراد
وما أضفى الحديثُ على قديم ... وما ألقى الطَريفُ على تلاد
وما عِند الدُهاة منِ انْتقام ... ومن أخذٍ بثأرٍ مُستقاد
وهل ضاقوا وهمْ كُثْرٌ ذِراعاً ... بداهيةٍ نهضتُ بها دَآد
مَشَيتُ بطبِّها عَجِلاً فطابت ... عواقُبها.. وساروا باتِئاد
بلى كانوا ومنْ عادَوْا تبيعاً ... وكنتُ المستقلَّ ومن أُعادي
ومعتدّاً وما تُجدي حياةٌ ... إذا خلتِ النفوسُ مِن اعتداد
حُماةَ الدّارِ لم تَترْكْ لشعري ... فِلَسْطينٌ سوى كَلِمٍ مُعاد
بَكَيتُ مصابها يَفَعاً ووافَتْ ... نِهايَتها وخَمْسونٌ عِدادي
قَدَحتُ لها رَوياً من زِنادِي ... وصُغْت لها رَّوِيا من فؤادي
وألقَيتُ الظلالَ على القوافي ... عليها يصْطَفِقْنَ منِ ارتعاد
وهل عندي سوى قلبٍ مريرٍ ... أُذَوِّبهُ بكأسٍ من سهاد
حُماةَ الدارِ إني لا أُماري ... وإن قلتُ الجديدَ ولا أُصادي

وليس تملقُ الجمهورِ مني ... ولا التَّضْليلُ من شيمي ونادي
حماةَ الدارِ من عشرينَ عاماً ... تقضَّتْ فاتَنا يومُ التَّنادي
دعانا وعدُ بلفورٍ وثنى ... وثلثَ صائحُ البلدِ المُذاد
ونادتْنا بألسِنةٍ حدادٍ ... دِماءٌ في قرارةِ كلِّ وادي
ومَوجاتٌ من الكرَبِ الشدادِ ... تراوَحُ بانتقاصٍ وازدياد
فكنا نسْتَنِيمُ إلى قُلوبٍ ... قَدَدْناها من الصمَ الصلاد
وكنا نستجير إلى زعيم ... كليلِ السيفِ لماع النِّجاد
كَذوبِ الدَّمع يسمَنُ في الرَّزايا ... ويَدْعَرُ وهو يَرْفُلُ في الحِداد
وكنا نمتطي مُهْرَ الطِراد ... فِلَسْطيناً إلى يومِ اصطياد
وكانَتْ دَلْوَ نَهازين مدّوا ... بها واستنفدوا ملء المزاد
وَعَدْناها بثأرٍ مستقادِ ... ومجدٍ قد أضَعنا مُسْتَعاد
بتصريح وصاحبه مفادِ ... وتصريح يَظَلُّ بلا مفاد
ومؤتمرٍ تعجّلَ عاقدوه ... ومؤتمرٍ سيؤذِنُ بانعقاد
حماةَ الدارِ ما النَّكساتُ سِرٌّ ... ولا شيءٌ تلفّفَ في بِجَاد
ولا لُغْزٌ يَحارُ المرءُ فِيهِ ... فَيَجهلُ ما سداسٌ مِنْ أُحَاد
ولكن مِثلَما وَضحتْ ذُكاءٌ ... ونَوَّرَ حاضِرٌ منها وبادي
فما ذَهبتْ فِلَسطينٌ بسحر ... ولا كُتبَ الفناءُ بلا مِداد
ولا طاحَ البِناءُ بلا انحرافِ ... ولا بَنتِ اليهودُ بلا عِماد
وما كانتْ فِلَسْطينٌ لتَبقى ... وجيرتها يصاحُ بها بداد
وسِتُّ جِهاتِها أخذت بجوعٍ ... وجهلٍ.. واحتقارٍ.. واضطهاد

شعوبٌ تسترقُّ فما يُبقّي ... على أثرٍ لها ذُلُّ الصفاد
تُساطُ بها المواهِبُ والمزايا ... وتُحتَجزُ العقائدُ والمبادي
وتَطْلُعُ بينَ آونةٍ وأُخرى ... « بحجّاج » يُزَيِّفُ أو « زياد »
فَيُذوي الخوفُ منها كُلَّ خافٍ ... ويُصمي الجوْرُ منها كلَّ بادي
وتُنتَهبُ البلادُ ومنْ بَنيها ... يَؤوبُ الناهبون إلى سِناد
وتَنطلقُ المطامعُ كاشراتٍ ... تُهدِّدُ ما تلاقي بازدراد
وتَنطبقُ السّجونُ مُزمجراتٍ ... على شبهٍ.. وظَنٍّ.. واجتهاد
حُماةَ الدارِ.. ما ميدانُ حَربٍ ... بأعنفَ من مَيادينِ اعتقاد
فَمثلُكمُ منَ الأرواح جسمٌ ... تُقاسي الموتَ من عَنتِ الجهاد
وأخلاقٌ تضيق بمُغْرياتٍ ... شِدادٍ في خُصومَتها لِداد
تَكادُ تطيحُ بالعَزماتِ لولا ... رُجولةُ قادرينَ على العِناد
رُجولةُ صائمينَ ولو أرادوا ... لكانوا الطاعمينَ بأيّ زاد
ومعركةٍ يَظَلُّ الحقُّ فيها ... يُسالمُ أو يُهادِنُ أو يُبادي
وميدانٍ وليس لنازليهِ ... سوى الصَّبرِ المثلّم من عَتاد
وكانتْ في السُّطوحِ مَزعزَعاتٍ ... خُطوطٌ يرْتَسمْنَ منَ الفَساد
فها هي فرطَ ما جَنَتِ الجواني ... إلى عُمقٍ تَغّورُ وامتداد
لقد شبتْ عنِ الطَّوقِ المخازي ... وكانَتْ بنتَ عامٍ في مِهاد
حُماةَ الدارِ.. لولا سمُّ غاوٍ ... أساغَ شرابهُ فرطُ التمادي
وَلَوْغٌ في دم الخِلِّ المُصافي ... فقل ما شِئتَ في الجنِفِ المُعادي
ولبَّاسٌ على خَتلٍ وغَدْرٍ ... ثيابَ الواقفينَ على الحِياد
وَخِبٌّ لا يريكَ متى يُواتي ... فتأمنَ سرَّهُ ومتى يُصادي

تَطلّــعُ إذ تَطلــعُ في رَخـــيٍّ ... وتَقــرَعُ حــين تَقــرعُ في جَمـاد
ولــولا نــازلونَ عــلى هــواه ... سُــكارَى في المحبــةِ والــوداد
نَسُوْا – إلا نفوسَهُمُ – وهـاموا ... غرامـاً حيـثُ هـامَ بكـلِّ واد
أجـرّهُمُ عـلى ذَهـبٍ فجـرّوا ... فلسـطيناً عـلى شـوكِ القَتـاد
وقادُوهـا لــه كـبشَ افتـداءٍ ... صـنيعَ الهـاربينَ مـنَ التّفـادي
لكنـتم طـبَّ عِلَتِهـا.. وكانـت ... بكـم تحـدَى عـلى يـدِ خـيرِ حـادي
حُمـاةَ الـدارِ لم تـزَلِ اللّيـالي ... يُطـوِّحُ رائـحٌ منهـا بغـادي
ولا تَنفـكُّ داجيـةٌ بـأخرى ... تَعثّـرُ لم ينرهْـا هَـدْيُ هـادي
ولا تـألو الضـلالَةُ وهـي سِـقطٌ ... تكـابرُ أنهـا أمُّ الرَّشـاد
حمـاةَ الـدار كـلُّ مَسِـيلِ ظُلـم ... وإن طـالَ المـدى فـإلى نفـاد
وكـلُ مُحتَشَّـدٍ فـإلى انِفضـاضٍ ... وكـلُ مفـرَّقٍ فـإلى احتشـاد
فصـبراً ينكشِـفُ ليـلٌ عمـيٌّ ... ويـنحسرِ البيـاضُ عـن السـواد
وتَتَضـحِ النفـوسُ عـن الخبايـا ... ويُفصـحُ مـنْ يريـدُ عـن المـراد
وتَنـدفعِ الشـعوبُ إلى محـجٍّ ... مُبـينِ الرُشـدِ موثـوقِ السَّـداد
وتـؤذنْ جـذوةٌ إلى انطِفـاءٍ ... يـؤولَ مآلُهـا أم لاتقـاد
ومهـما كانـتِ العُقبـى فَلسـتُمْ ... بمسـؤولينَ عـن غيـبِ مـراد

***

أطِل مكثاً

عسـى أنْ لا يطـولَ بـكَ الوُقـوفُ ... وأنْ يعتَجّـل الـزمنُ الرَّسـيفُ
وأنْ ينجـابَ عنـكَ غُبـارُ بُـؤسٍ ... يَضـيقُ بـه محيـاك الأسـيف

أقِمْ كتِفَيكَ لا يثْقِلكَ ذُلٌ ... ولا يشمَتْ بكَ القَصرُ المُنيف
ولا يقلِ السّريُّ هنا شقيٌّ ... يَضيقُ بذُلِّ وَقفَته الوصيف
تقدَّمْ إنَّ خلفكَ راسفاتٍ ... جماهيراً يضجُّ بها الرَّصيف
صُفوفاً للسُّجونِ بها تُعَبا ... إذا أزِفتْ.. وتنتَظِمُ الصُفوف
وأجنِحةً وإن طُويتْ ففيها ... على الأجيالِ.. قادِمةً.. رفيف
أطِلْ مكثاً فإنكَ عن قريبٍ ... ستَنْقَضُ في الضَّحايا أو تُضيف
وطُفْ دَهراً فقد كرَّتْ دهورٌ ... على الدُّنيا.. وأحرارٌ تطوف
ولم يَبْرَحْ بحيثُ نزلتَ ضيفاً ... يُنيخُ الرَّحلَ حرٌّ مستضيف
هُنا الرأيُ العنيدُ أقامَ سَدّاً ... عليه البغيُ – والفِكرُ الحصيف
ولا تخجلْ فحيثُ وقفتَ ظلَّتْ ... إلى غاياتِها تقفُ الأُلوف
ومنْ حيثُ احتُجزتَ مشى طليقاً ... يهُزُّ الكونَ جبارٌ عَصوف
وأولاءِ الذينَ لهمْ وجوهٌ ... تُحَبُّ.. أو تعَطِّفُ.. أو تخيف
وأجفانٌ ترِفُّ على عُيونٍ ... تغورُ كما تَغوَّرَتِ الكهوف
وأسمالٌ لهمْ منها فراشٌ ... يُلمُّ بها الثرى ولهُمْ شُفوف
همُ المتقحِمونَ الدَّهرَ بأساً ... به من وقعِ أرجلِهمْ وجيف
فلا يُخذَلْ بمظهرِكَ الأليفُ ... ولا يطْمعْ برُفقتكَ «العريف»
أطِلْ مكثاً فسوفَ يزاحُ ليلٌ ... تَلُفكَ منه والدُّنيا سُجوف
ومِنْ هذي الكُوى سيُطِلُّ فجرٌ ... ضَحوكٌ يملأ الدُّنيا كشوف
ولم تزَلِ الدُّنى من ألفِ ألفٍ ... يُصرِّفُ من أعنَّتها «الرَّغيف»
تمرَّغتِ الخدودُ مُصَعَّراتٍ ... به..واسترْغِمتْ منها الأنوف
وظلَّ ابنُ «المطاحِنِ» مشمَخِراً ... عليه الهامُ من فزَعٍ عُكوف

يــــدورُ الفكـــرُ جبـــاراً عنيـــداً ... بحيـــثُ يـــدورُ والقلـــمُ الرَّهيـــف

يُقــضُّ مضـــاجعَ البـــاغينَ منـــه ... لكـــلِّ منامـــةٍ طيـــفٌ يطـــوف

وأني عرَّســـــوا أسرى إلـــــيهم ... يُطيـــلُ عـــذابَهمْ وجـــهٌ مُخيـــف

تَخـــافُ شـــذاةَ غَضـــبَتِهِ أُلـــوفٌ ... وتســـتجدي مودَّتـــهُ ألـــوف

وتُســـتاقَ الجيـــوشُ مُسَـــخَّراتٍ ... لهـــا مـــن خـــوفِ زحفتـــهِ زُحـــوف

وكـــم جـــرَتِ الـــدّماءُ.. لهـــا هَـــديرٌ ... عـــلى حبّاتِـــه وبهـــا نزيـــف

وكـــم ألـــوى بهـــا هـــذا النَّحيـــفُ ... وهـــذا المســـتبدُّ بنـــا العنيـــف

سـلِ التـاريخَ كـم زخَرَتْ شُـجونٌ ... بدفَّتـــه وكـــمْ شـــحِنتْ حُتـــوف

وكـــم غـــادى ربيـــعَ الفكـــرِ فيـــه ... مـــن النزعـــاتِ عـــابرةً خريـــف

وكـــمْ ألقـــى عـــلى حـــيٍّ نزيـــلٍ ... غُبـــارَ كِفاحـــهِ حـــيٌّ خَســـوف

وهـــلْ بـــالرَّغْمِ مـــن هـــذا وهـــذا ... تأبّـــتْ منـــه.. دانيـــةً.. قُطـــوف

وهـــلْ دهـــرٌ أتـــى لمْ يَسْرِ فيـــه ... يفـــيء ظلالـــهُ فكـــرٌ وَريـــف

ولمْ تســـحبْ بـــه الخطَـــرات ذيـــلاً ... لـــه في مســـمعِ الـــدُّنيا حَفيـــف

أطِـــلْ مكثـــاً إلى يـــومِ تُـــوقّي ... بـــه كفَّيـــكَ.. أو تُلـــوى كفـــوف

ودَعْ رُســـغَيهما للقَيـــدِ نهبـــاً ... لِنابَيـــه بلحمِهـــما صريـــف

فمـــنْ تاريخِـــكَ الألـــقِ المـــدَّمى ... تَبـــينُ بهـــذه الـــنقَطِ الحُـــروف

وملْـــكُ الـــدَّهرِ أنـــتَ بـــما تـــوقّي ... مـــن الألمِ الـــذبيح ومـــا تُعيـــف

ولَسْـــتَ مخَّـــيراً في زمهريـــرٍ ... تُشَـــتي.. أو بجاحمـــةٍ تَصـــيف

ولا في أنْ يِمـــسَّ ذويـــكَ ضُرٌّ ... يَحيـــقُ بهـــمْ ومظْلَمـــةٌ تحيـــف

ولا آيِّ المصـــايرِ يحتـــويهمْ ... وأيِّ نـــوىً تعـــاوَرهمْ قـــذوف

ولا أيِّ الجنـــــينِ تــــدِرُّ أمٌّ رَؤومٌ في مراضـــــــعها رَءوف
ولا أيِّ الأكُــفِّ بهـــا تهــاوى ولا أيِّ السُـــمومِ لهـــا تـــديف
أطِــل مكثــاً فلــمْ يَـبْرَحْ أنيــقٌ رَشـــيقٌ في تـــأطّرهِ ظريـــف
يَتيــهُ بحيـــثُ تَلــتحِمُ الزّزايــا عليـكَ..بحيـثُ تلْـتحمُ السـقوف
مَشى فتعجَّبَ « الطـاووسُ » منه فقــد ألــوى بمتســيتهِ الزَّفيــف
كـــأنْ لم تضـــوِ إخوتَـــهُ سِــياطٌ ولمْ تَتحَـــدَّ أهلَهـــمُ الصُروف
بـــلى : وكـــأنَّ بؤْســـهُمُ تليـــداً لــــه ولأهلـــهِ مجْـــدٌ طَريـــف
أطِـــلْ مكثـــاً إلى يـــومِ تَلاقـــى عليـــكَ بســـاحةِ الألمِ الصُـــفوف
أطِـلْ مكثـاً : وفـاخِرْ أنْ خصـماً عَســـوفاً خصـــمُهُ بغـــيٌ عســـوف
ونصِّـــبْ مِـــنْ جبينـــكَ فاللَّيـــالي تُحـــاولُ أن تُخَـــوِّفَ مـــنْ يخيـــف
عســى أنْ لا يطـولَ بـكَ الوقـوفُ ومهـــما طـــالَ فالـــدُّنيا ظُـــروف

***

باريس

تعاليـتِ « بـاريسُ » .. أمَّ النضــالْ
وأمَ الجـــــمال.. وأمَّ الــــــنغم
تَـــذوَّبَ فـــوقَ الشِـــفاهِ الألَمَ
وســال الفـؤادُ.. عــلى كــلِّ فــم

تضـــيعُ الحـــرارةُ بـــينَ الوصـــالْ
وبـــين التّنـــائي وبـــين المـــلال
كأنــكِ شمسُـــك بـــينَ الجبـــال

تغـــازلُ حــين .. تلــوحُ القِمــمْ
وتبــدو الغيــومُ لهــا .. مــن أمَــم
فَتخفـــى كـــما يتخفّـــى النَّـــدَم
تعاليـتِ « بـاريسُ » .. كـم تلعبـينْ
وكـــمْ تُلهِمـــينَ .. وتســـتلهِمين
وكـــمْ تـــؤثرين .. وتســـتأثرين
تعاليـتِ « بـاريسُ » .. كـم تشـتهين

تَصـيحُ مـن الجـوعِ منـكِ العُيـونْ
وتُطوَى على الحـبِّ خُمصُ البُطـون
وتَنسَـينَ مـا كـان أو مـا يكـون
بـما أنـت في لجُـهِ مـن فُتـون
تعاليـتِ « بـاريسُ » إنّ الجنـون
جُنـونَ العواطـفِ مـا تَصْـنَعين

تعاليــت «بــاريسُ» إن الســنينْ
بـــما تَعْلَمـــينَ ومـــا تجْهَلـــين
ومـــا تســـتلذّينَ إذ تحلمـــين
بوَقْـع الشَّـكاةِ ورَجـعِ الأنـين
ونثـرِ الزُّهـورِ عـلى الفـاتحين
وثـلِّ العـروشِ .. وضَرْبِ الـوتين
وما سنَّ «روسو» .. و«لامارتَين»

أناخـــتْ طــويلاً عــلى عاتقَيْــكِ
وألقـــتْ بريقـــاً عـــلى ناظريـــك
وهَدْهَــدَتِ المــوجَ مــن ناهــديك
تعاليــتِ « باريسُ » .. في وجنتيـك
يلـــوحُ جمـــيلاً .. دمُ الثـــائرين

جلَتْ منك « باريسُ » كفُّ الدهورْ
فُتونـــاً مضَـــمَّخَةً بـــالعُطورْ
ودنيـــا تفـــور .. بنـــارٍ ونـــورْ
بـــما يتَّقـــى ويرَجّـــى تمـــورْ
صراعٌ مريـــرٌ فُوَيـــقَ الثُّغـــورْ
لنَـوح الأسـى .. وابتهـالِ الحُبـورْ

تَكـــادُ جراحاتُـــكِ المُثخنـــة
تُصـــفَّق منهـــا .. كـــؤوسُ المـــدامْ
ويبـــدو عـــلى حَجـــرِ المدخَنـــة
مواعيـدُ حُـبٍ .. وشـكوى غَـرام

تُخـــال نجـــاواكِ خلـــفَ السُّـــتورْ
لفـرطِ الجـوى .. قِصـةً في سُـطور
ويُوشِـكُ مـا اخْتَزَنَتْـهُ .. الصُّـدور
يـرِفُّ عـلى .. « لافتـاتِ المـرور»
تَكـادُ الأحاسـيسُ فـوقَ الوجـودْ
تُشيعُ الهـوى .. والـرُّؤى .. والمنـى

وتُوشــك مكبوتــةً .. أن تَفــوه
تَحُــلُّ الــذي يعقــدُ .. الألسُــنا
كــأن طُيــوفَ الخطايــا .. تتــوه
مــدىً .. ثــم تحتضِــنُ الأعينــا
كأنــكِ « بــاريسُ » كــلُّ الــدُّنا
بكــلّ « الغمــوض» .. بكــل السّنا
عــلى كــلِّ خَصرٍ تلاقــت يــدانْ
ألانــــا مثقفــــهُ فاســــتلان
وكــــل فــــمِ حشــــوُه وردتــــان
همــا الشــفتانِ .. همــا الجَمْرتــان
أراقَ الزمــانُ دمــاءَ الشــباب
لِــــيَرْويهما وهمــــا يلْهَثــــان

تَمَسّــح خــدٌّ بخــدٍّ يلــوبْ
مــن الحــب في وجنتيــهِ نُــدوب
ولاح كــما لاح فــوقَ السُّــهوب
رؤَى شــفقٍ في الوجــوه الشــحوب
كــأني رأيــت فــؤاداً يــذوب

عــلى مثلــه بــدمٍ يَقْطُــرُ
وأمــواجَ عاطفــةٍ تزخــر
بصــدرَين كــالبحرِ مستســلمَيْن

لِكَيفَ تُريدُ رياحٌ ؟ وأين ؟
تعاليتِ « باريسُ » منْ فاتنهْ
يُدَغْدِغُ فيها النعيمُ العذابْ
يُزيح بأجوائِها الداكنه
شفيفُ السنا .. مزقاً من سَحاب

تعاليتِ « باريسُ » مِنْ ماجنه
وما في مُجانتها ما يُعابْ
سوى أنّها في .. كؤوسِ الشراب
وجمرِ الشفاه .. وبردِ الرُّضاب
ترى كاذبَ العمرِ مثل الحبَاب

يخادع آونةً .. آونه
ويَنْسَلُّ كالعُهْر تحتَ الثياب
إلى الآنَ « باريسُ » في مسمعي
صدى مرَحِ « العابثاتِ » الحسنْ
ولمحُ العُيونِ لها الشرَّعِ
وزحف الصحافِ وعزف «الكمان»
ومقهى تكوّرَ كالبُّعْبع
تَماوَحُ جُدرانه بالدُّخان

ومعتركٌ .. ببذيءِ الشجار
تصارخَ .. ثمَّ انتهى بالحِوار
كما اسّاقطتْ بالحصاةِ الثِمار

وعاد « الشجار » .. لنجوى سِرار

وَقَــــرَّ دمٌّ فـــــار كالموقـــــدِ
بمســـح الشـــفاه .. وعصرِ اليـــد
ومـــات الـــذي خيــلَ .. لم يولــد
وغـــودر « أمـــسِ » .. لمثـــوى غـــد

وفاحـــت عطـــورٌ .. مـــن المضـــجعِ
تنـــزّى لهـــا قفـــصُ الأضْـــلُع
ودبَّ الضِرامُ .. عـــــلى الأذْرع

فراحـــت تَشـــابكُ نـــاراً بنـــارْ
وأزَّ الوقيـــدُ .. وســـار القطـــار
سجا الليلُ « باريسُ » سجوَ الحمام
تـــدلّى « الجناحـــان » منـــهُ فنـــام
ولاحت كُوىً .. من خِلالِ الظّلام
تـــرِفُّ عليهـــا .. ظِـــلالُ الغَـــرام
رفيـــفَ العواطـــفِ .. في المقلتَـــيْن

وحـــام رهيبـــاً عليهـــا الغـــدُ
خليقـــاً بإنجـــازَ .. مـــا يوعَـــد
فمُـــدَّت .. إلى كـــلِّ بـــابٍ يـــد

فَأرْخـتْ ستاراً .. مِـنَ الـذّكرياتْ
عـذارى مـن النـورِ .. مُسْتَحْيِيات

وراحت .. حنايا ضُلوعٍ تموجْ
بما لم تَمُجْ في الربيع المروج
وضمّت شَتاتَ النجومِ .. «البُروج»

فكلٌّ « طَوالِعِها » أسعدُ
على الحبِّ تنْزِلُ .. أو تَصْعَد
ويحنو على « فرْقدٍ » .. فَرْقد
كأنَّ مدارَهُما معْبد
يناجي بِهِ المرقدَ .. المرقد
نجومٌ بأحلامها شُرَّد
فلا « الزاجُ » منها . ولا المرصد

وثَمَّ بصيصُ ضياءٍ .. يلوحْ
ونفحةُ عطرٍ ذكيٍّ ..تَفوح
وصدرٌ يجيء لصدرٍ يروح

وحاشيةٌ من غطاء السريرُ
وأصداءُ نجوى كَسَحْب الحرير

ونهدانِ قاما على الشاطئينْ
يَمُدّانِ نحوَ غريقِ الغرام
يَدَينِ يُليحانِ بالبرْعُمَين
تعاليتِ « باريسُ » كلُّ الدّروبْ
تَفايضُ مُفْعَمةً بالقُبلْ
تعلّمتِ كيفَ يَشُقُّ الغَزَل

طريـــقَ الحيـــاةِ إذا أظلـــما
مـن اليـأس والتـاثَ فاسـتجهما

وكيـفَ تحُـد الشـفاه الأمـلْ
إذا مـا التـوى بـالمُنى عُـودُهُ
وحـلَّ مـن اليـأسِ معقـودُهُ

تعلّمـتِ « بـاريسُ » : أنَّ الضَّـجَرْ
إذا لم يـدَفْ .. بلذيـذِ السَّـمر
ولحـنِ الكـؤوسِ .. وسَجْعِ الـوَتر

ومـا لم تغـصَّ بحُلـوِ اللمـى
شـفاهٌ .. تعـودُ لتشـكو الظّـما
ومـا لم يَجِـدْ مِعْصَـمٌ .. مِعْصَـما
لـه في حِمـىً مسـتباحٍ .. حِمَـى
أمـاتَ الضـميرَ .. ولاثَ الـدما

ودب دبيـبُ الـرّدى .. في المُقَـلْ
وجـرّرَ عـدواه .. حيـثُ انتَقَـل
تعلمـتِ « بـاريسُ » .. كيـف المَلَـل
إذا لم تُقَطّـرْ بكـفٍ رفـل
عـلى سُـمّه .. قطْـرَةٌ مـن عسـل
لِتَقْتُلَـهُ بمـزاج .. قتـل !
تعلّمتِ «باريسُ» .. كيفَ الفروضْ

تـؤدّى وكيـف تُـوَفّى .. القـروض
تعلّمـت : كيـف بوشـمِ العضـوض

عـلى أذرع بضّـةٍ يسـتدلْ
وكيـف ... خُصـيَلةُ شـعرٍ تُسَـل
إذا الشَّـعُر عِيـثَ بـه فانسَـدل
بهـا عـن « سـبائكِ » تـبرٍ بـدَل
وأن « حسيسـاً » كلـفٌ يُفـل
لفـرطِ الـوَنى .. أو لِفَـرْطِ الجَـذَل

ووجـدٌ تنـاهى لأوجِ الغمـوضْ
لأوجِ الوضـوحِ .. لأوجِ الوَجَـل
فـريضٌ .. ودنيـا سـواه نفَـلْ
تعاليـتِ « بـاريسُ » إنَّ الصـبحْ
أطـلَّ فـألقى عليـكِ الوِشـح
وضـمَّكِ تحـتَ خَضـيبِ الجَنـاح
وألفـاكِ غافيـةً فاسـتراح

عـلى صـدرِكِ العَطِـرِ النّـاعِمِ
وأنفـاسِ بُرْعُمـكِ الحـالم
تعاليـتِ « بـاريسُ » مـن نـائم

كـانَ الـدنا كلّهـا نائمـةْ
بمقلتـهِ وبـهِ حالمـه
تعاليـتِ « بـاريسُ » هـلْ مـنْ مزيـدْ

علـى مـا لَـدَيكِ وهـل مِـنْ جَديـد
ومـــاذا تركـــتِ لهـــذا الوجـــود
إلى المـــوتِ يَرجِـــعُ أوْ للخُلـــود
وللكائنـــاتِ ســـواء تعيـــد

نـــماذجَ مـــن حُسْـــنكِ المستفيضْ
بـــماذا يعوِّضُـــها المســـتعيض

بـــماذا يعـــوض هـــذي الخـــدودْ
مزبـــرةٍ كغصـــونِ الـــوُرود
ومثقلـــــة بـــــثمارِ النُّهـــــود
بهـذي الوجـوهِ .. بهـذي العيـونْ
بهـــذا الـــرُّواءِ .. بهـــذا البريـــقْ
يفـــيض عليهـــا شُـــواظ الحريـــق

كأنّـــــكَ تَعـــــرِفُ عُنوانهـــــا
ورافقـــتَ مـــن قبـــلُ إنســـانها

وأصـــبحتَ تَعـــرِفُ مـــاذا يقـــولْ
كـــأنَ عواطفَـــــهُ والميـــــول
خيـــولٌ أُبـــيحَ لهـــا أنْ تجـــول

بحيـــــثُ تشـــــاءُ وميـــــدانُها
صـــميمُ القلـــوبِ وصَـــفوُ العقـــول

***

أنيتا

أنّي وجدت « أنيتَ » لاحَ يهزني ... طيفٌ لوجهك رائعُ القسماتِ
ألق « الجبين » أكاد أمسح سطحه ... بفمي.. وأنشق عِطرَه بشذاتي
ومنوَّر « الشفتين » كادت فرجةٌ ... ما بين بين تسدُّ من حسراتي
وبحيثُ كنتُ تساقطَت عن جانبي ... نظراتُ محترِسين من نظراتي
نَهب العيون يُثيرها ويزيغها ... إطراق أشعثَ زائغ اللفتات
متوزِّع الجنبات يَرقُب قادماً ... شقٌّ وآخرُ مال للطرقات
حسبي.. وحسبك شقوةٌ ! وعبادةٌ ... أن ليس تفرُغُ منك كأسُ حياتي

***

شهرزاد

إنَّ وجهَ الدُجى «أنيتا» تجلَّى
عن صباح من مُقلتيكِ أطَلا
وكأنَّ النجومَ ألقَينَ ظِلا
في غديرٍ مُرقرَقٍ ضَحْضاحِ
بينَ عينيكِ نُهبةً للرياح

وغياضُ المروج أهدَتكِ طَلا

إن هذا الطيرَ البليلَ الجَناحِ
المدوِّي على متونِ الرياح
والذي أزعجَ الدُّجى بصَباحِ

عبَّ في الليل من « ثُغورِ » الأقاح

رشــفَةُ مــجَّ عِطرَهــا وتــولّى
حيــثُ هــذا الـرأسُ الجميـلُ تـدلّى
والفِــراشُ الــذي بــه يــتمَلّى

وبحيــثُ ارتــدَّتْ هبــاءً نَثــيرا
تمــلأ الــنفسَ والفضــاءَ عبــيرا

خِصِـلاتٌ مــن شَـعرِكِ الـذَهبيِّ
كنــتِ فيــهِ الثـرىَّ أيَّ ثــرِيِّ
اســمعي.. اســمعي « أنيتــا »
فهنـا وهُنـا.. صـادِحٌ صَـبا فتغنَّـى
والطريــق المهجــورُ عــادَ فرَنَّــا
مــنْ جديــدٍ ببعثــه يتهنــى

فلقــد دبــتِ الحيــاةُ إليــهِ
وتمشّــى المعــاوِدونَ عليــه

اســمعي وقــعَ رائِحــينَ وغــادي
وتمَــلّيْ مــن الوُجــودِ المُعــاد
والقَطــارَ المجَلجــلَ المُتهــادي
في سُــفوح مُنســابةٍ وَوِهــادِ

اسـمعي.. اسـمعي « أنيتـا » صَـداهُ

تَجِـدي عـن صَـدى الزّمـانِ بـديلا

وَتَــرْينَ الــدُّنيا تُجِــدُّ رَحــيلا
بالأمــانيِّ غُــدوةً وأصــيلا
إنَّ وجــهَ الـدُجى «أنيتــا» يُلـيحُ
والليــالي في «شــهرزَادَ» تَصــيحُ
ههُنــا.. ههُنــا يَطيــبُ الصَّــبوحُ

حُلــمٌ رائــعٌ وطيــفٌ لذيــذُ
بهــما اليــومُ مــن غَــدٍ يستعيذ
واللّيــالي مــن اللّيــالي تَلــوذ
فطريــدٌ مؤمــل وأخيــذ

حُلُــمٌ رائــعٌ كــأن الخيــالا
حــينَ ضــاقَت بــه الحيــاةُ مجَــالا
مَــلَّ أســفارَهُ فحــطَّ الرِّحــالا

ههُنــا..فهــو عــن سِــواهُ صَــدوفُ
وهــو في أعــينِ السُّــقاةِ يَطــوف
لجِناحيــهِ في الكــؤوس رفيــف
ورنــينُ الأوتــارِ منهــا حفيــف
حَلُــمٌ رائــعٌ وجــوٌّ لطيــفُ
والنـدامى عـلى الكـؤوسِ عُكـوف
والأبــاريقُ نــالَ منهــا النّزيــف
غـير أنـا - ورُبَّ صـفوٍ يُخيـف -

ملــكَ الــذعرُ نفسَــنا والفــؤادا

ونسِـــينا حتـــى المُنـــى والمـــرادا
وأبَحنْـــا للعاطِفـــاتِ القِيـــادا
أتُـــرى أنَّ هـــذه « الشـــهرَزادا »
ذكرَّتنـــا أحلامُهـــا « بغـــدادا » ؟

يـــا حبيبـــي وهـــذه الأطيـــافُ
عـــن قريـــبٍ بيقظـــةٍ ســـتْداف
وإلى مثلهـــا انقضـــتْ.. ستُضـــاف
يـــا حبيبـــي وهـــذه الأعطـــاف

تتثنّـــى عـــلى الكـــؤوسِ دَلالا
كـلُّ عِطـفٍ.. لـولا الحيـاءُ لسـالا
ســوفَ تنهــدُّ بعــدَ حــينٍ كــلالا
حــينَ تســتامُها الحيــاةُ النضــالا
حــينَ تَلقــى مــا لا تُطيــقُ احــتِمالا

يـــا حبيبـــي : وهـــذه النظَـــراتُ
في مـــذابِ الفُتـــورِ مُـــنكسِرات
والوجـــوهُ الحِييّـــةُ الخَفـــرات
والنفـــوسُ الفياضـــةُ الخـــيِّرات
والشِـــفاهُ النديّـــةُ العَطِـــرات

والشُـــعورُ المسترسِـــلاتُ انســـيابا
وجفـــونٌ تســـتثقِل الأهـــدابا

والأكُفُّ التي تذوبُ انجِذابا

كلُّ خِصرٍ بكلِّ كفٍّ يَلُفُّ
وشِفاهٌ على شِفاهٍ تَرِفّ
وقلوبٌ من صفوها تُستَشَفّ

كلُّ هذا.. وكلُّ ما غيرُ هذا
عن قليلٍ سيستطيرُ رُذاذا

فأفيقي فقد تَناهى المَطافُ
واستردَّتْ هِباتِها الألطاف
هاهُمُ العازِفونَ حولَكِ طافُوا

يستعيدونَ من صدى الأجيالِ
وحفيفِ الأحراشِ والأدغالِ

ما يَخالون أنَّ في مُقلتيكِ
وارتجاجِ المَيلِ في وجنتيك
ونَثيرِ الجَديلِ عن جانِبيك
صِلةٌ بينه وبينَ الخَيالِ

لستُ أدري «أنيتُ» كيف استحالا
وجهُكِ المستَظِلُّ بالأضواءِ
خافِتاتٍ كعاطفاتِ المرائي

نغَما سارِباً مع الأنغامِ

يا حبيبي وللنديم هُمومُ
يُقعدُ «الكأسَ» ثِقلها .. ويُقيم

يـا حبيبـي ! و«ليـتَ» شيءٌ عَقـيم
ليـــتَ أنَّ الحيـــاةَ ظِـــلٌّ مغـــيم

هكذا :

ليـــــتَ أنَّ عَيشـــــاً يـــــدومُ

مثلَ هذا..

ليـــــتَ « الشـــــقاءَ » سَرابُ
يرتعـــي المـــرءُ ظِلـــه ويهـــاب

من بعيدٍ :

ليـــــتَ « النعـــــيمَ » شرابُ
كلـــما أَلْهَـــبَ السرابُ النّفوســـا
نهلـــتْ مِنـــهُ.. تســـتزيدُ الكؤوســـا
ليتَ « دمعَ » الفجرِ الحزينِ البـاكي
لفــراقِ الــدجى.. بعــينِ الــورودِ
وبــذَوبِ النــدى.. يعــودُ فيرقــا
ليــتَ أنَّ « الظــلامَ » برِتــق فتقــا

شقَّهُ الصبحُ في « الرُّبى » والسِّكاكِ

ليـتَ أنَّ « الـدُجى » يعـودُ فيُسـقى

مـن كـؤوس النـدمانِ.. والأقـداح

ليـت هـذا الظـلَّ الخفـوقَ الجَنـاحِ
يرتمـــي فوقَهـــا مـــن المصـــباحِ

مُشــعِراً بــانصرامِ حَبــلٍ تبقّــى
مــن حبـالِ الـدُجى يعـودُ فَيرقـى

يــا حبيبــي راحَ « الظـلامُ » يُـداحُ
والأبـــاريقُ ظِلّهـــا ينـــزاح

عــن مُغِــذٍّ في سِــيرِه.. وطلــيح
ومُبـــاح لِحُكْمِهـــا ومبـــيح
و « ظِـلالٌ » مـن الـدمِ المسـفوح
بيـد «الصُبحِ» في الفضـاء الجـريح

راعِشـاتٌ عـلى الثـرى.. والحُقـولِ
وعــلى الجـدولِ الرتيــبِ المسـيل
في مــرَيج أهــدى الصَباحُ إليــه
قُبلــةً تَخلــعُ الــدلالَ عليــه
وتهــادى النّســيمُ بــين يديــه

مُتْعَبـاً.. ناعسـاً.. بليلاً.. كسـولا
لم يَجِـدْ مثلـه الصبـاحُ رسـولا
لِلقـــاء الســـنابلِ المُغفيـــاتِ
في دِثــارٍ ضــافٍ مـن الـذِّكْرَيات
ولإيقـــاظِ تلكـــمُ « المُغرِيـــات »
مــن صبـايا الحُقـول.. والفتيـات

ســالِكاً ذلــكَ السّـبيلَ الجمــيلا
في ثنايـــا الثّيـــابِ والطيّـــاتِ

وظِـــلالٌ مــن الغُيــومِ الرِّقـــاق
فـوق خُضْرِ الربـى وبـينَ السـواقي
تتلاقـــى بمَوعـــدٍ للتلاقـــي

بظـــلالٍ كـــأنّهُنَّ خيـــوطُ
يَتشـــابكنَ جَيْئَـــةً.. وَذهابـــا
مـــن طيـــورٍ تجمَّعـــت أسْرابـــا
يَتغـــازَلنَ والصـــبا.. والضَّـــبابا
تتحـــدَّى قِناعَـــه وتمـــيطُ

يـا حبيبـي.. ورَغبتـي.. ودلـيلي
إنَّ لـونَ الظـلامِ حـالَ فَحُـولي
والـدّراري بعـدَ الصراعِ الطويـل
وســـــنا الفجـــــرِ
ينحـــــدِرْنَ فلـــــولا
وبنـاتُ الـنَعشِ المُقـلِّ القتـيلا

يتـــذوَّبنَ حسرةً وعـــويلا
ويُجَـرِّرْنَ مـن حِـدادٍ ذيـولا
مُسـبَلاتٍ عـلى المجـرِّ الـذليلِ

يـا حبيبـي مـالَ الزمـانُ فمـيلي
وأمـــيلي بموضـــعِ التّقبيـــل

يـا حبيبـي: لم يبـقَ لي مـن مـآبِ

مــن لبانــاتِ هــذه الأطيــاب
و« الظــلامِ » المزعــزعِ الأطنــاب
ومجاجــاتِ عطْــرهِ المُنســاب
غيرُ هذا « الليلِ » الفسيحِ الرِحاب
بــين جَفنيــكِ حــارَ والأهــداب

إي وعَينَيــكِ والخيــالِ الشَّرودِ
إي وهــذا الغــورِ الســحيقِ البعيــد
بــين موقَيــكِ يَســبقُ الأبعــادا
إي و« صحراءَ » صَحصَح تتنادى
عنــدها مــن « عــوالِمِ » أصــداءُ
إي ولمــحِ .. مــن السّــنا يتهــادى
فتســيرُ الأطيــافُ والأهــواء

خلفَه:

إي وصــــامتٍ كالجليــــدِ
ومــدوٍّ كقاصــفاتِ الرّعــود

منها :

إي وذلــك « الإنســانِ »
هازئــاً بــالملاكِ. والشــيطانِ

لامتـدادُ الفضـا.. وعنفُ الـدياجي
وخِضــمٌّ مــن بحــرهِ العجّــاج
دونَ هذا الطرفِ الكحيلِ الساجي

روعــــةً.. وانبســـــاطةً واقتـــــد

إي.. وعينيـــكِ حلفـــةً لا تمـــار

***

ذكريات

لا تمُــرِّي « أنيــتُ » طَيفــاً ببــالي

مــا لِطيــفٍ يســمُ لحمــي ومــالي

أنــا عنــدي مــن مُوحشــاتِ الخَيــالِ

الطيـــوفُ المُعرِّســـاتُ حيـــالي

كـــذئابٍ مســـعورةٍ وسَـــعالي

بـــل تعـــالي إلى يـــديَّ.. تعـــالي

فهُـــما الآنَ يحضـــنانِ الفراشـــا

خاليــاً منــكِ يســتفيضُ ارتعاشــا

ههنـــا.. ههنـــا مكانُـــكِ أمـــسِ

ههنــا.. مــسَّ أمــسِ رأسُــكِ رأسي

ههنــا أمــسِ.. أمــسِ.. ذوَّبــتُ نـفسي

في يبــيسٍ مــن الشــفاهِ الظّــوامي

تتســاقى مــن القلــوبِ الــدّوامي

أمسِ كنّا هُنا هنا نتساقى

مــن كــؤوس الهــوى دِهاقــاً وِفاقــا

أمــس كنّـــا رُوحـــاً بـــروحٍ تَلاقـــى

ويـــداً تحتـــوي يـــداً.. وفـــؤادا

لأخيـــهِ يبـــثُّ نجـــوى.. وعينـــا
ترتعـــي أُختَهـــا فكيـــفَ وأينـــا

عـــادَ مـــا كـــانَ أمـــسِ منّـــا طِباقـــا
وحشـــةً.. وارتِعاشـــةً.. وفِراقـــا

أمـسِ .. أمـسِ.. التقـت هُنـا شَـفَتانِ
كانتـا مـن عجيـبِ صُـنع الزمـانِ
ذوَّبَ الـدهرُ مـن مـزيج الأمـاني

فـيهما.. كـلَّ مـوحِشٍ ولطيـفِ
وبليـدٍ.. وحـائرٍ.. وعصـوفِ

أمـسِ.. أمـسِ.. التقـت هنـا شَـفَتانِ
يســـتطيرانِ « وقـــدةً » وأوارا
ويســـيلان في المراشِـــف نـــارا

ويُثـــيران مـــن شَـــكاةِ الزمـــانِ
في لهـاثِ الأنفـاسِ مثـلَ الـدخان
وكـأن العيـونَ بُلهـاً.. سـكارى
مـن عثـار اللهـاثِ تُكسـى غبـارا

أمـسِ.. راحـت عـلى الشـفاهِ تـدور
قُـبلاتٌ مـن قبـلُ كانـت أسـارى
في شِـعافِ الفـؤادِ. حَـيرى.. تمـورُ
وزوانٍ كـــأنهُنَّ العـــذارى

أمـــسِ.. رُدَّتْ إماؤهـــا أحـــرارا
وأماطـــتْ عـــن الضّـــميرِ السّـــتارا

فبـــدا ذلـــك « الحِـــمارُ » الصـــغيرُ
مـــثقلاً.. فوقـــه الخنـــا، والفجـــور
يأكـــلُ الشـــهوةَ الفظيعـــةَ نـــارا
ويعُـــدُّ الصـــبرَ القبـــيحَ فخـــارا

ثُـــم يَطغـــى ســـعيرُها ويثـــورُ
فـــوقَ وجـــهٍ يَضـــوى وعَـــينٍ تغـــور
ثـــم يُلـــوى بِثقْلِـــهِ ويخـــور

أمـــسِ « نـــعٌ » بـــين الشـــفاه طَهـــورُ
غسَـــلَ الحِقـــدَ والخنـــا.. والعـــارا
ونهـــى الـــرجسَ أن يكـــون شـــعارا
أمـــسِ.. راحـــت عـــلى الشّـــفاهِ تـــدورُ
هَمَســـاتٌ تُصـــغي لهـــنَّ الـــدُهور

وبـــذيل« المجـــرِّ » منهـــا عبـــير

ههنـــا أمـــسِ كـــانَ خـــيطٌ يَـــرِقُّ
مـــن نســـيجِ الـــدُّجى.. وفجـــرٌ يشُـــقُّ
دربَـــه والنجـــومُ شـــقٌّ وشـــقُّ
ههنـــا أمـــسِ.. كـــانَ جـــرسٌ يـــدُقُّ

ضربـــاتٍ ســـتّاً يـــرنُّ صـــداها

وتفيــقُ الــدُّنيا عــلى نجواهــا

أمــسِ مــدَّ الصــباحُ كفَّــاً فحــلاً
مــن نجــوم السّــماءِ عِقــداً تحــلّى
بســناهُ الــدُّجى.. وفــرَّقَ شَــملا
أمــسِ.. إلاّ نجــماً دنــا فتــدَلّى
يــرغِمُ الشــمسَ أن تــرى منهُ ظِــلاّ
أمــسِ هــذا الــنجمُ الغريــبُ أطــلاَ

مــن عــلى شرفــةٍ نطِــلُّ عليهــا
ونُزَجّــي همــسَ الشــفاهِ إليهــا

أمــسِ.. هــذا الــنجمُ المنــوَّرُ كانــا
يَرتبــي مــن ذُرى الســماءِ مَكانــا
أمــسِ.. والآنَ لا يــزالُ عِيانــا

وســيَرْتَدُّ بُكــرةً وعشِــيا
مــائِلا ظِلــه الخفــوقُ لــديا
يمــلأُ الــنفسَ لوعــةً وحنانــا

كــان في ظِــلِّ غيمــةٍ تتهــرّى
ترتَديــه طَــوراً.. وطَــوراً تعــرَّى
ومشــى « ســانحٌ » إليــه.. ومــرّا

« بــارِحٌ » جنبــه وكــانَ جَنــاحُ
يلتقــي جنــبَ آخــرٍ ينــزاحُ

عنــهُ : في حــينَ راحَ يبغــي مَمَــرَّا

بـين هــذا وذاكَ حتــى اسـتقرّا
أفتــدرِينَ أيــنَ تــدرينَ أينــا

فلقــد كنــتِ تَملئــينَ العَينــا
مــن جمــالِ « الشـجيرةِ » الورفــاءِ
تــــتراءى كقُبّـــــةٍ خَضراءِ
عـــن يمـــينِ الحَديقـــةِ الغنَّـــاء

بُرهـــةً ثُـــمَّ راحَ يــمشي الهُوينــا
والهُوينـا حتـى اضْـمَحلَّ فغابـا
وانطــوى ثــم عــادَ أمــسِ فآبــا

وتمشّــى فويــقَ.. ثــمَّ دُوَينــا
ورآنــا – ولا نــؤوبُ انطوينــا

ورأى غيرَنـــا يُجِـــدُّ مكانـــا ..
كـــانَ في أمـــسِ مرْتَعـــاً لِهوانــا
هكــذا.. هكــذا.. أردنــا فكانــا
فلنُخَــلِّ القضــا ! ونُعــفِ الزمانــا

***

فراق

رفَّ جُـنْحُ لـدُّجى «أنيـتُ» عَليّـا
رفّـةً خِلــتُ وَقْعَهـا في عظـامي
كـان أحنـى ، وكـان أشـهى إليّـا

لــو طــواني عنــه جَنــاحُ الحِــمام
لــو تَعوَّضــتُ ثَــمَّ عــن مُقلتَيْــا
مُقلتَــيْ هــانئ تعــرّى فناما
وتناســى اللّـــذاتِ والآلامـــا !

خِلْــتُ أني منــه أُنــازِلُ ذئبــا
رجَفــتْ بــالعُزاء منــه القِفَــارُ
خِلــتُ أنَّ النجــوم تَـنقَضُّ رُعبــا
وســماءً تُقِلُّهــا تنهــارُ
والأحاســيسَ شــبَّ منهــا أُوارُ
لــفَّ عينــيَّ وجهُــه فاســتطارا
ضَرَمــاً يُمطِــرُ الفُــؤادَ شَرارا

يــا هَنــانئ وشَــقوتي يــا نعيمــي
وجحيمــي يــا كــوثري وحميمــي
يــا وَقــائي مــن وافـدات الهُمــوم
جنبينــي رَتْــعَ الظــلامَ البهــيم
في عظـامي بــالثغرِ منـكِ البسـيم
وأديـلي مــن حُكـمِ هـذا الظَّلـوم
بِصراطٍ مـــن لُطفــكِ المســتقيم
يــا رُقــادي إذا اســتطال سُــهادي
وسُــهادي إذا ذممــتُ رُقــادي

ثــم ألفيــتُ في يــديك الصْــميا

لا تهبـــي عـــليَّ إلا نســـيما

يَـنفَحُ اللُّطــفَ والهــوى والشَّـبابا
يـــا يـــدَ الله رحمـــةً وعـــذابا
افتحـــي لي مِـــن الهنـــاءة بابـــا
ســـامحي ســـامي، فـــإنَّ الليـــالي
التّـــوالي مـــنهنَّ مثـــلَ الخـــوالي
نـــاقلاتٌ ســـاعاتِها كـــالظِّلالِ

لِســـوانا ، ونحـــن عـــمّا قريـــبِ
نـــتراءى مثـــلَ الخيـــالِ المُريـــبِ

ســـامحي إنَّ روعـــةً وشـــبابا
وجلـــودًا مجلُـــوَّةً وإهابـــا
ســـوف تغـــدو – إذا أطـــار الغُرابـــا
منـــكِ هـــذا (الـــثلجَ) النـــديفَ
سَرابا

وســـيبقى عـــلى الزمـــان نَـــدِيّا
وعـــلى لافـــحِ الهجـــيرِ عَصِـــيّا
خـــافقٌ لا تَرَيْنَـــهُ اليـــومَ شـــيّا

وداع

«أنيـــتُ » نزَلنـــا بـــوادي السِـــباعْ
بـــوادٍ يُـــذيبُ حِديـــدَ الصراع

يُعَـــيرُ فيــه الجبــانُ الشُـــجاع
« أنيـتُ » لقــد حــانَ يــومُ الــودع

إليَّ إليَّ حبيبـــــــي « أنيـــــتْ »
إليَّ إليَّ بجيـــــــدٍ وليـــــــت
كـــأنَّ عُـــروقَهما النـــافرات
خُطـوطٌ مـن الكلـم الساحِرات

إليَّ بـــذاكَ الجبـــينِ الصَـــلِيت
تخــافقَ عـــنْ جانبيـــهِ الشَـــعَرْ
يبـــثُّ إليَّ أريـــجَ الزَهـــر

سـيعبقُ في خـاطري مـا حيِيـتْ
ويـذكرُني صَـبوتي لـو نَسـِيت
إليَّ إليَّ حَبيبـــــي « أنيـــتْ »

إليَّ إليَ بـــــذلك الـــــذّراعْ
أبـضَّ تفـايَضُ مِنـهُ الشُـعاع
أطِــلّي عــليَّ بــهِ كــالشراع

فقــد لفحتنــي سَــمومُ العِــراقْ
فــألهبَ منّــيَ جــرحَ الفِــراق
إليَّ إليَّ بـــــه للعنــــــاق

لغــيرِ العِنــاقِ الــذي تَعــرِفينْ
بحيـــثُ يلـــزُّ الـــوتينُ الـــوتين
عَشِـــيّةَ أهتِـــفُ أوتهتِفـــين

لـــنجمِ القَضــا ولسَـــهمِ القــدَرْ
وللمُســـــتَقِرِّ بــــذاكَ المَقَــــرّ

بـــأنْ لا يميّـــلَ هـــذا السَّـــفينْ
إلى حيـــثُ أرهـــبُ.. أو تـــرَهبين
إلى وَحـــلٍ مـــن دُمـــوعٍ وطـــين
إليَّ بصـــــــدِركِ ذاكَ الخضـــــمّ
مـــن العاطفـــاتِ العُجـــابِ الشِـــيَمّ
مـــن العاصـــفاتِ بلحـــمٍ «وَدَمّ»

تُلـــوِّنُ وجهـــكِ في كـــلِّ آنْ
بـــما لم تُلـــوِّنْ فصـــولُ الزّمـــان
أحاسـيسُ تُعـرِبُ عـن كـلِّ شـان

كـــأنَّ وُجوهـــاً عـــداداً لـــديكِ
تَـــرِفُّ ظِـــلالاً عـــلى مقلَتيـــك
كأنـــكِ تلقِـــينَ مـــن عاتِقيـــك

بتلـكَ الظِـلالِ القِبـاحِ اللِطـافْ
وأشـــباحِهِنَّ السِّـــمانِ العِجـــاف

عنـاءَ الضـــميرِ.. وثِقْـــلَ السِـــنين
وجهـــلَ المصـــيرِ.. وعِلـــمَ اليقـــين

بلُطفِ الحياةِ

وجُهدِ الظّنين

بسـاعاتِها أنّ يـروحَ الحِـمامْ
إلى الصـمتِ.. يـدفعُها والظَـلام

إليَّ إليَّ حبيبـي « أنيـت »
إليَّ بنبـعِ الحيـاةِ الميـتْ
إليَّ بـذاكَ النظـيمِ الشّـتيت

بثغـركِ ذاكَ العبـوسِ الطـروب
يـرفُّ إذا مـا عـلاهُ الشُّحوب
كـأنّيَ أقـرأ « سـفرَ » الغُيـوب

عـلى شـفَتيكِ.. و« سِرَّ » اخفايـا

كـأنّيَ أسـمعُ عتـبَ الـذُّنوب

عليـكِ.. ووقـعَ دبيـبِ الرزايـا
كـأنّيَ أشربُ كـأسَ الخطايـا
وسـؤرَ دمٍ مُهـدَرٍ مـن سـوايا
كـأنيَ أمضـغُ لحـمَ الضّـحايا
تنـاثرُ مـن بـينِ تلـكَ الثّنايـ

كـأنَّ الـزفيرَ بـنفحِ الطِّيـوب

إذا امتزجـا يَكشِـفانِ النوايـا

ويَسـتصْرِخانِ أثـيماً يتـوب

عـلى مـا تَجرَّمـهُ مـن منايـا
إليَّ هـواني.. إليَّ هوايـا
إليَّ المُنـى تُشـترى بالمنايـا

إليَّ إليَّ بتلــــــك البقايـــــــا
مِــن المُســاراتِ بتلــكَ الجُيــوب
إليَّ بصــــفوِ النعـــيمِ المَشــــوب
بلفـــح أُوارِ الجحـــيمِ الشَّـــبوب
إليَّ إليَّ أغيثــــــــــي ظمايـــــــا
فقــد نــالَ مــن شــفتيَّ اللُّغــوب

***

بَرِمٌ بالشباب

برِمــتُ بريعــانِ هــذا الشــبابِ ... تخــارَسَ في الفجــرِ صــدّاحُهُ
وجــاء خضــمَّ الحيــاةِ الرهيــب ... وكــفَّ عــن الجــدفِ ملاَّحــه
برمــتُ فليــتَ الــردى عاصــفٌ ... بهــذا الشــباب فيجتاحــه
أمــوتُ وجهــدُ الحيــاةِ اللذيــذ ... تطــوفُ بعينــيَّ أشــباحه
تُهدهــدُ روحــيَ أمســاؤه ... وتُــنعشُ نــفسيَ أصــباحه
أمــوتُ وبي ظمــأ للشَّــجا ... تهُــبُّ فتعصِــفُ أرياحــه
فــماليْ وللعــيشِ لا تســتثارُ ... بنــار التحــرُّقِ أطماحــه
ومــاليْ وللمــوتِ إن لم تــرِفَّ ... علــيَّ مــن الحُــزن أفراحــه
سيُطربُني وقــعُ زحــفِ السنين ... بسرِّ الحيــاةِ.. وعُمــقِ القــدَمْ
وتفــتحُ عينــيَّ ســودُ الــدياجي ... يُنــوِّر منهــا بريــقُ الألم
ســتُلهِبُني عاصــفاتُ الرِّيــاح ... فقــد مــلَّ ســمعي وئيــدَ النَّســم
أرى المــوتَ نبــعَ الحيــاةِ الجميــلَ ... إذا خَضَــبته الليــالي بــدم

وعن وهج الكأس كأسِ الوجود ... تُــترجِمُ عينــاي سرَّ العــدم
ألــذُّ عنــاقَ ظِــلالِ الحيــاةِ ... تخــالطَ فيهــا سرورٌ بهــم
ولا أعـرِفُ النـومَ حتـى تـرِفَّ ... عـلى جانبيــهِ نُســورُ الحُلــم
يُصــافقُ منهــا الجنــاحُ الجنــاحَ ... وتوشِــكُ مــن زحمــةٍ تــرتَطِم
ولم أدر مــا يقظـــةٌ لا تُثــارُ ... عواصــفُها برهيــب الــنَّغم

***

هاشم الوترى

مجّــدْتُ فيـكَ مَشــاعِراً ومَواهبــا ... وقضــيْتُ فرضــاً للنوابـغِ واجِبــا
بالمُبــدعينَ « الخــالقينَ » تنــوَّرَتْ ... شـتى عــوالمَ كــنَّ قبـلُ خرائبــا
شرفــاً « عميـدَ الـدارِ » عليـا رُتبـةٍ ... بوِّئْتهــا في الخالـــدين مراتبـــا
جازَتْكَ عَن تَعَبِ الفؤادِ.. فلم يكن ... تعــبُ الــدماغ يَهُــمُّ شــهماً ناصــبا
أعْطَتْكَهــا كــفٌّ تضــمُّ نقائضــاً ... تعيــا العقــولُ بحلّهــا.. وغرائبــا
مُــدَّتْ لرفــعِ الأفضــلينَ مَكانــةً ... وهــوتْ لصـفعِ الأعـدلينَ مَطالبــا
ومضــتْ تُحــرِّرُ ألــفَ ألـفِ مقالـةٍ ... في كيــفَ يحترمــونَ جـيلاً واثبــا
في حـين تُرهِـقُ بالتعنّـتِ شــاعراً ... يَهــدي مواطنــهُ.. وتُزهــق كاتبــا
« التَيمِســيّونَ ! » الــذين تنــاهبوا ... هــذي الــبلاد حبائبــاً وأقاربــا
والمغـدِقونَ عـلى «البيـاضِ» نعيمَهُمْ ... والخــالعون عــلى الســواد زرائبــا
والحاضــنون الخــائنين بلادهــم ... حَضْــنَ الطيــورِ الـرائماتِ زواغبــا
يَستصرخونَ على الشّعُوب لُصوصَها ... في حــينَ يَحتجــزونَ لِصّــاً ســاربا

ويُجَنِّبونَ الكلبَ وَخزَةَ واخزٍ ... ويجَهّزُونَ على الجُموعِ معاطِيا
أُولاءِ « هاشمُ » مَنْ أروكَ بساعةٍ ... يصحو الضميرُ بها.. ضميراً ثائبا
فاحمَدْهمُ أن قد أقاموا جانباً ... واذمُمْهُمُ أن قد أمالوا جانبا
وتحرَّسَنْ أنْ يقتضوكَ ثوابَها ... وتوقَّ هذا «الصيرفيَّ» الحاسبا
لله درُّكَ أيُّ آسٍ مُنقذٍ ... يُزجي إلى الداءِ الدواءَ كتائبا
سبعونَ عاماً جُلتَ في جَنَباتها ... تبكي حريباً أو تُسامرُ واصبا
متحدِّياً حُكمَ الطباعَ.. ودافعاً ... غَضبَ السَّماءِ وللقضاءِ مُغالِبا
تتلمَّسُ «النَّبَضاتِ» تجري إثرَها ... خلَجاتُ وجهِكَ راغباً أو راهبا
ومُشارِفٍ! نَسَجَ الهَلاكُ ثيابَهُ ... ألْبستَهُ ثوبَ الحياةِ مُجاذبا
ومكابدٍ كَرْبَ المماتِ شركتَهُ ... إذْ لم تَجِدْ منجىً عناءً كارِبا
ومحشرجٍ وقفَ الحِمامُ ببابِهِ ... فدفعتَهُ عنه فزُحزِحَ خائبا
كم رُحتَ تُطلِعُ من نجومٍ تختفي ... فينا وكم أعْلَيتَ نجماً ثاقبا
هذا الشَّبابُ ومن سَناكَ رفيفُهُ ... مجدُ البلادِ بهِ يرفُّ ذوائبا
هذا الغراسُ – وملْءُ عينِكَ قرّةٌ ... أنا قطفنا من جَناهُ أطايبا
هذا المَعينُ.. وقد أسلتَ نَميرَهُ ... وجهُ الحياةِ به سيُصبحُ عاشبا
هذي الأكُفُّ على الصدورِ نوازِلاً ... مثلُ الغيوثِ على الزُّروعِ سواكبا
أوقفتَ للصّرعى نهاراً دائباً ... وسهِرْتَ ليلاً « نابِغياً » ناصبا
وحضَنتَ هاتيكَ الأسِرَّةَ فوقَها ... أُسدٌ مضرَّجَةٌ تلوبُ لواغِبا
أَرَجٌ من الذكرى يلفُّكَ عِطْرُهُ ... ويَزيدُ جانبَكَ الموطّدَ جانبا
ولأنتَ صنْتَ الدارَ يومَ أباحها ... باغٍ يُنازلُ في الكريهةِ طالبا

الْغَـيُّ يُنجِـدُ بالرَصـاصِ مُزَمْجِـراً ... والرّشـدَ يَنجـدُ بالحجـارةِ حاصبـا
وَلأنـتَ أثخَنْـتَ الفـؤادَ مـن الأسـى ... للمثُخَنـينَ مـن الجـراحِ تعاقُبـا
أعـراسُ مملكـةٍ تـزَفُّ لمجـدِها ... غُـررُ الشَّـبابِ إلى الـتُرابِ كواكبـا
الْحاضـنينَ جـراحَهَمْ وكـأنَّهمْ ... يتَحَضَّـنونَ خرائـداً وكواعبـا
والصـابرينَ الـواهبينَ نُفوسَـهُمْ ... والمُخجِلـينَ بهـا الكـريمَ الواهبـا
غُـرَفُ الجنـانِ تضـوَعَتْ جنَباتُهـا ... بصـديدِ هاتيـكَ الجـراحِ لواهبـا
وبحَشرجـاتِ الـذاهبينَ مُثـيرةً ... للقـادمينَ مواكبـاً فمواكبـا
غادي الحيا تلك القبورَ وإنْ غدت ... بالنّاضـحاتِ مـن الـدّماءِ عواشبـا
وتعهّـد الكَفـنَ الخصـيبَ بمثلـهِ ... وطـنٌ سـيَبْعثُ كـلَّ يـوم خاضبـا
بغـدادُ كـانَ المجـدُ عنـدَكِ قَيْنَـةً ... تلهـو وعُـوداً يسـتحثُّ الضّـاربا
وزِقـاقَ خَمـرٍ تسـتَجِدُّ مَسـاحبا ... وهَشـيمَ رَيحـانٍ يـذَرَّى جانبـا
والجسرُ تمنحُـهُ العيـونُ مـن المَهـا ... في الناسِـبينَ وشـائجاً ومناسِـبا
الحَمـدُ للتـاريخ حـينَ تحوَّلَـتْ ... تلـكَ المرافـهُ فاسـتَحَلْنَ مَتاعبـا
الشِّـعْرُ أصـبحَ وهـو لُعْـةُ لاعـبٍ ... إنْ لمْ يَسـلْ ضَرمـاً وجَمْـراً لاهبـا
والكأسُ عادتْ كأسَ موتٍ ينتشي ... زاهـي الشبابِ بها ويمسـحُ شاربا
والجسرُ يفخـرُ أنَّ فـوقَ أديمـهِ ... جثـثَ الضَّـحايا قـد تَـرَكْنَ مسـاحبا
وعـلى بريـقِ المـوتُ رُحْـنَ سـوافراً ... بـيضٌ كواعـبُ ينـدفعنَ عصـائبا
حـدِّثْ عميـدَ الـدارِ كيـفَ تبـدَّلَت ... بُؤَراً.. قِبـابٌ كـنَّ أمـسِ محارِبـا
كيـف اسـتحالَ المجـدُ عـاراً يتَّقـى ... والمكرُمـاتُ مـن الرّجـالِ مَعايبـا
ولم استباحَ الوغـدُ حُرمـةَ من سَـقى ... هـذي الـديارَ دمـاً زكِيّـاً سـارِبا
إيـهٍ «عميـدَ الـدار» كـلُّ لئيمـةٍ ... لابُـدَّ - واجـدةٌ لئـيماً صـاحبا

ولكـلِّ « فاحشـةِ » المَتـاع دَميمـةٍ سُـوقٌ تُتـيحُ لهـا دَمـيماً راغبـا
ولقـد رأى المسـتعمِرونَ فرائسـاً منّـا.. وألفـوْا كلـبَ صـيدٍ سـائبا
فتعهّـدوهُ.. فـراحَ طـوعَ بَنـانِهِمْ يَـبرُونَ أنيابـاً لـه ومخالبـا
أعَرَفـتَ مملكـةً يُبـاحُ شـهيدُها للخـائنينَ الخـادمينَ أجانبـا
مسـتأجَرينَ يُخرِّبـونَ دِيـارَهُمْ ويُكـافؤونَ علـى الخـرابِ رواتبـا
مُتَنمـرينَ يُنَصّـبونَ صُـدورهُمْ مِثْـلَ السّـباعِ ضراوةً وتَكالُبـاً
حتـى إذا جَـدَّتْ وغـىً وتضرَّمَـتْ نـارٌ تلـفُّ أباعِـداً وأقارِبـا
لَزِمـوا جُحـورَهُمُ وطـارَ حليمُهُمْ ذُعْـراً وبـدِّلتِ الأسـودُ أرانبـا
إيهٍ «عميدَ الـدار» شكوى صاحبٍ طفَحَـتْ لواعجُـهُ فنـاجى صاحبا
خُـبرْتُ أنـكَ لسـتَ تـبرحُ سـائلاً عنـي تُناشـدُ ذاهبـاً.. أو آيبـا
وتقـولُ كيـفَ يَظَـلُّ «نجـم» ساطعٌ مـلءُ العيـونِ عـن المحافـل غائبـا
الآنَ أُنبيـكَ اليقـينَ كـما جـلا وضَحُ «الصَّباح» عن العيون غياهبا
فلقـد سَـكتُّ مخاطِبـاً إذ لم أجِـدْ مَـن يسـتحقُّ صـدى الشكاةِ مُخاطَباً
أُنبيـكَ عـن شرِّ الطّغـام مَفـاجراً ومَفـاخراً.. ومسـاعياً.. ومكاسـبا
الشَّـاربينَ دمَ الشَّـبابِ لأنـهُ لـو نـالَ مـن دَمِهِـمْ لكـانَ الشَّـاربا
والحاقـدينَ عـلى الـبلادِ لأنَّهـا حقـرَتْهم حَقـرَ السَّـليبِ السَّـالبا
ولأنَّهـا أبـداً تـدوسُ أفاعيـاً مـنهمْ تَمُـجُ سـمومَها .. وعقاربـا
شَـلَّتْ يـدُ المستعمرينَ وفرضُـها هـذي العُلـوقَ عـلى الدّماءِ ضرائبا
ألقـى إلـيهمْ وِزْرَهُ فتحمَّلـوا أثقالَـهُ حَمْـلَ « الثيـابِ » مشـاجبا
وأذابَهُـمْ في « المُوبقـاتِ » فأصبحوا منهـا فجـوراً في فجـورٍ ذائبـاً

يتَمَهّلُ الباغي عواقبَ بَغْيِهِ ... وتراهُمُ يَستعجلونَ عواقبا

حتى كأنَّ مصايراً محتومةً ... سُوداً تُنيلهُمُ مُنىً ورَغائبا

قد قلتُ لِلشّاكينَ أنَّ « عصابةً » ... غصَبتْ حقوقَ الأكثرينَ تَلاعُبا

ليتَ « الموالي » يغصبونَ بأمرِهِمْ ... بل ليتَهم يترَسَّمونَ « الغاصبا »

فيُهادِنون شهامةً ورجولةً ... ويُحاربونَ « عقائداً » ومذاهبا

أُنبيكَ عن شرِّ الطّغامِ نكايةً ... بالمؤثرينَ ضميرَهمْ والواجبا

لقَدِ ابتُلوا بي صاعقاً مُتَلهِّباً ... وَقدِ ابتُلِيتُ بهِمْ جَهاماً كاذبا

حشَدوا عليَّ المُغرِياتِ مُسيلةً ... صغراً لُعابُ الأرذلينَ رغائبا

بالكأسِ يَقرَعُها نديمٌ مالئاً ... بالوعدِ منها الخافقَيْنَ وقاطبا

وبتلكمُ الخَلواتِ تُمْسَخُ عندَها ... تُلعُ الرِّقابِ منَ الظّباءِ ثعالبا

وبأنْ أروحَ ضحىً وزيراً مثلَما ... أصبحتُ عن أمرٍ بليلٍ نائبا

ظنّاً بأنَّ يدي تُمَدُّ لتشتري ... سقطَ المتاعِ.. وأنْ أبيعَ مواهبا

وبأنْ يروحَ وراءَ ظهريَ موطنٌ ... أسمنتُ نحراً عندهَ وترائبا

حتى إذا عجَموا قناةً مُرَّةً ... شوكاءَ تدمي من أتاها حاطبا

واستيأسوُا منها.. ومن مُتخشِّبٍ ... عَنتاً كصلِّ الرّملِ يَنْفُخ غاضبا

حُرٍ يُحاسِبُ نفسَهُ أنْ تَرْعَوي ... حتّى يروحَ لِمَنْ سواه محاسِبا

ويحوزَ مدحَ الأكثرينَ مَفاخراً ... ويحوزَ ذمَّ الأكثرينَ مثالبا

حتى إذا الجُنديُّ شدَّ حِزامَهُ ... ورأى الفضيلةَ أنْ يظلَّ مُحاربا

حَشدوا عليه الجُوعَ يَنْشِبُ نابَهُ ... في جلدِ « أرقطِ » لا يُبالي ناشبا

وعلى شُبولِ اللّيثِ خرقُ نعالِهِم ... أزكى منَ المُترهّلينَ حقائبا

يتساءلونَ أينزِلونَ بلادَهم ... أمْ يقطعونَ فدافداً وسباسبا

إنْ يــعصِرِ المتحكِّمــونَ دمــاءَهم ... أو يغتــدوا صُــفْرَ الوجــوه شــواحبا

فــالأرضُ تشــهدُ أنَّهــا خُضِبَتْ دمــاً ... منّــي.. وكــان أخــو النعــيم الخاضبا

مــاذا يضرُّ الجــوعُ مجــدٌ شــامخٌ ... أنّي أظــلُّ مــع الرعيــة ســاغبا

أنّي أظَــلُّ مــع الرعيــةِ مُرْهَقــاً ... أني أظَــلُّ مــع الرعيّــةِ لاغبــا

يتبجَّحُــونَ بــأنَّ موجــاً طاغيــاً ... سَــدُّوا عليــهِ مَنافــذاً ومَســاربا

كَذِبوا فملءُ فـمِ الزّمان قصائدي ... أبــداً تجــوبُ مَشــارقاً ومغاربــا

تســتلُّ مــن أظفــارِهم وتحــطُّ مــن ... أقــدارِهمْ .. وتثــلُّ مجــداً كاذبــاً

أنــا حــتفُهم ألــجُ البيــوتَ علــيهم ... أُغري الوليــدَ بشــتمهم والحاجبــا

خســؤوا فَلَــمْ تَــزَلِ الرّجولــةُ حُــرَّةً ... تــأبى لهــا غــيرَ الأماثــلِ خاطبــا

والأمثلــونَ هــمُ السّــوادُ.. فــديتُهمْ ... بــالأرذلينَ مــن الشراةِ مَناصبــا

بمُمَلكــينَ الأجنبــيَّ نفوسَــهُمْ ... ومُصَــعّدينَ عــلى الجُمــوعِ مَناكبــا

أعلِمــتَ « هاشــمُ » أيُّ وَقْــدٍ جاحــمٍ ... هــذا الأديــمُ تــراهُ نِضــوا شــاحبا

أنــا ذا أمامــكَ مــاثلاً متَجــبِّراً ... أطــأ الطُغــاة بشســعِ نعــليَ عازبــا

وأمُــطُّ مــن شــفتيَّ هُــزءاً أنْ أرى ... عُفــرَ الجبــاهِ عــلى الحيــاةِ تكالُبــا

أرثــي لحــالِ مزخــرَفينَ تمــائلاً ... في حــينَ هُــمْ مُتكَهِّمــونَ مَضــاربا

لله درُّ أبٍ يــــراني شاخصــــاً ... للهــاجراتِ..لحُــرّ وَجْهــيَ ناصبــا

أتــبرَّضُ المــاء الــزُّلالَ وغُنيتــي ... كِسَرُ الرَّغيــفِ مَطــاعماً ومَشــاربا

أوْصى الظّــلالَ الخافقــاتِ نســائماً ... ألاَّ تُــبرِّدَ مــن شَــذاتي لاهبــا

ودعــا ظــلامَ اللَّيــلِ أنْ يختــطَّ لي ... بــينَ النجــومِ اللامعــاتِ مَضــاربا

ونهــى طُيــوفَ المُغريــاتِ عرائســاً ... عــنْ أنْ يعــودَ لهــا كــراي ملاعبــا

لستُ الـذي يُعطـي الزمـانَ قيـادَه ... ويـروحُ عـن نهـج تـنهّجَ ناكبـا

آليـتُ أقـتَحمَ الطُغـاةَ مُصرِّحـاً ... إذ لم أُعـوَّدْ أنْ أكـونَ الرّائبـا

وغرَسـتُ رجـلي في سـعير عَـذابِهِمْ ... وثَبـتُّ حيـثُ أرى الـدعيَّ الهاربـا

وتركـتُ للمشـتفِّ مـن أسـارِهِمْ ... أن يسـتمنَّ عـلى 'لضّروعِ الحالبـا

ولبـينَ بـينَ منـافقٍ مـتربِّصٍ ... رعـيَ الظـروف ! مُواكبـاً ومُجانبـا

يلِـغُ الـدّماءَ مـع الوحـوشِ نهـارَه ... ويعـودُ في اللّيـل ! التَّقـيَّ الراهبـا

وتُسِـيلُ أطـماعُ الحيـاةِ لُعابَـهُ ... وتُشِـبُّ منـه سـنامَهُ والغارِبـا

عـاشَ الحيـاةَ يصـيدُ في مُتكـدِّرٍ ... منهـا.. ويخـبطُ في دُجاهـا خاطبـا

حتـى إذا زوَتِ المطـامِعُ وجهَهـا ... عنـه.. وقطَّبـتِ اللُبانـةُ حاجبـا

ألقـى بقارعـةِ الطريـقِ رداءَه ... يَهـدي المُضِـلِّينَ الطريـقَ اللاحِبـا

خطّـانِ مـا افترقـا.. فإمّـا خطّـةٌ ... يلقـى الكمـيُّ بهـا الطُغـاة مُناصبـا

الجـوعُ يرْصُـدها .. وإمّـا خِطّـةٌ ... تجـترُّ منهـا طـاعِماً أو شـاربا

لابُـدَّ « هاشـمُ» والزَّمـانُ كـما تـرى ... يُجـري مـع الصَّـفْوِ الـزُّلالِ شـوائبا

والفجـرُ يـنصرُ لا محالـةَ «ديكَـهُ » ... ويُطـيرُ مـن ليـلٍ «غرابـاً » ناعبـا

والأرضُ تَعْمُرُ بالشّعوبِ فلن ترى ... بُومـاً مشـوماً يسـتطيبُ خرائبـا

والحـالِمونَ سـيَفْقَهون إذا انجلَـتْ ... هـذي الطّيـوفُ خوادعـاً وكواذبـاً

لابُـدَّ عائـدةٌ إلى عُشّـاقِها ... تلـكَ العهـودُ وإنْ حُسِـبنَ ذواهبـا

***

أطبق دجى

أطْبِـقْ دُجـى.. أطْبِـقْ ضَـبابُ ... أطْبِـقْ جَهامـاً يـا سَـحابُ

أطبق دخانُ من الضمير ... مُحَرَّقاً أطبق.. عَذاب
أطبق دَمارُ على حُماةِ ... دمارِهم.. أطبق تَباب
أطبق جَزاءُ على بُناةِ ... قُبورِهم أطبق عِقاب
أطبق نعيبُ.. يُجِبْ صداكَ ... البُومُ أطبق يا خَراب
أطبق على مُتَبلِّدينَ ... شكا خُمولَهُمُ الذُّباب
لم يَعرِفوا لونَ السماءِ ... لِفَرْطِ ما انحنَت الرقاب

ولفرطِ ما دِيسَتْ رؤوسهمُ ... كما دِيسَ التراب
أطبق على المِعزى يُرادُ ... بها على الجوعِ احتِلاب
أطبق على هذي المُسوخ ... تَعافُ عيشتَها الكلاب
في كلّ جارحةٍ يلوحُ ... لجارحٍ ظُفرٌ وناب
يجري الصديدُ مِن الهوانِ ... كأنه مِسكٌ مُلاب
أطبق على الدِيدانِ ... ملَّتها فَيافيكَ الرِّحاب
أطبق على هذي الوجوه ... كأنها صُوَرٌ كِذاب
المُخرَساتُ بها الغُضونُ ... فلا سؤالَ ولا جواب
بُلهاً تدورُ بها العيونُ ... كأنَّ صحصَحَها سَراب
ملَّ الفؤادُ من الضمير ... وضجَّ بالرُّوح الإهاب
أطبقْ على مُتفرقِينَ ... يَزيدُ فُرْقتَهم مُصاب
يتبجَّحونَ بأنّ إخوتَهم ... يُحَلُّ بهم عَذاب
ندِموا بأنْ طلبوا أقلَّ ... حقوقهم يوماً فتابوا
وتأوَّبوا للذلِّ يأكلُ ... رُوحَهم نِعْمَ المآب

أطبــق عــلى هــذي الكــرُوشِ يَمُطُّهـــا شَـــحْمٌ مُـــذاب
مِــن حولِهــا بقــرٌ يَخُــورُ وحولَـــه غَرثـــى سِـــغاب
أطبـــــق إلى أنْ ينتهـــــي للخــــاطبينَ بــكَ احتِطـــاب
أطبـــق عـــلى مُتنفِّجـــينَ كـــما تَنفَّجـــت العِيـــاب
مســــــتنوقِينَ ويـــــزأرون كـــأنهم أُســـدٌ غِـــلاب
يَزهـــوهمُ عَسَـــلٌ ويُلهـــيهم عـــن العليـــاءِ صـــاب
يَـــمشي مِـــن الأمجـــاد خَلْفَهُـــمُ بمــيسَرةٍ رِكـــاب
فـــإذا التقـــت حَلَـــقُ البِطـــانِ وجـــدَّتِ النُـــوبُ الصِّـــعاب
خفَقَـــت ظِلالُهـــم ومـــاعوا مِـــن نُعـــومَتِهم فـــذابوا
ونَجَـــوا بأنفُسِـــهم وراحـــت طُعمَــــةَ النـــارِ الصِــحاب
أطبـــق دُجـــى لا يَنْـــبَلِجْ صُـــبْحٌ ولا يَخْفِـــق شِـــهاب
أطبـــق فتحـــتَ ســـماكَ خَلـــقٌ في بصـــائرِهِ مُصـــاب
لا ينفــتحْ – خوفــاً عليــه – مِـــن العمـــى للنـــور بـــاب
أطبـــق إلى يـــومِ النشـــور ويـــومَ يكتمـــلُ النصـــاب
أطبـق دُجـى حتَّـى يقـيءَ خُمـولَ أهـــلِ الغـــاب غـــاب
أطيـــق دُجـــى حتـــى يَمَـــلَّ مـــن الســـوادِ بـــهِ الغُـــراب
أطيـــق دُجـــى حتـــى يُحَلِّـــقَ في ســـــماوات خُقـــاب
غضـــبانَ أنْ لم تحـــمِ أعشاشـــا لهـــا طـــير غِضـــاب
أطبـــــق دُجـــــى يَسْرَحْ بظلّـــك نـــاعِماً عـــار وعـــاب
مـــن لونـــك الـــداجي رِيـــاءٌ وارتيـــــاعٌ وارتيـــــاب
يـــا عِصـــمةَ الجـــاني ويـــا سرحـــاً تلـــوذُ بـــه الـــذئاب

يـــا مَـــن مشـــت بـــدمائها ... فيـــه الخنـــاجرُ والحِـــراب

يـــا مَـــن يضِـــجُّ مـــن الشرورِ ... المـــاخراتِ بـــه العُبـــاب

يـــا مَـــن تَضـــيقُ مـــن الهـــوام ... الزاحفـــاتِ بـــه الشـــعاب

كُـــن سِـــتْرَ مُجرمِـــةٍ تهـــاوَتْ ... عـــن جريمتِهـــا الثيـــاب

أطبـــق فـــأين تفِـــرُّ إنْ ... تُســـفرْ وينحـــدرِ النِقـــاب

هـــذي الغَبـــاوات الكريمـــةُ ... والجمـــودُ المُســـتطاب

هـــذا النفـــاقُ تَرُبـــهُ ... صُـــحُفٌ ويُسْـــمِنُه كِتـــاب

أطبـــق دُجـــى.. حتـــى تجـــولَ ... كأنهـــا خيـــلٌ عـــراب

هـــذي المعـــرَّات الهِجـــانُ ... لهـــا لظُلمتِـــك انتســـاب

أطبـــق فأنـــتَ لهـــذه الســـوءاتِ ... عاريـــةً حجـــاب

أطبـــق فأنـــت لهـــذه الأنيـــابِ ... مُشـــحذةً قـــراب

أطبـــق فأنـــت لهـــذه الآثـــام ... شـــامخةً شـــباب

أطبـــق فأنـــت لصِـــبغةٍ منهـــا ... إذا نصَـــلَتْ خِضـــاب

كُـــنْ سِـــتْرَها لا يَنـــبلِجْ ... صُـــبحٌ ولا يَخْفِـــقْ شـــهاب

أطبـــق دجـــى أطبـــق ضـــباب

أطبـــق جهامـــا يـــا ســـحاب

حنين

أحِـــنُّ إلى شَـــبَح يَلْمَـــحُ ... بِعينَـــيَّ أطيافُـــه تَمْـــرَحُ

أرى الشَّـــمْسَ تُشْرِقُ مـــن وجهِـــهِ ... ومـــا بـــينَ أثوابِـــه تجـــنح

رضيَّ السّماتِ.. كأنَّ الضّمير ... على وَجْهِهِ ألِقاً يَطْفَح
كأنَّ العبيرَ بأردانه ... على كلِّ « خاطرةٍ » يَنْفح
كأنَّ بريقَ المُنى والهنا ... بعينيهِ عن كوكبٍ يقدح
كأنَّ غديراً فُويقَ الجبينِ ... عن ثقةٍ في « غدٍ» يَنْضَح
كأنَّ الغُضونَ على وَجْنَتيهِ ... يكنُّ بها نغمٌ مُفرِح
كأنَّ بهامتهِ منْبَعاً ... من النُور.. أو جمرةً تجدح
كأنَّ « فَنَاراً » على « كاهل» ... يُنارُ بهِ عالَمٌ أفسح
وآخَرَ شُدَّتْ عليه يدٌ ... فلا يَسْتَبِينُ و لا تُفْتَح
أحنُّ إليهِ بليغَ الصُمُوت ... معانيهِ عَنْ نَفْسِها تُفْصِح
تَفايَضَ منهُ كموجِ الخِضمِّ ... أو لحنِ ساجعةٍ تصدَح
جَمالٌ .. وليسَ كهذا الجمال ... بما بهرَجَتْ زينةٌ يُصْلَح
كأنَّ الدُّهورَ بأطباقِها ... إلى خِلقةٍ مِثْلِهِ تَطْمَح
كأنَّ الأمورَ بمقياسهِ ... تُقاسُ فتؤخذُ أو تُطرح
كأنَّ الوجوهَ على ضَوئهِ ... تلوحُ فتَحْسُنُ أو تَقبح
يُداعِبُني إذ تَجِدُّ الخُطوبَ ... فأمْزَحُ منها كما يَمْزَح
يُشَدُّ جَناني بعَزْماتهِ ... ودمعي بِبَسْماتهِ يُمْسَح
ويُبْرِدُ نَفسي بأنفاسهِ ... إذا لَفَّني عاصفٌ يَلْفَح
ويَطرُقُني كلَّما راودَتْ ... ضميريَ فاحشةٌ ترشَح
وكِدْتُ أُطاحُ بإغرائِها ... فأحْدو ركائبَ مَنْ طُوِّحوا
فيمشي إليَّ وثِقْلُ الشُكوك ... مُنيخٌ على النَفْسِ لا يَبْرَح
وقد أوشكَ الصَّبرُ أنْ يلتوي ... ويَكسِرَهُ المُبْهِضُ المُترِح

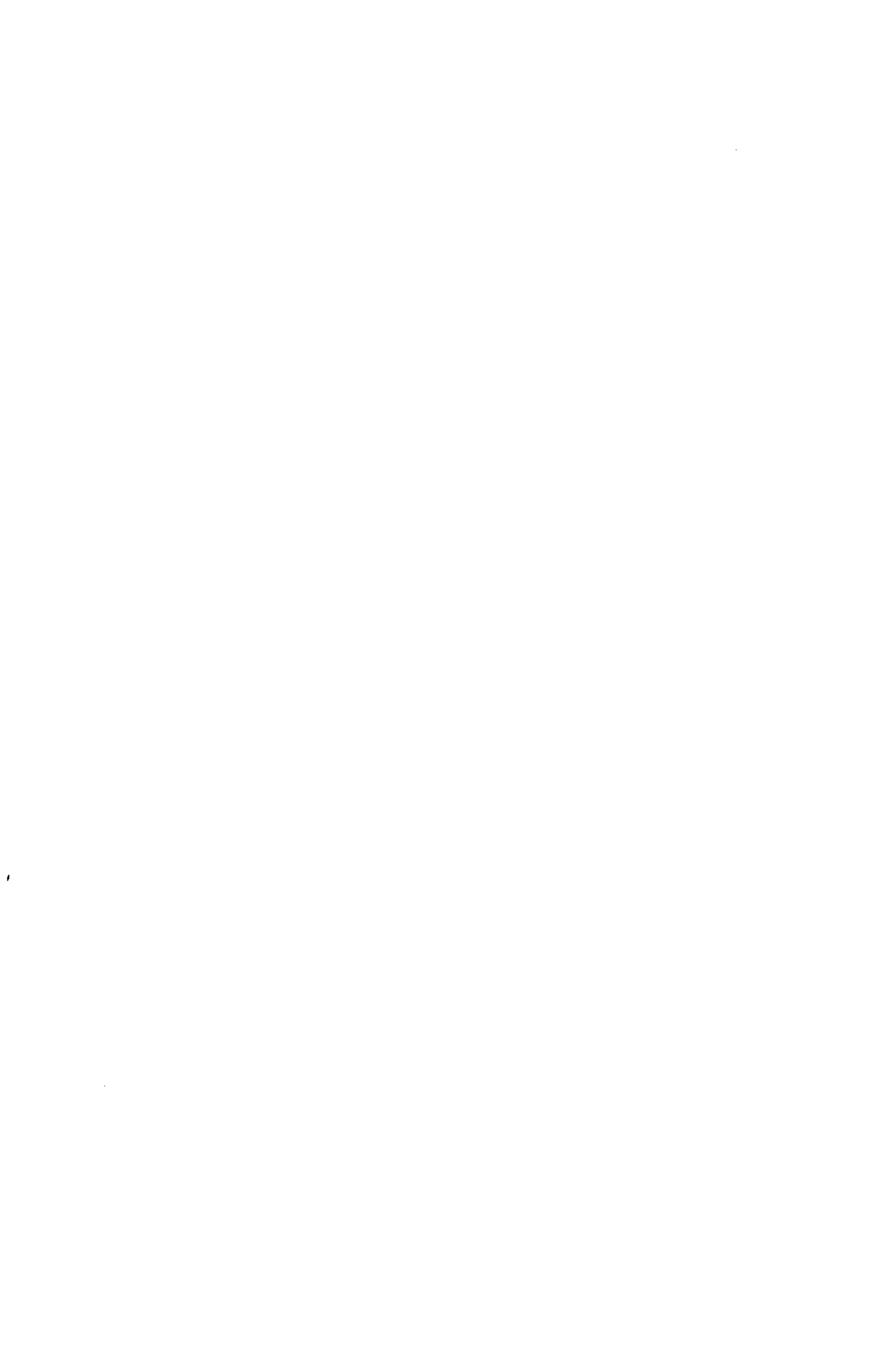
وحــينَ تكــادُ شِــغافُ الفــؤاد بِســكّينِ مُطمِعــةٍ تُجْــرَح
وإذْ يُركِــبُ الـنَفْسَ حَـدَّ الـرَّدى عِنــانٌ مــن الشرِّ لا تُكــبَح
وإذْ يـعْصُرُ القلـبَ حُـبُّ الحيـاة وكــابوسُ حِرمانهــا الْمُقْــدِح
فيرفــعُ وجهــي إلى وَجهِــه ويقــرأُ فيــه ويَسْتَوضِــح
فــأرجفُ رُعبــاً كــأنَّ الحشــا تخطّفَــهُ أجــدَلٌ أجــدَح
وأفْهَــمُ مِــنْ نظــرةٍ أنَّنــي لشرٍّ فكَــرْتُ بــهِ أصْــلُح
وأنَّ الضَّــميرَ بغــيٌّ يجــيء لهــا « اللَّيــلُ » مــا الصُّبْحُ يَستقبِح
وأنْ لــيسَ ذلــكَ مِــنْ دَيْــدَنٍ لِمَــنْ هَمّــهُ عــالَمٌ أصْــلَح
فأنهــالُ لــثماً عــلى كفّــهِ وأســألُ عفــواً وأسْتَصْــفِح
أحِــنُّ لــه وكــأنَّ الحيــاةَ خضراءَ مِــنْ دونــه..صَحْصَــح
أحِــنُّ لــه وأحــبُّ الكَــرَى لســانحةٍ منــهُ قــد تَسْــنَح
أحِــنُّ لــه لــيسَ يَقْــوَى النَّعــيمُ وكُــلُّ لذاذاتــهِ مُــرْبِح
ولا كــلُّ مــا نَهَــزَ النــاهِزون مــن المُتعــاتِ ومــا استَنْزَحوا
ولا كــلُّ مــا أمَّــلَ الآمِلــون ولامُخْفِــقٌ منــهُ أو مُــنْجَح
لِتَعْــدلَ مِــنْ ثَغْــرِهِ بســمةً بهــا نَسْــمةُ الخُلــدِ تُسْــتَرْوَح
فيــا ليتنــي بعــضُ أنفاســهِ لأمْــنَحَ مِــنْهُنَّ مــا يُمْــنَح
ويــا ليتنــي « ذرّةٌ » عنــدَه لأســبَحَ في فَلَــكٍ يَسْــبَح

أحــنُّ إلى شــبحٍ يلمــحُ
بعيْنَــي أطيافُــه تَمْــرَح

***

فهرس الديوان





فهرس الديوان

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

